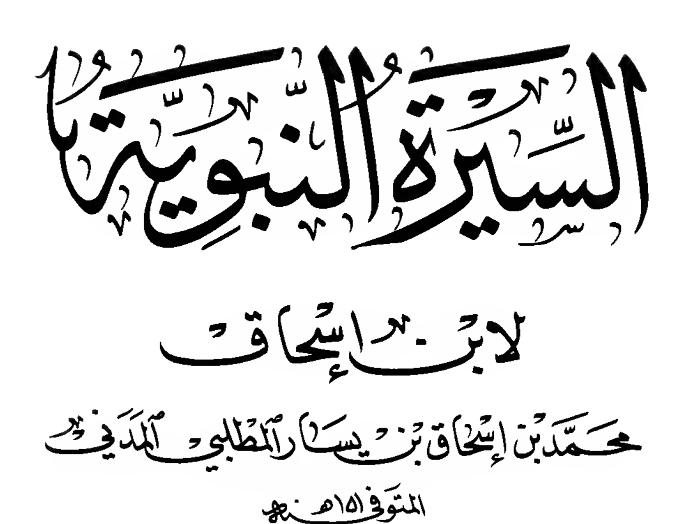


حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

أحمد فريد المزيدي

١ - ٢

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3982-7



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com


السيرة النبوية
لابن إسحاق



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي كسانا حُلَّة التوحيد والإسلام وجعلنا من أمة خير الأنام، وشرفَنا بالاعتصام بالقرآن، وبهدي نبيه سيدنا محمد عليه أفضل صلاة وأتم السلام، من بُعث رحمة للعالمين، وهدىً وبركة لسائر الأنام، وعلى آله الطيبين الأطهار الكرام، وصحبه البررة المقرّبين الأعلام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم العرض والزحام.

وبعد فهذا كتاب السيرة النبوية لابن إسحاق، من أهم وأفضل وأشهر ما صُنف في نوعه على الإطلاق، نقدمّه اليوم في هيئته الجديدة محققاً ومنقحاً موضحاً، وذلك بجعله قسمين:-

القسم الأول: ما عُثر من مخطوطة ابن إسحاق مفردة.

القسم الثاني: تكملته من سـيرة ابن هشـام المأخوذة من ابن إسحاق، بالاقتصار على رواية ابن إسحاق، ليخرج متمماً للكتاب، ولتعم الفائدة، ويحصل النفع إن شاء الله.

وإليك ترجمة موجزة للمصنف، وذكر ما يتعلق به، وبالكتاب من تحقيق ودراسة والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ترجمة ابن إسحاق

هو الشيخ المحدث المؤرخ محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، أبو بكر القرشي المدني المطلبي.

ولد سنة (٨٠ هـ) نشأ في بيئة علمية، فوالده أحد الرواة الثقات وقد حظي ابن إسحاق برؤية أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب.

وأخذ العلم عن جَمٍّ غفير من العلماء الأفاضل، وارتحل إلى الكوفة، والجزيرة، والرّي، وبغداد، وآخرها مصر، ثم عاد إلى المدينة المنورة.

من مصنفاته: الخلفاء، والسير والمغازي، وهو أصل السيرة النبوية لابن هشام، والمبتدأ، أو المبدأ، يتحدث فيه عن بداية الخليقة وقصص الأنبياء.

قال فيه الزهري: "لا يزال بالمدينة عِلم جَمٌّ ما دام فيهم ابن إسحاق" وسئل عن مغازيه فقال: "هذا أعلم الناس بهذا" وقال عاصم بن عمر: لا يزال الناس في علم ما عاش ابن إسحاق. وقال شعبة: هو أمير المؤمنين في الحديث. وقال ابن المديني: حديث ابن إسحاق صحيح. وقال أبو زرعة الدمشقي: أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه.

وللعلماء مآخذ عليه، التي خلاصتها أنه صدوق في الرواية، وكان يدلس، وهو إمام في المغازي والسير بلا نزاع وريب.

فقد أخرج له البخاري تعليقاً، ومسلم متابعة، وأصحاب السنن الأربعة.

واختلف في سنة وفاته: فقال الفلاس وإبراهيم بن محمد بن عرفة: مات سنة ١٥٠ هـ.

وقال الهيثم بن عدي وأحمد بن خالد الوهبي: سنة ١٥١ هـ.

وقال يحي بن معين وابن المديني والسياجي: مات سنة ١٥٢ هـ.

وقال خليفة بن خياط: توفي سنة ١٥٣، أو ١٥٢ هـ.

وانظر في ترجمته:-

١- الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٢١/٧).

٢- التاريخ الكبير للبخاري (٤٠/١)، والصغير (٢ /١١١).

٣- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٩١/٧).

٤- الكامل لابن عدي (١٠٢/٦).

٥- تاريخ بغداد للخطيب (٣١٤/١).

٦- وفيات الأعيان لابن خلكان (١٧٦/٤).

٧- معجم الأدباء لياقوت الحموي (٥/١٨).

٨- تهذيب الكمال للمزي (١١٦٦).

٩- سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٣/٧).

١٠- تذكرة الحفاظ له (١٧٢/١).

١١- كذلك "ميزان الاعتدال" (٤٦٨/٣).

١٢- تهذيب التهذيب للحافظ (٣٨/٩).

١٣- شذرات الذهب لابن العماد (٢٣٠/١).

١٤- الفهرست لابن النديم (٩٢).

١٥- الأعلام للزركلي (٢٨/٦).

١٦- هدية العارفين للبغدادي (٧/٦).

١٧- معجم المؤلفين لكحالة (٤٤/٩).

مطبوعات ومخطوطات الكتاب

نذكر أولاً سيرة ابن إسحاق، ثم سيرة ابن هشام:-

١- طبعة جوتنجن- وهى أفضلها وأصحها- بألمانيا سنة ١٨٦٠م بعناية المستشرق وستفيلد، في مجلدين، مضبوطة الشكل اللازم.

٢- طبعة بولاق المصرية في ثلاثة أجزاء سنة ١٢٢٥هـ.

٣- المطبعة الخيرية المصرية في ثلاثة مجلدات سنة ١٢٢٩هـ.

٤- طبعة ليبزج سنة ١٩٠٠م.

٥- طبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٣٢هـ - على هامش الروض الأنف للسهيلي.

٦- طبعة القاهرة على هامش زاد المعاد لابن قيم سنة ١٣٣٣هـ.

٧- طبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٥٥هـ، وكذلك ثانية في ١٣٧٥هـ.

٨ - طبعة التجارية الكبرى سنة ١٣٥٦هـ.

٩- طبعة الأخبار بمصر سنة ١٩٩٨م، وهى طبعة جزى الله القائمين على إخراجها تحقيقاً ونشراً كل خير، وكذلك السابقين لهم من أمة محمد ﷺ.

أما المخطوطات:-

١- نسخة كربسيك Karabacek المحفوظة مكتبة كوبريلي التركية رقم ١١٤٠.

٢- نسخة دار الكتب المصرية، أحمد تيمور باشا. ذلك فضلاً عن وجودها في بطون أمهات الكتب المتقدمة.

ثانيا: سيرة ابن هشام

١- طبعة المستشرق فسنفلد على عدة مخطوطات، سنة ١٨٥٨م. ونشرت ترجمته بالألمانية في شتوتجارت سنة ١٨٦٤م.

٢- طبعة بولاق سنة ١٢٩٥هـ بغير تعليق ولا شرح.

٣- طبعة القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ مع تعليقات لمحمود الطهطاوي.

٤- طبع في القاهرة بتحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري.

٥- طبعة السعادة بمصر سنة ١٩٣٧م تحقيق الشيخ محيي الدين عبدالحميد، وهى أفضل طبعاتها إلى ذلك الحين.

٦- طبعة دار الجيل بيروت- تحقيق الشيخ طه عبد الرؤف سعد، وهى جيدة حسنة.

٧- طبعة دار الصحابة طنطا، تحيق الأخ الفاضل مجدي فتحي السيد، حيث التحقيق الجيد الرائع المتقن في حكمه على الحديث.

٨- طبعة العبيكان بالرياض- تحقيق شيخنا الأستاذ الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي - مشاركة مع الشيخين عادل، وعليّ، وهو تحقيق ممتاز شامل واسع لحدٍّ كبير.

أما المخطوطات فكثيرة منها:-

١- دار الكتب المصرية (١٦٣٣) تاريخ. خط ٥٠٣ هـ.

٢ - دار الكتب المصرية (٢١١٠) تاريخ طلعت، خط ٧٢٠ هـ.

٣ - دار الكتب المصرية (٤٠٠) تاريخ، خط ٧٤٩ هـ.

٤ - دار الكتب المصرية (٧٠٨٣) ح، خط ٨٦٢ هـ.

٥ - دار الكتب المصرية (١٣٢) تاريخ ١١٤٤ هـ.

٦ - دار الكتب المصرية (٤٢٦) تاريخ تيمور.

٧ - دار الكتب المصرية (١١١) جلال الحسيني.

٨ - دار الكتب المصرية (٨٦٩) الذكية.

٩ - دار الكتب المصرية (٧٠٨٣) تاريخ.

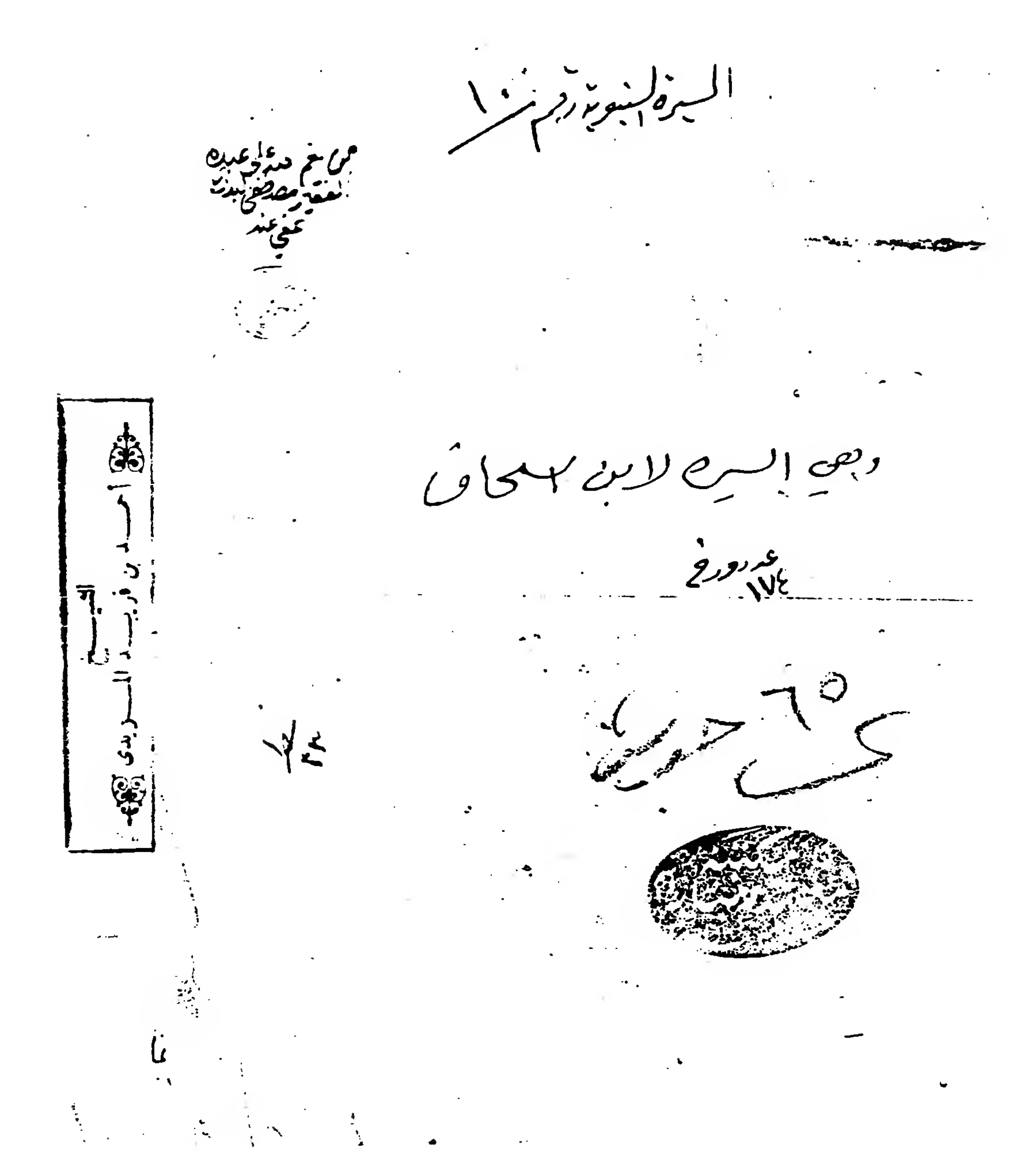
١٠- نسخة معهد دمياط الديني، تحت رقم ٦٥ حديثي وتقع في ٣٥٣ق، بخط نسخي معتاد، أسطره ٢٥ سطراً في الصفحة، من غير تاريخ، وهى نسخة جيدة مشكلة بالشكل اللازم وقد اعتمدنا عليها مع بعض ما تقدم ذكره من مطبوعة ومخطوطة.

وبعد ذلك: قمت بالتخريج والعزو والضبط ما استطعت إليه سبيلاً حتى يخرج العمل في صورته الجيدة هذه، سائلاً الله الإخلاص والقبول والتوفيق لما يحبه ويرضاه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما كثيراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

أحمد فريد أحمد المزيدي

الحسيني الشافعي الأثري

الأزهري القاهري



صورة غلاف النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم [illegible]
[illegible] القاضي الفقيه العالم المحدث الحاكم ثقة
الملك أبو محمد عبد الله بن القاضي الفقيه الحاكم أبي الحسن محمد بن عبد بن
المجلي بن الحسين بن علي بن الحارث الرملي بقراءة الحافظ أبي الميمون
عبد الوهاب بن عتيق بن وردان المصري عليه ونحن نسمع في شهور سنة
ثلاث وستمائة قال أنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن رفاعة بن غدير
ابن السعدي الفرضي بقراءة المسعودي عليه ونحن نسمع في سنة ست
وخمسين وخمسمائة قال أنا القاضي الفقيه أبو الحسن علي بن الحسين
ابن محمد الشافعي الخلعي قراءة عليه وأنا أسمع قال أنا الشيخ أبو محمد
عبد الرحمن بن عمر بن سعيد بن إبراهيم بن يعقوب البزاز الشاهد
المالكي قراءة عليه وأنا أسمع قال أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله
ابن محمد بن جعفر بن الورد بن زنجويه البغدادي قراءة عليه قال حدثنا
أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن أبي زرعة الزهري
المشهور بالبرقي قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام النحوي قال حدثنا
زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحق بن يسار المطلبي قال هذا
كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم
عبد مناف المغيرة بن قصي واسم قصي زيد بن كلاب وإنما سمي قصيا
لأن أمه تقصت به مع زوجها إلى الشام بلاد بني عذرة بن غالب
ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسم مدركة عامر بن الياس

بن

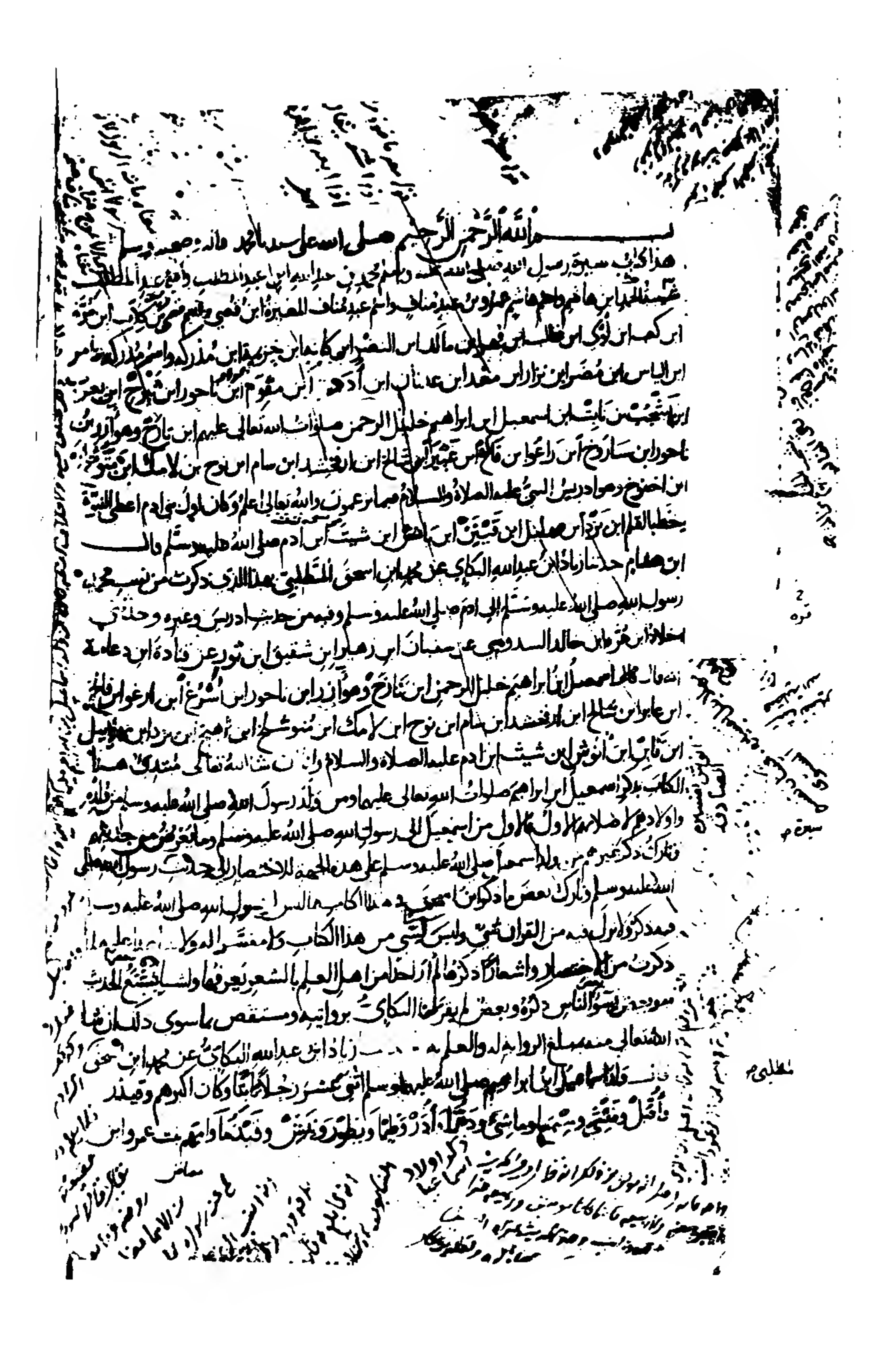
صورة الصفحة الأولى من النسخة الأولى

بأبي وأمي من شهدت وفاته * في يوم الاثنين النبي محمد * فظللت بعد وفاته متبلدا
متلددا يا ليتني لم أولد * أأقيم بعدك بالمدينة بينهم * يا ليتني صبحت سم الأسود
أو حل أمر الله فينا عاجلا * في روحة من يومنا أو من غد * فتقوم ساعتنا فنلقى طيبا
محضا ضرائبه كريم المحتد * يا بكر آمنة المبارك بكرها * ولدته محصنة بسعد الأسعد
نورا أضاء على البرية كلها * من يهد للنور المبارك يهتد * يا رب فاجمعنا معا ونبينا
في جنة تثني عيون الحسد * في جنة الفردوس فاكتبها لنا * يا ذا الجلال وذا العلا والسودد
والله أسمع ما بقيت بهالك * إلا بكيت على النبي محمد * يا ويح أنصار الرسول ورهطه
بعد المغيب في سواء الملحد * ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا * سودا وجوههم كلون الإثمد
ولقد ولدناه وفينا قبره * وفضول نعمته بنا لم تجحد * والله أكرمنا به وهدى به
أنصاره في كل ساعة مشهد * صلى الإله ومن يحف بعرشه * والطيبون على المبارك أحمد

وقال حسان بن ثابت [illegible] يبكي رسول الله [illegible]

نب المساكين أن الخير فارقهم * مع النبي تولى عنهم سحرا * من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي
ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا * أم من نعاتب لا نخشى جنادعه * إذا اللسان عتا في القول أو عثرا
كان الضياء وكان النور نتبعه * بعد الإله وكان السمع والبصرا * فليتنا يوم واروه بملحده
وغيبوه وألقوا فوقه المدرا * لم يترك الله منا بعده أحدا * ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا
ذلت رقاب بني النجار كلهم * وكان أمرا من أمر الله قد قدرا * واقتسم الفيء دون الناس كلهم
وبددوه جهارا بينهم هدرا * وقال حسان بن ثابت [illegible] يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم
آليت ما في جميع الناس مجتهدا * مني ألية بر غير إفناد * تالله ما حملت أنثى ولا وضعت
مثل الرسول نبي الأمة الهادي * ولا برا الله خلقا من بريته * أوفى بذمة جار أو بميعاد
من الذي كان فينا يستضاء به * مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد * أمسى نساؤك عطلن البيوت فما
يضربن فوق قفا ستر بأوتاد * مثل الرواهب يلبسن المباذل قد * أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي
يا أفضل الناس إني كنت في نهر * أصبحت منه كمثل المفرد الصادي * قال ابن هشام: عجز البيت الأول
عن غير ابن إسحق. انتهى [illegible] سيرة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعظم وشرف وكرم. تم والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين آمين

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الأولى


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
هذا كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب واسم عبد المطلب
شيبة الحمد ابن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة ابن قصي واسم قصي زيد ابن كلاب ابن مرة
ابن كعب ابن لؤي ابن غالب ابن فهر ابن مالك ابن النضر ابن كنانة ابن خزيمة ابن مدركة واسم مدركة عامر
ابن الياس ابن مضر ابن نزار ابن معد ابن عدنان ابن أدد ابن مقوم ابن ناحور ابن تيرح ابن يعرب
ابن يشجب ابن نابت ابن اسمعيل ابن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله تعالى عليهم ابن تارح وهو آزر ابن
ناحور ابن ساروغ ابن راعو ابن فالخ ابن عيبر ابن شالخ ابن ارفخشذ ابن سام ابن نوح ابن لامك ابن متوشلخ
ابن اخنوخ وهو ادريس النبي عليه الصلاة والسلام فيما يزعمون والله تعالى اعلم وكان اول بني آدم اعطي النبوة
وخط بالقلم ابن يرد ابن مهليل ابن قينن ابن يانش ابن شيث ابن آدم صلى الله عليه وسلم قال

صورة الصفحة الأولى من النسخة الثانية

[illegible]

[illegible] هشام بحمد الله وعونه [illegible]

وعلى يد [illegible] الفقير الى الله تعالى الراجي عفو [illegible]

محمد ابن احمد ابي [illegible] الظاهري عفا الله ذنوبه وستر [illegible]

وجميع المسلمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على

سيدنا محمد وآله وصحبه [illegible] في [illegible] المبارك [illegible]

رمضان المعظم [illegible] سنة ٨٦٣ [illegible]

[illegible] على النسخة المنقول منها [illegible]

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الثانية



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ذِكرُ سَرد النَّسَب الزَّكي

من محمد ﷺ إلى آدم عليه السلام

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب -واسم عبد المطلب شَيْبَة- بن هاشم واسم هاشم- عمرو بن عبد مَنَاف- واسم عبد مَناف المُغيْرةُ- بن قُصيٍّ بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لُؤَيٍ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، بن كنانة بن خَزُيمة بن مُدْركة- واسم مدركة عامر- بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان بن أُدِّ ويقال أُدَد- بن مُقَوَّم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يَشجُب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم- خليل الرحمن- بن تارح- وهو آزر- ابن ناحُور بن ساروغ بن راعو بن فالخ بن عَيْبَر بن شالخ بن أرْفخشذَ بن سام ابن نوح بن لَمْك بن مَتُّوشَلَخ بن أَخنُوخ، وهو إدريس النبي- فيما يزعمون والله أعلم- وكان أول نبي أُعطى النبوة وخَطَّ بالقلم- بن يَرْد بن مَهْليل بن قَيْنن ابن يانَش بن شيث بن آدم- عليه السلام.

قال ابن إسحاق: هذا الذي ذكرت من نَسب محمد رسول الله ﷺ إلى آدم عليه السلام وما فيه من حديث إدريس وغيره[1].

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (١/١٨٠)، وتاريخ الطبري (٢/٢٧١)، والأنساب لابن حزم (٧، ٩) علماً بأن نسبة رسول الله ﷺ صحيحة إلى عدنان، وما وراء عدنان فليس فيه شيء يعتمد عليه.

سيَاقة النّسَبِ من ولَد إسماعيل عليه السلام

أولاد إسماعيل- عليه السلام، ونسب أمهم.

قال ابن إسحاق: ولَدَ إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام- اثني عشر رجلاً: نابتاً، وكان أكبرهم وقَيْذرُ، وأَذْبُلَ، ومبشار، ومسْمَعاً، وماشي، ودَما، وأذر، وطيما ويَطُور، ونَبِش، وقَيْذَماً، وأمهم رَعْلَة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي [١].

عُمْرُ إسماعيل- عليه السلام- ووفاته:

قال ابن إسحاق: وكان عُمْرُ إسماعيل- فيما يَذْكُرون- مائةَ سنة وثلاثين سنة. ثم مات رحمة الله وبركاته عليه، ودفن في الحِجْر مع أمِّه هاجرِ [٢] رحمهم الله تعالى.

حديث الوصاة بأهل مصر وسببها:

قال ابن إسحاق: حدَّثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزُّهرى: أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري، ثم السُّلمي حدَّثه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا افتتحتُم مِصْرَ، فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمَّة ورَحِماً**» فقلت لمحمد بن مسلم الزُّهري: ما الرحِمُ التي ذكر رسول الله ﷺ؟[٣].

فقال: كانت هَاجَرُ أمُّ إسماعيل منهم.

فقال ابن إسحاق: عَادُ بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وثَمود وجَديس ابنا عابر بن إرَم بن سام بن نوح، وطسْم وعملاق وأميم بنو لاوذ بن

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥١/١) من طريق رويم المقري عن هارون الشامي عن ابن إسحاق ومن طريق الكلبي عن أبيه، وأخرجه الطبري (٣١٤/١) من طريق ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق به.

(٢) انظر تاريخ الطبري (٣١٤/١) وطبقات ابن سعد (٥٢/١) والبداية والنهاية (١٩٣/٢).

(٣) حديث صحيح وإسناده مرسل.

سام بن نوح عرب كلهم، فولد نابت بن إسماعيل يشجب بن نابت فولد يشجب يعرب بن يشجب فولد يعرب تيرح بن يعرب، فولد تيرح ناحور بن تيرح فولد ناحور مقوم بن ناحور، فولد مقوم أدد بن مقوم، فولد أدد عدنان بن أدد.

أولاد عدنان

قال ابن إسحاق: فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم- عليهما السلام- فولد عدنان رجلين: معد بن عدنان،وعك بن عدنان.

ذكر نسب الأنصار

قال حسان بن ثابت الأنصاري: والأنصار بنو الأوس والخزرج، ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن ابن الأسد بن الغوث:

إما سألت فإنا معشر نجب   الأسد نسبتنا والماء غسان

وهذا البيت في أبيات له.

فقالت اليمن، وبعض عك، وهم الذين بخراسان منهم: عك بن عدنان بن عبد الله بن الأسد بن الغوث. ويقال: عدنان بن الديث بن عبد الله بن الأسد بن الغوث.

قال ابن إسحاق: فولد معد بن عدنان أربعة نفر: نزار بن معد، وقضاعة ابن معد، وكان قضاعة بكر معد الذي به يكنى -فيما يزعمون- وقنص بن معد، وإياد بن معد.

فأما قضاعة فتيامنت إلى حمير بن سبأ- وكان اسم سبأ عبد شمس- وإنما سمي سبأ؛ لأنه أول من سبى في العرب، ابن يشجب بن يعرب بن قحطان.

قنص بن معد ونسب النعمان بن المنذر:

قال ابن إسحاق: وأما قنص بن معد فهلكت بقيتهم- فيما يزعم نساب معد- وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري: أن النعمان بن المنذر كان من ولد قنص بن معد.

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس عن شيخ من الأنصار من بني زريق أنه حدثه: أن عمر بن الخطاب ﷺ حين أتي بسيف النعمان بن المنذر، دعا جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ابن قصي- وكان جبير من أنسب قريش لقريش، وللعرب قاطبة، وكان يقول: إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق ﷺ، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب- فسلحه إياه، ثم قال: ممن كان يا جبير، النعمان بن المنذر ؟ فقال: كان من أشلاء قنص بن معد.

قال ابن إسحاق: فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلا من لخم، من ولد ربيعة بن نصر، فالله أعلم أي ذلك كان[1].

---

(١) إسناده ضعيف في سنده جهالة الشيخ الأنصاري.

أخرجه من طريق ابن إسحاق الطبري (١/٢٤٧) في تاريخه ، وأخرجه عبد الرزاق (٩٩٩٦)، (٩٩٩٧)، (٩٩٩٨) في مصنفه من طرق عن الزهري عن ابن كعب مرسلا أيضا، والبيهقي (٦/٣٢٢) من طريق ابن وهب عن مالك، والليث كلاهما عن الزهري عن ابن كعب مرسلا. وأخرجه الحاكم (٢/٥٥٣) من طريق معمر عن الزهري، عن ابن كعب عن أبيه به مرفوعا، وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي على شرطهما، والطبراني (١٩/٦١) في الكبير من طريق الوليد عن مالك والأوزاعي كلاهما عن الزهري عن ابن كعب عن أبيه، وفيه عنعنة الوليد بن مسلم، وهو مدلس وأخرجه الطبراني (١٩/٦١) في الكبير، والبيهقي (٦/٣٢٢) في دلائل النبوة من طريق إسحاق بن راشد عن الزهري عن ابن كعب عن أبيه، وابن راشد وإن كان ثقة ، ففي حديثه عن الزهري بعض الوهم ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٦٣): رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح.

له شـــاهد من حديث أبي ذر ﷺ أخرجه مسلم (٢٢٥٤١)، وأحمد (٥/١٧٤) والبيهقي (٦/٣١٢) في دلائل النبوة، و (٩/٢٠٦) في سننه الكبرى، والطحاوي (٢/ =

أمر عَمرو بن عَامر في خروجه من اليمن وقصة سد مَأرب

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن، فيما حدثني أبو زيد الأنصاري، أنه رأى جُرذا يحفر في سد مَأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيصرِّفونه حيث شاءوا من أرضهم، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك، فاعتزم على النقلة من اليمن، فكاد قومه، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه، أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنه ما أمره به، فقال عمرو: لا أقوم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي، وعرض أمواله، فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتنموا غَضْبَة عمرو، فاشتروا منه أمواله، وانتقل في ولده وولد ولده، وقالت الأزد: لا نتخلف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم، وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان فحاربتهم عك، فكانت حربهم سجالا. ففي ذلك قال عباس بن مرداس: البيت الذي كتبنا، ثم ارتحلوا عنهم، فتفرقوا في البلدان، فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر (الشام)، ونزلت الأوس والخزرج (يثرب)، ونزلت خُزاعة (مَراً)، ونزلت أزد السُّراة (السراة)، ونزلت أزد عمان (عمانَ). ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه،ففيه أنزل اللهِ- تبارك وتعالى- على رسوله محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾[1].

والعرم: السد، واحدته: عَرِمة، فيما حدثني أبو عبيدة.

=

١٠٢) و (٣/١٢٤) في مشكل الآثار. وله شاهد من حديث أم سلمة، وأخرجه الطبراني (٢٣/٢٦٥) في الكبير، وقال الهيثمي المجمع (١٠/٦٣) رجاله رجال الصحيح.

(١) سورة سبأ: آية (١٥، ١٦).

قال الأعشى، أعشى بن قيس، بن ثعلبة، بن عُكَابة، بن صعب، بن علي، ابن بكر، بن وائل، بن هِنب، بن أفصى، بن جديلة، بن أسد، بن ربيعة، بن نزار، بن معدّ:

وفـــي ذاك للمؤتسى أســوة ومــأرب عفــى عليها العــرم
رخـــام بنـــتـه لهـــم حمـــير إذا جـــاء مَـــوَّارة لم يَـــرِمْ
فــــأروى الزروع وأعنابهـــا عـــلى ســعة مائهـــم إذ قسم

حَديثُ رَبيعة بن نصر ورؤياه

رؤيا ربيعة:

قال ابن إسحاق: وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة فرأى رؤيا هالته، وفظع بها، فلم يدع كاهناً، ولا ساحراً، ولا عائفاً، ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رؤيا هالتني، وفظعت بها، فأخبروني بها وبتأويلها، قالوا له: اقصصها علينا نخبرك بتأويلها، قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لايعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطيح وشق، فإنه ليس أحد مثلهما، فهما يخبرانه بما سأل عنه [(١)].

قال ابن إسحاق: فبعث إليهما، فقدم عليه سَطيح قبل شق، فقال له: إني رأيت رؤيا هالتني، وفظعت بها، فأخبرني بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها.

قال: أفعل، "رأيتَ حُمَمة [(٢)]، خرجت من ظلمة، فوقعت بأرض تَهمة، فأكلت منها كل ذات جُمجمة"

فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئا يا سَطيح، فما عندك في تأويلها ؟

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه ابن جرير الطبري (٢/١١٢) في تاريخه عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم.

(٢) حممة: الفحمة، وكل ما احترق بالنار، وجمعها حمم.

فقال: أحلف بما بين الحَرَّتين من حنش، لتهبطن أَرضكم الحبش، فليملكن ما بين أبْين إلى جرش.

فقال له الملك: وأبيك يا سَطيح، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن، أفي زماني هذا، أم بعده؟

قال: لا، بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين.

قال: أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع؟

قال: لا، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين، ثم يقتلون، ويخرجون منها هاربين.

قال: ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟

قال: يليله إِرَم ذى يَزَن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.

قال: أفيدوم ذلك من سلطانه، أم ينقطع؟

قال: لا، بل ينقطع.

قال: ومن يقطعه؟ قال: نَبيٌّ زكيٌّ، يأتيه الوحى من قبل العَلي.

قال: وممن هذا النبي؟

قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر.

قال: وهل للدهر من آخر؟

قال: نعم، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون، يسعدُ فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون.

قال: أحق ما تُخبرني؟

قال: نعم. والشفق والغسق، والفلق إذا اتسق، إن ما أنبأتك به لحق.

ثم قدم عليه شق، فقال له كقوله لسطيح، وكتمه ما قال سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان.

فقال: نعم، رأيت حُمَمة، خرجت من ظُلمة، فوقعت بين رَوضة أكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة.

قال: فلما قال له ذلك، عرف أهما قد اتفقا، وأن قولهما واحد.

إلا أن سطيحاً قال: "وقعت بأرض تَهَمة، فأكلت منها كل ذات جمجمة"، وقال شق: "وقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة".

فقال له الملك: ما أخطأت يا شق منها شيئاً، فما عندك في تأويلها؟

قال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، ليترلن أرضكم السَّودان، فليغلبن على كل طَفْلَة البنان[1]. وليملكن ما بين أبين إلى نجران.

فقال له الملك: وأبيك يا شق، إن هذا لنا لغائظ موجع، فمتى هو كائن؟ أفي زماني. أم بعده؟

قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شَان، ويُذيقهم أشد الهوان.

قال: ومن هذا العظيم الشان؟

قال: غلام، ليس بِدني، ولا مُدَنٍّ [2]. يخرج عليهم من بيت ذي يزن، فلا يترك أحداً منهم باليمن.

قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟

قال: بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل، بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل. قال: وما يوم الفصل؟

قال: يوم تجزى فيه الولاة، ويدعى فيه من السماء بدعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه بين الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات.

قال: أحق ما تقول؟ قال: إي ورب السماء والأرض، وما بينهما من رفع

---

(١) البنان: الإصبع.

(٢) المدن: الذي جمع الضعف مع الدناءة.

وخفض، إن ما أنبأتك به لحق، ما فيه أمْض[١].

استيلاء أبي كَرِب تبّانَ أسعد على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق: فلما هلك ربيعة بن نصر، رجع مُلك اليمن كله إلى حسان بن تبان أسعد [٢]. أبي كَرب- وتُبان أسعد هو: تُبَّع الآخر، ابن كُلى كَرب بن زيد، وزيد هو تُبَّع الأول بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي المَنَار بن الريش.

قال ابن إسحاق: ابن عدي بن صيفي بن سبأ الأصغر، بن كعب، كهف الظُّلم، ابن زيد بن سهل، بن عمرو، بن قيس، بن معاوية، بن جشم، بن عبد شمس، بن وائل، بن الغوث، بن قطن، بن عريب، بن زهير، بن أيمن، بن الهميسع، بن العرنجج، والعرنجج حمير بن سبأ الأكبر، بن يعرب، بن يشجب، بن قحطان.

قال ابن إسحاق: وتُبان أسعد أبو كرب الذي قدم المدينة، وساق الحَبْرين من يهود المدينة إلى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه، وكان ملكه قبل مُلك ربيعة بن نصر.

تُبان يَغضب على أهل المدينة:

قال ابن إسحاق: وكان قد جعل طريقه -حين أقبل من المشرق- على المدينة، وكان قد مر بها في بَدْأته، فلم يهج أهلها، وخلَّف بين أظهرهم ابناً له، فقُتل غيلة، فقدمها، وهو مُجمع لإخرابها، واستئصال أهلها، وقطع نخلها، فجمع له هذا الحي من الأنصار، ورئيسهم عمرو بن طلَّة أخو بني النجار، ثم أحد بن عمرو بن مبذول، واسم مبذول، عامر بن مالك، بن النجار، واسم

---

(١) أمضي:أي ما فيه باطل.

(٢) تبان أسعد: هو لقب تبع الحميري، وتبان مشتق من التبانة وهى الذكاء والفطنة.

النجار: تيم الله بن ثعلبة، بن عمرو بن الخزرج، بن حارثة، بن ثعلبة، بن عمرو، ابن عامر.

قصة مقاتلة تُبان لأهل المدينة:

قال ابن إسحاق: وقد كان رجل من بني عدي بن النجار يقال له: أحمر، عَداً على رجل من أصحاب تُبّع حين نزل بهم فقتله، وذلك أنه وجده في عَذق له يَجُدُّه [١]. فضربه بمنجله فقتله، وقال: إنما التمر لمن أبَّره[٢]. فزاد ذلك تُبعاً حنقاً عليهم قال: فاقتتلوا، فتزعُم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار، ويَقْرُونه بالليل، فيعجبه ذلك منهم، ويقول: والله إن قومنا لكرام!!

فبينا تبّع على ذلك من قتالهم، إذ جاءه حبران من أحبار اليهود، من بنى قريظة، وقريظة والنضير والنحام وعمرو- وهو هَدلَ [٣]- بنو الخزرج بن الصريح بن التومان بن السَّبط بن اليسع بن سعد بن لاوى بن خير بن النحام بن تنحوم بن عازر بن عزرى بن هارون بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى ابن يعقوب- وهو إسرائيل- بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن- صلى الله عليهم- عالمان راسخان في العلم، حين سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك، لا تفعل، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولم ذلك؟ فقالا: هى مُهَاجَرُ نبى يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره، فتناهى عن ذلك، ورأى أن لهما علما، وأعجبه ما سمع منهما، فانصرف عن المدينة، واتبعهما على دينهما، فقال خالد بن عبد العُزَّى بن غزَّية بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم ابن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طلة[٤]:

---

(١) غدق: النخل يجده: يقطعه أي يجني ثمره.
(٢) أبره: أبر النخل لقحه وأصلحه.
(٣) هدل: بفتح الدال ويجوز الإسكان وهو اسم لعمرو هذا.
(٤) انظر: تاريخ الطبري (١٠٦/٢) نقلاً عن ابن إسحاق.

أَصَحا أَمْ قَد نَهى ذُكَرَه ... أَم قَضَى من لَذَّة وطَره
أَم تَذكرتَ الشبابَ، ومَا ... ذكْرُكَ الشباب أو عُصُرَه
إنَّها حَربٌ رَباعيَة ... مثلها أَتى الفتى عَبره
فاسألا عِمْران، أو أسداً ... إذ أَتَتْ عَدْوا مع الزَّهَرَه
فَيلق فيها أبو كَربِ ... سُبَّغ أبدانها ذَفِرَه
ثُم قالوا: من نؤم بها ... أبني عَوف، أم النَّجَره؟
بَل بَني النجَّار إن لنا ... فيهم قَتلى، وإنَّ تِرَهَ
فتلقَّتهم مُسَايفة ... مَدُّها كالغبية النَّثره
فيهم عَمرو بن طَلَّة مـ ... ـلَّى الإلـه قومه عُمرَه
سيّدٌ سَامَ الملوك وَمن ... رَام عَمْرا لا يكن قَدره

وهذا الحي من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تبع على هذا الحي من يهود الذين كانوا بين أظهرهم، وإنما أراد هلاكهم، فمنعوهم منه، حتى انصرف عنهم، ولذلك قال في شعره:

حَنقاً على سِبْطَين حلاَ يثربا ... أَوْلَى لهم بعقابِ يوم مُفْسد

تبع يذهب إلى مكة ويطوف بالكعبة:

قال ابن إسحاق[(١)]: وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجه إلى مكة، وهي طريقه إلى اليمن، حتى إذا كان بين عسفان وأمج أتاه نفرٌ من هذيل ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد، فقالوا له: أيها الملك ألا ندلك على بيت مال دائر، أغفله الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة؟ قال: بلى، قالوا: بيت بمكة يعبده أهله، ويصلون عنده. وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغَى عنده. فلما

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/١٠٧) نقلاً عن ابن إسحاق، وكذا البيهقي (١/١١٥) في دلائل النبوة.

أجمع لما قالوا، أرسل إلى الحَبرين، فسألهما عن ذلك، فقالا له: ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك، ما نعلم بيتاً لله اتخذه في الأرض لنفسه غيره، ولئن فعلت ما دعوك إليه، لتهلكن، وليهلكن من معك جميعاً، قال: فماذا تأمراني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه؟ قالا: تصنع عنده ما يصنع أهله: تطوف به وتعظمه وتكرمه، وتحلق رأسك عنده وتذل له، حتى تخرج من عنده، قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم، وإنه لكما أخبرناك، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله، وبالدماء التي يهرقون عنده، وهم نجس، أهل شرك -أو كما قالا له- فعرف نصحهما وصدق حديثهما، فقرب النفر من هذيل، فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم مضى حتى قدم مكة، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام- فيما يذكرون- ينحر بها للناس ويطعم أهلها، ويسقيهم العسل، وأرى في المنام أن يكسو البيت، فكساه الخَصْف[1] ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه المعافر[2] ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه الملاء والوصائل [3] فكان تُبع- فيما يزعمون- أول من كسا البيت، وأوصى به وُلاته من جُرهم، وأمرهم بتطهيره وألا يقربوه دما، ولا ميتة، ولا مئلاتا -وهي المحايض- وجعل له بابا ومفتاحاً، وقالت سُبيعة بنت الأحب، ابن زبينة، بن جذيمة، بن عوف، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن، ابن منصور، بن عكرمة، بن خصفة بن قيس، بن عيلان، وكانت عند عبد مناف ابن كعب، بن سعد، بن تيم، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، ابن فهر، ابن مالك، بن النضر، بن كنانة، لابن لها منه يقال له: خالد تعظم عليه حرمة مكة، وتنهاه عن البغي فيها، وتذكر تبعا وتذلُّله لها، وما صنع بها:

ابـني: لا تَظلـم بمكـةَ لا الصـغير ولا الكبـيرْ

---

(١) الخصف: كساء غليظ يعمل من خوص النخل أو من ليفه.
(٢) المعافر: ثياب مصنوعة في "معافر" ثياب يمنية.
(٣) الوصائل: جمع وصيلة، وهي ثياب تنسج في اليمن.

واحفظْ مَحارمهَا بُنَـــــيَّ ولا يَغُــرَّنك الغـــَـرور
ابـــني: مَنْ يَظلم بمكـــةَ يَلــق أطــراف الشـــرورْ
ابني: يُضرب وجهُـــهُ ويَلُــحْ بخديــه السعـــيرْ
أُبــنَي: قد جَرَّبتهـــــاَ فَوجــدت ظالمهـــا يبـــور[١]
الله آمنها، ومـــــــاَ بُنيـــت بعرصـــتها قُصـــور
الله آمن طـــــــَيرها والعُصـــم تأمن في ثبَـــير[٢]
ولقد غزاها تُبَّـــــعٌ فَكســـا بَنيَّتها الحبـــــير[٣]
وأذل رَبي مُلْكـــــهَ فـــيها فَأوفى بالنــــذورْ
يَمشي إليها حافـــــيا بفـــنائها ألفـــا بعــــيرْ
ويَظل يُطعم أهلـــــها لَحـــم المهـــاري والجـــزورْ[٤]
يَسقيهمُ العَســـل الـــ مصفًّى والرحيضَ من الشَّعير[٥]
والفـــيل أَهْلَك جَيشَـــهُ يُـــرْمَون فيها بالصخـــورْ
والملـــك في أَقْصى البـــلاد وفي الأعـــاجم والخزيـــر[٦]
فاسمعْ إذا حُدِّثتَ، وافــــ ـــهم كيف عاقبةُ الأمورْ

أصل اليهودية باليمن:

ثم خرج منها متوجهًا إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأبوا عليه، حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن.

---

(١) يبور: يهلك.
(٢) العصم: الوعال تعتصم في الجبال، وثبير: اسم جبل في مكة.
(٣) الحبير: الثياب المحبرة وهى التي فيها وشي ونقش جميل وهو ثياب من اليمن.
(٤) الجزور: الإبل السمينة التي تصلح للذبح.
(٥) الرحيض: أي المغسول ويعني الشعير المنقى النظيف.
(٦) الخزير: أمة من العجم منسوبون إلى بحر الخرز وهو البحر الأسود.

مُحاكمة تُبّع إلى النار

قال ابن إسحاق[١]: حدثني أبو مالك بن ثعلبه بن أبي مالك القرظي، قال: سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيد الله يحدث: أن تُبعاً لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك، وقالوا: لا تدخلها علينا، وقد فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه وقال: إنه خير من دينكم، فقالوا: فحاكمنا إلى النار، قال: نعم. قال: وكانت باليمن -فيما يزعم أهل اليمن- نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه، فخرجت النار إليهم، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فذمرهم[٢] من حضرهم من الناس، وأمروهم بالصبر لها، فصبروا حتى غشيتهم، فأكلت الأوثان وما قربوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حمير، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما، فأصفقت عند ذلك حمير على دينه، فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهود باليمن.

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثني مُحدِّث أن الحبرين، ومن[٣] خرج من حمير، إنما اتبعوا النار ليردوها، وقالوا: من ردها فهو أولى بالحق، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها، فدنت منهم لتأكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها، ودنا منها الحبران بعد ذلك، وجعلا يتلوان التوراة وتنكُص عنهما، حتى رداها إلى مخرجها الذي خرجت منه، فأصفَقت[٤] عند ذلك حمير على دينهما. والله أعلم أي ذلك كان.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/١٠٨) نقلاً عن ابن إسحاق.
(٢) فذمرهم: حثوهم على الصبر، وشجعوهم.
(٣) انظر: تاريخ الطبري (٢/١٠٨-١٠٩)، (٢/١١٥) نقلاً عن ابن إسحاق.
(٤) أصفقت: اتفقت واجتمعت.

هدم البيت المسمى رئام[١]:

قال ابن إسحاق: وكان رئام بيتا لهم يعظمونه، وينحرون عنده ويُكلمون منه، إذ كانوا على شركهم، فقال الحبران لتبَّع: إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينهم، قال: فشأنكما به، فاستخرجا منه -فيما يزعم أهل اليمن- كلبا أسود فذبحاه، ثم هدما ذلك البيت، فبقاياه اليوم -كما ذُكر لي- بها آثار الدماء التي كانت تهراق عليه[٢].

مُلك حَسان بن تبّان وقتله على يد أخيه عمرو

فلما ملك حَسان بن تبان أسعد أبي كرب، سار بأهل اليمن، يريد أن يطأ بهم أرض العرب، وأرض الأعاجم، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، وأهلهم، فكلموا أخاً له يقال له عمرو، وكان معه في جيشه، فقالوا له: اقتل أخاك حسان، ونملكك علينا، وترجع بنا إلى بلادنا، فأجابهم، فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعين الحميري فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه. فقال ذو رُعَين[٣]:

أَلاَ مــن يشــتري سَهرا بنوم ... سَــعيدٌ من يَبيتُ قَرير عَين[٤]

فَإمــا حِمــيرٌ غَدرتْ وخَانتْ ... فَمعــذِرَةُ الإلــه لــذي رُعَينِ

ثم كتبهما في رقعة، وختم عليها، ثم أتى بها عمراً، فقال له: ضع لي هذا الكتاب عندك ففعل، ثم قتل عمرو أخاه حسان، ورجع بمن معه إلى اليمن. فقال رجل من حمير:

---

(١) رئام: اسم للبيت الذي يعظمونه، مشتق من الرؤم وهو العطوف الحنون فكأنهم يطلبون في هذا المكان الرحمة والعطف.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/١٠٨ -١٠٩)، (٢/١١٥) نقلاً عن ابن إسحاق.

(٣) ذو رعين: رعين جبل باليمن نسب إليه هذا الملك من ملوكهم.

(٤) قرير عين: هادئ البال فتقر عينه بالنوم وأصل هذه العبارة (بل من يبيت قرير عين هو السعيد).

لاه عينــاَ الذي رأى مثَل حســا ... ن قتــيلا في سَــالف الأحقاب[١]

قَتَلــتْهُ مَقاولٌ خَشية الحبس غَداةَ ... قــالــوا: لَبَــابِ لبــاب

مَيــتُكُم خَيرنــا وحَيُّكُــم رَبٌّ ... عَلينــا وَكلكــم أَربابــي

قال ابن إسحاق: وقوله: لَبَابِ لَبَاب: لا بأس لا بأس بلغة حمير.

هلاك عمرو وتفرق حمير:

قال ابن إسحاق[٢]: فلما نزل عمرو بن تُبان اليمن مُنع منه النوم، وسُلّط عليه السهر، فلما جهده ذلك سأل الأطباء، والحُزَاةَ من الكُهان، والعرّافين عما به، فقال له قائل منهم: إنه والله ما قتل رجل قَطٌّ أخاهُ أو ذا رحمه بغيا على مثل ما قتلت أخاك عليه، إلاَّ ذهب نومه، وسلط عليه السهر، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حَسان من أشراف اليمن، حتى خلص إلى ذي رعين فقال له: يا ذو رعين: إن لي عندك بَراءة، فقال وما هي؟ قال: الكتاب الذي دفعت إليك، فأخرجه فإذا فيه البيتان، فتركه ورأى أنه قد نصحه، وهَلك عمرو فمرج [٣] أمر حمير عند ذلك وتفرقوا.

خبر لَخنيْعَة وذي نُواس: فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة، يقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر، فقتل خيارهم، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم، وكان لخنيعة امرأ فاسقا يعمل عمل قوم لوط، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك، فيقع عليه في مَشْربَة له قد صنعها لذلك، لئلا يُملّك بعد ذلك، ثم يطلع من مَشْربته تلك إلى حَرسه ومن حضر من جنده، قد أخذ مسواكا، فجعله في فيه، أي: ليعلمهم أنه قد فرغ منه حتى بعث إلى زُرْعَةَ ذي نُواس بن تبان أَسعد أخي حسَّان، وكان صبيا صغيرا حين قُتل حَسان، ثم شَبَّ

---

(١) الأحقاب: جمع حقب بضم الحاء وسكون القاف أو بضمهما معاً: ثمانون سنة، وقيل أكثر من ذلك ومنه قوله تعالى: ﴿ لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/١١٧-١١٨) نقلاً عن ابن إسحاق.

(٣) مرج أمرهم: اختلط واضطرب ومنه قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴾.

غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل، فلما أتاه رسوله، عرف ما يريده منه، فأخذ سكينا حديدا لطيفا، فَخَبأه بين قدمه ونعله، ثم أتاه، فلما خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نُوَاس، فوجَأه حتى قتله، ثم حز رأسه، فوضعه في الكُوَّة التي كان يشرف منها، ووضع مسواكه في فمه، ثم خرج على الناس، فقالوا له: ذا نُوَاس أَرَطْبٌ أو يَبَاس فقال "سَل تَحْمَاس، استرطبان ذو نوات استرطبان لاباس".

وتحماس[١] الرأس. فنظروا إلى الكوة فإذا رأس لَخنيعَة مقطوع، فخرجوا في أثر ذي نُواس حتى أدركوه، فقالوا: ما ينبغي أن يملكنا غيرك، إذ أرحتنا من هذا الخبيث.

ملكُ ذي نُواس:

فَملَّكوه، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن، فكان آخر ملوك حمير وهو صاحب الأُخْدُود، وتَسمَّى: يوسف، فأقام في ملكه زمانا.

سبب وجود النصرانية بنَجْرَان:

وبنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل. أهل فضل واستقامة من أهل دينهم، لهم رأس يقال له: عبد الله بن الثامر.

وكان موقع أصل ذلك الدين بنَجْرَان، وهى بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان، وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها، وذلك أن رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له: فَيْميُون، وقع بين أظهرهم، فحملهم عليه، فدانوا به.

فيْمِيُون وصالح ونشر النصرانية:

قال ابن إسحاق[٢]: حدثني المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس، عن وهب ابن مُنبِّه اليماني أنه حدثهم: أن موقع ذلك الدين كان بنجران أن رجلا من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يقال له فَيمْيُون، وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا، مُجَاب الدعوة، وكان سائحا يترل بين القُرى، لا يُعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف بها. وكان لا يأكل إلا من كسب يديه وكان بناءً يعمل

---

(١) تحماس: الرأس بلغة حمير كما قال ابن هشام.

(٢) إسناده ضعيف إلى ابن منبه: وأخرجه الطبري (٢/١١٩) عن ابن إسحاق به.

الطين، وكان يعظم الأحد فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئا، وخرج إلى فلاة من الأرض يصلي بها حتى يمسي، قال: وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له: صالح، فأحبه صالح حُبا لم يحبه شيئا كان قبله. فكان يتبعه حيث ذلك، ولا يفطن له فيميون، حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض -كما كان يصنع- وقد أتبعه صالح - وفيميون لا يدري، فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا منه، لا يحب أن يعلم بمكانه، وقام فيميون يصلي فبينما هو يصلي إذ أقبل نحوه التنِّين -الحية ذات الرؤوس السبعة- فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخافها عليه فعيل[1] عوله: فصرخ يا فيميون، التنِّين قد أقبل نحوك فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى وانصرف وعرف أنه قد عُرف، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه، فقال له: يا فَيْمِيُون، تعلم والله أني ما أحببت شيئا قط حبك، وقد أردت صحبتك والكينونة معك حيث كنت، فقال: ما شئت، أمري كما ترى، فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم، فلزمه صالح، وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه، وكان إذا فاجأه العبد به الضر دعا له فَشُفي، وإذا دعي إلى أحد به ضر لم يأته، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير، فسأل عن شأن فَيْمِيُون، فقيل له إنه لا يأتي أحداً دعاه، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك، فوضعه في حجرته، وألقى عليه ثوبا ثم جاءه فقال له يا فَيْمِيُون، إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملا، فانطلق معي إليه حتى تنظر إليه فأشَارطك عليه فانطلق معه حتى دخل حجرته، ثم قال له: ما تريد أن تعمل في بيتك هذا؟ قال: كذا وكذا، ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبي، ثم قال له: يا فَيْمِيُون عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له، فدعا له فَيْمِيُون، فقام الصبي ليس به بأس، وعرف فَيْمِيُون أنه قد

(١) عيل عوله: غلب على صبره.

عُرف، فخرج من القرية، وأتبعه صالح، فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل، فقال: يا فَيْميُون! قال: نعم، قال: ما زلت أنظرك، وأقول: متى هو جاء؟ حتى سمعت صوتك، فعرفت أنك هو، لا تبرح حتى تقوم علي فإني ميت الآن، قال فمات، وقام عليه حتى واراه، ثم انصرف وتبعه صالح، حتى وطئا بعض أرض العرب، فعَدَوْا عليهما فاختطفتهما سيارة من بعض العرب، فخرجوا بهما، حتى باعوهما بنجران، وأهل نجران يومئذ على دين العرب، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم، لها عيد في كل سنة، فإذا كان ذلك العيد علقوا كل ثوب حسن وجدوه، وحُلي النساء، ثم خرجوا إليها، فعكفوا عليها فابتاع فَيْميُون رجل من أشرافهم، وابتاع صالحا آخر، فكان فَيْميُون إذا قام من الليل -يتهجد في بيت له أسكنه إياه سيده -يصلي- استسرج له البيت نوراً حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيده، فأعجبه ما يرى منه، فسأله عن دينه، فأخبره به، وقال له فَيْميُون: إنما أنتم في باطل، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع، ولو دعوت عليها إلهي الذي أعبده، لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له. قال: فقال له سيده: فافعل، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك، وتركنا ما نحن عليه قال: فقام فَيْميُون، فتطهر وصلى ركعتين، ثم دعا الله عليها، فأرسل الله عليها ريحاً فَجَعَفَتْها من أصلها فألقتها، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه، فجعلهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض. فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث وهب بن منبه عن أهل نجران.

خَبَرُ عبد الله بن الثّامر وقصة أصحاب الأُخدُود

فَيْمِيُون وعبد الله بن الثامر والاسم الأعظم:

قال ابن إسحاق[١]: وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كَعب القُرظِي، وحدثني أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها: أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان وكان في قرية من قراها قريبا من نجران -ونجران: القرية العظمى التي إليها جمع أهل تلك البلاد- سَاحر يُعَلِّم غلمان أهل نجران السِّحْر، فلما نزلها فَيْمِيُون -ولم يسموه لي باسمه الذي سماه وهب بن منبه، قالوا رجل نزلها- ابتنى خيمة بين نجران، وبين تلك القرية التي بها الساحر، فجعل أهل نجران يُرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر، ويعلمهم السحر، فبعث إليه الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فَوحَّد الله وَعَبدهُ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فَقُه فيه، جعل يسأله عن الاسم الأعظم، وكان يَعْلمه فكتمه إياه وقال له: يا ابن أخي! إنك لن تحمله، أخشى عليك ضعفك عنه والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضَنَّ به عنه، وتَخوَّف ضعفه فيه، عمد إلى قداح فجمعها، ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه في قدْح، لكل اسم قدح، حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً، ثم جعل يقذفها فيها، قدحاً قدحاً، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف بقدحه، فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئاً، فأخذه ثم أتى صاحبه، فأخبره بأنه قد علم الاسم الذي كتمه، فقال: وما هو؟ قال: هو كذا وكذا، قال: وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع، قال: أي ابن أخي! قد أصبته فأمسك على نفسك، وما أظن أن تفعل.

عبد الله بن الثامر يدعو إلى التوحيد: فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه الطبري (٢/ ١٢١) بسنده من طريق ابن إسحاق.

نَجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال: يا عبد الله، أَتُوحِّدُ الله، وتدخل في ديني، وأدعو الله، فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحد الله ويُسلم، ويدعو له فيُشفى، حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره، ودعا له فعوفي، حتى رفع شأنه إلى ملك نجران، فدعاه فقال له: أفسدت علي أهل قريتي، وخالفت ديني ودين آبائي، لأمثلن بك، قال: لا تقدر على ذلك، قال: فجعل يُرسل به إلى الجبل الطويل، فيطرح على رأسه، فيقع إلى الأرض ليس به بأس، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران، بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك، فيلقى فيها، فيخرج ليس به بأس، فلما غلبه، قال له عبد الله بن الثامر: إنك والله لن تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به، فإنك إن فعلت ذلك، سُلطت علي فقتلتني، قال: فوحد الله تعالى ذلك الملك، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر، ثم ضربه بعصا في يده، فشجَّه شجة غير كبيرة، فقتله ثم هلك الملك مكانه، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحكمه، ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران، والله أعلم بذلك.

قال ابن إسحاق: فهذا حديث محمد بن كعب القُرظي، وبعض أهل نجران عند عبد الله بن الثامر، والله أعلم أي ذلك كان.

ذُو نُوَاس يدعو أهل نَجران إلى اليهودية: فسار إليهم ذُو نُوَاس بجنوده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك والقتل، فاختاروا القتل، فخد لهم الأخدود، فحرق من حرق بالنار وقتل من قتل بالسيف، ومثل بهم، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا، ففي ذي نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ﷺ ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[١].

---

(١) سورة البروج: آية:(٤-٨).

نهاية عبد الله بن الثامر: قال ابن إسحاق: ويقال: كان فيمن قَتل ذُو نُواس، عبد الله بن الثامر رأسهم وإمامهم.

قال ابن إسحاق(١): حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم أنه حدث: أن رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه -حَفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته، فوجدا عبد الله بن الثامر تحت دَفن منها قاعداً، واضعاً يده على ضربة في رأسه، ممسكاً عليها بيده، فإن أخرت يده عنها تنبعث دما، وإذا أرسلت يده ردها عليها، فأمسكت دمها، وفي يده خاتم مكتوب فيه: "ربي الله" فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يُخبر بأمره، فكتب إليهم عمر رضي الله عنه : أن أقروه على حاله وردوا عليه الدفن الذي كان عليه، ففعلوا.

فرار دَوْس ذي ثُعْلُبَان من ذي نُوَاس واستنجاده بقيصر:

قال ابن إسحاق (٢): وأفلت منهم رجل من سَبأ، يقال له دَوْسٌ ذي ثُعْلُبان على فرس له، فسلك الرمل فأعجزهم، فمضى على وجهه ذلك، حتى أتى قيصر ملك الروم، فاستنصره على ذي نواس وجنوده، وأخبره بما بلغ منهم، فقال له: بُعدت بلادك منا، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين، وهو أقرب إلى بلادك، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره.

النجاشي ينصر دوسا: فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة، وأمر عليهم رجلا منهم يقال له: أرياط -ومعه في جنده أبرهة الأشرم- فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن، ومعه دَوس ذي ثعلبان.

نهاية ذي نُوَاس: وسار إليه ذو نواس في حمير، ومن أطاعه من قبائل اليمن، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه، فلما رأى ذو نواس ما نزل به

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه الطبري (١٢٤/٢) بسنده عن ابن إسحاق، وفي سنده جهالة شيخ ابن أبي بكر.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (١٢٥/٢) نقلاً عن ابن إسحاق.

وبقومه، وجه فرسه في البحر، ثم ضربه، فدخل به فخاض به ضحضاح[١] البحر، حتى أفضى به إلى غمره، فأدخله فيه، وكان آخر العهد به، ودخل أرياط اليمن، فملكها.

فقال رجل من أهل اليمن -وهو يذكر ما ساق إليهم دوس من أمر الحبشة: "لاَ كدَوْسٍ ولا كأَعلاق رَحْله". فهي مثل باليمن إلى هذا اليوم.

قول ذي جَدَن الحميري في هذه القصة:

وقال ذو جَدَن الحميري:

هَونَـــكِ[٢] ليس يَرُدُّ الدمعَ ما فاتا   لاَ تَهْلكـــي أسَـــفاً في إثر من مَاتا

أَبعـــد بَيْنون لا عينٌ ولا أثـــرَ   وبعـــد سِلْحِين يبني الناس أبياتا؟!

بَينُون وسِلحين وغُمدان: من حصون اليمن التي هدمها أرياط، ولم يكن في الناس مثلها

وقال ذو جَدن أيضاً:

دَعِـــيني -لا أبَـــالك- لن تُطيقي   لحَـــاك اللهً[٣]! قَد أنزفْت ريقي[٤]

لَـــدى عَـــزف القيان إذ انتشيناَ   وإذ نُســـقَى مـــن الخَمر الرحيق

وشُـــربُ الخَمـــر ليس عليَّ عَاراً   إذا لم يَشـــكُني فـــيها رَفيـــقي

فـــإن المـــوتَ لا ينهاهُ نَـــاهٍ   ولـــو شَرب الشفاءَ مع النَّشُوق

(١) ضحضاح البحر: الماء الضحضاح هو القليل الذي يظهر منه القعر لضحالته. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب (هو في ضحضاح من النار، ولولا مكاني لكان في الطمطام).

(٢) هونك: ارفقي بنفسك فإن الجزع لا يجدي ولا يفيد.

(٣) لا أبالك، لحاك الله: صيغتان جاريتان على اللسان يراد بهما غالباً الزجر دون الدعاء وهو أصل معناهما.

(٤) أنزفت ريقي: استنفدته حتى نضب من فمي، وهو كناية عن الخوف والفزع.

ولا مُترهَّبٌ في أُسطوان ... يُناطح جُدره بَيْض الأنُوق
وغُمْدانُ[١] الذي حُدِّثت عنه ... بَنوهُ مُسمَّكا في رأس نيق
بمَنهمةَ، وأسفَلُه جُرونٌ ... وحُر المَوْحَلِ اللّثق الزَّليق
مصابيحُ السَّليط[٣] تَلوحُ فيه ... إذا يمسي كَتوماضِ البُروق[٢]
ونخلتهُ التي غُرست إليه ... يكادُ البُسر يهصرُ بالعُذوق
فَأصبح بعد جدَّته رَمَاداً ... وغيَّر حُسنه لَهَبُ الحريق[٤]
وأَسلم ذُو نُواس مُستكيناً ... وحذَّر قَومهُ ضَنْكَ المضيق

قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي في هذه القصة: وقال عَمرو بن مَعدي كَرب الزبيدي فَي شيء كان بينه وبين قيس بن مَكْشُوح المرَادي، فبلغه أنه يتوعده، فقال يذكر حمير وعزها، وما زال من مُلكها عنها:

أَتُوعدُني كأنك ذُو رُعَينِ ... بأَفضلِ عيشَة -أو ذُو نُواس
وكَائِنْ كَان قبلك من نَعيم ... ومُلك ثابت في الناس رَاس
قديم عهدهُ من عهدْ عاد ... عظيم قَاهر الجبروت قَاسي
فأمسى أهلُهُ بادوا، وأَمسى ... يُحوَّل من أُناسِ في أُناس

النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط

قال ابن إسحاق[٥]: فأقام أَرياط بأرض اليمن في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي، حتى تفرقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ثم سار أحدهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس أرسل

---

(١) غمدان اسم الحصن باليمامة.
(٢) السليط: الدهن الذي توقد المصابيح به.
(٣) توماض البروق: أي وميضها وهو ضوؤها الخاطف.
(٤) يهصر بالعذوق: وهو الكباسة من التمر بمثابة العنقود من العنب.
(٥) انظر: تاريخ الطبري (٢/١٢٨-١٣٠) نقلاً عن ابن إسحاق.

أبرهة إلى أرياط: إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض، حتى تفنيها شيئاً، فابرز إلي، وأبرز إليك، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده، فأرسل إليه أرياط: أنصفت، فخرج إليه أبرهة -وكان رجلا قصيراً لحيماً، وكان ذا دين في النصرانية- وخرج إليه أرياط وكان رجلا جميلا عظيماً طويلا، وفي يده حربة له وخلف أبرهة غلاماً له، يقال له: عَتَودَة[1] يمنع ظهره، فرفع أرياط الحربة، فضرب أبرهة يريد يافوخه، فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فَشَرَمَتْ حاجبه وأنفه وعينه وشفته، فبذلك سمي: أبرهة الأشرم، وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ووَدَى أبرهة أرياط.

غَضبُ النجاشي عَلى أَبرهة:

فلما بلغ النجاشي غضب غضباً شديداً وقال: عدا على أميري فقتله بغير أمري، ثم حلف: لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده، ويجز ناصيته فحلق أبرهة رأسه، وملأ جراباً من تراب اليمن، ثم بعث به إلى النجاشي، ثم كتب إليه:

"أيها الملك، إنما كان أرياط عبدك، وأنا عبدك، فاختلفنا في أمرك، وكُلٌّ طاعته لك، إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة، وأضبط لها وأَسوس منه، وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضي، ليضعه تحت قدميه، فيبر قسمه فيَّ".

فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضي عنه، وكتب إليه، أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيَك أمري، فأقام أبرهة باليمن.

"القُلَّيس" أو كنيسة أبرهة: ثم إن أبرهة بنى القُلَّيْس بصنعاء، فبنى كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النجاشي: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب، فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي، غضب رجل

(١) العتودة: الشدة في الحرب.

من النَّسأة، أحد بني فُقَيم بن عَدي بن عامر بن ثعلبه بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مضر.

النَّسَأة: والنسأة: الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية، فيحلِّون الشهر من الأشهر الحرم، ويحرِّمون مكانه الشهر من أشهر الحل، ليواطئوا عدة ما حرم الله، ويؤخرون ذلك الشهر، ففيهم أنزل الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾[1].

أول من ابتدع النسيء: قال ابن إسحاق[2]: وكان أول من نسأ الشهور على العرب، فأحل منها ما أحل، وحرم منها ما حرم، القَلَمَّس، وهو حُذيفة بن عبد بن فُقيم بن عَدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عبَّاد بن حذيفة، ثم قام بعد عباد: قَلَعُ بن عباد، ثم قام بعد قلع: أمية بن قلع، ثم قام بعد أمية: عوف بن أمية، ثم قام بعد عوف: أبو ثُمامة، جُنادة بن عوف، وكان آخرهم، وعليه قام الإسلام، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه، فحرَّم الأشهر الحرم الأربعة: رجباً، وذا القعدة، وذا الحجة، والمحرم، فإذا أراد أن يحل شيئاً أحل المحرم فأحلوه، وحرم مكانه صفر فحرموه، ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم، فإذا أرادوا الصَّدر قام فيهم فقال "اللهم إني قد أحللتُ لك أحد الصَّفرين، الصفر الأول، ونَسأت الآخر للعام المقبل. فقال في ذلك عُمير بن قَيس، جذْل الطَّعان[3]، أحد بني فراس بن غَنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة، يفخر بالنسأة على العرب:

---

(١) سورة التوبة، آية: (٣٧).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣٦٥/٢) قال: قد تكلم الإمام محمد ابن إسحاق على هذا في كتاب السيرة وأخرجه الطبري (١٩٣/٣٠) في تفسيره عن يونس عن ابن وهب عن ابن زيد من قوله.

(٣) جذل الطعان: الجذل: أصل الشجرة شبهه بأصل الشجرة لثباته أمام الطعان.

لَقد علمتْ مَعدٌّ أن قَـــومي كرامُ الناس أنَّ لهم كِرامـــــاً
فَأيُّ الناس ِفَاتونا بوتـــرِ[1] وأي الناس لم نُعلك لجـــاما[2]
ألسنا الناسئينَ على مَعـــدّ شُهور الحل نجعلُها حَـــراما؟

الكنانيي يحْدث في القُلّيس: قال ابن إسحاق [3]: فخرج الكنانى حتى أتى القُلَّيس فقعَد فيها -يعني أحدث فيها- قال ابن إسحاق: ثم خرج فلحق بأرضه، فأخبر بذلك أبرهة فقال: من صنع هذا؟ فقيل له: صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة لما سمع قولك: " أصرفُ إليها حَج العرب" غضب فجاء، فقعد فيها، أي أنها ليست لذلك بأهل.

خروج أبرهة لهدم الكعبة: فغضب عند ذلك أبرهة وحلف: ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت، ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العرب، فأعظموه، وفظعوا به، ورأوا جهاده حقًا عليهم، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة، بيت الله الحرام.

أشراف اليمن يدافعون عن البيت: فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له: ذو نَفر، فدعا قومه، ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله الحرام، وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه إلى ذلك من أجابه، ثم عرض له فقاتله، فهُزم ذوُ نَفر وأصحابه، وأُخذ له ذو نفر، فأتي به أسيراً، فلما أراد قتله، قال له ذو نفر: أيها الملك، لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي، فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلا حليما.

خَثْعم تُجاهد أبرهة: ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له،

---

(١) نعلك لجاما: نردهم عن طغيانهم كما يرد الفرس عن شموسه باللجام.
(٢) فاتونا بوتر: أي لم نسطع أن نأخذ ثأرنا منهم.
(٣) انظر: تاريخ الطبري (٢/١٣٢-١٣٤) نقلاً عن ابن إسحاق، وكذا البداية والنهاية.

حتى إذا كان بأرض خثعم[١] عرض له نفيل بن حبيب الخثعمى في قبيلتى خثعم: شهران وناهس، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله فهزمه أبرهة، وأخذ له نفيل أسيرا، فأتى به، فلما هم بقتله قال له نفيل: أيها الملك، لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم: شهران وناهس، بالسمع والطاعة، فخلى سبيله.

وخرج به معه يدله، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف في رجال ثقيف.

نسب ثقيف: واسم ثقيف: قسي بن النبيت بن منبه بن منصور بن يقدم ابن أفصى بن دعمى بن إياد بن نزار بن معد بن عدنان.

قال أمية بين أبي الصلت الثقفي:

قومـــي إيـــاد لو أنهم أمـــــم أو لـــو أقـــاموا فتهزل النعم[٢]

قوم لهم ساحة العـــــراق إذا ساروا جميعا والقــــط والقلم

وقال أمية بن أبي الصلت أيضا:

فإما تسألي عني -لُبينى وعن نسبي- أخبرك اليقينا

فإنـــا للنبيت أبي قسى لمنصـــور بن يقدم الأقدمينا

ثقيف تهادن أبرهة: قال ابن إسحاق[٣] : فقالوا له: أيها الملك، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيننا هذا البيت الذي تريد -يعنون اللات -إنما تريد البيت الذي بمكة، ونحن نبعث معك من يدلك عليه، فتجاوز عنهم.

اللات: واللات: بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة.

---

(١) خثعم: هو اسم جبل، نزل عنده بنو عفرس فنسبوا إليه.

(٢) النعم: الماشية من الإبل خاصة.

(٣) انظر: تاريخ الطبرى (٢/١٣٢-١٣٤) نقلا عن ابن إسحاق.

أبو رغَال ورجم قبره: قال ابن إسحاق: فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المُغَمسَّ، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك، فرجمت قبره العرب، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس.

الأسودُ بن مَقصور يُهاجم مكة: فلما نزل أبرهة المغمَّس، بعث رجلا من الحبشة يقال له: الأسود بن مقصود على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم، أصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فَهَمَّتْ قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

رسول أبرهة إلى مكة: وبعث أبرهة حُناطة الحميري إلى مكة، وقال له، سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل له: إن الملك يقول لك: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تتعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يرد حربي فأتني به، فلما دخل حُنَاطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام -أو كما قال- فإن يمنعه منه، فهو بيته وحرمه، وإن يخل بينه وبينه، فوالله ما عندنا دفع عنه. فقال له حناطة: فانطلق معي إليه، فإنه قد أمرني أن آتيه بك.

أُنيس يشفع لعبد المطلب: فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى العسكر، فسأل عن ذي نَفْر، وكان له صديقاً، حتى دخل عليه وهو في محبسه، فقال له: يا ذا نفر، هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غُدوًّا أو عشياًّ؟! ما عندنا غناء في شيء مما نزل بك، إلا أن أُنيسا سائس الفيل صديق لي، وسأرسل إليه فأوصيه بك، وأعظّم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما

بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك، فقال: حسبي، فبعث ذو نفر إلى أُنيس، فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب عير مكة، يطعم الناس بالسهل، والوحوش في رءوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فاستأذن عليه، وانفعه عنده بما استطعت، فقال: أفعل.

فكلم أُنيس أبرهة، فقال له: أيها الملك: هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عير مكة، وهو يطعم الناس في السهل، والوحوش في رءوس الجبال، فأذن له عليك فيكلمك في حاجته، قال فأَذن له أبرهة.

الإبل لي والبيت له رَبٌّ يحميه: قال: وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجلّه وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فترل أبرهة عن سريره، فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك؟ فقال له ذلك الترجمان، فقال: حاجتي أن يرد على الملك مائتي بعير أصابها لي، فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه، قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه، لا تكلمني فيه؟! قال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه، قال: ما كان ليمتنع مني، قال: أنت وذاك.

الوفد المرافق لعبد المطلب [١]: وكان -فيما يزعم بعض أهل العلم- قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة، حين بعث إليه حنّاطة، يَعمرُ نُفاثة بن عَدي بن الدُئل بن بكر بن مناة بن كنانة -وهو يومئذ سيد بني بكر- وخُويلد بن واثلة الهذلي -وهو يومئذ سيد هذيل- فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة، على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم. والله أعلم أكان ذلك، أم لا، فرد

---

(١) انظر تاريخ الطبرى (٢/١٣٥/١٣٧) والبداية (٢/١٧٢-١٧٣).

أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له.

قريش تستنصر الله على أبرهة: فلما انصرفوا عنه، انصرف عبد المطلب إلى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز في شَعفَ الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الجيش، ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله، ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة:

لاَ هُمَّ إنَّ العبد يَمَـ ـنعُ رَحْلَهُ فامنع حلاَلك

لاَ يَغْلِبنَّ صَليبُهُمْ ومحَالُهم غدواً محَالك

إن كنتَ تاركهم وقِبْـ ـلَتنا فَأمرٌ ما بداَ لك

عكرمة بن عامر يدعو على الأسود: قال ابن إسحاق: وقال عكرمة بن عامر بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَي:

لاَ هُمَّ أَخْزِ الأسودَ بن مقَصودْ الآخذ الهجمةَ فيها التقليدْ

بين حراءَ وثَبير فالبيدْ يحبسهَا وهى أُولاتُ التطريد

فَضَمَّها إلى طماطم سُود أخْفره يارب وأنت محمود

قال ابن إسحاق [١]: ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

أبرهة يهاجم الكعبة: فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله، وعبَّى جيشه -وكان اسم الفيل محمودا- وأبرهة مُجمع لهدم البيت، ثم الانصراف إلى اليمن. فلما وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه، فقال: ابرك محمود أو ارجع راشدا من حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام، ثم أرسل أذنه، فبرك الفيل، وخرج نفيل بن

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٢/١٣٥-١٣٧) والبداية (٢/١٧٢-١٧٣).

حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل، وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا في رأسه بالطَبرزين[١] ليقوم فأبى، فأدخلوا محاجن[٢] لهم في مَراقة[٣] فبزغوه[٤] بها ليقوم فأبى، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى مكة فبرك.

عقاب الله لأبرهة وجنده: فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان[٥] مع كل طائرة منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعَدس، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك، وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا، ويسألون عن نُفيل بن حبيب، ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته:

أَيـن المفَـرُّ والإلهُ الطَّالبْ ... والأَشْـرمُ المغلُوبُ لَيسَ الغَالبْ

قال ابن إسحاق: وقال نفيل أيضاً:

ألا حُيِّيـت عَـنَّا يارُدينَا ... نعمـناكم مـع الإِصباح عَينا

رُدَنـيه لـو رأيت -ولا تريه ... لَـدَى جَنْـب المحصَّب ما رأينا

إذًا لغذرتـني وحمـدت أمري ... ولم تأسَـىْ عـلى ما فاتَ بَينَا

حَمـدتُ الله إذ أبصرتُ طيراً ... وخفـتُ حجـارةً تُلْقَى عَلينا

وكـلَّ القومِ يَسألُ عَن نُفيل ... كَـأن عـليَّ للحبشـان دَينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون بكل مهلَك على كل منهل[٦]

---

(١) الطبرزين: حديدة معقوفة كالخطاف.
(٢) محاجن: وهى عصا معوجة الطرف.
(٣) المراق: ما سفل من لحم البطن.
(٤) فبزغوه: وخزوه بالمحاجن التي معهم حتى سال منه الدم.
(٥) الخطاطيف: وهى طائر الخفاش، البلسان: نوع من الطيور، قال عباد بن موسى أظنها الزرازير.
(٦) منهل: مورد الماء الذي ينهل منه الواردون.

وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة، أتبعتها منه مدة تمث قيحا ودما، حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، فيما يزعمون.

قال ابن إسحاق[١]: حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث: أن أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رؤي بها مرائر الشجر، والحرمل والحنظل والعشر ذلك العام.

الله -جل جلاله- يذكر حادثة الفيل ويمتن على قريش:

قال ابن إسحاق[٢]: فلما بعث الله تعالى محمدا ﷺ -كان مما يعد الله على قريش من نعمته عليهم، وفضله ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[٣] وقال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾[٤]. أي لئلا يغير شيئا من حالهم التي كانوا عليها، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه.

مصير قائد الفيل وسائسه: قال ابن إسحاق[٥]: حدثني عبد الله بن أبي

---

(١) الخبر صحيح، وإسناده ضعيف: فيه جهالة شيخ ابن عتبة وأخرجه الطبري (١٣٩/٢) من طريق ابن إسحاق، وانظر البداية (١٧٣/٢) وأخرجه ابن جرير (١٩٣/٣٠) في تفسيره والبيهقي (١٢٣/١) في الدلائل من قول عكرمة.

(٢) انظر البداية والنهاية (١٧٣/٢-١٧٤) نقلا عن ابن إسحاق.

(٣) سورة الفيل، آية:(١-٥)

(٤) سورة قريش، آية:(١-٤).

(٥) إسناده صحيح: أخرجه البيهقي (١٢٥/١) في الدلائل بسنده عن ابن إسحاق، ونقله عن ابن إسحاق، وابن كثير في البداية (١٧٤/٢) وعزاه في الدر المنثور (٣٩٦/٦) إلى =

بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، عن عائشة رضى الله عنها -قالت: «لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس».

ما قيل في قصة الفيل من الشعر

قال ابن إسحاق[1]: فلما رد الله الحبشة عن مكة، وأصابهم بما أصابهم به من النقمة، أعظمت العرب قريشا، وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم، فقالوا في ذلك، أشعارا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة، وما رد عن قريش من كيدهم.

شعر عبد الله بن الزبعرى: فقال عبد الله بن الزبعرى بن عدي بن قيس ابن عدي بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر:

تـــنكلوا عن بطـــن، إنهـــــا … كانــــت قديمــــا لا يرام حريمها

لم تخلـــق الشعر ليالي حرمت … إذ لا عزيـــز من الأنام يرومها

سائل أمير الجيش عنها ما رأى … ولســـوف ينبى الجاهلين عليمها

ســـتون ألفـــا لم يؤبوا أرضهم … ولم يعـــش بعد الإياب سقيمها

كانـــت بها عاد وجرهم قبلهم … والله مـــن فـــوق العباد يقيمها

قال ابن إسحاق[2]: يعني ابن الزبعرى بقوله:

... بعد الإياب سقيمها

أبرهة إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه، حتى مات بصنعاء.

شعر ابن الأسلت: وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري ثم الحطمي،

=

ابن إسحاق في السيرة والواقدى وأبي نعيم، والبيهقي، وابن مردويه.

(١) انظر البداية والنهاية (٢/١٧٥) نقلا عن ابن إسحاق.

(٢) انظر البداية والنهاية (٢/١٧٥).

واسمه صيفي.

وَمِــنْ صُــنْعه يَوم فيل الحُبُو ... شِ إذ كُــلما بَعــثوهُ رَزَمْ
مَحاجنُهم تحــت أقرابــه ... وقــد شَــرَّموا أَنفــه فانخرم
وقدَ جَعلوا سَوْطَه معْــولاً ... إذا يَمَّمُوه قَفــاهُ كُلــمِ
فَولَّى وأدبــر أدراجَــهُ ... وقــد باءَ بالظلم من كان ثَمْ
فأرســل مــن فوقهم حَاصباً ... فَلفَّهم مثل لــف القُــزُم
تَحــضُّ على الصبر أحبارُهُم ... وقد ثأجوا كثُؤَاج الغَنَــم

قال ابن إسحاق: وقال أبو قيس بن الأسلت:

فَقُومــوا فَصلُّوا ربكم، وتمسَّحوا ... بأركان هذا البيت بين الأخاشب[1]
فعــندكُمْ مــنه بَــلاءٌ مُصَــدَّق ... غَداة أبي[2] يكْسُومَ هادي الكَتائب
كَتيبــتُه بالســهل تُمشى ورجْلهُ ... على القاذفات في رءوس المناقبِ[3]
فلما أتاكم نصرُ ذي العرش رَدَّهم ... جــنود المليك بين سَافٍ وحاصبِ
فَولَّــوا ســراعا هاربين ولم يَؤُب ... إلى أهلــه ملْحِــبْش غير عصائبِ

شعر طالب بن أبي طالب: قال ابن إسحاق: وقال طالب بن أبي طالب ابن عبد المطلب:

أَلم تَعلموا ما كان في حَرب دَاحس ... وجَيش أبي يَكسوَم إذ مَلأوا الشِّعْبا
فلــولا دفــاعُ الله لا شَــيءَ غيرهُ ... لأصــبحتم لا تَمــنعون لكم سِرْبَا

شعر أبي الصَّلت الثقفي: قال ابن إسحاق: وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي في شأن الفيل، ويذكر الحنيفية دين إبراهيم -عليه السلام-.

إنَّ آيــات رَبِّنــا ثَاقبَاتٌ ... لا يُمــارِي فــيهن إلا الكَفُورُ

---

(١) الأخاشب: جمع أخشب اسم لجبال حول مكان.
(٢) أبي يكسوم: كنية أبرهة الحبشي.
(٣) المناقب: جمع منقبة، وهى الطريق بين الجبال.

خَلَـقَ الليلَ والنهارَ فكـلٌّ مُستبينٌ حسابُـهُ مقْـدورُ
ثُـمَّ يَجلُـو النَهارَ رَبٌّ رَحيمٌ بَمهَـاة شُعَاعهـا مَنشور[1]
حَبس الفيلَ بالمغمَّس، وحتى ظَـلَّ يَحبـو كأنـه مَعقـورْ
لاَزمًـا حَلقة الجران كما قُـ ـطِّر من صخر كبكب محدور
حولـه مـن ملوك كندة أبطَا ل مَلاويثٌ[2] في الحروب صُقورُ
خَلَّفُـوهُ ثم ابذعـروا جَمـيعاً كـلهم عظـم ساقه مَكسورُ
كُـلُّ دِيـن يـوم القيامة عندَ الله إلا دِيـن الحَنـيفة بُورُ[3]

ولد أبرهة: قال ابن إسحاق: فلما هلك أبرهة، ملك الحبشة ابنُه يَكْسُوم ابن أبرهة، وبه كان يُكنى، فلما هلك يَكسُوم بن أبرهة، ملك اليمن في الحبشة أخوه مَسروق بن أبرهة.

خروج سيف بن ذي يَزن وملك وَهرز على اليمن

سيف يشكو لقيصر: فَلما طال البلاء على أهل اليمن، خرج سيف بن ذي يزن الحميري وكان يكنى بأبي مُرة، حتى قدم على قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأل أن يخرجهم عنه، ويليهم هو، ويبعث إليهم من شاء من الروم، فيكون له مُلك اليمن، فلم يُشْكه (لم يستجب لشكواه).

النُّعْمَان يتشفع لسيف عند كسرى: **فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة، وما يليها من أرض العراق -فشكا إليه أمر الحبشة، فقال له النعمان: إن لي على كسرى وفادة في كل عام، فأقم حتى يكون ذلك ففعل، ثم خرج معه فأدخله على كسرى، وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه، وكان تاجه مثل القَنْقَلُ العظيم -فيما**

---

(١) المهاة: اسم من أسماء الشمس.
(٢) ملاويث: جمع ملوث السيد الشريف الذي يلاث به أي يجتمع عليه.
(٣) بور: هالك.

يزعمون-يضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة، معلقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك، وكانت عنقه لا تحمل تاجه، إنما يستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك، ثم يدخل رأسه في تاجه، فإذا استوى في مجلسه كشفت عنه الثياب، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك، إلا برك هيبة له، فلما دخل عليه سيف بن ذي يزن برك.

قال ابن إسحاق[1]: ثم قال له: أيها الملك، غلبتنا على بلادنا الأغربة، فقال له كسرى: أى الأغربة: الحبشة أم السند؟ فقال: بل الحبشة، فجئتك لتنصرنا، ويكون ملك بلادي لك، قال: بعدت بلادك مع قلة خيرها، فلم أكن لأورط جيشا من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف، وكساه كسوة حسنة، فلما قبض ذلك منه سيف خرج، فجعل ينثر ذلك الورق (الفضة) للناس، فبلغ ذلك الملك، فقال: إن لهذا لشأنا، ثم بعث إليه فقال: عمدت إلى حباء الملك تنثره للناس، فقال وما أصنع بهذا؟ ما جبال أرضي التي جئت منها إلا ذهب وفضة -يرغبه فيها- جمع كسرى مرازبته، فقال لهم: ماذا ترون في أمر هذا الرجل، وما جاء له؟ فقال قائل: أيها الملك، إن في سجونك رجالا قد حبستهم للقتل، فلو أنك بعثتهم معه، فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم، وإن ظفروا كان ملكا ازددته، فبعث معه كسرى من كان في سجونه، وكانوا ثمانمائة رجل.

انتصار سيف: واستعمل عليهم رجلا يقال له وهرز، وكان ذا سن فيهم وأفضلهم حسبا وبيتا، فخرجوا في ثمان سفائن، فغرقت سفينتان، ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن، فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه وقال له: رجلي مع رجلك حتى نموت جميعا، أو نظفر جميعا. قال له وهرز: أنصفت. وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن، وجمع إليه جنده، فأرسل إليهم وهرز ابنا له، ليقاتلهم، فيختبر قتالهم فقتل ابن وهرز، فزاده ذلك حنقا عليهم، فلما

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٢/١٧٨-١٧٩) نقلا عن ابن إسحاق.

تواقف الناس على مَصَافهم، قال وهرز: أروني ملكهم، فقالوا له أترى رجلا على الفيل عاقداً تاجه على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء؟ قال: نعم، قالوا: ذاك ملكهم، فقال: اتركوه، قال: فوقفوا طويلا، ثم قال: علام هو؟ قالوا: قد تحوَّل على الفرس، قال اتركوه، فوقفوا طويلا، ثم قال: علام هو؟ قالوا قد تحول على البغلة. قال وهرز: بنت الحمار؟! ذلَّ وذل ملكه، إني سأرميه، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى أوذِنَكم، فإني قد أخطأت الرجل، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به فقد أصبت الرجل، فاحملوا عليهم، ثم وتَّرَ قوسه، وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدها، وأمر بحاجبيه، فعُصبا له، ثم رماه، فصك الياقوتة التي بين عينيه، فتغلغلت النُّشَّابة في رأسه حتى خرجت من قفاه ونكس عن دابته، واستدارت الحبشة ولاثت به، وحملت عليهم الفرس، وانهزموا، فقتلوا وهربوا في كل وجه، وأقبل وهرز، ليدخل صنعاء، حتى إذا أتى بابها، قال: لا تدخل رايتي مُنكّسة أبداً، اهدموا الباب فهدم، ثم دخلها ناصباً رايته.

شعر سيف بن ذي يزن في هذه القصة: فقال سيف بن ذي يزن الحميري:

يَظُــنُّ الناسُ بالملكيـــــ	ـــــن أنهما قد التَأمَا
وَمَــنْ يَســمع بَلأْمِها	فــإن الخَطْــب قد فَقُمَا
قَتلْــنا القَــيَل مَسروقاً	ورَوَّيــنَا الكثيــبَ دَمَا
وإنَّ القَــيْل قــيل النا	سِ وهْــرِزَ مُقْسِمٌ قَسمَا
يــذوقُ مُشعشــاً حتى	يُفــيء السبي وَالنَّعمَا[1]

شعر أبي الصلت: قال ابن إسحاق[2]: وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي:

لِيَطْلُــب الوتْــرَ أمثالُ ابن ذي يَزن	رَيَّــم في الــبحر للأعــداء أخْوال
يَمَّــمَ قَيصــرَ لمــا حَانــت رحلتهُ	فــلم يجــد عنده بعضَ الذي سَالا

---

(١) مشعشعاً: المشعشع الشراب الممزوج بالماء.

(٢) انظر البداية والنهاية (١٧٩/١٧٨/٢) عن ابن إسحاق.

ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرة ... من السنين يهين النفس والمال
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم ... إنك عمري لقد أسرعت قلقالا
لله درهم من عصبة خرجوا ... ما إن أرى لهم في الناس أمثالا
بيضا مرازبة، غلبا أساورة ... أسدا تربب في الغيضات أشبالا
يرمون عن شدف كأنها غبط ... بزمخر يعجل المرمى إعجالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد ... أضحى شريدهم في الأرض فلالا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا ... في رأس غمدان دارا منك محلالا
واشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم ... وأسبل اليوم في برديك إسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

شعر عدي بن زيد: قال ابن إسحاق [1]: وقال عدي بن زيد الحميري، وكان أحد بني تميم من العباد:

ما بعد صنعاء كان يعمرها ... ولاة ملك جزل مواهبا
رفعها من بني لدى قزع الـ ... ـمزن وتندى مسكا محابرها
محفوفة بالجبال دون عرى الـ ... ـكائد ما ترتقى غواربها
يأنس فيها صوت النهام إذا ... جاوبها بالعشي قاصبها
ساقت إليه الأسباب جند بني ... أحرار فرسانها مواكبها
وفوزت بالبغال توسق بالـ ... ـحتف وتسعى بها توالبها
حتى رآها الأقوال من طرف المـ ... ـنقل مخضرة كتائبها
يوم ينادون آل بربر واليكـ ... ـسوم لا يفلحن هاربها
وكان يوم باقي الحديث وزا ... لت إمة ثابت مراتبها
وبدل الفيج بالزرافة والأيا ... م جون جم عجائبها

---

(١) تقدم تخريجه.

بَعــدَ بَــنِي تُبَّعٍ نَخـــاوِرة قَــد اطمأنتْ بها مَرازبـــها

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن

مدة مكث الحبشة باليمن: قال ابن إسحاق(١): فأقام وهرز والفرس باليمن، فمن بقية ذلك الجيش من الفرس: الأبناء الذين باليمن اليوم، وكان ملك الحبشة باليمن، فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة، وأخرجت الحبشة، اثنتين وسبعين سنة، توارث ذلك منهم أربعة: أرياط، ثم أبرهة، ثم يكسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة.

أمراء الفرس باليمن: ثم مات وهرز، فأمر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن، ثم مات المرزبان، فأمر كسرى ابنه التينجان بن المرزبان على اليمن، ثم مات التينجان، فأمر كسرى ابن التينجان على اليمن، ثم عزله وأمر باذان، فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمداً النبي ﷺ.

محمد ﷺ يتنبأ بموت كسرى: قال ابن إسحاق(٢): فبلغ عن الزُهري أنه قال:

كتب كسرى إلى باذان: إنه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة، يزعم أنه نبي، فسر إليه فاستتبه، فإن تاب، وإلا فابعث إليّ برأسه، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله ﷺ، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «**إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا**» فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر، وقال: إن كان نبيا، فسيكون ما قال، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله ﷺ.

وقال خالد بن حق الشيباني:

وكسرى إذ تقسمه بنـــوه بأسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المنون له بيـــوم أتى، ولكل حاملة تمـــام

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) حديث ضعيف وإسناده معضل. أورده ابن كثير (٢/ ١٨٠) في البداية.

إسلام باذان: قال الزُهريّ: فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه، وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله ﷺ، فقالت الرسل من الفرس لرسول الله ﷺ، إلى من نحن يا رسول الله؟ قال: «**أنتم منا وإلينا أهل البيت**».

كتاب الحجر الذي في اليمن: قال ابن إسحاق: وكان في حجر باليمن فيما يزعمون -كتاب بالزبور كتب بالزمان الأول: لمن ملك ذمار؟ لحمير الأخيار، لمن ملك ذمار؟ للحبشة الأشرار، لمن ملك ذمار؟ لفارس الأحرار، لمن ملك ذمار؟ لقريش التجار". وذمار: اليمن أو صنعاء.

الأعشى يذكر نبوءة شق وسطيح: قال ابن إسحاق: وقال الأعشى - أعشى بن قيس بن ثعلبة في وقوع ما قال سطيح وصاحبه.

مـــا نظرت ذات أشفار كنظراتها حقـــا كما صدق الذئبي إذ سجعا

وكانت العرب تقول لسطيح: الذئبي: لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب.

قصة ملك الحضر[١]:

سابور يستولى على الحضر: وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون ملك الحضر فحصره سنتين، فأشرفت بنت ساطرون يوماً فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلا، فدست إليه: أتتزوجني إن فتحت لك باب الحضر؟ فقال: نعم. فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر، وكان لا يبيت إلا سكران، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه، فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب، فدخل سابور، فقتل ساطرون، واستباح الحضر وخربه، وسار بها معه فتزوجها، فبينا هي نائمة على فراشها ليلاً إذ جعلت تتململ لا تنام، فدعا لها بشمع ففتش فراشها، فوجد عليه ورقة آس، فقال لها سابور: أهذا الذي أسهرك؟! قالت: نعم، قال: فما كان أبوك يصنع بك؟! قالت: كان يفرش لي الديباج، ويلبسني

(١) انظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٢/١٨١)

الحرير، ويطعمني المخ، ويسقيني الخمر، قال: أفكان جزاء أبيك ما صنعت به؟! أنت إلي بذلك أسرع، ثم أمر بها، فربطت قرون رأسها بذنب فرس، ثم ركض الفرس، حتى قتلها: ففيه يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة:

قول أعشى قيس في قصة الحضر:

ألم تـر للحضر إذ أهله ... بنعمي، وهل خالد من نعم؟!

أقام به شاهبور الجنـو ... د حولـين تضرب فيه القدم

فلما دعا ربه دعـوة ... أنـاب إليه فلم ينتقـم

وهذه الأبيات في قصيده له.

قول عدي بن زيد في هذه القصة:

وقال عدي بن زيد في ذلك:

والحضر صابت [٢] عليه داهية ... مـن فوقـه أيد مناكبها[١]

ربـية لم تـوق والدهـا ... لحينها إذ أضـاع راقبها[٣]

إذ غبقـته صهباء[٤] صافـية ... والخمـر وهل يهيـم شاربها

فأسـلمت أهلها بليلتـها ... تظـن أن الرئيـس خاطبها

فكان حظ العروس إذا جشر ... الصبح دماء تجرى سبائبها[٥]

وخرب الحضر واستبيح، وقد ... أحـرق في خدرها مشاجبها

ذكر ولد نزار بن معدّ: قال ابن إسحاق[٦]: فولد نزار بن معد ثلاثة نفر، مُضر

(١) أيد: قوى شديد

(٢) صابت عليه: نزلت عليه

(٣) ربية: التي رباها والدها -لحينها: الهلاك.

(٤) صهباء: اسم من أسماء الخمر.

(٥) سبائبها: سبائب الدم طرائقة ومجاريه

(٦) انظر: جمهرة أنساب العرب (ص/١٠) لابن حزم، تاريخ الطبري (٢/٢٦٨-٢٧٠).

ابن نزار، وربيعة بن نزار وأنمار بن نزار.

أولاد أنمار: **قال ابن إسحاق**: فأنمار أبو خثعم وبجيلة. قال جرير بن عبدالله البجلي وكان سيد بجيله، وهو الذي يقول له القائل:

لـــولا جريـــر هلكـــت بجـــيلة نعـــم الفـــتى، وبئست القبيلة!!

وهو ينافر الفرافصة الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي:

يـــا أقـــرع بن حابس يا أقرع إنك إن يصرع أخوك تصرع

قال:

أبنى نزار انصرا أخاكما إن أبي وجدتـــه أباكما

لن يغلب اليوم أخ والاكما

وقد تيامنت، فلحقت باليمن.

ولدا مضر: **قال ابن إسحاق**[1]: فولد مضر بن نزار رجلين: إلياس بن مضر وعيلان بن مضر.

أولاد إلياس: **قال ابن إسحاق**: فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر: مدركة ابن إلياس، وطابخة بن إلياس، وقمعة بن إلياس، وأمهم: خندف، امرأة من اليمن.

قال ابن إسحاق[2]: وكان اسم مدركة عامراً، واسم طابخة عمراً، وزعموا أنهما كانا في إبل لهما يرعيانها، فاقتنصا صيداً، فقعدا عليه يطبخانه، وعدت عادية على إبلهما، فقال عامر لعمرو: أتدرك الإبل، أم تطبخ هذا الصيد؟ فقال عمرو: بل أطبخ، فلحق عامر بالإبل فجاء بها، فلما راحا على أبيهما حدثاه بشأنهما، فقال لعامر: أنت مدركة، وقال لعمرو: وأنت طابخة.

وأما قمعة فيزعم نساب مضر: أن خزاعة من ولد عمرو بن لحي بن قمعة ابن إلياس.

---

(١) انظر: جمهرة أنساب العرب (ص/١٠) لابن حزم تاريخ الطبري (٢/٢٦٨-٢٧٠).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/٢٦٧).

حديث عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب

عمرو بن لحي يجر قصبه في النار: قال ابن إسحاق[١]: وحدثني عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال:

حدثت أن رسول الله ﷺ قال: «**رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فسألته عمن بيني وبينه من الناس، فقال: هلكوا**».

قال ابن إسحاق[٢]: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة، يقول:

سمعت رسول الله ﷺ يقول لأكثم بن الجون الخزاعي: «**يا أكثم، رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلا أشبه برجل منك به، ولا بك منه، فقال أكثم: عسى أن يضرني شبهه يا رسول الله؟ قال لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر البحيرة وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي**».

سبب عبادة الأصنام: قال ابن إسحاق [٣]: ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم، حين ضاقت عليهم، والتمسوا الفسح في البلاد، إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه، فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، حتى خلف

---

(١) حديث صحيح: وإسناده مرسل.

(٢) إسناده حسن، والحديث صحيح أورده ابن كثير في البداية (١٨٩/٢) نقلاً عن ابن إسحاق وقال الحافظ في الفتح (٥٤٩/٦) أورده ابن إسحاق في (السيرة الكبرى) وقال الألباني: أخرجة ابن أبي عاصم في الأوائل (١٩٢ منسوختين) وهذا إسناد حسن.

(٣) انظر: الفتح (٥٤٩/٦) نقلاً عن ابن إسحاق.

الخلوف، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم، وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها: من تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة، وهدي البدن، والإهلال بالحج والعمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه، فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك» فيوحدونه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم، ويجعلون ملكها بيده، يقول الله تبارك وتعالى لمحمد ﷺ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[1] أي ما يوحدونني لمعرفة حقي إلا جعلوا معي شريكا من خلقي.

أصنام قوم نوح: وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليها، قص الله تبارك وتعالى- خبرها على رسول الله ﷺ، فقال ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾[2].

القبائل العربية وأصنامها: فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم وسموا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل، هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، اتخذوا سواعًا، فكان لهم برهاط، وكلب بن وبرة من قضاعة، اتخذوا ودًا بدومة الجندل.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك الأنصاري:

ونـنسى اللات والعزى وودا ... ونسلبها القلائد والشنوفا

عباد يغوث: قال ابن إسحاق: وأنعم من طيىء، وأهل جرش من مذحج اتخذوا يغوث بجرش.

---

(١) سورة يوسف، آية:(١٠٦).

(٢) سورة نوح، آية: (٢٣، ٢٤).

عباد يعوق: قال ابن إسحاق: وخيوان بطن من همدان، اتخذوا يعونف بأرض همدان من أرض اليمن.

عباد عميانس: وكان لخولان صنم يقال له: عميانس بأرض خولان، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حق عميانس من حق الله تعالى الذي سموه له تركوه له، وما دخل في حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه وهم بطن من خولان، يقال لهم: الأديم، وفيهم أنزل الله -تبارك وتعالى- فيما يذكرون ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[1].

عباد سعد: قال ابن إسحاق: وكان لبني ملكان -بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، صنم، يقال له: سعد: صخرة بفلاة من أرضهم طويلة، فأقبل رجل من بني ملكان بإبل له مؤبلة ليقفها عليه، التماس بركته فيما يزعم -فلما رأته الإبل وكانت مرعية لا تركب، وكان يهراق عليه الدماء، نفرت منه، فذهبت في كل وجه، وغضب ربها الملكاني، فأخذ حجراً فرماه به، ثم قال لا بارك الله فيك، نفَّرت عليّ إبلي، ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت له قال:

أتينا إلى سعد، يجمع شملنا ... فشتتنا سعد، فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة ... من الأرض لا تدعو لغيٍّ ولا رشد

دوس وصنمهم: وكان في دوس صنم لعمرو بن حممة الدوسي.

ودوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث. ويقال: دوس بن عبد الله

---

(١) سورة الأنعام، آية:(١٣٦).

ابن زهران بن الأسد بن الغوث.

عباد هبل: قال ابن إسحاق: وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له: هبل.

إساف ونائلة: قال ابن إسحاق: واتخذوا إسافا ونائلة، على موضع زمزم ينحرون عندهما، وكان إساف ونائلة رجلا وامرأة من جرهم -هو إساف بن بغى، ونائلة بنت ديك- فوقع إساف على نائلة في الكعبة، فمسخهما الله حجرين.

حديث عائشة رضي الله عنها عن إساف ونائلة: قال ابن إسحاق[1]: حدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أنها قالت: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم، أحدثا في الكعبة: فمسخهما الله تعالى حجرين والله أعلم.

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب:

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم ... بمفضى السيول من إساف ونائل

فعل العرب مع أصنامهم: قال ابن إسحاق[2]: واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه، فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره، وإذا قدم من سفره تمسح به، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله، فلما بعث الله رسوله محمدا ﷺ بالتوحيد، قالت قريش: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[3].

الطواغيت: وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، وتهدي لها كما تهدي للكعبة،

---

(١) إسناده جيد. إلى عائشة رضي الله عنها.
(٢) انظر: البداية والنهاية (٢/١٩٢) نقلا عن ابن إسحاق.
(٣) سورة ص: آية (٥).

وتطوف بها كطوافها بها، وتنحر عندها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده.

العزى وسدنتها وحجابها: فكانت لقريش وبني كنانة العزى بنخلة وكان سدنتها وحجابها بنو شيبان من سليم، حلفاء بني هاشم.

قال ابن إسحاق: فقال شاعر من العرب:

لقد أنكحت أسماء رأس بقيرة ... من الأدم أهداها امرؤ بني غنم

رأى قدعا[1] في عينها إذ يسوقها ... إلى غبغب العزى فوسع في

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هديا قسموه في من حضرهم، والغبغب: المنحر ومهراق الدماء [2].

من هم السدنة: الذين يقومون بأمر الكعبة قال رؤبة بن العجاج:

فلا ورب الآمنات القطن ... يعمرن أمناً بالحرام المأمن

بمحبس الهدى وبيت المسدن

وهذان البيتان في أرجوزة له: وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه.

اللات وسدنتها: قال ابن إسحاق: وكانت اللات لثقيف بالطائف، وكان سدنتها وحجابها بنو معتب من ثقيف.

مناة وسدنتها: قال ابن إسحاق: وكانت مناة للأوس والخزرج، ومن دان بدينهم من أهل يثرب، على ساحل البحر من ناحية المشلّل بقديد.

ذو الخلصة وعباده وهدمه: قال ابن إسحاق: وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة، فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فهدمه.

---

(١) قدعاً: ضعف البصر من كثرة البكاء.

(٢) مهراق الدماء: مكان إراقة الدماء.

فلس وعباده وهدمه: قال ابن إسحاق [١]: وكانت فلس لطيئ ومن يليلها بجبلى طيئ، يعني سلمى وأجأ.

ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليها علي بن أبي طالب فهدمها، فوجد فيها سيفين، يقال لأحدهما الرسوب وللآخر المخدم فأتى بهما رسول الله ﷺ فوهبهما له، فهما سيفا علي طيئ.

رئام: قال ابن إسحاق: وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له: رئام.

رضاء وعباده وهدمه: قال ابن إسحاق: وكانت رضاء بيتا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام:

ولقد شددت على رضاء شدة فتركتها قفرا بقاع أسحما

عمر المستوغر: ويقال: إن المستوغر عمر ثلاثمائة وثلاثين سنة، وكان أطول مضر كلها عمرا، وهو الذى يقول:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة حدتها بعدها مئتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي إلا كما قد فاتنا يوم يمر وليلة تحدونا

وبعض الناس يروي هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبي.

ذو الكعبات وعبادة: قال ابن إسحاق: وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد، وله يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة:

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذي الكعبات من سنداد [٢]

---

(١) إسناده معضل وهو من أقسام الضعيف.

(٢) سنداد منازل لقبيلة إياد وراء نجران الكوفة.

البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي

رأي ابن إسحاق فيها: قال ابن إسحاق: فأما **البحيرة** فهي: بنت السائبة، **والسائبة** الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر، سيبت، فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها، ثم خلى سبيلها مع أمها، فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، كما فعل بأمها، فهي البحيرة بنت السائبة.
والوصيلة: الشاة إذا أتأمت[1] عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن، ليس بينهن ذكر، جعلت وصيلة. قالوا: قد وصلت: فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم إلا أن يموت منها شيء، فيشتركوا في أكله ذكورهم وإناثهم.

قال ابن إسحاق: والحامي: الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر، حمي ظهره فلم يركب ولم يجز وبره، وخلي في إبله يضرب فيها، لا ينتفع منه بغير ذلك.

قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ أنزل عليه ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[2].

وأنزل الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾[3].

وأنزل عليه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[4].

---

(١) أتأمت: ولدت توأماً.
(٢) سورة المائدة: آية (١٠٣).
(٣) سورة الأنعام: آية (١٣٩).
(٤) سورة يونس: آية (٥٩).

وأنزل عليه: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(١)].

عود إلى النسب:

ونسب خزاعة: قال ابن إسحاق [(٢)]: وخزاعة تقول: نحن بنو عمرو بن عامر من اليمن.

وسميت خزاعة، لأنهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام فترلوا بمر الظهران، فأقاموا بها.

قال عوف بن أيوب الأنصاري أحد بن عمرو بني سواد بن غنم بن كعب ابن سلمة من الخزرج في الإسلام:

فـــلما هبطـــنا بطن مر تخزعت ... خـــزاعة منا في خيول كراكر[(٣)]

حمت كل واد من تهامة واحتمت ... بصـــم القـــنا والمرهفات البواتر

وهذان البيتان في قصيدة له.

وقال أبو المطهر إسماعيل بن رافع الأنصاري، أحد بني حارثة بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس:

فـــلما هبطـــنا بطن مكة أحمدت ... خـــزاعة دار الآكـــل المتحامل

---

(١) سورة الأنعام: آية (١٤٣-١٤٦).

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب (ص/٤٦٧، ٤٨٠) والبداية والنهاية (٢/١٨٧) وفتح الباري (٦/٤٥٨) ونهاية الأرب (٢٤٤) للقلقشندي.

(٣) كراكر: جمع كركرة، وهي الجماعة من كل شيء.

فحلــت أكاريساً، وشنت قنابلاً ... علــى كل حي بين نجد وساحل

نفوا جرهماً عن بطن مكة، واحتبوا ... بعــز خزاعــي شديد الكواهل

أولاد مدركة وخزيمة: قال ابن إسحاق [١]: فولد مدركة بن إلياس رجلين: خزيمة بن مدركة، وهذيل بن مدركة، وأمهما امرأة من قضاعة، فولد خزيمة بن مدركة أربعة نفر: كنانة بن خزيمة، وأسد بن خزيمة، وأسدة بن خزيمة، والهون بن خزيمة، فأم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر.

أولاد كنانة وأمهاتهم: قال ابن إسحاق[٢]: فولد كنانة بن خزيمة أربعة نفر: النضر بن كنانة، ومالك بن كنانة، وعبد مناة بن كنانة، وملكان بن كنانة، فأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، وسائر بنيه لامرأة أخرى.

سبب تسمية قريش[٣]:

قال ابن إسحاق: ويقال، إنما سميت قريش قريشاً؛ لتجمعها من بعد تفرقها.

ويقال للتجمع: التقرش.

أولاد النضر وأمهاتــهم [٤]: فولد النضر بن كنانة رجلين: مالك بن النضر ويخلد بن النضر، فأم مالك عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/٢٦٦/٢٦٧) جمهرة الأنساب (ص/١١)

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٢، ٢٦٥، ٢٦٦)، طبقات ابن سعد (١/٥٩) جمهرة الأنساب (ص/١١-١٢)، لسان العرب (٦/٣٠٠)، البداية والنهاية (٢/٢٠٠)، نسب قريش (ص/١٢) للزبيري، فتح الباري (٦/٥٣٤).

(٤) انظر: تاريخ الطبري (٢/٢٦٣-٢٦٥)، ونسب قريش (ص/١٢)، جمهرة الأنساب (ص/١٢)، والبداية والنهاية (٢/٢٠٣).

عيلان، ولا أدري أهي أم يخلد أو لا.

أولاد مالك وفهر وأمهاتهم: قال ابن إسحاق: فولد مالك بن النضر: فهر بن مالك، وأمه جندلة بنت الحارث بن مضاض الجرهمي.

قال ابن إسحاق[١]: فولد فهر بن مالك أربعة نفر: غالب بن فهر، ومحارب بن فهر، والحارث بن فهر، وأسد بن فهر، وأمهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة.

أولاد غالب وأمهاتهم: قال ابن إسحاق [٢]: فولد غالب بن فهر رجلين، لؤي بن غالب، وتيم بن غالب، وأمهما سلمى بنت عمرو الخزاعي. وتيم بن غالب الذين يقال لهم بنو الأدرم.

أولاد لؤي وأمهاتهم [٣]: **قال ابن إسحاق:** فولد لؤي بن غالب أربعة نفر كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، وسامة بن لؤي، وعوف بن لؤي، فأم كعب وعامر وسامة ماوية بنت كعب بن القين بن جسر، من قضاعة، وسعد بن لؤي، وهم بنانة: في شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن أبي بكر بن وائل، من ربيعة.

وبنانة: حاضنة لهم من القين بن جسر بن شيع الله، ويقال: سبع بن الأسعد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، ويقال: بنت النمر بن قاسط من ربيعة، ويقال: بنت جرم بن ربان بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة وخزيمة بن لؤي بن غالب، وهم عائذة في شيبان بن ثعلبة، وعائذة امرأة من اليمن، وهى أم بني عبيدة بن خزيمة بن لؤي.

وأم بني لؤي كلهم -إلا عامر بن لؤي: ماوية بنت كعب بن القين بن

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: نسب قريش (ص/١٣) للزبيري، وتاريخ الطبري (٢/٢٦٢)، البداية والنهاية (٢/٢٠٣)، المعارف (٣٢) لابن قتيبة، الجمهرة (ص/١٢).

جسر ، وأم عامر بن لؤي: مخشية بنت شيبان بن محارب بن فهر، ويقال: ليلى بنت شيبان بن محارب بن فهر.

أمر سامة بن لؤي: هروبه من أخيه وموته: قال ابن إسحاق[١]: فأما سامة بن لؤي فخرج إلى عمان، وكان بها. ويزعمون أن عامر بن لؤي أخرجه، وذلك أنه كان بينهما شيء، ففقأ سامة عين عامر، فأخافه عامر، فخرج إلى عمان، فيزعمون أن سامة بن لؤي بينا هو يسير على ناقته، إذ وضعت رأسها ترتع، فأخذت حية بمشفرها، فهصرتها حتى وقعت الناقة لشقها، ثم نهشت سامة فقتلته. فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعمون:

شعر سامة بن لؤي:

عين فابكي لسامة بن لؤي ... علقت ما بسامة العلاقة

لا أرى مثل سامة بن لؤي ... يوم حلوا به قتيلاً لناقة

بلغا عامراً وكعباً رسولاً ... أن نفسي إليهما مشتاقة

إن تكن في عمان داري، فإني ... غالبي، خرجت من غير فاقة[٢]

رب كأس هرقت يا ابن لؤي ... حذر الموت لم تكن مهراقة

رمت دفع الحتوف[٣] **يا ابن ... ما لمن رام ذاك بالحتف طاقة**

وخروس السرى تركت رذيا ... بعد جد وجدة ورشاقة

أمر عوف بن لؤي ونقلته:

سبب انتمائه إلى غطفان: قال ابن إسحاق[٤]: وأما عوف بن لؤي فإنه خرج فيما يزعمون -في ركب من قريش، حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٢/٢٠٣) نقلاً عن ابن إسحاق.

(٢) فاقة: حاجة أو فقر.

(٣) الحتوف: هو الموت.

(٤) انظر: البداية والنهاية (٢/٢٠٤) نقلاً عن ابن إسحاق.

ابن قيس بن عيلان أبطئ به فانطلق من كان معه من قومه، فأتاه ثعلبة بن سعد، وهو أخوه في نسب بني ذبيان -ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان. وعوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان-فحبسه وزوجه والتاطه وآخاه، فشاع نسبه في بني ذبيان، وثعلبه -فيما يزعمون - الذي يقول لعوف حين أبطئ به، فتركه قومه:

احبس على ابن لؤي جملك تركك القوم ولا متركٌ لك

مكانة مرة: قال ابن إسحاق[1]: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير: أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين أن عمر بن الخطاب قال: لو كنت مدعياً حياً من العرب، أو ملحقهم بنا، لادَّعيت بني مرة بن عوف، إنا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع، يعني: عوف بن لؤي.

نسب مرة: قال ابن إسحاق: فهو في نسب غطفان: مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب ما ننكره، وما نجحده، وإنه لأحب النسب إلينا.

وقال الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع حين هرب من النعمان بن المنذر فلحق بقريش:

فما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا

وقومي -إن سألت- بنو لؤي بمكة علموا مضر الضرابا

سفهنا باتباع بني بغيض وترك الأقربين لنا انتسابا

سفاهة مخلف لما تروي هراق الماء واتبع السرابا

فلو طووعت -عمرك- كنت وما ألفيت أنتجع السحابا

وخش رواحة القرشي رحلي بناجية ولم يطلب ثوابا

---

(١) إسناده منقطع: وأورده ابن كثير في البداية (٢/٢٠٤) نقلاً عن ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فقال الحصين بن الحمام المرى، ثم أخذ بني سهم بن مرة يرد على الحارث بن ظالم، وينتمي إلى غطفان:

ألا لستم منا، ولسنا إليكم ... برئنا إليكم من لؤي بن غالب

أقمنا على عز الحجاز، وأنتم ... بمعتلج البطحاء بين الأخاشب[1]

يعني: قريشا، ثم ندم الحصين على ما قال وعرف ما قال الحارث بن ظالم، فانتمى إلى قريش، وأكذب نفسه، فقال:

ندمت على قول مضى كنت ... تبينت فيه أنه قول كاذب

فليت لساني كان نصفين منهما ... بكيم، ونصف عند مجرى الكواكب

أبونا كناني بمكة قبره ... بمعتلج البطحاء بين الأخاشب

لنا الربع من بيت الحرام وراثة ... وربع البطاح عند دار ابن حاطب

أي أن بني لؤي كانوا أربعة: كعباً، وعامراً، وسامة، وعوفا.

قال ابن إسحاق[2]: وحدثني من لا أتهم أن عمر بن الخطاب ﷺ قال لرجال من بني مرة: إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم، فارجعوا إليه.

أشراف مرة: قال ابن إسحاق[3]: وكان القوم أشرافاً في غطفان، هم سادتهم وقادتهم، منهم هرم بن سنان بن أبي حارثة، وخارجة بن سنان بن أبي حارثة، والحارث بن عوف، والحصين بن الحمام، وهاشم بن حرملة الذي يقول له القائل:

أحيا أباه هاشم بن حرملة ... يوم الهباءات ويوم اليعملة

ترى الملوك عنده مغربلة ... يقتل ذا الذنب، ومن لا ذنب له

ورمحه للوالدان مثكله

قال ابن إسحاق: قوم لهم صيت وذكر في غطفان وقيس كلها، فأقاموا

---

(١) معتلج: هو الاقتتال والتصارع والتدافع.

(٢) إسناده ضعيف، وأورده ابن كثير في البداية (٢/٢٠٤) نقلاً عن ابن إسحاق.

(٣) انظر: البداية والنهاية (٢/٢٠٤) نقلاً عن ابن إسحاق.

على نسبهم، وفيهم كان البسل.

أمر البسل

تعريف بالبسل[1]: والبسل، فيما يزعمون، نسيئهم ثمانية أشهر حرم، لهم من كل سنة من بين العرب، قد عرفت ذلك لهم العرب لاينكرونه، ولايدفعونه، يسيرون به إلى أي بلاد العرب شاءوا، ولا يخافون منهم شيئاً، قال زهير بن أبي سلمى، يعني بني مرة:

تـأمل، فإن تقو المرولاة منهم ... وداراها لا تقوم منهم إذا تحل

بـلاد بها نادمتهم وألفتهم ... فـإن تقويـا منهم فإنهم بسـل

أي حرام: ساروا في حرمهم.

أولاد كعب وأمهم: قال ابن إسحاق [2]: فولد كعب بن لؤي ثلاثة نفر، مرة بن كعب وعدي بن كعب، وهصيص بن كعب، وأمهم: وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر.

أولاد مرة وأمهاتهم: فولد مرة بن كعب ثلاثة نفر: كلاب بن مرة، وتيم ابن مرة ويقظة بن مرة.

فأم كلاب: هند بنت سرير بن ثعلبه بن الحارث بن فهر بن مالك بن كنانة بن خزيمة وأم يقظه: البارقية، امرأة من بارق، من الأسد من اليمن، ويقال: هى أم تيم، ويقال: تيم هند بنت سرير أم كلاب.

ولدا كلاب وأمهما: قال ابن إسحاق[3]: فولد كلاب بن مرة رجلين: قصي بن كلاب، وزهرة بن كلاب، وأمهما: فاطمة بنت سعد بن سيل أحد بني الجدرة، ومن جعثمة الأزد من اليمن، حلفاء في بني الديل بن بكر بن عبد

---

(١) البسل: هو التحريم والمنع.

(٢) انظر: نسب قريش (ص/١٣) وتاريخ الطبري (٢/٢٦١). جمهرة الأنساب (ص/١٣)، والبداية والنهاية (٢/٢٠٤).

(٣) تقدم تخريجه.

مناة بن كنانة.

قال ابن إسحاق: ولسعد بن سيل يقول الشاعر[(١)]:

ما نرى في الناس شخصاً واحداً   من علمناه كسعد بن سيل

فارساً أضبط، فيه عسرة   وإذا ما واقف القرن نزل

فارساً يستدرج الخيل كما اســ   ـــتدرج الحر القطامي الحجل

أولاد قصي وأمهم: قال ابن إسحاق[(٢)]: فولد قصي بن كلاب أربعة نفر وامرأتين: عبد مناف بن قصي، وعبد الدار بن قصي، وعبد العزى بن قصي، وعبد قصي بن قصي، وتخمر بنت قصي، وبرة بنت قصي، وأمهم: حبي بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي.

أولاد عبد مناف وأمهاتهم: قال ابن إسحاق[(٣)]: فولد عبد مناف -واسمه: المغيرة بن قصي- أربعة نفر: هاشم بن عبد مناف، وعبد شمس بن عبد مناف، والمطلب بن عبد مناف، وأمهم: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان ابن ثعلبه بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة، ونوفل بن عبد مناف، وأمه واقدة بنت عمرو المازنية، مازن بن منصور بن عكرمة.

أولاد هاشم وأمهاتهم[(٤)]: فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة: عبد المطلب بن هاشم، وأسد بن هاشم، وأبا صيفي بن هاشم، ونضلة ابن هاشم، والشفاء، وخالدة، وضعيفة، ورقية، وحية، فأم عبد المطلب، ورقية: سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، واسم النجار: تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة

---

(١) انظر البداية والنهاية (٢/٢٠٥) نقلاً عن ابن إسحاق.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (١/٧٠)، ونسب قريش (ص/١٤)، وتاريخ الطبري (٢/٢٥٢) وجمهرة الأنساب (ص/١٤)، والبداية والنهاية (٢/٢١٠) نقلاً عن ابن إسحاق.

(٣) تقدم نقله، ابن كثير عن ابن هشام.

(٤) تقدم تخريجه.

ابن عمرو بن عامر.

وأمها: عميرة بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن ابن النجار، وأم عميرة: سلمى بنت عبد الأشهل النجارية، وأم أسد: قيلة بنت عامر ابن مالك الخزاعي. وأم أبي صيفي وحية: هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية، وأم نضلة والشفاء امرأة من قضاعة. وأم خالدة وضعيفة: واقدة بنت أبي عدي المازنية.

أولاد عبد المطلب بن هاشم وأمهاتهم (١): فولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفر وست نسوة: العباس، وحمزة، وعبد الله، وأبا طالب، - واسمه: عبد مناف، والزبير، والحارث، وجحلا، والمقوم، وضرارا، وأبا لهب، واسمه: عبد العزى، وصفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى، وبرة، فأم العباس وضرار: نتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر -وهو الضحيان- بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النمر بن قاسط بن هنب بن أقصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ويقال: أفصى ابن دعمى بن جديلة. وأم حمزة والمقوم وجحل -وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيره، وسعة ماله، وصفية: هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي. وأم عبد الله، وأبي طالب، والزبير، وجميع النساء غير صفية: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران، بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأمها: صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأم صخرة: تخمر بنت عبد بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١/٩٢-٩٣) ونسب قريش (ص/١٧-١٨) تاريخ الطبري (٢/٢٣٩) وجمهرة الأنساب (ص/١٤-١٥).

ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأم الحارث بن عبد المطلب: سمراء بنت جندب بن جحير بن رئاب بن حبيب بن سواءة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ابن عكرمة.

وأم أبي لهب: لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي.

أم رسول الله ﷺ وأمهاتها[1]: فولد عبد الله بن عبد المطلب رسول الله ﷺ وشرف وعظم، سيد ولد آدم، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله.

وأمه: آمنة بنت وهب، بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأمها: برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأم برة: أم حبيب بنت أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأم أم حبيب: برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

فرسول الله ﷺ أشرف ولد آدم حسباً. وأفضلهم نسباً من قبل أبيه وأمه ﷺ وكرم وشرف وعظم.

---

(١) انظر طبقات ابن سعد (١/٩٤-٩٥)، ونسب قريش (ص٢٠-٢١)، تاريخ الطبري (٢/٢٣٩-٢٤٠)، جمهرة الأنساب (ص١٥-١٦)، دلائل النبوة (١/١٨٢-١٨٤) للبيهقي.

أمر جرهم ودفن زمزم

ولاة البيت من ولد إسماعيل: قال محمد بن إسحاق المطلبي [١]: لما توفي إسماعيل بن إبراهيم ولي البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل -ما شاء الله أن يليه- ثم ولي البيت بعده مضاض بن عمرو الجرهمي.

حفر زمزم

حدثنا أحمد بن عبد الجبار، قال: نا يونس بن بُكير قال: كل شيء من حديث ابن إسحاق مسند، فهو أملاه علي، أو قرأه علي، أو حدثني به وما لم يكن مسنداً، فهو قراءة، قرىء على ابن إسحاق.

حدثنا أحمد قال: نا يونس، عن محمد بن إسحاق، قال: بينا عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف نائماً في الحجر، عند الكعبة، أتي فأمر بحفر زمزم.

ويقال أنها لم تزل دفينا بعد ولاية بن إسماعيل الأكبر وجُرْهُم، حتى أمر بها عبد المطلب، فخرج عبد المطلب إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إني قد أمرت أن أحفر زمزم، فقالوا له: أُبين لك أين هي؟ فقال: لا، قالوا: فارجع إلى مضجعك الذي أريت فيه ما أريت، فإن كان حقاً من الله عز وجل بين لك، وإن كان من الشيطان لم يعد إليك، فرجع فنام في مضجعه، فأتى فقيل له: احفر زمزم، إنك إن حفرتها لم تندم هي تراث من أبيك الأقدم، لا تنزف الدهر ولا تذم، تسقي الحجيج الأعظم مثل نعام حافل لم يقسم، ينذر فيها ناذر لمنعم، فهي ميراث وعقد محكم، ليست كبعض ما قد يعلم، وهي بين الفرث والدم[٢].

عبد المطلب يحفر زمزم

فقال حين قيل له ذلك: أين هي؟ فقيل له: عند قرية النمل، حيث ينقر الغراب غداً، فغدا عبد المطلب ومعه الحارث ابنه، ليس له ولد غيره، فوجد قرية النمل، ووجد الغراب ينقر عندها، بين الوثنين: إساف ونائلة، اللذين كانت

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/٢٨٤) نقلاً عن ابن إسحاق.

(٢) انظر: سبل الهدى والرشاد للصالحي (١/١٩٢).

قريش تنحر عندهما.

حدثنا أحمد قال: نا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله ابن أبي بكر بن حزم، عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة رجل وامرأة من جُرْهُم زنيا في الكعبة، فمسخا حجرين.

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: فجاء عبد المطلب بالمعول[1] فقام ليحفر، فقالت له قريش حين رأوا جِده: والله لا ندعك تحفر بين صنمينا هذين اللذين ننحر عندهما، فقال عبد المطلب لابنه الحارث: دعني -أو ذُد عني حتى أحفر، فوالله لأمضين لما أمرت به، فلما رأوا منه الجد، خلوا بينه وبين الحفر، فكفوا عنه، فلم يمكث إلا قليلا حتى بدا له الطوى، فكبر. فعرفت قريش أنه قد صدق وأدرك حاجته، فقاموا إليه، فقالوا: إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقا، فأشركنا معك فيها.

قال: ما أنا بفاعل، وإن هذا لأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم، قالوا: فأنصفنا، فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أخاصمكم إليه، فقالوا: كاهنة بني سعد بن هذيم، قال: نعم وكانت بأشراف الشام.

حدثنا أحمد بن عبد الجبار، قال: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد الله بن زرير الغافقي قال: سمعت علي بن أبي طالب، وهو يحدث حديث زمزم فقال: بينما عبد المطلب نائم في الحجر، أتي، فقيل له: احفر برة، فقال وما برة، ثم ذهب عنه حتى إذا كان الغد نام في مضجعه ذلك، فأُتي فقيل له: احفر المضنونة، فقال وما المضنونة؟ ثم ذهب عنه، حتى إذا كان الغد عاد فنام في مضجعه، فأتي، فقيل له: احفر طيبة، فقال: وما طيبة؟ ثم ذهب عنه، فلما كان الغد عاد لمضجعه فنام

---

(١) المعول: فأس يقطع بها.

فيه، فأتي فقيل له: أحفر زمزم، فقال: وما زمزم؟ فقال: لا تترف ولا تذف، ثم نعت له موضعها.

قريش تنازع عبد المطلب زمزم:

فقام فحفر حيث نعت له، فقالت له قريش: ما هذا يا عبد المطلب؟ فقال: أمرت بحفر زمزم، فلما كشف عنه، وأبصروا الطوي، قالوا: يا عبد المطلب إن لنا لحقا فيها، إنها لبئر أبينا إسماعيل، فقال: ما هي لكم، لقد خصصت بها دونكم، قالوا: فحاكمنا، فقال: نعم، فقالوا: بيننا وبينك كاهنة بني سعد بن هذيم، وكانت بأشراف الشام.

التحاكم في بئر زمزم:

فركب عبد المطلب في نفر من بني أبية، وركب من كل بطن من أفناء قريش نفر، وكانت الأرض إذ ذاك مفاوز فيما بين الشام، والحجاز، حتى إذا كانوا بمفازة من تلك البلاد، فني ماء عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا الهلكة، فاستسقوا القوم، قالوا ما نستطيع أن نسقيكم، وإنا لنخاف مثل الذي أصابكم، فقال عبد المطلب لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك، قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته بما بقي من قوته، فكلما مات رجل منكم، دفعه أصحابه في حفرته، حتى يكون آخركم يدفعه صاحبه، فضيعة رجل أهون من ضيعة جميعكم، ففعلوا.

ثم قال: والله إن لقاءنا بأيدينا للموت، لا نضرب في الأرض ونبتغي، عجز. فقال لأصحابه: ارتحلوا، فارتحلوا، وارتحل، فلما جلس على ناقته وانبعثت به، انفجرت عين من تحت خفها بماء عذب، فأناخ وأناخ أصحابه، فشربوا، واستقوا وسقوا، ثم دعوا أصحابهم: هلموا إلى الماء، فقد سقانا الله عز وجل، فجاءوا فاستقوا وسقوا، ثم قالوا: يا عبد المطلب، قد والله قضي لك، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم، انطلق، فهي لك، فما نحن بمخاصميك.

حدثنا أحمد بن عبد الجبار، نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق، قال: فانصرفوا ومضى عبد المطلب فحفر، فلما تمادى به الحفر، وجد غزالين من ذهب، وهما الغزالان اللذان كانت جرهم دفنت فيها حين أخرجت من مكة، وهى بئر إسماعيل بن إبراهيم، التي سقاه الله عز وجل حين ظمئ، وهو صغير.

حدثنا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق: قال: حدثني عبد الله بن أبي نجيع، عن مجاهد، قال: مازلنا نسمع أن زمزم همزة جبريل بعقبه لإسماعيل حين ظميء.

حدثنا أحمد: نا يونس، عن سعيد بن ميسرة البكري، قال: حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: لما طردت هاجر أم إسماعيل القبطية سارة، ووضعها إبراهيم بمكة، عطشت هاجر، فترل عليها جبريل، فقال لها: من أنت؟ فقالت: هذا ولد إبراهيم، فقال: أعطشانة أنت؟ قالت: نعم، فبحث بجناحه الأرض، فخرج الماء، فأكبت عليه هاجر تشربه، فلولا ذلك لكانت أنهاراً جارية.

أنا أحمد حدثنا يونس، عن ابن إسحاق: قال: فلما حفر عبد المطلب زمزم، ودله الله عز وجل عليها، وخصه بها، زاده الله عز وجل شرفا وخطراً في قومه، وعطلت كل سقاية كانت بمكة حين ظهرت، فأقبل الناس عليها التماس بركتها ومعرفة فضلها، لمكانها من البيت، وأنها سقيا الله عز وجل إسماعيل.

فضل زمزم على سائر المياه:

حدثنا أحمد، قال: نا يونس عن طلحة بن يحيى، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم[1].

ما وجده عبد المطلب في بئر زمزم:

حدثنا أحمد قال: نا يونس، عن ابن إسحاق قال: ووجد عبد المطلب أسيافاً مع الغزالين، فقالت قريش: لنا معك يا عبد المطلب في هذا شرك وحق

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٢/٢٠٤) وسبل الهدى والرشاد (١/١٩٠)

فقال: لا، ولكن هلموا إلى أمر نصف بيني وبينكم، نضرب عليها بالقداح، فقالوا: فكيف تصنع؟ قال: أجعل للكعبة قدحين، ولكم قدحين، ولي قدحين، فمن خرج له شيء كان له، فقالوا قد أنصفت، وقد رضينا، فجعل قدحين أصفرين للكعبة، وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش، ثم أعطوها الذي يضرب بالقداح، وقام عبد المطلب يدعو الله ويقول:

اللهم أنت الملك المحمود ربي وأنت المبدىء المعيد

وممسك الراسية الجلمود من عندك الطارف والتليد

إن شئت ألهمت ما تريد لموضع الحلية والحديد

فبين اليوم لما تريد إني نذرت عاهد العهود

أجعله ربي فلا أعود

وضرب صاحب القداح، فخرج الأصفران على الغزالين للكعبة، فضربهما عبد المطلب في باب الكعبة، فكانا أول ذهب حليته، وخرج الأسودان على السيوف والأدراع لعبد المطلب فأخذها.

وكانت قريش ومن سواهم من العرب إذا اجتهدوا في الدعاء، سجعوا وألفوا الكلام، وكانت فيما يزعمون قلما ترد إذا دعا بها داع.

حدثنا أحمد قال: نا يونس عن ابن إسحاق: قال: حدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن عبد الله بن خريت -وكان قد أدرك الجاهلية- قال: لم يكن من قريش فخذ إلا ولهم ناد معلوم في المسجد الحرام، يجلسونه، فكان لبني بكر مجلس تجلسه، فبينا نحن جلوس في المسجد، إذ أقبل غلام، فدخل من باب المسجد مسرعاً حتى تعلق بأستار الكعبة، فجاء بعده شيخ يريده، حتى انتهى إليه، فلما ذهب ليتناوله يبست يداه، فقلنا ما أخلق هذا أن يكون من بني بكر!، فتحقبناه العرب مع ما تحدث به عنا، فقمنا إليه، فقلنا: ممن أنت؟ فقال: من بني بكر، فقلنا: لا مرحباً بك، ما لك ولهذا الغلام؟ فقال

الغــلام: ولا والله، إلا أن أبي مات ونحن صبيان صغار، وأمنا مؤتمة لا أحد لها فعــاذت بهذا البيت فنقلتنا إليه وأوصت فقالت: إن ذهبت وبقيتم بعدي فظلم أحــد مــنكم، أو ركب بكم أمر، فمن رأى هذا البيت فليأته فيتعوذ به فإنه سـيمنعه وإن هــذا أخذني واستخدمني سنين، واسترعاني إبله، فجلب من إبله قطـيعاً، فجاء بي معه فلما رأيت البيت ذكرت وصاة أمي، فقلنا: قد والله أرى مـنعك، فانطلقنا بالرجل، وإن يديه لمثل العصوين قد يبستا، فأحقبناه على بعير من إبله وشددناه بالحبال، ووجهنا إبله: وقلنا: انطلق لعنك الله.

حدثـنا أحمد قال: أنا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الرحمن بن القاسـم عـن أبـيه القاسم بن محمد عن أبي بكر أنه قال: كنت امرءاً تاجراً، فسـلكت ثنية في سفر لي، فإذا رجل منها يقول: أتؤمني أؤمنك؟ فقلت: نعم، فقـال: ادنه، فأتيته، فإذا هو نهيش قد أنيبته حية أصابته، فقال: يا عبد الله هل أنـت مـبلغي إلى أهلي ها هنا، تحت هذه الثنية؟ فقلت: نعم، فاحتملته على بعيري، فأتيت به على أهله فقال لي رجل من القوم: يا عبد الله ممن أنت؟ فقلت: رجل من قريش، فقال: والله إني لأظنك مصنوعاً لك، والله ما كان لص أعدي منه.

قـال: وأضـلتني ناقـة لي قد كنت أعلفها العجين، فلما أيست منها، اضـطجعت عند رحلي، وتقنعت بثوبي، فوالله ما أهبني إلا حس مشفرها تحرك به قدمي فقمت إليها، فركبتها.

حدثـنا أحمد قال: نا يونس عن ابن إسحاق: قال: حدثني من سمع عكرمة يذكـر عـن ابن عباس قال: بينا أنا جالس عند عمر بن الخطاب، وهو يعرض الناس على ديوانهم إذ مر شيخ كبير أعمى يجبذ قائده جبذا شديدا، فقال عمر: ما رأيت كاليوم منظراً أسوأ.

قـال: فقال له رجل: يا أمير المؤمنين هذا ابن صبغاء البهزي، ثم السلمي نهيك بريق، فقال عمر، قد أعلم أن بريقاً لقب، فما اسم الرجل، قالوا عياض،

قال عمر: ادعوا لي عياضاً، فدعي، فقال: أخبرني خبرك وخبر بني صبغاء - وكانوا عشرة نفر.

فقال عياض: شيء كان في الجاهلية قد جاء الله بالإسلام، قال عمر، اللهم غفراً ما كان أحرانا نتحدث عن أمر الجاهلية منا حين هدانا الله عز وجل للإسلام، وأنعم علينا به! فقال: يا أمير المؤمنين كنت امرءا قد نفاني أهلي، وكان بنو صبغاء عشرة، وكانت بيني وبينهم قرابة وجوار، فتنقصوني ما بي وتذللوني، فسألتهم بالله والرحم والجوار إلا ما كفوا عني، فلم يفعلوا، و لم يمنعني ذلك منهم، فأمهلتهم حتى دخل الشهر الحرام، ثم رفعت يدي إلى الله عز وجل فقلت:

اللهم أدعوك دعاء جاهدا اقتل بني الصبغاء إلا واحدا

ثم اضرب الرجل فذره قاعدا أعمى إذا ما قيد عني القائدا

فتتابع منهم تسعة في عام واحد، وضرب الله عز وجل هذا، وأعمى بصره فقائده يلقي منه ما رأيت، قال عمر: إن هذا لعجب.

فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين شأن أبي تقاصف الخناعي، ثم الهذلي وأخواته أعجب من هذا، فقال عمر: وكيف كان شأن أبي تقاصف وإخوته؟ فقال: كان لهم جار هو منهم بمنزلة عياض من بني صبغاء، فتنقصوه وتذللوه فذكرهم الله والرحم والجوار، فلم يعطفهم ذلك عليه، فأمهلهم حتى إذا دخل الشهر الحرام، رفع يديه ثم قال:

اللهم رب كل آمن وخائف وسامع هتاف كل هاتف

إن الخناعي أبا تقاصف لم يعطني الحق ولم يناصف

فاجمع له الأحبة الألاطف بين قران ثم والتواصف

قال فنزلوا في قليب[1] لهم يحفرونه حيث وصف، فتهور عليهم، فإنه لقبرهم إلى يومهم هذا.

---

(١) هو البئر.

فقال رجل من القوم: شأن بني مؤمل من بني نصر أعجب من هذا، كان بطن من بني مؤمل، وكان لهم ابن عم قد استولى على أموال بطن منهم وراثة فألجأ نفسه وماله إلى ذلك البطن، فتنقصوا ماله وتذللوه وتضعفوه، فقال: يا بني مؤمل، إني قد ألجأت نفسي ومالي إليكم لتمنعوني، وتكفوا عني، فقطعتم رحمي، وأكلتم مالي وتذللتموني، فقام رجل منهم يقال له رياح، فقال:يا بني مؤمل صدق، فاتقوا الله فيه وكفوا عنه، فلم يمنعهم ذلك منه، ولم يكفوا عنه فأمهلهم حتى إذا دخل الشهر الحرام وخرجوا عمارا [١] رفع يديه فقال:

اللهم زلهم عن بني مؤمل وارم على أقفائهم بمنكل

بصخرة أو بعض جيش جحفل إلا رياحاً إنه لم يفعل

فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق نزلوا إلى جبل فأرسل الله عز وجل من رأس الجبل صخرة تجر ما مرت به من حجر أو شجر، حتى دكتهم[٢] به دكة واحدة، إلا رياحاً وأهل خبائه؛ لأنه لم يفعل.

فقال عمر بن الخطاب ﷺ: إن هذا للعجب، لم ترون هذا كان؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين أنت أعلم، فقال: أما إني قد علمت ذاك، كان الناس أهل الجاهلية لا يعرفون ربا ولا بعثاً، ولا قيامة ولا جنة، ولا ناراً، فكان الله عز وجل يستجيب لبعضهم على بعض، لمظلوم على الظالم، ليكف بذلك بعضهم عن بعض، فلما بعث الله عز وجل هذا الرسول، وعرفوا الله عز وجل والبعث والقيامة، والجنة والنار، وقال الله عز وجل: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[٣].

---

(١) يعني يؤدون العمرة.

(٢) أي أهلكهم وسواهم بالأرض.

(٣) سورة القمر: آية (٤٦).

نذر عبد المطلب

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: نا يونس بن بُكير عن ابن إسحاق قال: وكان عبد المطلب بن هاشم فيما يذكرون، قد نذر حين لقي من قريش -عند حفر زمزم- ما لقي: لئن ولد له عشر نفر، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه، لينحرن أحدهم لله عز وجل عند الكعبة، فلما توافى بنوه عشرة: الحارث، والزبير، وجحل، وضرار، والمقوم، وأبو لهب، والعباس، وحمزة، وأبو طالب، وعبد الله، وعرف أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذره الذي نذر، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوا له، وقالوا له: كيف تصنع؟ فقال: يأخذ كل رجل منكم قدحاً، فيكتب فيه اسمه، ثم تأتوني، ففعلوا، ثم أتوه، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة، وكان هبل عظيم أصنام قريش بمكة، وكان على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة، وكان عند هبل سبعة أقداح، في كل قدح منها كتاب، قدح فيه «العقل»[1]، إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة، فعلى من خرج حمله، وفيها قدح «الغفل» [2] وقدح فيه «نعم» للأمر إذا أرادوه ضرب به في القداح، فإن خرج قدح «نعم» عملوا به، وقدح فيه «لا» فإذا أرادوا أمراً ضربوا به في القداح، فإذا خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر، وقدح فيه «منكم» وقدح فيه «من غيركم» وقدح فيه «ملصق» وقدح فيه «المياه» فإذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح، وفيها ذلك، فحيثما خرج عملوا به، وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً، أو ينكحوا منكحاً، أو يدفنوا ميتاً، أو شكوا في نسب أحد منهم، ذهبوا به إلى هبل، وذهبوا معهم بجزور ومائة درهم إلى صاحبه (صاحب القداح) التي يضرب بها، فأعطوها إياه، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، وقالوا: اضرب، اللهم أخرج على يديه اليوم الحق، ثم استقبلوا هبل، فقالوا: يا

---

(١) يعني الدية.

(٢) بدون كتابة.

إلهنا، هذا فلان ابن فلان كما زعم أهله، يريدون كذا وكذا، فإن كان كذلك فأخرج فيه «الغفل»، أو «نعم» أو «منكم» واقبل هديته، فإن خرج من هؤلاء الثلاثة كتب في قومه وسيطاً [1]، وإن خرج عليه «من غيركم» كان حليفاً، وإن خرج عليه «ملصق» كانت مترلته فيهم لا نسب ولا حلف، وإن خرج فيه شيء مما سوى هذا مما يعملون به «نعم» عملوا به، وإن خرج «لا» أخروه عامه ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى، ينتهون من أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح.

عبد المطلب يحتكم إلى القداح:

فقال عبد المطلب: اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبره بنذره وأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه، وكان عبد الله بن عبد المطلب، أبو رسول الله ﷺ أصغر بني أبيه، كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد الله بن عمران بن مخزوم، وكان -فيما يزعمون- أحب ولد عبد المطلب إليه، وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى [2]، فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها، قام عبد المطلب عند هبل يدعو ويقول:

اللهم لا يخرج عليه القدح ... إني أخاف أن يكون فدح
إن كان صاحبي للذبح ... إني أراه اليوم خير قدح
حتى يكون صاحبي للمنح ... يغني عني اليوم كل سرح

خروج القدح على عبد الله:

فخرج القدح على عبد الله، فأخذ عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة، الوثنين اللذين تنحر عندهما قريش ذبائحها، ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا، ماذا تريد يا عبد المطلب؟ فقال: أذبحه، وأنشأ يقول:

---

(١) أي خالص النسب مكرماً.

(٢) أشوى: أبقى.

عـــاهدت ربي وأنا موف عهده أيـــام أحفـــر وبـــني وحــــده
والله لا أحمـــد شـــيئاً حمـــده كـــيف أعاديه وأنا عبــــده
إني أخـــاف إن أخـــرت وعده أن أضل إن تركت عهـــده
ما كنت أخشى أن يكون وحده مثل الذي لقيت يوماً عنــده
أوجــع قلــبي عند حفري رده والله ربي لا أعـــيش بعـــده

حدثنا أحمد قال: نا يونس عن ابن إسحاق قال: ذكروا أن العباس بن عبد المطلب أجتره من تحت رجل أبيه حتى خدش وجه عبد الله خدشاً، لم يزل في وجهه حتى مات[1].

عبد المطلب يحاول ذبح ابنه وقريش تمنعه:

قال ابن إسحاق: فقالت قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً ونحن أحياء حتى نعذر فيه، لئن فعلت هذا لا يزال رجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على ذلك.

قال ابن إسحاق: وقال المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم -وكان عبد الله بن عبد المطلب ابن أخت القوم-: والله لا تذبحه أبداً حتى نعذر فيه، فإن كان فداء، فديناه بأموالنا، وقال فيما يزعمون في ذلك شعراً حين أجمع عبد المطلب في ذبح عبد الله بما أجمع:

واعجـــبي من قتل عبد المطلب وذبحـــه خـــرقاً كتمثال الذهب
يا شيب لا تعجل علينا بالعجب فمـــا ابننا بشرط القوم النجب
ولا ابـــنكم بالمستذل المغتصب نفاديـــه بالمـــال حـــتى نخترب
فســـوف أفديـــه بمالي والسلب وسوف ألقى دونه من الغضب
أشـــوس آباء قبيحات الحطب مـــا ذبـــح عبد الله فينا باللعب
ذبحـــاً كما يذبح معتوبي النصب كلا ورب البيت مستور الحجب

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٨٩،٨٨/١) والبيهقي في«الدلائل» (٩٠،٨٩/١) وابن كثير في البداية (٢٤٩،٢٤٨/٢) وفي سنده الواقدي وهو متروك.

لا يعجل المذبوح حتى نضطرب ضرباً يزيل الهام من بعد الغضب
بكل مصقول رقيق ذي شطب كالــبرق أو كالــنار في الثوب

قال أبو عمرو: ويقال القطب والعطب، القطن.

قال ابن إسحاق: وقد قال أبو طالب حين أراد عبد المطلب ذبح عبد الله وكان ابن أمه -وحين قال المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ما قال:

كــلا ورب البيت ذي الأنصاب ورب مــا أنضــى من الركاب
كــل قريــب الــدار أو منتاب يــزور بيــت الله ذا الحجــاب
مــا قــتل عــبد الله باللعــاب مــن بــين رهط عصبة شباب
ابــن نساء سطة الأنســـاب أغــر بين البيض من كلاب[1]
وبــين مخــزوم ذوي الأحساب أهل الجياد القب والقــباب
لســتم عــلى ذلــك بالأذناب حــتى تذوقــوا حمس الضراب
بكــل عصب ذائب اللعــاب ذي رونق في الكف كالشهاب
تلقــاه في الأقران ذا أنــداب إن لم يجعــل أجــل الكــتاب
قلــت ومــا قولي بالمعــاب يــا شــيب إن الجور ذو عقاب
إن لــنا إن جرت في الخطــاب أخــوال صدق كأسود الغاب
لــن يسلموا الدهر للعــذاب حــتى يمــص القاع ذو التراب

دماء قوم حرم الأسلاب

فقال عبد المطلب عند ذلك:

الله ربي وأنــا مــوف نــذره أخــاف ربي إن عصــيت أمره
والله لا يقــدر شــيء قدره فهــو ولــيي وإليه عمــره
هــذا بــني قــد أردت نحره فــإن نؤخره ونقبل عــذره

(١) السطة: النسب العريق.

وتصـــرف الموت له وحذره وتصرف الموت فلا يضـــره
مـــن جهـــد إنسان ولا تعره ســـواك ربي ويكـــون قـــره
لكـــل عـــين ناظـــر تســـره أعطيـــته رب فـــلا تعـــره

لحزن يوجعني مسره

ما أشارت به عرافة الحجاز على عبد المطلب:

فقالت له قريش وبنوه: لا تفعل وانطلق إلى الحجاز فإن به عرافة يقال لها نجاح[1] لها تابع فسلها، ثم أنت على رأس أمرك، فإن أمرتك بذبحه، ذبحته، وإن أمرتك بغير ذاك مما لك وله فيه فرج قبلته، فقال: نعم.

فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوها فيما يزعمون بخيبر، فركبوا حتى جاءوها، فسألوها، وقص عليها عبد المطلب شأنه وشأن ابنه وما كان نذر فيه، فقالت لهم: ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي، فأسأله، فخرجوا من عندها، وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ويقول:

يـــا رب لا تحقـــق حذري واصـــرف عنه شر هذا القدر
فـــإني أرجو لما قـــــد أذر لأن يكـــون سيداً للبشـــــر

ثم غدوا إليها، فقالت: نعم، قد جاءني الخبر، فكم الدية فيكم؟ فقالوا: عشرة من الإبل، وكانت كذلك، فقالت: فارجعوا إلى بلادكم، فقدموا صاحبكم، وقدموا عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليها بالقداح، فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم عز وجل، فإذا خرجت القداح على الإبل، فقد رضى ربكم، فانحروها عنه، ونجي صاحبكم.

فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا لذلك الأمر، قام عبد المطلب يدعو الله عز وجل، ويقول:

الـــلهم إنـــك فـــاعل لما ترد إن شئت ألهمت الصواب والرشد

---

(١) وقيل اسمها: سجاح، وقيل: قطبة.

إني مواليك على رغم معد وساقي حجيجك الأبد
أورثني سقياهم أبي وجد فإن وجدي فاعلمن وجد وجد
أنت الذي تعلم كل صمد فلا تحقق حذري بولد
واجعل فداه في الجلاه الجعد

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: نا يونس عن ابن إسحاق قال: فلما قربوا عبد الله وعشراً من الإبل، وعبد المطلب في جوف الكعبة يدعو ويقول:

اللهم رب العشر بعد العشر ورب من يأتي بكل نذر
أنج عبد الله عند النحر ونجه من شفعها والوتر

ثم ضربوا، فخرج السهم على عبد الله، فزادوا عشراً، فبلغت الإبل عشرين وقام عبد المطلب يدعو ويقول:

يا رب عشرين ورب الشفع أنج عبد الله رب النفع
من ضربة القدح التي في وأعطه الرفع الذي في الرفع
ولا يكون ضربه كاللذع كلذعه النار التي في السفع

ثم ضربوا، فخرج السهم على عبد الله، فزادوا عشراً، فبلغت الإبل ثلاثين، وقام عبد الطلب يدعو الله ويقول:

رب الثلاثين ولي النعم امنن أن نصاب بالدم
هذا الغلام جنة لم يعلم فطار قلبي فهو -مثل المغرم
لذكر عبد الله حتى يسلم وتنحر الذود التي لم تقسم
ونجه من ضربة لم تكلم

ثم ضربوا، فخرج السهم على عبد الله، فزادوا عشراً فبلغت الإبل أربعين، فقام عبد المطلب يدعو الله ويقول:

اللهم رب الأربعين إذ بلغت أنج بني من قداح كتبت
وانحر الذود التي هملت وجللت في قتله وذبحت

بلـــغ رضاك ربنا إذ جعلـــت عدل بني عبد مناف وقعـــت

ثم ضربوا، فخرج السهم على عبد الله، فزادوا عشراً فبلغت الإبل خمسين وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ويقول:

يـــا رب خمسين سمان بدن من كل كوماء له لم تعطن

إلا لـــرب مـــاجد ممكن أنـــج عبد الله رب الأركن

وانحر الذود التي لم تسكن

ثم ضربوا، فخرج السهم على عبد الله، فزادوا عشراً، فبلغت الإبل ستين، وقام عبد المطلب يدعو ويقول:

اللهم رب الستين ورب المشعر ورب مـــن حـــج له وكبر

يســـعى لـــرب قـــادر ليغفر أنـــج عـــبد الله عند المنحر

وعافـــه مـــن ضـــربة لا تجبر لتـــبلغ العظـــم بها فيكسر

ثم ضربوا، فخرج السهم على عبد الله، فزادوا عشراً، فبلغ الإبل سبعين، وقام عبد المطلب يدعو ويقول:

يـــا رب سبعين له قد جمعت فـــاذبح الذود التي قد عطلت

وحســـبت في قتله وخيست وأخـــرج السهم لها إذ بذلت

حـــتى تكون دية قد كملت عـــن مقـــتول له إذ قبلـــت

ثم ضربوا، فخرج السهم على عبد الله، فزادوا عشراً، فبلغت الإبل ثمانين، وقام عبد المطلب يدعو ويقول:

يـــا رب الثمانين ورب الإهلال ورب مـــن يأتـــيك للإجـــلال

اجعـــل فـــداء ولدي ذود أبال سوف ترى شكري عند الإحلال

كشـــكر من يسعى بغير أنعال امـــنن بـــه على رب الأفضال

ثم ضربوا، فخرج السهم على عبد الله، فزادوا عشراً، فبلغت الإبل تسعين، وقام عبد المطلب يدعو ويقول:

يــارب تســعين ورب المشرع ورب مــن يدفــع عــند المدفع

حــتى يجيزوا معشرا للمجمع أنــج لي عــبد الله عند الأذرع

ونجه من ضربة لا ترجع

ثم ضربوا، فخرج السهم على عبد الله، فزادوا عشراً، فبلغت الإبل مائة، وقام عبد المطلب يدعو ويقول:

الــلهم رب مائــة تقســم ورب مــن يهوي بكل معلم

ورب مــن أهدي لكل محرم قــد بلغــت مائــة لم تقسم

أرغم أعدائي بها ليرغموا

ثم ضربوا، فخرج السهم على الإبل، فقالت قريش ومن حضره: قد رضي ربك، وخلص لك ابنك.

نجاة عبد الله من الذبح[(١)]:

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: نا يونس عن ابن إسحاق قال: فذكروا أن عبد المطلب قال: لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات، فضربوا على الإبل وعلى عبد الله، وقام عبد المطلب يدعو ويقول:

الــلهم أنــت هديــتني لزمزم إن بــني أحــب من أن تكلم

فــلا ترينــيه الغــداة في الدم فــإن حزني يدخل في الأعظم

فــاجعل فــداه مائــة لم تقسم حــتى نفاديــه بكــل أعجم

امــنن عــلي ذا الجلال المنعم وأوقــع المــوت لــذود عتم

وثم رب فــاجعلن مـــــا تم ثم اصــرف الموت إليها يسلم

بحولــك اللهم عيش خــــرم وأنــت إن سلمته لم يكلـــم

فــبلغ العــيش به فيهــــرم حــتى أراه عند كل مقـــدم

يبين الخير لمن توسم

(١) انظر سيرة ابن هشام (١/١٠١).

ثم ضربوا، فخرج السهم على الإبل، ثم أعادوا الثانية، وعبد المطلب مكانه عند هبل، فلما أرادوا أن يضربوا، قال:

يا رب لا تشمت بي الأعادي ... إن بني ثمرة فؤادي

فلا تسيل دمه في الوادي ... واجعل فداه اليوم من تلادي

ذود لقاح بدنا أندادي ... حتى تكون فدية الأولاد

ولا ترثنيه الأذواد ... إن بني رب لم يفادي

لكن يمين قسم الجواد ... فقد تراني رب لم أضادي

ثم ضربوا، فخرج السهم على الإبل، ثم أعادوا الثالثة، وقام عبد المطلب يدعو ويقول:

يارب قد أعطيتني سؤالي ... أكثرت بعد قلة عيالي

فأجعل فداه اليوم جل مالي ... معلات تسحب الأجلال

ولا ترينه بشر حال ... فإنه يدخلني سلالي

بأن يكون النحر للهلال ... أو تصرف الموت فلا أبالي

عن ابني الأصغر ذا الجلال ... أنت الولي المنعم المفضال

فأنعم اليوم لذلك بالي ... فإنه قد نزل الموالي

كلهم يبكي من ... كل فتى أبيض كالهلال

وقالت آمنة أم النبي ﷺ:

يا رب بارك في الغلام الأزهر ... في الهاشمي والكريم العنصر

ثم ضربوا بالقداح على الإبل، فنحرت، ثم تركت لا يصد عنها أحد.

تزويج عبد الله بن عبد المطلب

عبد الله يرفض المرأة التي عرضت نفسها عليه:

حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: نا يونس، عن ابن إسحاق قال: ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبد الله، فمر به -فيما يزعمون- على امرأة من

بني أسد بن عبد العزى بن قصي، وهى عند الكعبة، فقال له حين نظرت إلى وجهه -فيما يذكرون-: أين تذهب يا عبد الله؟ قال: مع أبي، قالت: لك عندي مثل الإبل التي نحرت عنك، وقَعْ علي الآن، فقال: إن معي أبي الآن، ولا أستطيع خلافه ولا فراقه، ولا أريد أن أعصيه شيئاً».

عبد الله يتزوج آمنة بنت وهب:

فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة -ووهب يومئذ سيد بني زهره نسباً وشرفاً- فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، وهى يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، وهى لبرة [١].

أمهات آمنة

برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي.

وأم برة: أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي، وأم حبيب بنت أسد لبرة بنت عوف بن عبيد بن كعب بن لؤي.

قال ابن إسحاق: فذكروا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه، فوقع عليها عبد الله، فحملت برسول الله ﷺ، فخرج من عندها حتى أتى المرأة التي قالت له ما قالت، وهى أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وهى في مجلسها فجلس إليها، وقال: مالك لا تعرضين عليَّ اليوم مثل الذي عرضت على أمس؟ قالت: فارقك النور الذي كان فيك، فليس لي بك اليوم حاجة.

حدثنا أحمد قال: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكانت فيما ذكروا، تسمع من أخيها ورقة بن نوفل، وكان قد تنصر واتبع الكتب -يقول: إنه لكائن في هذه الأمة نبي من بني إسماعيل، فقالت في ذلك شعراً، واسمها أم قبال ابنة نوفل بن أسد كذا قال «أم قبال»[٢]:

---

(١) لبرة: اسم أمها.

(٢) كنيتها أم قبال، وقيل: أم قتال.

الآن وقد ضيعت ما كنت قادرا ... عليه وفارقك الذي كان جاك
غدوت علي حافلاً قد بذلته ... هناك لغيري فالحقن بشأنكا
ولا تحسبني اليوم جلوا وليتني ... أصبت حبيباً منك يا عبد داركا
ولكن ذاكم صار في آل زهرة ... به يدعم الله البرية ناسكا

فأجابها عبد الله فقال:

تقولين قولاً لست أعلم ما الذي ... يكون وما هو كائن قبل ذلك
فإن كنت ضيعت الذي كان بيننا ... من العهد والميثاق في ظل دارك
فمثلك قد أصبت عند كل حله ... ومثلي لا يستام عند الفوارك

فقالت له أيضاً أم قبال:

عليك بآل زهرة حيث كانوا ... وآمنة التي حملت غلاما
يرى المهدي حين يرى ... عليه نور قد تقدمه أماما
فيمنع كل محصنة خريد ... إذا ما كان مرتدياً حساما
وتخفره الشمال وبان منها ... رياح الجدب تحسبه قتاما
فأنجبه ابن هاشم غير شك ... وأدته كريمته هماما
فكل الخلق يرجوه جميعا ... يسود الناس مهتدياً إماما
براه الله من نور مصفى ... فأذهب نوره عنا الظلاما
وذلك صنع ربك إذ حباه ... إذا ما سار يوماً أو أقاما
فيهدي أهل مكة بعد كفر ... ويفرض بعد ذلكم الصياما

وقال عبد المطلب:

دعوت ربي مخفيا وجهرا ... أعلنت قولي وحمدت الصبرا
يا رب لا تنحر بني نحراً ... وفاده بالمال شفعاً ووترا
أعطيك من كل سوام عشراً ... أو مائة دهما وكمتا وحمرا

معـــروفة أعلامهـــا وصحراً ... لله مـــن مـــالي وفـــاء ونذرا
عفوا ولم تشمت عيونا خزرا ... بالواضـــح الوجه المزين عذرا
فـــالحمد لله الأجـــل شكرا ... أعطـــاني البـــيض بـــني زهرا
ثم كفـــاني في الأمـــور أمرا ... قـــد كان أشجاني وهد الظهرا
فلست والبيت المغطى سترا ... واللات والركن المحاذي حجرا
مـــنك لأنعمـــك إلهي كفراً ... مادمت حيا حتى أزور القبرا(١)

قصة حمل آمنة برسول الله ﷺ:

حدثنا أحمد قال: نا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: حدثني والدي إسحاق بن يسار قال: حدثت أنه كان لعبد الله بن عبد المطلب امرأة مع آمنة ابنة وهب بن عبد مناف، فمر بامرأته تلك، وقد أصابه أثر طين عمل به، فدعاها إلى نفسه، فأبطأت عليه لما رأت به أثر الطين، فدخل فغسل عنه أثر الطين، ثم دخل عامداً إلى آمنة، ثم دعته صاحبته التي كان أراد إلى نفسها، فأبى للذي صنعت به أول مرة، فدخل على آمنة فأصابها، ثم خرج فدعاها إلى نفسه، فقالت: لا حاجة لي بك، مررت بي وبين عينيك غرة، فرجوت أن أصيبها منك، فلما دخلت على آمنة، ذهبت بها منك.

حدثنا أحمد قال: حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: حدثت أن امرأته تلك كانت تقول: مر بي وإن بين عينيه لنوراً مثل الغرة، فدعوته رجاء أن يكون لي، ودخل على آمنة فأصابها، فحملت برسول الله ﷺ(٢).

رؤيا آمنة وهى حامل برسول الله ﷺ:

حدثنا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال: فكانت آمنة بنت وهب أم

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٠٢/١، ١٠٣) وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٠٧، ٣٠٨)

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٠٥/١) وفي الشعب (١٣٥/٢، ١٣٦) والطبري في تاريخه (٢٤٤/٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (٣٠٧/٢).

رسول الله ﷺ تحدث أنها أتيت حين حملت محمداً ﷺ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع الأرض فقولي:

أعيذه بالواحـــــد   من شر كل حاســـد
في كل بر عابـــــد   وكل عبد رائـــــد
نزول غير زائـــــد   فإنه عبد الحميد الماجد
حتى أراه قد أتى المشاهد

فإن آية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام، فإذا وقع فسميه محمداً، فإن اسمه في التوراة أحمد، يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في الفرقان محمد فسميه بذلك.

وفاة عبد الله(١):

فلما وضعته، بعثت إلى عبد المطلب جاريتها -وقد هلك أبوه عبد الله وهى حبلى، ويقال إن عبد الله هلك والنبي ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهراً، فالله أعلم أي ذلك كان -فقالت: قد ولد لك الليلة غلام فانظر إليه، فلما جاءها أخبرته خبره، وحدثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت أن تسميه فأخذه عبد المطلب فأدخله في جوف الكعبة، فقام عبد المطلب يدعو الله، ويشكر الله الذي أعطاه إياه، فقال:

الـــحمد لله الـــذي أعطـــاني   هـــذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان   أعـــيذه بـــالله ذي الأركان
حـــتى يكـــون بلغـــة الفتيان   حـــتى أراه بـــالغ البنـــان
أعـــيذه مـــن كل ذي شنئان   مـــن حاســـد مضرب العنان
ذي همـــة لـــيس له عيـــنان   حـــتى أراه رافع اللســـان
أنـــت الذي سميت في الفرقان   في كتـــب ثابـــتة المثانـــي
أحمد مكتوباً على اللسان

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٢٠٤)

وقال عبد المطلب حين فرغ من شأن عبد الله، وفرج عنه ما كان فيه من البلاء والهم بذبحه.

دعوت ربي دعوة المناصح دعوة مبتاع رضاه رابح
فالله عند قسمه المنائح أعطى على الشح من
زمزم لا يمتاحها الممائح إلا الدلاء الزبد السوافح
كم من حجيج مغتد ورائح جاد بها من بعد لوح اللائح
سقيا على رغم العدو الماشح بعد كنوز الحي والصفائح
حُليٍّ لبيت الله ذي المسارح بيت عليه النور كالمصابح
بنيان إبراهيم ذي المسابح بناه بالرفق وحلم راجح
بين الجبال الصم والصرادح فهو مثاب لذوي الطلائح
ينتابه من كل فج نازح مشتبه الأعلام والصحاصح

وقال عبد المطلب:

الحمد للخالق لا العباد لما رأى جدي واجتهادي
وإنني موفيه بالميعاد والعهد إن العهد ذو معاد
فرج عني كربة الفؤاد ونال مني فدية المفادي
فاديت عبد الله من تلادي إن البنين فلذ الأكباد
ثمار كالقرع للفواد أدم وحمر كلها تلاد
قلت للحباسي لها ذواد هل منكم من صيت
الإبل نهب بين أهل الوادي فتركوها وهي في عصواد
يركبها بالآلة الحداد كأنها رهو من المزاد
يردى بها ذو أحبل صياد وراح عبد الله في الأبراد
يغيظ أعدائي من الحساد نجيته من كرب شداد

وقال عبد المطلب أيضاً:

الحمـــد لله عـــلى مـــا أنعما ... أعطي علي رغم العدو زمزما

تـــراث قوم لم يكن مهدمـــا ... والحاسدون يخرقون الأدمـــا

ولم يكـــن حافـــرها ليندمـــا ... أصاب فيها حلية فتسلمـــــا

لله مـــا أجرى عليه الأسهما ... والله أوفى نـــذره إذ أقســـما

أعطـــى بنين عصبة وخدمـــا ... فلســـــت والله أريـــد مأثما

في الـــنذر أهريق لله دمـــــا ... منهم وقـــــد أوفيتهم فتمما

مـــن بعد ما كنت وحيداً أيما ... يراني الأعداء قـــــرنا أعصما

أعضب أو ذا ارتياب أعسما

وقال عبد المطلب:

دعوت ربي دعوة المغلوب ... ونعم مدعي السائل المكروب

فالحمد للمستمع العجيـــب ... أعطى على رغم ذوي الذنوب

إليَّ والشحناء والعيـــــوب ... زمـــزم ذات الموضـــع العجيب

بين سواد الصنم المنصـــوب ... وبـــين بيـــت الله ذي الحجوب

وتحت فرث النعم المغصوب

مولد رسول الله ﷺ

حدثنا أحمد بن عبد الجبار، نا يونس بن بكير، عن ابن إسحاق: حدثني المطلب بن عبد الله بن قيس، عن أبيه، عن جده قيس بن مخرمة: قال ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل، كنا لدين[1].

حدثنا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكان رسول الله ﷺ عام عكاظ ابن عشرين سنة.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/٦٠٣) والبيهقي في «الدلائل» (١/٧٤)، وفي «شعب الايمان (٢/١٣٥)، (١٣٨٧) من طريق محمد بن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فدفع رسول الله ﷺ إلى أمه، والتمس له الرضعاء، واسترضع له حليمة ابنة أبي ذؤيب، وأبو ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة ابن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، واسم أبي رسول الله الذي أرضعه الحارث بن عبد العزى بن رفاعة بن فلان بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن [١].

إخوته من الرضاعة:

وإخوته من الرضاعة: عبد الله بن الحارث، وأنيسة ابنة الحارث، وحذافة ابنة الحارث، وهي الشيماء، غلب عليها ذلك، ولا تعرف في قومها إلا به، وهي لحليمة أم رسول الله، وذكروا أن الشيماء كانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمه إذ كان عندهم[٢].

حليمة ترضع النبي ﷺ:

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني جهم بن أبي جهم - مولى لامرأة من بني تيم، كانت عند الحارث بن حاطب، فكان يقال مولى الحارث بن حاطب -قال: حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، يقول: حدثت عن حليمة ابنة الحارث -أم رسول الله ﷺ، التي أرضعته أنها قالت: قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر، نلتمس بها الرضعاء، وفي سنة شهباء، فقدمت على أتان لي قمراء كانت أذمت بالركب، ومعي صبي لنا، وشارف لنا، والله ما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك، ما نجد في ثديي ما يغنيه، ولا في شارفنا ما يغذيه، فقدمنا مكة، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فإذا قيل «إنه يتيم» تركناه، وقلنا: ماذا عسى أن

---

(١) انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (١/١١٠)، وسير أعلام النبلاء (٢/٥١٣) عن ابن إسحاق.

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/١٣١،١٣٢) وأورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٣٣٣).

تصنع إلينا أمه؟ إنما نرجو المعروف من أبي الوليد، فأما أمه فما عسى أن تصنع إلينا؟ فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما لم أجد غيره، قلت لزوجي الحارث بن عبد العزى، والله إني أكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، قال: لا عليك، فذهبت، فأخذته، فوالله ما أخذته إلا أني لم أجد غيره[1].

الخير الذي أصاب حليمة بسببه ﷺ:

فما هو إلا أن أخذته، فجئت به رحلي، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب أخوه حتى روي، وقام صاحبي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل، فحلب ما شرب وشربت حتى روينا، فبتنا بخير ليلة، فقال صاحبي: يا حليمة، والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة، ألم تري إلى ما بتنا به الليلة من الخير حين أخذناه؟! فلم يزل الله يزيدنا خيراً، حتى خرجنا راجعين إلى بلادنا، فوالله لقطعت أتاني بالركب حتى ما يتعلق بها حمار، حتى إن صواحبي ليقلن: ويلك، يا بنت أبي ذؤيب، أهذه أتانك التي خرجت عليها معنا؟ فأقول: نعم، والله إنها لهي، فيقلن: والله إن لها لشأنا، حتى قدمنا أرض بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله عز وجل أجدب منها، فإن كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعاً، لبنا، فنحلب ما شئنا، وما حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن، وإن أغنامهم لتروح جياعاً، حتى إنهم ليقولون لرعيانهم، ويحكم انظروا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب، فاسرحوا معهم، فيسرحون مع غنمي حيث نسرح، فيريحون أغنامهم جياعاً وما فيها قطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً، لبناً، نحلب ما شئنا، فلم يزل الله عز وجل يرينا البركة، ونتعرفها حتى بلغ سنتيه، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فوالله ما بلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفرا، فقدمنا به على

(١) إسناده جيد قوي كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية» (٢/٣٣٥) ورواه الطبري في «التفسير» (١/٤٣٥) والبيهقي في «الدائل» (١/١٤٥،١٤٦) والحاكم في المستدرك (٢/٦٠٠).

أمه، ونحن أضن شيء به مما رأينا فيه من البركة، فلما رأته أمه، قلنا لها: دعينا نرجع ببنينا هذه السنة، فإنا نخشى عليه أوباء مكة، فوالله ما زلنا بها حتى قالت: فنعم، فسرحته معنا.

حادثة شق الصدر:

فأقمنا به شهرين أو ثلاثة، فبينا نحن خلف بيوتنا، وهو مع أخ له من الرضاعة في بُهم، جاءنا أخوه يشتد، فقال: ذاك أخي القرشي قد جاءني رجلان عليهما ثياب بياض، فأضجعاني فشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه، فنجده قائماً، منتقعاً لونه، فاعتنقه أبوه، وقال: أي بني، ما شأنك؟ قال: جائني رجلان عليهما ثياب بياض، فأضجعاني فشقا بطني، ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه، ثم رداه كما كان، فرجعنا به معنا، فقال أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب، انطلقي بنا، فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما يتخوف.

حليمة ترد محمداً ﷺ إلى أمه:

قالت: فاحتملناه، فلم ترع أمه إلا به قد قدمنا به عليها، فقالت: ما ردكما به، قد كنتما عليه حريصين ؟! فقلنا: لا والله ياظئر[١]، إلا أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذي علينا، وقلنا: نخشى الإتلاف والأحداث، نرده إلى أهله، فقالت: ما ذلك بكما، فاصدقاني شأنكما، فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره، فقالت: أخشيتما عليه الشيطان، كلا والله ما للشيطان عليه سبيل، وإنه لكائن لابني هذا شأن، ألا أخبركما بخبره؟ قلنا: بلى، قالت: حملت به، فما حملت حملاً قط أخف منه، فأريت في النوم حين حملت به كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام، ثم وقع حين ولدته وقوعاً ما يقعه المولود، معتمداً على يديه، رافعاً رأسه إلى السماء، فدعياه عنكما[٢].

---

(١) ياظئر: المرأة التي ترضع ولد غيرها.

(٢) إسناده ضعيف مسلسل بالعلل. ورواه أبو يعلى في مسنده (١٣/٩٣-٩٧، ٧١٦٣)
=

الرسول ﷺ يُسأل عن نفسه ويجيب:

حدثنا أحمد، نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك، فقال: **دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينا أنا مع أخ في بهم لنا، أتاني رجلان عليهما ثياب بياض، معهما طست من ذهب مملوءة ثلجاً، فأضجعاني، فشقا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقاه، فأخرجا منه علقة سوداء، فألقياها، ثم غسلا قلبي وبطني بذاك الثلج، حتى إذا أنقياه، رداه كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه، زنه بعشرة من أمته، فوزنني بعشرة، فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزنني بألف، فوزنتهم، فقال: دعه عنك، فلو وزنته بأمته لوزنهم.**

حدثنا أحمد قال: نا يونس بن بكير عن أبي سنان الشيباني، عن حبيب بن أبي ثابت، عن يحيى بن جعدة، قال: قال رسول الله ﷺ: **إن ملكين جاءاني في صورة كركيين، معهما ثلج وماء بارد، فشرح أحدهما صدري، ومج الآخر منقاره، فغسله** [1].

حديث تبع الحميري

سبب قتاله أهل المدينة:

حدثنا أحمد بن عبد الجبار، نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: ثم إن تبعاً أقبل من مسيره الذي كان سار يجول الأرض فيه، حتى نزل على المدينة، فنزل بوادي قباء، فحفر فيها بئراً، فهي اليوم تدعى بئر الملك، وبالمدينة إذ ذاك

=

وأبو نعيم في «الدلائل» (٩٤)، والبيهقي أيضاً (١٣٦/١، ١٣٢) عن ابن إسحاق، وانظر: المطالب العالية للحافظ (١٦٧/٤، ١٧١).

(١) إسناده جيد قوي رواه الطبري في «التفسير» (٤٣٥/١) والحاكم (٦٠٠/٢) والبيهقي في «الدلائل» (١٤٦/١، ١٤٥) عن محمد ابن إسحاق.

يهود والأوس والخزرج، فنصبوا له فقاتلوه، فجعلوا يقاتلونه بالنهار، فإذا أمسى أرسلوا إليه بالضيافة وإلى أصحابه، فلما فعلوا ذلك به ليالي استحيا، فأرسل إليهم يريد صلحهم، فخرج إليه رجل من الأوس يقال له: أحيحة بن الجلاح بن حريش بن جحجبا بن كلدة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وخرج إليه من يهود بنيامن القرظي، فقال له أحيحة: أيها الملك نحن قومك، وقال بنيامن: أيها الملك هذه بلدة لا تقدر أن تدخلها لو جهدت بجميع جهدك: فقال: ولم؟ قال لأنها مترل نبي من الأنبياء، يبعثه الله عز وجل من قريش، وجاء تبعاً مخبر خبره عن اليمن أنه بعث الله عليها ناراً تحرق كل ما مرت به، فخرج سريعاً، وخرج معه بنفر من يهود فيهم بنيامن وغيره، وهو يقول:

إني نذرت يمينا غير ذي خلف ... ألا أجوز وبالحجاز مخلد

حتى أتاني من قريظة عالم ... حبر لعمرك في اليهود مسود

ألقى إلى صيحة كي أزدجر ... عن قرية محجورة بمحمد[1]

كسوته البيت وطوافه به وتعظيمه:

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم خرج يسير حتى إذا كان بالدف من جمدان، من مكة على ليلتين أتاه ناس من هذيل بن مدركة، وتلك منازلهم، فقالوا: أيها الملك ألا ندلك على بيت مملوء ذهباً وياقوتاً وزبرجداً تصيبه وتعطينا منه؟ فقال: بلى، فقالوا: هو بيت بمكة، فراح تبع وهو مجمع لهدم البيت، فبعث الله عز وجل عليه ريحاً فقفعت يديه ورجليه، وشجت جسده فأرسل إلى من كان معه من يهود، فقال: ويحكم ما هذا الذي أصابني؟ فقالوا: أحدثت شيئاً؟ فقال: وما أحدثت؟ فقالوا أحدثت نفسك بشيء؟ قال: نعم جاءني نفر من أهل هذا المترل الذي رحنا منه، فدلوني على بيت مملوء ذهباً

---

(١) رواه الطبري في «التاريخ» (٢/١٠٥،١٠٧) وأورده ابن كثير في «البداية» (٢/٢٠٠،٢٠١) عن ابن إسحاق بدون ذكر الأشعار.

وياقوتاً وزبرجداً، ودعوني إلى تخريبه وإصابة ما فيه، على أن أعطيهم منه شيئاً، فرأيت لهم بذلك، فرحت، وأنا مجمع لهدمه، فقال النفر الذين كانوا معه من يهود: ذلك بيت الله الحرام، ومن أراده هلك، فقال، ويحكم فما المخرج مما دخلت فيه؟ قالوا: تحدث نفسك أن تطوف به كما يصنع به أهله وتكسوه وتهدي له، فحدث نفسه بذلك، فأطلقه الله عز وجل وقال في شعره:

بـــالدف من جمدان فوز مصعد ... حـــق أتاني من هذيل أعبد

ذكـــروا إلي البيت، قالوا كنزه ... در ويـــاقوت وفيه زبرجد

فـــأردت أمـــراً حال ربي دونه ... والـــرب يدفع عن خراب

ثم سار حتى دخل مكة، فطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، فأرى في المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف[١]، وكان أول من كساه، ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافري، ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك، فكساه الوصائل، وصائل اليمن، وأقام بمكة ستة أيام، فيما ذكر لي -ينحر بها للناس، ويطعم من كان بها من أهلها ويسقيهم العسل، قال: فكان تبع فيما ذكر لي أول من كساه وأوصى به ولاته من جرهم، وأمرهم بتطهيره، ولا يقربوه ميتة، ولا دماً ولا مئلانا -وهو المحائض- وجعل له باباً ومفتاحاً[٢]، وقال تبع في الشعر:

ونحـــرنا بالشـــعب ستة ألف ... ترى الناس نحوهـــن ورودا

وكســـونا البيت الذي حرم ... مـــلاء معضداً وبـــــرودا

وأقمـــنا بهـــا من الشهر ستا ... وجعلنا لبابـــــه إقليـــــدا

وأمـــرنا بـــه الجرهميين خيراً ... وكانوا لحافتيه شهـــــودا

---

(١) الخصف: حصر تنسج من خوص النخل، وقيل: ثياب غلاظ.

(٢) رواه الطبري في «التاريخ» (٢/١٠٧) وأورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٢٠١،٢٠٣) عن ابن إسحاق.

وأمــرنا ألا يقــربن مــئلانا ... ولا ميــتاً ولا دماً مفصودا

ثم ســرنا نــؤم قصد سهيل ... قــد رفعــنا لواءنا معقودا

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: فلما أراد الشخوص إلى اليمن، أراد أن يخرج حجر الركن، فيخرج به معه، فاجتمعت قريش إلى خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي، فقالوا: ما دخل علينا يا خويلد إن ذهب هذا بحجرنا، قال: وما ذاك؟ قالوا: تبع يريد أن يأخذ حجرنا يحمله إلى أرضه، فقال خويلد: الموت أحسن من ذلك، ثم أخذ السيف، وخرج وخرجت معه قريش بسيوفهم حتى أتوا تبعاً: فقالوا: ماذا تريد يا تبع إلى الركن؟ فقال: أردت أن أخرج به إلى قومي، فقالت قريش: الموت أقرب من ذلك، ثم خرجوا حتى أتوا الركن، فقاموا عنده، فحالوا بينه وبين ما أراد من ذاك، فقال خويلد في ذلك شعراً:

دعــيني أم عمــرو لا تلومي ... ومهــلاً عــاذلي لا تعذليني

دعيني لا أخذت الخسف منهم ... وبيــت الله حــتى يقتلوني

فما عذري وهذا السيف عندي ... وعضــب نــال قائمه يميني

ولكــن لم أجــد عــنها محيداً ... وإني راهــق مــا أرهقــوني

أصل اليهودية باليمن:

حدثنا أحمد قال، حدثنا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم خرج متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده، حتى إذا قدمها، وكان لأهل اليمن مدينتان يقال لإحداهما مأرب، والأخرى ظفار، وكان مترل الملك في مأرب مبنيا بصفائح الذهب، وكان مترله في ظفار مبنيا بالرخام، وكان إذا شتى، شتى في مأرب، وإذا صاف، صاف في ظفار، وكانت مأرب بها ينشأ أبناء الملوك ويتعلمون الكلام، وكان ابن الحميري إذا بلغ قال: أرسلوا به إلى مأرب يتعلم المنطق، وكان في ظفار اصطوان من البلد الحرام مكتوب في أعلاها بكتاب من الكتاب الأول: لمن الملك، ظفار، لحمير الأخيار، لمن الملك ظفار، لفارس الأخيار، لمن

الملك ظفار، لقريش التجار، فلما قدمها تبع، نشرت يهود التوراة، وجعلوا يدعون الله عز وجل على النار حتى أطفأها الله عز وجل [(١)].

هدم البيت المسمى رئام:

وكان لأهل اليمن شيطان يعبدونه، قد بنوا له بيتاً من ذهب، وجعلوا بين يديه حياضاً، فكانوا يذبحون له فيها، فيخرج، فيصيب من ذلك الدم، ويكلمهم، ويسألونه، فكانوا يعبدونه، فلما أطفأت يهود النار قالوا لتبع: إن ديننا هذا الذي نحن عليه خير من دينك، فلو أنك تابعتنا على ديننا، فقد رأيت أن إلهك هذا لم يغن عنك شيئاً، ولاعن قومك عند الذي نزل بكم، فقال تبع: فكيف نصنع به ونحن نرى منه ما ترون من الأعاجيب؟ قالوا: أفرأيت إن أخرجناه عنك تتبعنا على ديننا؟ قال: نعم، فجاءوا إلى باب ذلك البيت، فجلسوا عليه بتوراقم ثم جعلوا يذكرون أسماء الله عز وجل، فلما سمع ذلك الشيطان، لم يثبت وخرج جهاراً حتى وقع في البحر، وهم ينظرون، وأمر تبع ببيته الذي كان فيه، فهدم، وقمود بعض ملوك حمير، ويزعم بعض الناس أن تبعاً قد كان قمود.

حدثنا أحمد قال، نا يونس عن زكريا بن يحيى المدني قال: حدثنا عكرمة قال: سمعت ابن عباس يقول: لا يشبهن عليكم أمر تبع، فإنه كان مسلماً[(٢)].

مقتل تبع[(٣)]

حدثنا أحمد بن عبد الجبار: نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: لما فعل تبع ما فعل، غضبت ملوك حمير، وقالوا: ما كان يرضى أن يطيل غزونا، ويبعدنا في المسير من أهلينا حتى طعن أيضاً في ديننا وعاب آباءنا، فاجتمعوا على

---

(١) تقدم في سابقه.
(٢) انظر: البداية والنهاية (٢/٢٠٣).
(٣) انظر: تاريخ الطبري (٢/١٨) والسيرة لابن هشام (١/٨٥).

أن يقتلوه، ويستخلفوا أخاه من بعده، فاجتمع رأي الملوك على ذلك كلهم إلا ذا غمدان فإنه أبى أن يمالئهم على ذلك، فثاروا به، فأخذوه ليقتلوه فقال لهم: أتراكم قاتلي؟ قالوا: نعم، قال: أما أنا فإذا قتلتموني فادفنوني قائماً، فإنه لن يزال لكم ملك قائم ما دمت قائماً، فلما قتلوه، قالوا: والله لا يملكنا حياً وميتاً فنكسوه على رأسه، فقال في ذلك ذو غمدان، في الذي كان من أمره:

ذو رعين يرثي تبعاً:

إن تــك حمير غدرت وخانت ... فمعــذرة الإله لذي رعين

ألا مــن يشــتري سهراً بنوم ... ســعيد من يبيت قرير عين

عمرو يرثي أخاه تبعاً:

وقال في ذلك عبد كلال بعد قتل أخيه واستخلافهم إياه حين قتل وجوه حمير:

شفيت النفس ممن كان أمسى ... قريــر العــين قد قتلوا كريمي

فــلما أن فعلت أصاب قلبي ... بمــا قــد جئت من قتل رغيم

أشــاروا لي بقــتل أخ كريم ... ولــيس لذي الضرائب باللئيم

فعــدت كأن قلبي في جناح ... بعــيش لــيس يــرجع في نعيم

وعــاد القلب كالمجنون ينمى ... إلى الغايــات لــيس بذي حميم

فــلما أن قتلــت بــه كراماً ... وصــاروا كلهــم كالمستليم

رجعت إلي الذي قد كان مني ... كــأن القلب ليس بذي كلوم

جــزى رب الــبرية ذا رعين ... جزاء الخلد من داع كــريم

فــإني سوف أحفظــه وربي ... وأعطيه الطريف مع القــديم

وقال عبد كلاب أيضاً يرثي أخاه:

أطعــت القوم إذ غشوا جميعاً ... وقــد اتهمت في غش النصيح

ولــو طاوعت في رأيي رعينا ... لقلــت له وقــولي ذو ندوح

فــلم أرفــع بقوله لي كلاماً ... وعــدت كــأنني عبد أسيح

فلما أن قبلت القول منه على الأرواح من حق الفضوح
فمن أمسى يطاوعني فإني سأجهد في المقال به أبوح
فلما أن لقيتهم أقامت لذاك النفس في هم مريح

هلاك عمرو وتفرق تبع:

ثم استخلفوا أخاً له، يقال له عبد كلال، فزعموا أنه كان لا يأتيه النوم بالليل، فأرسل إلى من كان ثم من يهود، فقال، ويحكم، ما ترون شأني؟ فقالوا: إنك غير نائم حتى تقتل جميع من مالأك على قتل أخيك، فتتبعهم، فقتل رؤوس حمير ووجوههم[١].

ابتداء ملك الحبشة:

ثم خرج ابن لتبع يقال له دوس[٢]: حتى أتى قيصر، فهو مثل في اليمن يضرب بعد: «لاكدوس ولا كعلق رحله» فلما انتهى إلى قيصر، دخل عليه، فقال له: إني ابن ملك العرب، وإن قومي عدوا على أخي فقتلوه، فجئت لتبعث معي من يملك لك بلادي، وذلك لأن ملكهم الذي ملكهم بعد أبي قد قتل أشرافهم ورؤوسهم، فدعا قيصر بطارقته فقال: ما ترون في شأن هذا؟ قالوا: لا نرى أن تبعث معه أحداً إلى بلاد العرب، وذلك لأنا لا نأمن هذا عليهم ليكون إنما جاء ليهلكم، فقال قيصر فكيف أصنع به وقد جاءني مستغيثاً؟ قالوا: اكتب له إلي النجاشي ملك الحبشة، وملك الحبشة يدين لملك الروم.

النجاشي ينصر دوساً:

فكتب له إليه، وأمره أن يبعث معه رجالاً إلى بلاده، فخرج دوس بكتاب قيصر حتى أتى به النجاشي، فلما قرأه نخر وسجد له، وبعث معه ستين ألفاً واستعمل عليهم روزبة [٣]، فخرج في البحر، حتى أرسي إلى ساحل اليمن[٤].

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (١٨/٢) وابن هشام (٨٥/١).
(٢) وهو ليس ابن تبع.
(٣) اسمه: أرياط.
(٤) انظر: تاريخ الطبري (١١٧/٢،١١٨).

فخرج عليهم هو وقومه، فخرجت عليهم حمير، وحمير يومئذ فرسان أهل اليمن -فقاتل أهل اليمن قتالاً شديداً على الخيل، فجعلوا يكردسونهم كراديس، ثم يحملون عليهم، فكلما مضى منهم كردوس تبعه آخر، فلما رأى ذلك روزبة قال لدوس: ما جئت بي ههنا إلا لتجزرني قومك، فأبدأن بك فلأقتلنك قبل أن أقتل، قال: لا تفعل أيها الملك، ولكن أشير عليك فتقبل مني، قال: نعم فأشر علي، قال له دوس: أيها الملك، إن حمير قوم لا يقاتلون إلا على الخيل فلو أنك أمرت أصحابك، فألقوا بين أيديهم ترسهم ودرقهم، ففعلوا ذلك، فجعلت حمير تحمل عليهم فتزلق الخيل على الترسة والدرق، فتطرح فرسانها فيقتل الآخرون، فلم يزالوا كذلك حتى دقوا، وكثرهم الآخرون وإنهم ساروا حتى دخلوا صنعاء، فملكوها وملكوا اليمن، وكان في أصحاب روزبة رجل يقال له أبرهة بن الأشرم، وهو أبو يكسوم، فلما ملكوا اليمن، قال أبرهة لروزبة: أنا أولى بهذا الأمر منك، فقال الآخر: وكيف، والملك بعثني؟ قال: وإن كان الملك بعثك، فأنا أولى بهذا الأمر منك، ففاته الآخر، واتبع أبرهة ناس من قومه، فخرجوا للقتال، فلما تواقفوا ليقتتلوا، قال أبرهة لروزبة: ما لك ولأن نفني الحبشة، فيذهب ملكنا من هذه البلاد، اخرج، فأينا قتل صاحبه كان الملك، فقال الآخر: نعم، وكان روزبة رجلاً جسيما، وكان أبرهة رجلاً حادراً قصيراً، فقال أبرهة لغلام له: إذا خرجت إليه لأبارزه، فائته من خلفه فاقتله، فإن أصحابه لن يزيدوا على أن يفروا، ولك عندي ما سألتني من ملكي، فلما خرجا سل روزبة على أبرهة سيفه، فضربه ضربة وسط رأسه بالسيف، وضربه غلام أبرهة من خلفه فقطعه باثنتين، فاحتمله أصحابه، واحتمل هذا أصحابه، ثم إنهم اصطلحوا على أبرهة، ولم يكن فيهم بعد صاحبهم مثله، وبلغ ذلك النجاشي، فكتب إليه يتهدده، فحلق أبرهة رأسه، وأخذ تراباً من تراب أرضه، فبعث به إليه وقال: أيها الملك، هذا رأسي وتراب أرضي، فهو تحت قدميك، وإنما كنت أنا وروزبة عبديك، فرأيت أني أقوى على أمر الملك منه، فلذلك فعلت ما فعلت فكتب إليه

النجاشي بالرضى، وأقره على ملكه.

ثم إن أبـــرهة بن الأشرم، وهو أبو يكسوم، بنى كعبة باليمن وجعل عليها قباباً من ذهب، وأمر أهل مملكته بالحج إليها، يضاهي بذلك البيت الحرام [١].

حادث الفيل

إحداث الكناني في الكنيسة وانتقام أبرهة:

حدثنا أحمد بن عبد الجبار، قال نا يونس عن ابن إسحاق قال: وإن رجلاً مـــن بـــني ملكان بن كنانة، وهو من الحمس[٢]، خرج حتى قدم أرض اليمن، فدخـــلها، فـــنظر إليها، ثم قعد فخري فيها، فدخلها أبرهة، فوجد تلك العذرة فـــيها، فقـــال: من اجترأ عليّ بهذا؟ فقال له أصحابه: هذا رجل من أهل ذلك البيت الذي يحجه العرب، قال: فعلي اجترأ بهذا، ونصرانيتي لأهدمن ذلك البيت ولأخربـــنه حتى لا يحجه حاج أبداً، فدعا بالفيل، وأذن في قومه بالخروج، ومن اتـــبعه مـــن أهـــل اليمن، وكان أكثر من تبعه من عك والأشعريون، وخثعم، فخرجوا وهم يرتجزون:

إن البـــلد لبـــلد مأكـــول   يأكلـــه عك والأشعريون والفيل

ما حدث بين نفيل وأبرهة:

فخرج يسير، حتى إذا كان ببعض طرقه، بعث رجلاً من بني سليم، ليدعو الـــناس إلى حـــج بيته الذي بناه، فتلقاه أيضاً رجل من الحمس، من بني كنانة، فقتله، فازداد بذلك -لما بلغه- حنقاً وحردا، وأحث السير والانطلاق، حتى إذا أشرف على وادي وج من الطائف، خرجت إليه ثقيف فقالوا: أيها الملك، إنما نحن عبيدك، وليس ربتنا هذه بالتي تريد -يعنون اللات صنمهم- وليست بالتي تحج إليها العرب، وإنما ذلك بيت قريش، الذي تجيء إليه العرب، قال: فابغوني دليلا يدلني عليه، فبعثوا معه رجلاً من هذيل، يقال له نفيل، فخرج بهم يهديهم،

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/١١٩).

(٢) يعني المتشددون في العبادة.

حتى إذا كانوا بالمغمس[1]، نزلوا المغمس من مكة على ستة أميال، فبعثوا مقدماهم إلى مكة، فخرجت مكة عباديد في رءوس الجبال، وقالوا: لا طاقة لنا بقتال هؤلاء القوم، فلم يبق بمكة أحد إلا عبد المطلب بن هاشم، أقام على سقايته، وغير شيبة بن عثمان بن عبد الدار، أقام على حجابة البيت، فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتي الباب، ثم يقول:

اللهم إن المرء يمـ ـنع حله فامنع حلالك

لا يغلبوا بصليبهم ومحالهم غدراً محالك

إن يدخلوا البلد الحرام غداً فأمر ما بدا لك

يقول: أي شيد ما بدا لك، لم تكن تفعله بنا، ثم إن مقدمات أبرهة أصابت نعماً لقريش، فأصابت فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، فلما بلغه ذلك خرج حتى انتهى إلى القوم.

رسول أبرهة إلى مكة:

وكان حاجب أبرهة رجلاً من الأشعريين، وكانت له بعبد المطلب معرفة قبل ذلك، فلما انتهى إليه عبد المطلب، قال له الأشعري: ما حاجتك؟ فقال: حاجتي أن تستأذن لي على الملك، فدخل عليه حاجبه.

فقال له: أيها الملك، جاءك سيد قريش الذي يطعم أنيسها في السهل ووحوشها في الجبل، فقال: ائذن له، وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً جميلاً، فأذن له، فدخل عليه، فلما أن رآه أبو يكسوم، أعظمه أن يجلسه تحته، وكره أن يجلسه معه على سريره، فترل من سريره، فجلس على الأرض، وأجلس عبد المطلب معه، ثم قال: ما حاجتك؟ فقال: حاجتي مائتا بعير، أصابتها مقدمتك، لي، فقال أبو يكسوم: والله لقد رأيتك فأعجبتني، ثم تكلمت فزهدت فيك، فقال له: ولم أيها الملك؟ قال: لأني جئت إلي بيت هو منعتكم من العرب، وفضلكم في الناس،

---

(١) المغمس: هو النبات الأخضر الذي ينبت في فصل الخريف تحت اليابس، وهو أيضاً المكان المستور بالهضاب، انظر الروض الأنف (٦٨/١).

وشرفكم عليهم، ودينكم الذي تعبدون، فجئته لأكسره، وأصيبت لك مائتا بعير، فسألتك عن حاجتك، فكلمتني في إبلك، ولم تطلب إلى في بيتكم! فقال له عبد المطلب: أيها الملك، إنما أكلمك في مالي، ولهذا البيت رب هو يمنعه، لست أنا منه في شيء، فراع ذلك أبا يكسوم، وأمر برد إبل عبد المطلب عليه، ورجع عبد المطلب.

أبرهة يهاجم الكعبة وعقاب الله له ولفيله وجنوده[١]:

وأمسوا في ليلتهم تلك، فأمست ليلة كالحة، نجومها كأنما تكلمهم كلاما، لاقترابها منهم، وأحست أنفسهم بالعذاب، وخرج دليلهم حتى دخل الحرم، وتركهم، وقام الأشعريون وخثعم، فكسروا رماحهم، وسيوفهم، وبرئوا إلى الله تعالى أن يعينوا على هدم البيت، فباتوا كذلك بأخبث ليلة، ثم أدلجوا بسحر، فبعثوا فيلهم يريدون أن يصبحوا مكة، فوجهوه إلى مكة، فربض، فضربوه فتمرغ، فلم يزالوا كذلك حتى كادوا يصبحون، ثم إنهم أقبلوا على الفيل، فقالوا: لك الله ألا نوجهك إلى مكة، فجعلوا يقسمون له، ويحرك أذنيه، يأخذ عليهم، حتى إذا أكثروا من القسم، انبعث، فوجهوه إلى اليمن راجعاً، فتوجه يهرول، فعطفوه حين رأوه منطلقاً، حتى إذا ردوه إلى مكانه الأول، ربض وتمرغ، فلما رأوا ذلك، أقسموا له، وجعل يحرك أذنيه يأخذ عليهم، حتى إذا أكثروا، انبعث، فوجهوه إلى اليمن، فتوجه يهرول، فلما رأوا ذلك ردوه، فرجع معهم حتى إذا كان في مكانه الأول، ربض فضربوه، فتمرغ، فلم يزالوا كذلك، فعالجوه، حتى كان مع طلوع الشمس، طلعت عليهم الطير معها، وطلعت عليهم طير من البحر أمثال اليحاميم سود[٢] فجعلت ترميهم وكل طائر في منقاره حجر، وفي رجليه حجران، فإذا رمت بتلك مضت، وطلعت أخرى، فلا تقع حجرة من حجارتهم تلك على بطن إلا خرقته، ولا عظم إلا أوهاه ونقبه.

---

(١) انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي (١/١٢٥) وتاريخ الطبري (٢/١٤٧، ١٤٨) والبداية والنهاية (٢/٢١٩، ٢٢٠) والتفسير لابن كثير (٤/٥٥٢).

(٢) ومن وصف هذا الطير أيضاً أنه مثل الخطاطيف والبلسان وهما نوعان من الطيور.

وثار أبو يكسوم راجعاً، قد أصابته بعض الحجارة، فجعل كلما قدم أرضاً انقطع منه فيها أرب (عضو)، حتى إذا انتهى إلى اليمن، ولم يبق منه شيء إلا أباده، فلما قدمها انصدع صدره، وانشق بطنه، فهلك، ولم يصب من الأشعريين وخثعم أحد.

ولما فزعوا إلى دليلهم ذلك، يسألون عنه، فجعلوا يقولون، يا نفيل، يا نفيل، وقد دخل نفيل الحرم، ففي ذلك يقول نفيل:

ألا ردي جمالك يا ردينا نعمناكم مع الإصباح عينا

فإنك لو رأيت، ولن تريه إلي جنب المحصب ما رأينا

إذا لخشيته وفزعت منه ولم تأسي على ما فات عينا

خشيت الله لما رأيت طيراً وقذف حجارة ترمي علينا

وكلهم يسائل عن نفيل كأن على للحبشان دينا

وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم:

أنت حبست الفيل بالمغمس أهلكت أبا يكسوم والمغلس

كردستهم وأنت غير مكردس تدعسهم وأنت غير مدعس

وقال عبد المطلب، وهو يرتجز ويدعو على الحبشة:

يا رب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنعه منهم حماكا

إن عدو البيت من عاداكا إنهم لن يقهروا قواكا

وقال عبد المطلب حين انصرفوا:

منعت الأرض التي حميت من اللئام فلم تخلق لهم دارا

منعت مكة منهم إنني رجل ذو أسرة لم نكن في الحب غدارا

إذ قلت يا صاحب الحبشان إن من دون أن يهدم المعمور أخطارا

فسار في جيشه بالفيل مقتدرا وسرت مستبسلا للموت صبارا

في فتية من قريش ليس ميتهم بمورث حيهم شينا ولا عارا

حدثنا أحمد، نا يونس بن بكير، عن عبد الله بن عون، عن محمد بن سيرين، عن عبد الله بن عباس في قوله ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ ﴾[1] قال: طير لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب[2].

حدثنا أحمد قال: نا أبي، ويونس جميعًا، عن قيس بن الربيع، عن جابر بن عبد الرحمن بن أسباط، عن عبيد بن عُمير: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾[3] قال: طيراً أقبلت من قِبَل البحر كأنها رجال الهند: ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾[4]. أصغرها مثل رءوس الرجال، وأعظمها مثل الإبل الهزل، وما رمت أصابت، وما أصابت قتلت، وزاد فيه أبي: الأبابيل المتتابعة، ما أرادت أصابت، ما أصابت قتلت.

حدثنا أحمد قال، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم، عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لقد رأيت قائد الفيل، وسائسه أعميين مقعدين، يستطعمان بمكة.

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس قال: حدثت أنه أول ما رؤي في أرض العرب: الحصبة، والجدري، ومرائر الشجر من العشر[5] والحرمل وأشباه ذلك، عام الفيل.

وفاة السيدة آمنة بنت وهب:

حدثنا أحمد، نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: قدمت آمنة بنت وهب، أم رسول الله ﷺ، برسول الله

(١) سورة الفيل: آية (٣).
(٢) قال ابن هشام: الأبابيل: الجماعات (السيرة:١/١٠٤)
(٣) سورة الفيل: آية (٣).
(٤) سورة الفيل: آية (٤).
(٥) نوع من النبات العشبي الشجري شديد المرارة.

ﷺ على أخواله من بني عدي بن النجار بالمدينة، ثم رجعت به، حتى إذا كانت بالأبواء هلكت بها، ورسول الله ﷺ ابن ست سنين[(١)].

كفالة عبد المطلب محمداً ﷺ:

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب، فحدثني العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله قال: كان يوضع لعبد المطلب جد رسول الله ﷺ فراش في ظل الكعبة، فكان لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، وكان رسول الله ﷺ يأتي حتى يجلس عليه، فيذهب أعمامه يؤخرونه، فيقول جده عبد المطلب: دعوا ابني، فيمسح على ظهره، ويقول: إن لبني هذا شأنا، فتوفى عبد المطلب، ورسول الله ﷺ ابن ثماني سنين، بعد الفيل بثماني سنين[(٢)].

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: نا عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال: ذهب رجل بصنعاء يحفر خربة من خربها لبعض ما ينتفع به الناس، فكشف عن عبد الله بن الثامر، قاعداً يده على شجة برأسه موضوعة، إذا أخروا يده عنها، نبعت دماً، وإذا أرسلوها ردها فوضعها عليها، في يده خاتم، نقشه (ربي الله)، فكتب في ذلك إلى عمر بن الخطاب، فكتب أن: ارددوا عليه ما كان عليه، وأقروه-.

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكان على دين عيسى عليه السلام.

حدثنا أحمد، نا يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار قال: نا أبو العالية قال: لما فتحنا تستر، وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت،

---

(١) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٢/٣٤٠) عن ابن إسحاق وانظر: طبقات ابن سعد (١/٩٣) ودلائل النبوة للبيهقي (١/١٨٨).

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٢١،٢٢) وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٣٤٣) وطبقات ابن سعد (١/٩٤،٩٥).

عند رأسه مصحف له، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر بن الخطاب، فدعا له كعباً[١]، فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل من العرب قرأه، قرأته مثلما أقرأ القرآن هذا، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ فقال: سيرتكم وأموركم، ولحون كلامكم، وما هو كائن بعد، قلت: فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان الليل دفناه، وسوينا القبور كلها، لنعميه على الناس، لا ينبشونه، قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عليهم، برزوا بسريره فيمطرون، قلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له دانيال، فقلت منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة، قلت: ما كان تغير بشيء؟ قال: لا، إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض، ولا تأكلها السباع.

وفاة عبد المطلب ورثائه:

حدثنا أحمد، نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: لما حضرت عبد المطلب الوفاة، قال لبناته: ابكين حتى أسمع كيف تقلن، وكن ست نسوة وهن: أميمة، وأم حكيم، وبرة، وعاتكة، وصفية، وأروى فقالت أميمة:

ألا هلك راعي العشير ذو العقد ... وساقي الحجيج المحامي عن الحمد

ومن يؤلف الجار الغريب لبيته ... إذا ما سماء البيت تبخل بالرعد

وقالت عاتكة:

أعيني جودا ولا تبخلا ... بدمعكما بعد نوم النيام

أعيني واسحو فزا واسكبا ... وشوبا بكاء كما بالتدام[٢]

على الجحفل الغمر في النائبا ... ت كريم المساعي وفي الذمام

---

(١) هو كعب الأحبار ﷺ، كان يهودياً فأسلم.

(٢) عند ابن هشام: (١/٢٢٠) واستخرطا -بدل- واسحوفزا، والتدام: ضرب الصدر باليدين عند الحزن.

(٣) الجحفل: الكثير العطاء والغمر كذلك.

على شيبة الحمد واري الزناد ... وذي مصـــدق بعد ثبت المقام

وقالت صفية:

أرقــت لصــوت نائحة بليل ... عــلى رجل بقارعة الصعيد[١]

ففاضت عند ذالكم دموعي ... على خدي كمنحدر الفريد[٢]

على الفياض شيبة ذي المعالي ... أبيك الخير وارث كل جود[٣]

طويـــل الباع أروع شيظمي ... مطـــاع في عشـــيرته حميد[٤]

عظـــيم الحلم من نفر كرام ... خضارمة ملاوثة أســـــود[٥]

وقالت البيضاء أم حكيم، والبيضاء جدة عثمان بن عفان أم أمه وكانت البيضاء عند كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فولدت له عامراً وأروى:

ألا يــا عين جودي واستهلي ... وبكي ذا الندى والمكرمات[٦]

ألا يــا عــين ويحك أسعفيني ... بدمــع مــن دموع هاطلات

فــبكي خير من ركب المطايا ... أبــاك الخــير تيار الفرات[٧]

طويـــل الباع شيبة ذا المعالي ... كــريم الخــيم محمود الهبات

وصـــولاً للقـــرابة هبرزيــا ... وغياثا في السنين الممحلات[٨]

فبكـــيه ولا تســـمى بحـــزن ... وبكـــي ما بكين الباكيات[٩]

---

(١) الصعيد: وجه الأرض وقارعته: ما ظهر منها ووطئته الأقدام.

(٢) الفريد: الخيط المنظوم باللؤلؤ والجمان.

(٣) الفياض: كثير الخير والجود.

(٤) الأروع: الذي يروعك بجماله، والشيظمي: الطويل من الفتيان.

(٥) الخضارمة: الأجواد والملاوثة: جمع ملواث وهو القوي الشديد.

(٦) استهلي: أظهري البكاء.

(٧) التيار: معظم الماء والفرات: الماء العذب وهو نهر بعين أيضاً.

(٨) الهبرزي: الحاذق في أموره.

(٩) ولا تسمي: أرادت ولا تسمي فنقلت حركة الهمزة وحذفتها.

وقالت برة:

أعـــيني جـــوداً بدمـــع درر عـــلى طيب الخيم والمعتصر[١]

عـــلى ماجد الجد وارى الزنا د جمـــيل المحيا عظيم الخطر[٢]

على شيبة الحمد ذي المكرما ت وذي المجد والعز والمفتخر

وذي الفضل والحلم في النائبا ت كـــثير المكارم جم الفخر

لـــه فضـــل مجـــد على قومه مـــبين يلوح كضوء القمـــر

أتـــته المـــنايا فلم تســـؤه بصرف الليالي وريب القدر[٣]

وقالت أروى:

بكـــت عـــيني وحق لها البكاء عـــلى سمـــح سجيته الحياء[٤]

عـــلى ســـهل الخليقة أبطحي كـــريم الجـــد نيـــته العلاء[٥]

عـــلى الغياض شيبة ذي المعالي أبـــيك الخير ليس له كفاء[٦]

طويـــل الـــباع أملس شيظمي أغـــر كـــأن غرته ضـــياء

ومعقـــل مـــالك وربيع فهـــر وفاصلها إذا التبس القضـــاء

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: ومات عبد المطلب، ورسول الله ﷺ ابن ثماني سنين، فلم يبك أحد كان قبله بكاه.

ولاية زمزم والسقاية بعد عبد المطلب:

وولي زمزم والسقاية من بني عبد المطلب بعده العباس بن عبد المطلب،

---

(١) عيني جودا بدمع درر: أي سائل، والخيم، الخلق الحسن، والمعتصرة: الأصل.

(٢) واري الزناد: أي مسعود فيما يحاوله، والخطر: القدر.

(٣) فلم تسؤه: أي لم تخطه، وانظر: الروض الأنف (١/١٩٦) وطبقات ابن سعد (١/٦٥) وأنساب الأشراف (١/٨٦).

(٤) السجية: الطبيعة.

(٥) أبطحي: سهل، وهو موضع بمكة.

(٦) كفاء: أي مثل.

وهو يومئذ أحدث إخوته سنا، فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وهي بيده، فأقرها رسول الله ﷺ على ما مضى، فهي إلى آل العباس بولاية العباس إياها إلى هذا اليوم[١].

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: ولما هلك عبد المطلب، كانت الرئاسة بعده والشرف والسن في قومه بني عبد مناف لحرب بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فأطعم الناس، وحاط العشيرة، وشرف قومه، ونصب قبة بمكة للضيف، يطعم فيها من جاءه[٢].

عبد المطلب يوصي أبا طالب برعاية محمد ﷺ:

وكان عبد المطلب -فيما يزعمون- يوصي أبا طالب برسول الله ﷺ، وذلك أن عبد الله وأبا طالب لأم، فقال عبد المطلب -فيما يزعمون- فيما يوصيه به، واسم أبي طالب عبد مناف:

أوصيك يا عبد مناف بعدي	بموحد بعد أبيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهد	فكنت كالأم له في الوجد
تدنيه من أحشائها والكبد	حتى إذا خفت مداد الوعد
أوصيت أرجي أهلنا للوفد	بابن الذي غيبته في اللحد
بالكره مني ثم لا بالعمد	فقال لي والقول ذو مرد
ما ابن أخي ما عشت في معد	إلا كأدنى ولدي في الود
عندي أرى ذلك باب الرشد	بل أحمد قد يرتجي للرشد
وكل أمر في الأمور ود	قد علمت علام أهل العهد
إن ابني سيد أهل نجد	يعلو على ذي البدن الأشد

وقال عبد المطلب أيضاً:

أوصيت من كنيته بطالب	عبد مناف وهو ذو تجارب

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٢٦).
(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢/٣٤٤).

بـــابن الـــذي قد غاب غير ... بـــابن أخ والنســـوة الحبائب
بابن الحبيب أقرب الأقارب ... فقـــال لي كشـــبه المعاتـــب
لا توصني إن كنت بالمعاتب ... بثابـــت الحـــق عـــلي واجب
محمد ذو العرف والذوائب ... قلـــبي إلـــيه مقـــبل واثـــب
فلست بالآيس غير الراغب ... بـــأن يحـــق الله قول الراهب
فـــيه وأن يفضل آل غالب ... إني سمعـــت أعجب العجائب
مـــن كل حبر عالم وكاتب ... هـــذا الـــذي يقتاد كالجنائب
من حل بالأبطح والأخاشب ... أيضـــاً ومن ثاب إلى المثاوب

من ساكن للحرم أو مجانب

إلى هنا تم بحمد الله

آخـــر الجزء الأول من كتاب المغازي لابن إسحاق –يتلوه الجزء الثاني إن شاء الله.

والحمـــد لله حـــق حمـــده، وصلواته على محمد خير خلقه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله

قصة بحيرا الراهب:

أخبرنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن النَّقُور البزاز قراءة عليه وأنا أسمع قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال: قرىء على أبي الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال:

حدثنا أبو عمر أحمد بن عبد الجبار العُطاردي قال: حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: وكان أبو طالب هو الذي أضاف أمر رسول الله ﷺ إليه بعد جده، فكان إليه ومعه.

محمد ﷺ يخرج مع عمه إلى الشام:

ثم أن أبا طالب خرج في ركب إلى الشام تاجرًا، فلما تهيأ للرحيل، وأجمع السير صبَّ له رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقال: يا عمِّ إلى من تكلني لا أب لي ولا أم؟ فرق له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدًا؛ أو كما قال.

بحيراً يحتفي بتجار قريش:

فخرج به معه، فلما نزل الركب بُصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان أعلم أهل النصرانية، و لم يزل في تلك الصومعة قط راهب إليه يصير علمهم عن كتاب فيهم فيما يزعمون يتوارثونه كابراً عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيراً مما يمرون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يعرض لهم، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صومعته، فصنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك -فيما يزعمون- عن شيء رآه وهو في صومعته في الركب، حين أقبلوا وغماماً تظله من بين القوم، ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم

طعاما يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم، وحركم وعبدكم، فقال له رجل منهم: يا بحيرا إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا فيما مضى وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم؟ فقال له بحيرا: صدقت قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً تأكلون منه كلكم، صغيركم وكبيركم، فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم -لحداثة سنه- في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، قال يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي هذا، قالوا له: يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام هو أحدث القوم سناً تخلف في رحالهم، قال: فلا تفعلوا أدعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقال رجل من القوم من قريش: واللات والعزى إن هذا للؤم بنا، يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا! ثم قام إليه فاحتضنه، ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم.

بحيرا يتثبت من محمد ﷺ:

فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده في صفته، حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بحيرا فقال له: يا غلام أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال له: لا تسلني باللات والعزى شيئًا فوالله ما أبغضت شيئًا قط بغضهما، فقال له بحيرا: فبالله إلا أخبرتني عما أسلك عنه، قال: سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله: من نومه، وهيئته، وأموره، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده[1].

بحيرا يوصي أبا طالب بمحمد ﷺ:

فلما فرغ منه أقبل على عمه أبي طالب فقال له ما هذا الغلام منك؟ قال:

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٢٢٨).

ابني، قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً، قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حبلى به، قال: صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن فأسرع به إلى بلاده، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام[١].

بعض أهل الكتاب يريدون بمحمد ﷺ الشر:

فزعموا فيما يتحدث الناس أن زبيرا وتماماً، ودريسا، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ -في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب- أشياء، فأرادوه، فردهم عنه بحيرا، وذكرهم الله عز وجل، وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، أنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه، حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا، فقال أبو طالب في ذلك من الشعر، يذكر مسيره برسول الله ﷺ وما أرادوا منه -أولئك النفر[٢] وما قال لهم فيه بحيرا:

إن ابـــن آمـــنة النبي محمـــداً ... عـــندي بمثل منـــازل الأولاد

لمـــا تعلـــق بالـــزمام رحمتـــه ... والعيس قـــد قلصن بالأزواد

فارفض من عيني دمـــع ذارف ... مـــثل الجمان مفرق الأفـــراد

راعيـــت فـــيه قرابة موصولة ... وحفظت فيه وصية الأجـــداد

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/٢٢٨).

(٢) رواه البيهقي في«الدلائل» (٢/٢٦،٢٩) وأورده ابن كثير في«البداية» (٢/ ٣٤٥،٣٤٦) عن ابن إسحاق وقال هكذا ذكره ابن إسحاق هذا السياق من غير إسناد له وقد روى نحوه من طريق مسند مرفوع ا هـ. ورواه الترمذي (٥/٥٩٠)، (٣٦٢) والحاكم (٢/٦١٥) والبيهقي في «الدلائل» (٢/٢٤، ٢٦) وأبو نعيم (١٠٩) من طريق يونس عن بن إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه به، وقال أبو عيسى: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال الحاكم: صحيح، وتعقبه الذهبي بقوله: أظنه موضوعاً وبعضه باطل، وانظر: الخصائص للسيوطي (١/١٤١).

وأمـــرته بالســـير بين عمومة — بيض الوجوه مصالت أنجـــاد
ساروا لأبعد طية معلومــــــة — فلقـــد تـــباعد طـــية المرتاد
حـــتى إذا ما القوم بصـــرى — لاقــــوا على شرك من المرصاد
حـــبراً فأخبرهم حديثا صادقا — عـــنه ورد معاشر الحســـــاد
قوما يهوداً قد رأوا ما قد رأى — ظل الغمام وعز ذي الأكيـــاد
ســـاروا لقتل محـــمد فنهاهم — عـــنه وأجهد أحسن الإجهاد
فـــثني زبـــيراً بحـــير فانثني — في القوم بعد تجادل وبعـــــاد
ونهى دريساً فانتهى عن قـــوله — حـــبر يوافق أمره برشـــــاد

وقال أبو طالب أيضاً:

ألم تـــرني مـــن بعـــد هم هممته — بفـــرقة حـــر الوالديـــن كرام
بـــأحمد لمـــا أن شددت مطيتي — برحـــلي وقـــد ودعته بسلام
بكـــي حزنا والعيس قد فصلت — وأخـــذت بالكفين فضل زمام
ذكـــرت أبـــاه ثم رقرقت عبرة — تجـــود من العينين ذات سجام
فقلـــت: تروح راشداً في عمومة — مواســـين في البأســـاء غير لئام
فرحـــنا مع العير التي راح أهلها — شآمى الهوى والأصل غير شآمي
فلما هبطنا أرض بصرى تشرفوا — لـــنا فوق دور ينظرون جسام
فجـــاد بحـــيرا عند ذلك حاشدا — لـــنا بشـــراب طيـــب وطعام
فقال: اجمعوا أصحابكم لطعامنا — فقلـــنا جمعـــنا القوم غير غلام
يتـــيم فقـــال: ادعوه إن طعامنا — كـــثير، علـــيه اليوم غير حرام
فـــلما رآه مقـــبلاً نحـــو داره — يوقـــيه حر الشمس ظل غمام
حـــنا رأسه شبه السجود وضمه — إلى نحـــره والصـــدر أي ضمام
وأقبل ركب يطلبون الذي رأى — بحـــيراً من الأعلام وسط خيام

فثار إليهم خشية لعرامهم ... وكانوا ذوي دهي معا وعرام
دريساً وتماماً وقد كان فيهم ... زبيراً وكل القوم غير نيام
فجاءوا وقد هموا بقتل محمد ... فردهم عنه بحسن خصام
بتأويله التوراة حتى تفرقوا ... وقال لهم: ما أنتم بطغام
فذلك من أعلامه وبيانه ... وليس نهار واضح كظلام

وقال أبو طالب أيضاً:

بكى طريا لما رآنا محمد ... كأن لا يراني راجعاً لمعاد
فبت يجافيني تهلل دمعة ... وقربته من مضجعي ووسادي
فقلت له: قرب قعودك وارتحل ... ولا تخش مني جفوة ببلادي
وخل زمام العيس وارتحلن بنا ... على عزمة من أمرنا ورشاد
ورح رائحاً في الراشدين مشيعاً ... لذي رحم في القوم غير معاد
فرحنا مع العير التي راح ركبها ... يؤمون على غوري أرض إياد
فما رجعوا حتى رأوا من محمد ... أحاديث تجلو غم كل فؤاد
وحتى رأوا أحبار كل مدينة ... سجوداً له من عصبة وفراد
زبيراً وتماماً وقد كان شاهداً ... دريساً وهموا كلهم بفساد
فقال لهم قولاً بحيرا وأيقنوا ... له بعد تكذيب وطول بعاد
كما قال للرهط الذين تهودوا ... وجاهدهم في الله كل جهاد
فقال ولم يملك له النصح: رده ... فإن له أرصاد كل مضاد
فإني أخاف الحاسدين وإنه ... أخو الكتب مكتوب بكل مداد

محمد ﷺ يشب على مكارم الأخلاق:

حدثنا أحمد قال، نا يونس عن ابن إسحاق قال: فشب رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ومعائبها لما يريد به من كرامته، ورسالته، وهو على دين قومه، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة،

وأحسنهم خلقا، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم خلقاً وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنـــزها وتكرماً حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين، لما جمع الله عز وجل فيه من الأمور الصالحة، وكان رسول الله ﷺ، فيما ذكر لي، يحدث عما كان يحفظه الله عز وجل في صغره وأمر جاهليته(١).

رسول الله ﷺ يحدث عن حفظ الله له:

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: فحدثني والدي إسحاق بن يسار عمن حدثه عن رسول الله ﷺ أنه قال فيما يذكر من حفظ الله عز وجل إياه: إني لمع غلمان هم أسناني قد جعلنا أزرنا على أعناقنا لحجارة ننقلها نلعب بها إذ لكمني لاكم لكمة شديدة ثم قال: اشدد عليك إزارك(٢).

حدثنا أحمد قال، نا يونس عن عمرو بن ثابت عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: حدثني أبي العباس بن عبد المطلب قال: كنا ننقل الحجارة حين بنت قريش البيت، فأفردت قريش رجلين رجلين، وكان النساء ينقلن الشيد، وكان الرجال ينقلون الحجارة، فكنت أنقل أنا وابن أخي، فكنا نحمل على رقابنا وأزرنا تحت الحجارة، فإذا غشينا الناس ائتزرنا، فبينا أنا أمشي ومحمد ﷺ قدامي ليس عليه شيء، إذ خر محمد فانبطح، فألقيت حجري وجئت أسعى وهو ينظر إلى السماء فوقه، فقلت ما شأنك؟ فقام فأخذ إزاره وهاني أمشى عرياناً، فلبثت أكتمها الناس مخافة أن يقولوا مجنون، حتى أظهر الله عز وجل نبوته.

حدثنا أحمد قال، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن عبد الله ابن قيس بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/٣٠،٣١) عن ابن إسحاق.

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٣٠، ٣١) وأورده ابن كثير في البداية (٢/٣٤٨، ٣٤٩).

علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما: قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاية غنم أهلنا، فقلت لصاحبي: أتبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان؟ فقال بلى، قال: فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير، فقلت: ما هذا؟ فقيل: تزوج فلان فلانة، فجلست أنظر، وضرب الله عز وجل على أذني، فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما فعلت شيئاً ثم أخبرته بالذي رأيت، ثم قلت له ليلة أخرى: أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة، ففعل، فدخلت، فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة، فسألت فقيل: فلان نكح فلانة فجلست أنظر، وضرب الله -عز وجل- على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: لا شيء، ثم أخبرته الخبر، فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته.

حديث خديجة ابنة خويلد

خروجه ﷺ إلى التجارة بمال خديجة:

حدثـــنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكانت خديجة ابنة خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه[1] بشيء تجعله لهم منه، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها مـــن صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخـــرج في مالها تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مـــع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله منها رسول الله ﷺ،وخرج في مالها ذلك، ومعـــه غلامها ميسرة، حتى قدم الشام، فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً

---

(١) أي تقارضهم.

مـــن صومعة راهب من الرهبان[١] فاطلع الراهب على ميسرة، فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي.

ميسرة يحدث خديجة عما رأى من النبي:

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة، فكان ميسرة فيما يزعمون، إذا كانت الهاجرة، واشـــتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس، وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به فأضعف، أو قريباً، وحدثها ميسرة عن قـــول الراهـــب، وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله عز وجل بها من كرامته.

خديجة ترغب في الزواج منه:

فلما أخبرها ميسرة عما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ، فقالت له، فيما يـــزعمون -يـــا ابـــن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك مني، وشرفك في قومك، وسطتك[٢] فيهم، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت علـــيه نفســـها، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالا، كل قومها قد كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر على ذلك[٣].

نسب خديجة رضي الله عنها:

وهـــي خديجة ابنة خويلد بن أسد بن العزى بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وأمها فاطمة ابـــنة زيد بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي، وأمها هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عبد بن منقذ بن عمرو بن معيص بن

---

(١) قريباً من صومعة راهب، يقال: إن اسمه: نسطور.
(٢) أي شرفك في قومك.
(٣) انظر: سبل الهدي والرشاد للصالحي (١٦٧/٢ط)، دار الكتب العلمية بيروت.

عامـــر بن لؤي، وأمها فلانة ابنة سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص ابـــن كعـــب بن لؤي، وأمها عاتكة ابنة عبد العزى بن قصي، وأمها ريطة ابنة كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، وأمها قيلة ابنة حذافة بن جمح ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي وأمها أميمة ابنة عامر بن الحارث بن فهر، وأمها ابنة سعد بن كعب بن عمرو، من خزاعة، وأمها فلانة ابنة حرب بن الحارث بن فهر، وأمها سلمى بنت غالب بن فهر، وأمها ابنة محارب بن فهر.

الرسول ﷺ يتزوج من خديجة بعد استشارة أعمامه:

حدثنا أحمد قال، نا يونس عن ابن إسحاق قال: فلما قالت لرسول الله ﷺ ما قالت: ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على أسد بن أسد، فخطبها إليه فتزوجها رسول الله ﷺ .

أولاده ﷺ من خديجة:

فولـــدت له قـــبل أن يترل عليه الوحي ولده كلهم: زينب، وأم كلثوم، ورقـــية، وفاطمة، والقاسم ، والطاهر، والطيب، فأما القاسم والطاهر والطيب فهلكـــوا قـــبل الإسلام وبالقاسم كان يكني ﷺ، فأما بناته فأدركن الإسلام، وهاجرن معه، واتبعنه، وآمن به عليه الصلاة والسلام[1].

قصة الأحبار

حدثنا أحمد، قال: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكانت الأحبار والرهبان أهل الكتابين هم أعلم برسول الله ﷺ قبل مبعثه وزمانه الذي يترقب فيه من العرب، لما يجدون في كتبهم من صفاته، وما أثبت فيها عندهم من اسمه، وبما أخذ عليهم من الميثاق له في عهد أنبيائهم وكتبهم في اتباعه، فيستفتحون به على أهل الأوثان من أهل الشرك، ويخبروهم أن نبياً مبعوثاً بدين إبراهيم اسمه

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة » (٦٩/٢)، وأورده ابن كثير في «البداية» (٣٥٩/٢) عن ابن إسحاق.

أحمد كذلك يجدونه في كتبهم وعهد أنبيائهم، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ ﴾[1] إلى قوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ وقال الله تبارك وتعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[2] الآية كلها، وقال ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾[3] الآية كلها، وقوله: ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[4] إلى قوله: ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[5].

حدثنا أحمد، قال: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكانت العرب أميين لا يدرسون كتاباً، ولا يعرفون من الرسل عهداً، ولا يعرفون جنة ولا ناراً، ولا بعثاً ولا قيامة إلا شيئاً يسمعونه من أهل الكتاب، لا يثبت في صدورهم، ولا يعملون به شيئاً من أعمالهم.

فكان فيما بلغنا من حديث الأحبار والرهبان عن رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله عز وجل بزمان[6].

اليهود يخبرون العرب بقرب زمان رسول الله ﷺ:

حدثنا أحمد قال، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثني أشياخ منا قالوا: لم يكن أحد من العرب أعلم بشأن رسول الله ﷺ منا، وكان معنا يهود، وكانوا أهل كتاب، وكنا أصحاب وثن، فكنا إذا بلغنا منهم ما يكرهون قالوا: إن نبياً مبعوثاً الآن قد أظل زمانه نتبعه، فنقتلكم

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٥٧).

(٢) سورة الصف: آية (٦).

(٣) سورة الفتح: آية (٢٩).

(٤) سورة الفتح: آية (٢٩)

(٥) سورة البقرة: آية (٨٩،٩٠).

(٦) انظر: البداية والنهاية للحافظ ابن الكثير (٢/٢٧٤).

معه قتل عاد وإرم، فلما بعث الله رسوله اتبعناه وكفروا به، ففينا والله وفيهم أنزل الله عز وجل ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم ﴾[١].

حدثنا أحمد قال، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني صالح بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال: حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت قال: والله إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ابن ثماني سنين أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهودياً وهو على أطمة[٢] بيثرب، يصرخ: يا معشر يهود، فلما اجتمعوا إليه قالوا: ويلك مالك؟ قال: طلع نجم أحمد، الذي يبعث به، الليلة.

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني صالح بن إبراهيم عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سلامة بن وقش قال: كان بين أبياتنا يهودي، فخرج على نادي قومي بني عبد الأشهل ذات غداة، فذكر البعث والقيامة، والجنة والنار والحساب والميزان، فقال ذاك لأصحاب وثن لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت، وذلك قبيل مبعث رسول الله ﷺ، فقالوا: ويلك يا فلان، وهذا كائن، إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، يجزون من أعمالهم؟ قال: نعم والذي يحلف به، لوددت أن حظي من تلك النار، أن توقدوا أعظم تنور في داركم فتحمونه، ثم تقذفوني فيه، ثم تطينون عليّ، وإني أنجو من النار غداً، فقيل يا فلان فما علامة ذلك؟ قال: نبي يبعث من ناحية هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا: فمتى نراه؟ فومي بطرفه فرآني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي، فقال -وأنا أحدث القوم- إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله عز وجل رسول الله ﷺ، وإنه لحي بين أظهركم – فآمنا به، وصدقناه، وكفر به بغياً وحسداً، فقلنا له: يا فلان ألست

---

(١) سورة البقرة: آية (٨٩).

(٢) هي المكان المرتفع العالي.

الذي قلت ما قلت وأخبرتنا ؟ قال: ليس به [١].

يهودي يتسبب في إسلام ثلاثة:

حدثنا أحمد قال، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال: هل تدري عما كان إسلام أسيد وثعلبة ابني سعية وأسد بن عبيد، نفر من هذيل، لم يكونوا من بني قريظة ولا النضير، كانوا فوق ذلك؟ فقلت: لا، قال: فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له ابن الهيبان، فأقام عندنا، والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس خيراً منه، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله ﷺ بسنين، فكنا إذا قحطنا وقل علينا المطر نقول: يا ابن الهيبان أخرج فاستسق لنا، فيقول لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة، فنقول: كم؟ فيقول: صاعاً من تمر، أو مدين من شعير فنخرجه، ثم نخرج إلى ظاهر حرتنا، ونحن معه فيستسقي، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب[٢]، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين، ولا ثلاثة فحضرته الوفاة، فاجتمعنا إليه فقال: يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قالوا: أنت أعلم، قال: فإنما أخرجني، أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه، هذه البلاد مهاجرة فأتبعه، فلا تسبقن إليه إذا خرج يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه، ثم مات، فلما كانت الليلة التي فتحت فيها قريظة، قال أولئك الفتية الثلاثة، وكانوا شباباً أحداثاً، يا معشر يهود والله إنه الذي كان ذكر ابن الهيبان، فقالوا: ما هو به، قالوا: بلى والله إنه لصفته، ثم نزلوا فأسلموا، وأحرزوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم[٣].

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٢/٣٥٩) وطبقات ابن سعد (١/١٠٦، ١٠٧)، وسبل الهدى والرشاد (٢/١٦٥).

(٢) هو الموضع الخفي بين جبلين.

(٣) إسناده ضعيف: رواه الطبراني (٧/١٠٩، ١١١)، (٦٤٧٥) والبيهقي في الدلائل (٢/ =

نا أحمد: قال: نا يونس عن ابن إسحاق قال: كانت أموالهم في الحصن مع المشركين، فلما فتح رد ذلك عليهم.

نا أحمد، نا يونس عن قيس بن الربيع عن يونس بن أبي مسلم عن عكرمة أن ناساً من أهل الكتاب آمنوا برسلهم، وصدقوهم، وآمنوا بمحمد ﷺ قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به، فذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ [(1)] وكان قوم من أهل الكتاب آمنوا برسلهم وبمحمد ﷺ قبل أن يبعث، فلما بعث محمد آمنوا به فذلك قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [(2)].

إسلام سلمان الفارسي
رحمه الله ورضي عنه

سلمان ﷺ يتشوف إلى النصرانية بعد المجوسية:

نا أحمد قال: نا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: حدثني عاصم ابن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس قال: حدثني سلمان الفارسي قال: كنت رجلا من أهل فارس من أهل أصبهان من قرية يقال لها جي، وكان أبي دهقان أرضه، وكان يحبني حباً شديداً، لم يحبه شيئاً من ماله ولا ولده، فما زال به حبه إياي حتى حبسني في البيت كما يحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار[(3)] التي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة، كنت كذلك لا أعلم من أمر الناس شيئاً إلا ما أنا فيه حتى بنى أبي بنياناً له، وكانت له ضيعة فيها بعض العمل، فدعاني فقال: أي بني إنه قد شغلني ما

=

٢٥٢) وأبو نعيم أيضا (٦٢) من طريق ابن إسحاق وله شاهد عند البخاري (٧/ ٥٧٠)، (٣٨٦٦) مختصراً عن ابن عمر عن عمر.

(١) سورة آل عمران: آية (١٠٦).

(٢) سورة محمد: آية (١٧).

(٣) هو خادمها الذي يخدمها ويمنعها من الإطفاء لتعظيمهم لها.

ترى من بنياني عن ضيعتي هذه، ولابد لي من اطلاعها، فانطلق إليهم فمرهم بكذا وكذا ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عني شغلتني عن كل شيء، فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة النصارى، فسمعت أصواتهم فيها، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: هؤلاء النصارى يصلون، فدخلت أنظر فأعجبني ما رأيت من حالهم، فوالله ما زلت جالساً عندهم حتى غربت الشمس، وبعث أبي في طلبي في كل وجه حتى جئته حين أمسيت، ولم أذهب إلى ضيعته، فقال: أي بني أين كنت، ألم أكن قلت لك؟! فقلت يا أبتاه مررت بأناس يقال لهم (النصارى) فأعجبني صلاتهم ودعاؤهم، فجلست أنظر كيف يفعلون، فقال: أي بني دينك ودين آبائك خير من دينهم، فقلت: لا والله ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قوم يعبدون الله ويدعونه ويصلون له، ونحن إنما نعبد ناراً نوقدها بأيدينا، إذا تركناها ماتت، فخافني، فجعل في رجلي حديداً وحبسني في بيت عنده.

سلمان يهرب إلى الشام:

فبعثت إلى النصارى فقلت لهم: أين أهل هذا الدين الذي أراكم عليه؟ فقالوا: بالشام، فقلت: فإذا قدم عليكم من هناك أناس فآذنوني، فقالوا، نفعل، فقدم عليهم ناس من تجارهم، فبعثوا إلي: إنه قد قدم علينا تجار من تجارنا، فبعثت إليهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الخروج فآذنوني بهم، قالوا: نفعل، فلما قضوا حوائجهم، وأرادوا الرحيل بعثوا إلي بذلك، فطرحت الحديد الذي في رجلي، ولحقت بهم، فانطلقت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف صاحب الكنيسة.

سلمان مع أسقف النصارى السيء:(١)

فجئته فقلت له: إني قد أحببت أن أكون معك في كنيستك، وأعبد الله فيها معك، وأتعلم منك الخير؟ قال: فكن معي، فكنت معه، وكان رجل سوء،

---

(١) أسقف النصارى هو عالمهم الذي يقيم لهم أمر دينهم.

كان يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين، فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيت من حاله، فلم ينشب أن مات، فلما جاءوا ليدفنوه، قلت لهم: إن هذا رجل سوء، كان يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها، حتى إذا جمعتموها إليه اكتنزها ولم يعطها المساكين، فقالوا: وما علامة ذلك؟ فقلت: أنا أخرج لكم كنزه، فقالوا: فهاته فأخرجت لهم سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، فلما رأوا ذلك، قالوا: والله لا يدفن أبداً فصلبوه على خشبة، ورموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه.

سلمان مع أسقف النصارى الصالح:

فلا والله يا بن عباس ما رأيت رجلا قط لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه، أشد اجتهاداً، ولا أزهد في الدنيا، ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً، ما أعلمني أحببت شيئاً قط قبله حبه، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة، فقلت، يا فلان قد حضرك ما ترى من أمر الله عز وجل وإني والله ما أحببت شيئاً قط حبك، فماذا تأمرني، وإلى من توصيني؟ قال: أي بني والله ما أعلمه إلا رجلاً بالموصل، فأته فإنك ستجده على مثل حالي.

سلمان يلحق بأسقف الموصل:

فلما مات وغيب، لحقت بالموصل، فأتيت صاحبها، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة في الدنيا، فقلت له: إن فلاناً أوصاني إليك أن آتيك، وأكون معك، قال: فأقم أي بني فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة، فقلت له: إن فلانا أوصاني إليك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من؟ قال: والله ما أعلمه أي بني إلا رجلاً بنصيبين هو على مثل ما نحن عليه، فالحق به.

سلمان يلحق بأسقف نصيبين:

فلما دفناه لحقت بالآخر فقلت له: يا فلان إن فلانا أوصاني إلى فلان وفلان أوصاني إليك، قال: فأقم أي بنى، فأقمت عنده على مثل حالهم حتى

حضرته الوفاة: فقلت له: يا فلان إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى، وقد كان فلان أوصاني إلى فلان وأوصاني فلان إلى فلان، وأوصاني فلان إليك، فإلى من؟ قال: أي بني والله ما أعلم أحداً على مثل ما نحن عليه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم فأته فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه.

سلمان يلحق بصاحب عمورية:

فلما واريته خرجت حتى قدمت على صاحب عمورية، فوجدته على مثل حالهم، فأقمت عنده، واكتسبت حتى كانت لي غنيمة وبقرات، ثم حضرته الوفاة: فقلت: يا فلان إن فلاناً كان أوصاني إلى فلان، وفلان إلى فلان وفلان إليك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصيني؟ قال: أي بني والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه، ولكن قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مهاجرة بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فافعل فإنه قد أظلك زمانه، فلما واريناه أقمت على خير، حتى مر بي رجال من تجار العرب من كلب، فقلت لهم تحملوني معكم حتى تقدموني أرض العرب وأعطيكم غنيمتي هذه وبقراتي؟ قالوا: نعم.

سلمان يذهب إلى وادي القرى:

فأعطيتهم إياها وحملوني حتى إذا جاءوا بي وادي القرى ظلموني فباعوني عبداً من رجل من يهود بوادي القرى، فوالله لقد رأيت النخل وطمعت أن يكون البلد الذي نعت لي صاحبي، وما حقت عندي حتى قدم رجل من بني قريظة من يهود وادي القرى، فابتاعني من صاحبي الذي كنت عنده.

سلمان يذهب إلى المدينة ويسمع بهجرة النبي ﷺ :

فخرج بي حتى قدم المدينة فوالله ما هو إلا أن رأيتها، فعرفت نعته، فأقمت في رقي مع صاحبي، وبعث الله عز وجل رسول الله ﷺ بمكة، لا يذكر لي شيء

من أمره مما أنا فيه من الرق حتى قدم رسول الله ﷺ قباء، وأنا أعمل لصاحبي في نخلة له، فوالله إني لفيها إذ جاء ابن عم له، فقال: فلان، قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لفي قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنه نبي، فوالله ما هو إلا أن سمعتها، فأخذني العرواء -يقول الرعدة، حتى ظننت لأسقطن على صاحبي، ونزلت أقول ما هذا الخبر، ما هو؟ فرفع مولاي يده فلكمني لكمة شديدة، وقال: ما لك ولهذا، أقبل على عملك، فقلت: لا شيء إنما سمعت خبراً، فأحببت أن أعلمه.

سلمان يستوثق من رسالة محمدﷺ:

فلما أمسيت وكان عندي شيء من طعام، فحملته وذهبت إلى رسول الله ﷺ، وهو بقباء، فقلت: إني بلغني أنك رجل صالح، وأن معك أصحاباً لك غرباء، وقد كان عندي شيء للصدقة فرأيتكم أحق من بهذه البلاد به، فها هو هذا فكل منه، فأمسك رسول الله ﷺ يده وقال لأصحابه: كلوا ولم يأكل فقلت في نفسي: هذه خلة مما وصف لي صاحبي، ثم رجعت، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، فجمعت شيئاً كان عندي، ثم جئته به، فقلت، إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة، فأكل رسول الله ﷺ، وأكل أصحابه، فقلت هذه خلتان، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة، وعليَّ شملتان لي وهو في أصحابه، فاستدرت به لأنظر إلى الخاتم في ظهره، فلما رآني رسول الله ﷺ استدبر عرف أني أستثبت من شيء قد وصف لي، فوضع رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لي صاحبي، فأكببت عليه أقبله، وأبكي، فقال: تحول يا سلمان هكذا، فتحولت فجلست بين يديه، وأحب أن يسمع أصحابه حديثي عنه، فحدثته يا ابن عباس كما حدثتك.

سلمان يتحرر من الرق بمساعدة الرسول ﷺ:

فلما فرغت قال رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان، فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له، وأربعين أوقية، فأعانني أصحاب رسول الله ﷺ بالنخل

ثلاثين ودية عشر، كل رجل منهم على قدر ما عنده، فقال لي رسول الله ﷺ: فقر لها فإذا فرغت فآذني حتى أكون أنا الذي أضعها بيدي، ففقرتها وأعانني أصحابي -يقول حفرت لها حيث توضع، حتى فرغنا منها، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله قد فرغنا منها، فخرج معي حتى جاءها، فكنا نحمل إليه الودي فيضعه بيده، ويسوي عليه، فوالذي بعثه بالحق ما ماتت منها ودية واحدة.

وبقيت علي الدراهم، فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البيضة من الذهب فقال رسول الله ﷺ: أين الفارسي المسلم المكاتب؟ فدعيت له: خذ هذه يا سلمان فأد بها ما عليك، فوالذي نفس سلمان بيده لو زنت لهم منها أربعين أوقية، فأديتها إليهم، وعتق سلمان- وكان الرق قد حبسني حتى فاتتني مع رسول الله ﷺ بدر وأحد، ثم عتقت فشهدت الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد[1].

حديث سلمان مع صاحب عمورية:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: حدثني من سمع عمر بن عبد العزيز،وحدث هذا من حديث سلمان، فقال: حدثت عن سلمان أن صاحب عمورية قال لسلمان، حين حضرته الوفاة: ائت غيضتين من أرض الشام فإن رجلاً يخرج من إحداهما إلى الأخرى في كل سنة ليلة، يعترضه ذوو الأسقام، فلا يدعو لأحد به مرض إلا شفي، فسله عن هذا الدين الذي تسلني عنه، عن الحنيفية دين إبراهيم، فخرجت حتى أقمت بها سنة، حتى خرج تلك الليلة من إحدى الغيضتين إلى الأخرى، وإنما كان يخرج مستجيزاً، فخرج وغلبني عليه الناس حتى دخل في الغيضة التي يدخل فيها حتى ما بقي إلا منكبه، فأخذت به فقلت: رحمك الله أخبرني عن الحنيفية دين إبراهيم؟ فقال: إنك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم، قد أظلك زمان نبي يخرج عند هذا البيت، بهذا الحرم، يبعث بسفك الدم، فلما ذكر ذلك سلمان

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/٤٣٨) وابن سعد في «الكبرى» (٤/٥٦،٥٩) والطبراني في الكبير (٦/٢٢٢،٢٢٦) وابن الأثير في «الأُسد» (٢/٥١٠، ٥١٣) بسند حسن.

لرسول الله ﷺ قال: لئن كنت صدقت يا سلمان لقد رأيت ابن مريم عليه السلام[١].

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب عن رجل من عبد القيس عن سلمان قال: لما أعطاني رسول الله ﷺ ذلك الذهب فقال: أقضي به عنك، فقلت يا رسول الله، وأين تقع هذه مما علي؟ فقلبها رسول الله ﷺ على لسانه، ثم قذفها إلي، ثم قال: انطلق بها فإن الله عز وجل سيؤدي بها عنك، فانطلقت فوزنت لهم منها حتى أوفيتهم منها أربعين أوقية[٢].

حدثنا أحمد، نا يونس عن أبي ليلى قال: نا عتاب البكري قال: كنا نجالس أبا سعيد الخدري فيبسط له على بابه بساط ثم يجعل عليه وسادة ويتكيء على الوسادة ونحن حوله نحدق به، فسألته عن الخاتم الذي كان بين كتفي رسول الله ﷺ ما كان؟ قال فأشار أبو سعيد بالسبابة ووضع الإبهام على أول مفصل أسفل من ذلك، قال يونس: أخرج المفصل كله، قال: كانت بضعة ناشزة بين كتفي رسول الله ﷺ.

نا أحمد: نا يونس قال: قال ابن إسحاق: وكانت قريش يعظمون الكعبة ويطوفون بها ويستغفرون عندها مع تعظيم الأوثان والشرك في ذبائحهم، ويحجون، ويقفون الموقف.

---

(١) إسناده ضعيف علته شيخ عاصم بن عمر مجهولا لا يعرف، وعمر بن عبد العزيز لم يرو عن سلمان ورواه ابن سعد في الطبقات (٤/٨٠) والبيهقي في الدلائل (٢/٩٩) وقال الذهبي في «سير الأعلام النبلاء» (١/٥١٢) تفرد به ابن إسحاق.

(٢) إسناده ضعيف لجهالة شيخ يزيد بن أبي حبيب، ورواه أحمد في المسند (٥/٤٤٤) وابن سعد في الطبقات الكبرى (٤/٦٠) عن طريق ابن إسحاق.

أثر الكعبة

آدم وبناء الكعبة:

نا أحمد: نا يونس عن سعيد بن ميسرة البكري قال: حدثني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: كان موضع البيت في زمن آدم شبراً أو أكثر، فكانت الملائكة تحج إليه قبل آدم، ثم حج آدم فاستقبلته الملائكة، فقالوا، يا آدم من أين جئت؟ قال حججت البيت، قالوا، قد حجته الملائكة قبلك.

نا أحمد: نا يونس عن ثابت بن دينار عن عطاء قال: أُهبط آدم بالهند، فقال: يا رب مالي لا أسمع صوت الملائكة كما كنت أسمعها في الجنة؟ فقال له: بخطيئتك يا آدم، فانطلق فابن لي بيتاً فتطوف به كما رأيتهم يتطوفون، فانطلق حتى أتى مكة فبنى البيت، فكان موضع قدمي آدم قرى وأنهاراً وعمارة، وما بين خطاه مفاوز، فحج آدم البيت من الهند أربعين سنة.

نا أحمد: نا يونس عن يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن مجاهد قال: لما قيل لإبراهيم ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾[1] قال: يا رب كيف أقول؟ قال: قل يا أيها الناس أجيبوا ربكم، فصعد الجبل فنادى أيها الناس أجيبوا ربكم، فأجابوه لبيك اللهم لبيك، فكان هذا أول التلبية.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني وهب بن سنان قال: سمعت عائذ بن عمير الليثي يقول: لما أُمر إبراهيم بدعاء الناس إلى الحج استقبل المشرق، فدعا إلى الله عز وجل فأجيب: لبيك لبيك، ثم استقبل المغرب فدعا إلى الله عز وجل فأجيب: لبيك لبيك، ثم استقبل الشام فدعا إلى الله عز وجل فأجيب: لبيك لبيك، ثم استقبل اليمن فدعا إلى الله عز وجل فأجيب: لبيك لبيك.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني ثقة من أهل المدينة عن

---

(١) سورة الحج: آية (٢٧).

عروة بن الزبير أنه قال: ما من نبي إلا وقد حج البيت، إلا ما كان من هود وصالح، ولقد حجه نوح، فلما كان من الأرض ما كان من الغرق أصاب البيت ما أصاب الأرض، فكان البيت قطعة حمراء، فبعث الله تعالى هوداً، فتشاغل بأمر قومه، حتى قبضه الله عز وجل إليه، فلم يحجه حتى مات، ثم بعث الله تعالى صالحاً فتشاغل بأمر قومه، فلم يحجه حتى مات، فلما بوأه الله عز وجل لإبراهيم حجه، ثم لم يبق نبي إلا حجه.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق عن عطاء بن أبي رباح عن كعب الحبر قال: شكت الكعبة إلى ربها عز وجل، وبكت إليه فقالت: أي رب، قل زواري وجفاني الناس، فقال الله عز وجل لها: إني محدث لك إنجيلا [كذا]، وجاعل لك زواراً يحنون إليك حنين الحمامة إلى بيضاها.

نا أحمد قال: حدثني أبي قال: نا جرير بن عبد الحميد عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال: خلق البيت قبل الأرض بألفي عام، ثم دحيت الأرض منه.

إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يضعان الحجر:

نا أحمد: نا يونس عن الأسباط بن نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي قال: خرج آدم من الجنة معه حجر في يده وورق في الكف الأخرى، فبث الورق بالهند فمنه ما ترون من الطيب، وأما الحجر فكان ياقوتة بيضاء يستضاء بها، فلما بنى إبراهيم البيت فبلغ موضع الحجر قال لإسماعيل: ائتني بحجر من الجبل، فقال: غير هذا، فرده مراراً لا يرضى بما يأتيه، فذهب مرة، وجاءه جبريل بالحجر من الهند الذي أخرج به آدم من الجنة فوضعه، فلما جاءه إسماعيل قال: من جاءك بهذا؟ قال: من هو أنشط منك.

وصف الحجر الأسود:

نا أحمد، نا يونس عن السري بن إسماعيل عن عامر عن عمر بن الخطاب أنه قال: الحجر الأسود من أحجار الجنة أُهبط إلى الأرض وهو أشد بياضاً من

الكرسف، فما اسود إلا من خطايا بني آدم، ولولا ذلك ما مسه أبكم ولا أصم ولا أعمى إلا برئ.

نا أحمد: نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سلمة بن كهيل عن رجل عن علي أنه قال: السكينة لها وجه كوجه الإنسان وهي في ذلك ريح هفافة.

نا أحمد: نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل عن يزيد الرقاشي عن أبيه عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: **لقد مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبياً حفاة عليهم العبأ يؤمون بيت الله العتيق منهم موسى عليه السلام.**

نا أحمد: نا يونس عن سعيد بن ميسرة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **كان الحجر من ياقوت الجنة فمسحه المشركون فاسود من مسحهم إياه.**

نا أحمد نا يونس عن وهب بن عقبة عن عطية العوفي عن ابن عباس قال: إن الحجر الأسود من حجارة الجنة، كان أشد بياضاً من اللبن فاسود مما مسحه بنو آدم من ذنوبهم.

نا أحمد نا يونس عن مسلمة بن عبد الله القرشي عن عبد الكريم أبي أمية قال: كان البيت ياقوتة من ياقوتات الجنة، فلما كان زمن الطوفان رفع إلى السماء الدنيا، فلو وقع الآن وقع على موضع البيت، يطوف به كل ليلة سبعون ألف ملك، واستودع جبريل أبا قبيس الحجر، وهو ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة، فلما بنى إبراهيم البيت أتاه جبريل، فأخرج له الحجر، فوضعه في قواعد البيت، وهو يوم القيامة أعظم من أحد له لسان يشهد به.

ما كان يقال عند الطواف في الجاهلية:

نا أحمد: نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي عن سعيد بن أبي بردة الأشعري عن عبد الله بن عمر أنه قال لأبيه أبي بردة: أتدري ما كان قومك

يقولون في الجاهلية إذا طافوا بالبيت؟ قال: وما كانوا يقولون؟ قال: كانوا يقولون:

اللهم هذا واحد إن تما أتمه الله وقد أتما

إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما

نا أحمد: نا يونس عن قيس بن الربيع عن منصور عن مجاهد قال: كان أهل الجاهلية يقولون حين يطوفون بالبيت:

إن تغفر اللهم تغفر جماً وأي عبد لك لا ألما

نا أحمد نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لم يكن أحد يطوف بالكعبة عليه ثياب إلا الحمس، وكان بقية الناس الرجال والنساء يطوفون عراة، إلا أن تحتسب عليهم الحمس، فيعطون الرجل أو المرأة الثوب يلبسه.

نا أحمد: نا يونس عن أبي معشر المديني عن محمد بن قيس قال: كان أهل الجاهلية من لم يكن من الحمس، فإن طابت نفسه أن يرمي بالثوب الذي عليه إلى الكعبة إذا طاف بالبيت أو وجد عارية من أهل مكة، طاف فيه، فإن لم تطب نفسه بالثوب الذي عليه، ولم يجد عارية من أهل مكة طاف عريانا، فقالوا وجدنا آباءنا عليها، والله أمرنا بها حتى بلغ (خالصة يوم القيامة) قال محمد بن قيس: هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا يشركهم فيها الكفار، فإذا كان يوم القيامة خلص بها المؤمنون.

نا أحمد: نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كانت قريش ومن يدين دينها، وهم الحمس، يقضون عشية عرفة بالمزدلفة يقولون: نحن قطن البيت، وكان بقية الناس، والعرب يقفون بعرفات، فأنزل الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [1] فتقدموا فوقفوا مع الناس بعرفات.

الرسول ﷺ يخالف الحمس قبل الرسالة:

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن

---

(١) سورة البقرة: آية (١٩٩).

عثمان بن أبي سليمان عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير بن مطعم قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ، وهو على دين قومه، وهو يقف على بعير له بعرفات، من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقاً من الله عز وجل له.

ما كان يفعله المشركون في الجاهلية:

نا أحمد: نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر قال: كان المشركون بجمع يقولون: أشرق ثبير كيما نغير قال: فكانوا لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس، فنهانا رسول الله ﷺ عن ذلك: قال زكريا، فنفر رسول الله ﷺ قبل أن تطلع الشمس.

نا أحمد: نا يونس عن يوسف بن ميمون عن الحسن قال: كان الناس في الجاهلية إذا أتوا المعرف قام الرجل فوق جبل فقال: أنا فلان ابن فلان، فعلت كذا، وفعل أبي كذا، وفعل جدي كذا فأنزل الله عز وجل: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ **ذكرا**﴾[1] يقول: كما كنتم تذكرون آباءكم في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية: يا أيها الناس إن الله قد رفع عنكم هذه النخوة والتفاخر في الآباء، فنحن ولد آدم، وخلق آدم من تراب، وقال الله عز ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ ﴾ إلى قوله تعالى (أتقاكم)[2].

أصل السعي بين الصفا والمروة وأول من سعى:

نا أحمد: نا يونس عن يوسف بن ميمون التميمي عن عطاء بن أبي رباح أن إنسانا سأله عن السعي بين الصفا والمروة فقال: إن هاجر لما وضعها إبراهيم هي وابنها إسماعيل أصابها عطش شديد حتى أريت أن إسماعيل سيقتله العطش، فلما خشيت ذلك منه، وضعته في موضع البيت، وانطلقت حتى أتت الصفا، فصعدت فوقه تنظر هل مات بعد أم لا؟ فجعلت تدعو الله تعالى له، ثم نزلت

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٠٠).
(٢) سورة الحجرات: آية (١٣).

حتى أتت بطن الوادي فسعت فيه ثم خرجت تمشي حتى أتت المروة، فصعدت فوقها تنظر هل مات بعد أم لا؟ وكانا حجرين إلى البيت، ففعلت ذلك سبع مرات، فهذا أصل السعي بين الصفا والمروة.

نا أحمد: نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه، في هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾[1] الآية، فقلت لعائشة: لو أن إنسانا حج فلم يطف بين الصفا والمروة ما ظننت أن عليه حرجاً، قالت: فاتل علي، فتلوت عليها ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ فقالت: لو كان كما تقول كان: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما، وإنما نزلت هذه الآية في أناس من قريش كانوا يحرمون لمناة ولا يحل في دينهم أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما أسلموا قالوا لرسول الله ﷺ «إنا كنا نحرم لمناة فلا يحل لنا في ديننا أن نطوف بين الصفا والمروة» فأنزل الله عز وجل الآية: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ فقالت عائشة: هما من شعائر الله، فما أتم الله حج من لم يطف بهما.

سبب رمي الجمار وأول من رمى:

نا أحمد: نا يونس عن يوسف بن ميمون عن عطاء بن أبي رباح أنه سئل عن رمي الجمار فقال: إن إبراهيم أتى البيت الحرام فصلى به، ثم راح حتى أتى منى في بعض الليل فانطلق حتى أتى الشجرة فعرض له الشيطان، فرماه إبراهيم بسبعة أحجار، يكبر مع كل حجر، فذهب عنه، ثم مضى حتى أتى مكان الجمرة التي يليها عرض له الشيطان، فرماه بسبعة أحجار، يكبر، مع كل حجر فذهب عنه، ثم مضى حتى موضع الجمرة الثالثة عرض له الشيطان، فرماه بسبعة أحجار يكبر مع كل حجر، فذهب عنه، فلما بعث الله عز وجل نبيه ﷺ اقتص ما صنع إبراهيم فصنع مثله.

---

(١) سورة البقرة: آية (١٥٨)

ما كان يفعله أهل الجاهلية عند الذبح:

نا أحمد: نا يونس عن أبي بكر الهذلي قال: أنا الحسن قال: كان الناس في الجاهلية إذا ذبحوا لطخوا بالدماء وجه الكعبة، وشرحوا اللحوم فوضعوها على الحجارة، وقالوا: لا يحل لنا نأكل شيئاً جعلناه لله عز وجل حتى تأكله السباع والطير، فلما جاء الإسلام جاء الناس رسول الله ﷺ فقالوا له: شيئاً كنا نصنعه في الجاهلية، ألا نصنعه الآن؟ فإنما هو لله عز وجل، فأنزل الله عز وجل ﴿ **فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ** ﴾ (١) فقال رسول الله ﷺ «**لا تفعلوا فإن ذلك ليس لله عز وجل** » قال الحسن: فلم يعزم عليهم الأكل، فإن شئت فكل وإن شئت فدع.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: سألت ابن أبي نجيح عن قول رسول الله ﷺ «**إن الزمان قد استدار حتى صار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**» فقال: كانت قريش يدخلون في كل سنة شهراً، وإنما كانوا يوافقون ذا الحجة في كل اثنتي عشرة سنة مرة، فوفق الله تعالى لرسوله - في حجته التي حج- ذا الحجة، فحج رسول الله ﷺ فيها، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الزمان قد استدار حتى صار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض**» فقلت لابن أبي نجيح: فكيف بحجة أبي بكر وعتاب بن أسيد؟ فقال: على ما كان الناس يحجون عليه، ثم فسر ابن أبي نجيح فقال: كانوا يحجون في ذي الحجة ثم العام المقبل في المحرم ثم صفر حتى يبلغوا اثني عشر شهراً.

جبريل يعلم الخليل إبراهيم عليهما السلام مناسك الحج:

حدثنا أحمد قال: نا يونس عن ابن أبي ليلى وابن أبي أنيسة عن عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**نزل جبريل على إبراهيم صلى الله عليهما، فراح به فصلى به الصلوات بها**» قال يحيى: الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء. ثم اجتمعا، فبات به حتى صلى الفجر ثم

---

(١) سورة الحج: آية (٢٨).

سار به يوم عرفة حتى نزل به المنزل الذي ينزل الناس، فصلى به الصلاتين -«قال يحيى: جميعاً»- ثم اجتمعا، قال: فسار حتى وقف به في الموقف حتى كان كأعجل ما يصلي أحد من المسلمين صلاة المغرب، ثم أفاض حتى أتى به «جمعاً» فصلى به الصلاتين، قال يحيى: المغرب والعشاء جميعاً. قال: ثم بات بها حتى إذا كان كأعجل ما يصلي أحد من المسلمين صلاة الفجر أفاض به حتى أتى به الجمرة فرماها، ثم ذبح وحلق ثم أتى به البيت فطاف به -قال ابن أبي ليلى: ثم رجع به إلى منى فأقام فيها تلك الأيام، ثم أوحى الله عز وجل إلى محمد ﷺ أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً.

نا أحمد نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع عن علي قال: بعثني رسول الله ﷺ حين نزلت «براءة» ألا يطوف بالبيت عريان.

قريش تبتدع الحمس:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكانت قريش -لا أدري قبل بناء الكعبة أو بعده- ابتدعت رأي الحمس، رأيا رأوه وأداروه بينهم، فقالوا: نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم، وولاة البيت، وقاطنو مكة وسكانها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا، ولا مثل منزلتنا، ولا يعرف له العرب مثل ما تعرف لنا، فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب حرمتكم، وقالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم، فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها، وهم يقرون ويعرفون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم عليه السلام، فيرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم، غيرها كما يعظمها الحمس، والحمس أهل الحرم، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكني الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم إياهم، يحل لهم ما يحل لهم، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم، وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في

ذلك، ثم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن فقالوا: لا ينبغي للحمس أن يأقطوا الأقط، ولا يسلوا السمن وهم حرم، ولا يدخلوا بيتاً من شعر ولا يستظلوا إلا في بيوت الأدم ما داموا حرَّاماً، ثم رفعوا في ذلك فقالوا: لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل في الحرم إذا جاءوا حجاجاً أو عماراً، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس، فإن لم يجدوا شيئاً منها طافوا بالبيت عراة، فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة لم يجد ثوباً من ثياب الحمس، فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل، ألقاها إذا فرغ من طوافه، لم ينتفع بها و لم يمسها، ولا أحد غيره أبداً، وكانت العرب تسمي تلك الثياب اللقى، فحملوا العرب على ذلك فدانت به، ووقفوا على عرفات، وأفاضوا منها، فأطافوا بالبيت عراة، وأخذوا بما شرعوا لهم من ذلك، فكان أهل الحل يأتون حجاجاً وعماراً، فإذا دخلوا الحرم وضعوا أزوادهم التي جاءوا بها، وابتاعوا من طعام الحرم، والتمسوا ثياباً من ثياب الحرم إما عارية وإما بإجارة، فطافوا فيها فإن لم يجدوا طافوا عراة، أما الرجال فيطوفون عراة، وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعاً تطرحه عليها، ثم تطوف فيه، فقالت امرأة من العرب وهى كذلك تطوف:

اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحله

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره، فقال قائل من العرب يذكر شيئاً تركه لا يقربه وهو يحبه:

كفى حزناً كرى عليه كأنه ... لقي بين أيدي الطائفين حريم

يقول: لا تمس، فكانوا كذلك حتى بعث الله عز وجل نبيه ﷺ.

حديث بنيان الكعبة

سبب بنيان قريش الكعبة:

حدثنا أحمد بن عبد الجبار: نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: فأقامت قريش في كل قبيلة منها أشراف، فليس بينها اختلاف ولا نائرة، ثم إن قريشاً أجمعوا على بنيان الكعبة، وكانوا يهمون بذلك فيهابون هدمها، وإنما كانت رضماً[١] فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك أن نفراً من قريش سرقوا كتر الكعبة، وكان يكون في بئر جوف الكعبة. وكان الذي وجد عنده الكتر دويل -أو دويد، شك أبو عمر، مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة، فقطعت قريش يده من بينهم، وكان ممن اهم في ذلك الحارث بن عامر بن نوفل، وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه أبو وهب بن عبد المطلب، فهو الذي تزعم قريش أهم وضعوا كتر الكعبة حين أخذوه عند دويل -أو دويد- فلما أتتهم قريش دلوهم على دويل -أو دويد- فقطعوه، ويقال: إنهم وضعوه عنده، وذكروا أن قريشاً حين استيقنوا بأن ذلك كان عند الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، فخرجوا به إلى كاهنة من كهان العرب، فسجعت عليه من كهانتها بأن لا يدخل مكة عشر سنين بما استحل من حرمة الكعبة، فزعموا أنهم أخرجوه من مكة، فكان فيما حولها عشر سنين.

وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من الروم فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدوه لسقفها، وكان بمكة رجل قبطي نجار، فتهيأ لهم في أنفسهم في بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كان يطرح فيها مما يهدي لها كل يوم، فتشرق على جدار الكعبة، وكانت مما يهابون، وذلك أنهم زعموا كلما كان يقترب من بئر الكعبة أحد إلا احزألت وكشت وفتحت فاها فكانوا يهابونها، فبينما هي يوماً تشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله عز وجل عليها طائراً لا يدرون ما هو فاختطفها من متشرقها، فذهب

(١) الرضم: الحجارة تجعل بعضها على بعض.

بها، فقالت قريش: إنا نرجو أن يكون الله عز وجل قد رضي ما أردنا، عندنا عامل رفيق وعندنا الخشب، وقد ذهب الله تعالى بالحية، وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة، ورسول الله ﷺ إذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة [١].

أبو وهب وما حدث له عند بناء الكعبة:

فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب عامر بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه -فيما يزعمون- فقال: يا معشر قريش لا تدخلن في بنيانها من كسبكم إلا طيباً ولا تدخلن فيها مهر بغي[٢]، ولا بيع ربا، ولا مظلمة من أحد من الناس، وينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة[٣].

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي نجيح أنه حدث عن عبد الله بن صفوان بن أمية أنه رأى ابنا لجعدة بن هبيرة بن أبي وهب ابن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت فسأل عنه، فقيل هذا ابن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب، فقال عبد الله بن صفوان: إن جده يعني أبا وهب هو الذي أخذ من الكعبة حجراً حين أرادت قريش هدمها فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال عند ذلك: يا معشر قريش لا تدخلوا فيها من كسبكم إلا طيباً، لا تدخلوا مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة لأحد من الناس، وأبو وهب خال رسول الله ﷺ، وكان شريفاً، وله يقول شاعر من العرب:

لـــو بـــأبي وهب أنخت مطيـــتي ... لرحت وراحت رحلها غير خائب

وأبيض من فرعي لؤي بن غالب ... إذا حصـــلت أنسابه للذوائـــب

---

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد (١/١٦٩).

(٢) يقال: امرأة بغاء، وبغية: أي فاجرة.

(٣) رواه الطبري في «التايخ» (٢/٢٨٦،٢٨٨) وابن سعد في «الطبقات» (١/١٥٥،١١٨) والبيهقي في الدلائل (٢/٦١،٦٢) من طريف ابن إسحاق.

أبي لأخـذ الضـيم يرتاح للندى توسـط جـداه فروع الأطايب

عظـيم رمـاد القدر يملا جفانه مـن الخبز يعلوهن مثل السبائب

نصيب قبائل قريش في تجزئة الكعبة:

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم تجزأت قريش الكعبة، فكان شق الباب لبني عبد مناف، وبني زهرة، وكان مما بين الركنين الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وتيم وقبائل من قريش ضموا إليهم، وكان ظاهرها لسهم وجمح، وكان شق الحجر، وهو الحطيم، لبني عبد الدار بن قصي، ولبني أسد بن عبد العزى بن قصي، وبني عدي بن كعب.

الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة:

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبوؤكم في هدمها، فأخذ المعول، فقام عليها، ثم قال: اللهم لا تردع[1]، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا: ننظر ماذا يصيبه، فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله عز وجل ما صنعنا، فأصبح غادياً يهدم وهدم الناس معه فلما انتهى الهدم إلى أس الكعبة اتبعوه حتى انتهوا إلى حجارة خضر كالأسنمة آخذ بعضها بعضاً.

سبب امتناع قريش عن هدم الأساس:

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق: حُدثت أن رجالاً من قريش ممن كان يهدمها قالوا: أدخل رجل بين حجرين منها العتلة ليقلع إحداهما، فلما تحرك الحجر تنفضت مكة بأسرها، فهابوا عند ذلك تحريك ذلك الأس.

الكتاب الذي وجد في الركن:

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثنا يحيى بن عَبَّاد بن عبدالله

---

(١) وفي رواية «لم ترع» أي لم تفزع، وفي رواية، لم تزغ.

ابن الزبير عن أبيه عباد قال: حُدثت أنهم وجدوا في أس الكعبة أو في بعضها شيئًا من صُفر مثل بيض النعام مكتوبٌ في إحداهما: هذا بيت الله عز وجل الحرام رزق أهله من كذا، لا يحله أول من أهله، وفي الأخرى: براءة لبني فلان حي من العرب، من حجة لله حجوها.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: وحدِّثت أن قريشًا وجدت في الركن أو في بعض المقام كتابًا بالسِّريانية لم يدروا ما هو حتى قرأه عليهم رجل من يهود: «أنا الله ذو بَكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصنعت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا يزولون حتى تزول أخاشبها، مبارك لأهلها في الماء واللبن».

الكتاب الذي وُجد في المقام:

وحُدثت أنهم وجدوا في المقام كتابًا فيه: «مكة الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل، لا يحلها أولُ من أهلها».

نا أحمد، نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال: حدثني من قرأ في أسفل المقام أو في تختجة في سقف البيت: «أنا الله ذو بَكة، بنيته على وجوه سبعة أملاك حنفاء، باركت لأهله في اللحم، والماء، وجعلت رزقهم من ثلاثة سبل، ولا يستحل حرمتها أول من أهلها».

نا أحمد، نا يونس عن المنذر بن ثَعْلبة عن سعيد بن حرب قال: شهدت عبد الله بن الزبير وهو يقلع القواعد التي أسس إبراهيم ﷺ لبناء البيت فأتوا على تربة صفراء عند الحطيم، فقال ابن الزبير: هذا قبر إسماعيل عليه السلام فواراه[1].

الاختلاف بين قريش في وضع الحجر:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم جمعت القبائل من قريش لبنائها كل قبيل تجمع من جدها ثم بنوا حتى بلغ البناء موضع الركن فاختصموا في رفع

---

(١) أورد الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٣٧٠،٣٦٩)، من طريق ابن إسحاق.

الركن، كل قبيلة تريد أن ترفعه دون الأخرى، فقالت كل قبيلة نحن نرفعه حتى تحازبوا[1] أو تحالفوا، وأعدُّوا القتال.

لعقة الدم:

فقربت بنو عبد الدار جفنة فملئوها دمًا ثم تحالفوا هم وبنو عدي بن كعب على الموت فأدخلوا أيديهم في تلك الجفنة فغمسوها في الدم، فقال في ذلك عكْرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار:

والله لا نأتي الذي قد أردتم ... ونحن جميع أو نخضب بالدم

ونحن ولاة البيت لا تنكرونه ... فكيف على علم البرية نظلم

لنبغي به الحمد الذي هو نافع ... ونخشى عقاب الله في كل محرم

فكيف ترومونا وعز قناتنا ... له مكسر صلب على كل معلم

فهيهات، أنى يقرب الركن سالم ... ونحن جميع عنده حين يقسم!

فإما تخلونا وبيت حجابنا ... وإما تنوءوا ذلك الركن بالحرم

فأجابه وهب بن عبد مناف:

أبلغ قريشاً إذا ما جئت أكرمها ... أنا أبينا فلا نؤتيكم غلبا

إنا أبينا إلى الغصب ظاهرة ... إنا وجدك لا نؤتيكم سلبا

نحن الكرام فلا حي يقاربنا ... نحن الملوك ونحن الأكرمون أبا

وقد أرى محدثا في حلفنا طهرا ... كما ترى في حجاب الملك محتجبا

أبي لنا عزنا ماذا أراد بنا ... قوم أرادوا بنا في حلفهم عجبا

قوم أرادوا بنا خسفًا لنقبله ... كلا وربك لا نؤتيهم غضبا

أبو أمية بن المغيرة يحل مشكلة وضع الحجر:

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: فمكثت قريش أربع ليال، أو خمسًا، بعضهم من بعض، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا، وتناصفوا، فزعم

(١) وفي رواية «تحاوروا» وكذلك «تحازووا».

بعض أهل العلم والرواية أن أبَا أمية، وكان كبيراً، وسيد قريش كلها، قال:يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب المسجد.

الرسول ﷺ يضع الحجر وينهي الإشكال:

فلما توافقوا على ذلك، ورضوا به، دخل رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر، فقال: هلموا ثوبًا، فأتوه به، فوضع رسول الله ﷺ الركن فيه بيديه ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعاً، فرفعوه حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه رسول الله ﷺ بيده، ثم بنى عليه، فكان رسول الله ﷺ يسمى في الجاهلية الأمين قبل أن يوحى إليه.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: كنت جالساً مع أبي جعفر محمد ابن عليّ فمر بنا عبد الرحمن الأعْرج، مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فدعاه فجاءه فقال: يا أعرج ما هذا الذي تحدث به أن عبد المطلب هو الذي وضع حجر الركن في موضعه؟ فقال: أصلحك الله حدَّثني من سمع عمر بن عبد العزيز يحدِّث أنه حُدث عن حَسَّان بن ثابت يقول: حضرت بنيان الكعبة، فكأني انظر إلى عبد المطلب جالسًا على السور شيخ كبير قد عصب له حاجباه حتى رفع إليه الركن، فكان هو الذي وضعه بيديه، فقال: انفذ راشدًا، ثم أقبل عليَّ أبو جعفر فقال: إن هذا الشيء ما سمعنا به قط، وما وضعه إلا رسول الله ﷺ بيده، اختلفت فيه قريش فقالوا: أول من يدخل عليكم من باب المسجد فهو بينكم، فدخل رسول الله ﷺ، فقالوا: هذا الأمين، فحكموه، فأمر بثوب فبسط، ثم أخذ الركن بيديه، فوضعه على الثوب، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة من الثوب بناحية، وارفعوا جميعًا، فرفعوا جميعًا، حتى إذا انتهوا به إلى موضعه أخذه رسول الله ﷺ فوضعه في موضعه بيده ثم بني عليه.

سن الرسول ﷺ عند بناء الكعبة:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: ورسول الله ﷺ يومئذ ابن خمس

وثلاثين سنة، ونزل عليه الوحي بعد بناء الكعبة بخمس سنين، وهو ابن أربعين سنة، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ثم هاجر إلى المدينة[1].

شعر الزبير بن عبد المطلب في الحية التي كانت تمنع قريش من بنيان الكعبة:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم سقفت فكان ذلك أول ما سقفت الكعبة، فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بناء الكعبة لها، فقال:

عجبت لما تصوبت العقاب ... إلى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش ... وأحيانا يكون لها وثاب
إذا قمنا إلى البنيان شدت ... تهيبنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الرجز جاءت ... عقاب قد يظل لها الضباب
فضمتها إليها ثم خلت ... لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين على بناء ... لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه ... وليس على مساوينا ثياب
أعز به المليك بني لؤي ... فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدي ... ومرة قد تقدمها كلاب
فبوأنا المليك بذاك عزا ... وعند الله يلتمس الثواب

وقال الزبير بن عبد المطلب في ذلك أيضاً:

لقد كان في أمر العقاب عجيبة ... ومخطفها الثعبان حين تدلت
فكان مدى الأبصار آخر عهدنا ... بها بعدما باتت هناك وطلت
إذا جاء قوم يرفعون عماده ... من البيت شدت نحوهم واحزألت

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٣/٤٢٥)، وابن سعد في «الطبقات» (١/١١٥، ١١٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/٥٧)، والحاكم في «مستدركه» (١/٤٥٨)، وأورد القصة ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٣٧٠، ٣٧١) عن ابن إسحاق.

فمــا برحت حتى ظننا جماعــة بــأن عليــنا لعنة الله حلــت
فقلنا جميعا قد علمنا خطيـــة فعسى لنا والحلم منا أضلــت

وقال الوليد بن المغيرة في بنيان الكعبة وشأن الحية:

لقــد كان في الثعبان يا قوم عبرة ورأي لمـــن رام الأمــور على ذعر
غــداة هــوى النسر المحلق يرتمي به غير حمد منكم يا بني فهــــر
على حين ما ضلت حلوم سراتكم وخفتم بأن لا ترفعوا آخر الدهر[1]

إبطال مبتدعات الحُمْسِ[2] في الحج:

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: وأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ حين أحكم أمره، وشرع له سنن حجه: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ﴾[3] الآية. يعني قريشًا والناس العرب، في سنة الحج إلى عرفات والوقوف عليها، والإفاضة منها، وأنزل الله تعالى فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولباسهم عند البيت حين طافوا عراة، وحرموا ما جاءوا به من الطعام من الحل: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾[4] إلى آخر الآية. فوضع الله تعالى أمر الحمس وما كانت قريش ابتدعت من ذلك على الناس في الإسلام حين بعث الله عز وجل رسوله محمدًا ﷺ.

الرسول ﷺ يخالف الحُمس قبل الرسالة:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن بكر عن عثمان بن أبي سليمان عن نافع بن جُبير بن مُطْعِم عن أبيه جبير بن مطعم أنه

(١) أورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٧١)، عن ابن إسحاق.
(٢) الحمس: سموا حمسًا؛ لأنهم اشتدوا في دينهم على زعمهم، وتحمسوا له.
(٣) سورة البقرة: آية (١٩٩).
(٤) سورة الأعراف: آية (٣١-٣٢).

قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقًا من الله عز وجل له[١].

الكهان يتحدثون عن بعثة الرسول ﷺ:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى، والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله ﷺ قبل مبعثه لما تقارب من زمانه. أما الأحبار من يهود، والرهبان من النصارى فيما وجدوا من صفته في كتبهم، وصفة زمانه لما كان في عهد أنبيائهم إليهم فيه، وأما الكهان من العرب فتأتيهم به الشياطين من الجن فيما يسترقون من السمع، إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة من العرب لا يقع منهما ذكر بعض أمره لا تلقي العرب فيه بالاً حتى بعثه الله عز وجل، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون، فعرفوها.

قذف الجن بالشهب دليل مبعثه:

فلما تقارب أمر رسول الله ﷺ، وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرُموا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من الله عز وجل في العباد يقول الله تعالى لنبيه عليه السلام حين بعثه، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حجبوا عن السمع، فعرفوا ما عرفوا وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[٢].

فلما سمعت الجن القول عرفت إنما منعت من السمع قبل ذلك له؛ لئلا يشاكل الوحي شيء من خبر السماء، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله عز وجل وقطع الشبه، فآمنوا وصدقوا: ﴿ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾

(١) رواه البخاري (٣٢٧/٤)، (١٦٦٥)، ومسلم (٨٩٤/٢)، (١٢١٩)، بنحوه.

(٢) سورة الجن: آية (١-١٠).

قَالُواْ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا ﴾ إلى آخر الآية.

وكان قول الجن: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ إنه كان رجال من العرب، من قريش وغيرهم، إذا سافر الرجل فترل ببطن واد من الأرض ليبيت به قال: إني أعوذ بعزيز هذا الوادي من الجن الليلة، من شر ما فيه.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بني سَهم يقال لها: العَيْطَلة، كانت كاهنة في الجاهلية جاءها صاحبها ليلة من الليالي فانقض تحتها فقال: إذن من أذن يوم عقر ونحر، فقالت قريش حين بلغها ذلك: ما يريد؟ ثم جاءها ليلة أخرى، فانقض تحتها فقال: شعوب ما لشعوب تصرَّع فيه كعب لجنوب، فلما بلغ ذلك قريشًا قالوا: ماذا يريد؟ إن هذا لأمر هو كائن، فانظروا ما هو، فما عرفوا حتى كانت واقعة بدر وأُحد بالشعب، فعرفوا أنه كان الذي جاء به إلى صاحبته.

نا أحمد، نا الحسن عن جرير بن عبد الحميد عن منصور عن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾، قال: كانوا إذا نزلوا واديًا قالوا: إنا نعوذ بسيد هذا الوادي من شر ما فيه قال: فيقول الجنيون تتعوذون بنا، نحن لا نملك لأنفسنا ضرًّا ولا نفعًا! قال: ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ قال: فازدادوا عليهم جرأة.

حدثنا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكان هذا الحي من الأنصار يتحدثون مما كانوا يسمعون من يهود من ذكر رسول الله ﷺ، أن أول ذكر وقع بالمدينة، قبل مبعث رسول الله ﷺ، أن فاطمة أم النعمان بن عمرو، أخي بني النجار -وكانت من بغايا الجاهلية- وكان لها تابع، فكانت تحدث أنه كان إذا جاءها اقتحم البيت الذي هي فيه اقتحاماً على من فيه حتى جاءها يومًا، فوقع على الجدار ولم يصنع كما كان يصنع، فقالت له: مالك اليوم؟ قال: بعث نبي بتحريم الزنا.

ثقيف أول من فزعت برمي الجن:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني يعقوب بن عقبة بن المغيرة بن الأخنس عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مَسعود أنه حدثه: أن رجلاً من ثقيف يقال له: عمرو بن أمية، وكان من أدهى العرب، وكان يضن برأيه على الناس، قال يعقوب: فلما رُمي بالنجوم، كان أول حي فزع لها من الناس ثقيف فجاءوا إلى عمرو بن أمية فقالوا له: هل علمت بهذا الحدث الذي كان؟ فقال: وما هو؟ فقالوا: نجوم السماء يرمى بها، قال: ويحكم، انظروا فإن كانت هي المعالم التي يهتدي بها في البر والبحر، وتعرف بها الأنواء من الشتاء والصيف لصلاح معايش الناس، فهو والله فناء الدنيا، وفناء هذا الخلق، وإن كان غيرها، فهو لأمر حدث أراد الله عز وجل به هذا الخلق، فانظروا ما هو[1]؟.

الرسول ﷺ يصحح اعتقادهم في رجم الجن بالشهب ويوضحه لهم:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهري عن عليّ بن حسين عن ابن عباس قال: حدثني رَهْطٌ من الأنصار قالوا: بينا نحن جلوس مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، إذ رأى كوكبًا، فقال ما تقولون في هذا الكوكب الذي رمي به؟ فقلنا: يولد مولود، يهلك هالك، يملك ملك، فقال رسول الله ﷺ: ليس كذلك، ولكن الله عز وجل إذا قضى أمرًا في السماء سبَّح بذلك حملة العرش فيسبح لتسبيحهم من يليهم ممن تحتهم من الملائكة، فما يزالون كذلك حتى ينتهي التسبيح إلى السماء الدنيا فيقول أهل السماء الدنيا لمن يليهم من الملائكة مِمَ سبحتم؟ فيقولون: ما ندري، سمعنا من فوقنا من الملائكة سبح فسبحنا الله عز وجل لتسبيحهم، ولكنا نسل، فيسألون من فوقهم، فما يزالون كذلك حتى ينتهي إلى حملة العرش، فيقولون: قضى الله عز وجل كذا وكذا،

---

(١) أورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/٣٧٦) عن ابن إسحاق، ورواه ابن سعد (١/١٢٩).

فيخبرون به من يليهم حتى ينتهوا إلى أهل السماء الدنيا فيسترق الجن ما يقولون، فيترلون به إلى أوليائهم من الإنس فيلقونه على ألسنتهم، بتوهم منهم فيخبرون الناس، فيكون بعضه حقًّا، وبعضه كذبا، فلم يزل الجن كذلك حتى رموا بهذه الشهب(١).

نا أحمد، نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء، فيستمعون الكلمة من الوحي، فيهبطون بها الأرض، فيزيدون معها تسعًا، فيجد أهل الأرض تلك الكلمة حقًّا والتسع باطلاً، فلم يزالوا بذلك حتى بعث الله عز وجل محمدًا ﷺ، فمُنعوا تلك المقاعد، فذكروا ذلك لإبليس، فقال: حدث في الأرض حدث، فبعثهم فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن بين جبلي نخل، فقالوا: هذا والله الحدث، وإنهم ليرمون فإذا توارى النجم عنكم فقد أدركه لا يخطئ أبدًا، ولكنه لا يقتله، يحرق وجهه وجنبه ويده.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: وقد كانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد، وكان ابن عمها، وكان نصرانياً قد تبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها مَيْسَرة من قول الراهب، وما كان يرى منه، إذ كان الملكان يظلانه، فقال ورقة: لئن كان هذا حقًّا يا خديجة، إن محمدًا لنبي هذه الأمة، قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي يُنتظر، هذا زمانه - أو كما قال.

فجعل ورقة يستبطئ الأمر ويقول: حتى متى، فكان فيما يذكرون يقول: أشعاراً يستبطئ فيها خبر خديجة، ويتريث ما ذكرت له، فقال ورقة بن نوفل:

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/٢٣٧)، عن ابن إسحاق. ورواه مسلم (٤/١٧٥٠، ١٧٥١)، (٢٢٢٩)، والترمذي (٥/٣٦٢، ٣٦٣)، (٣٢٢٤)، والنسائي في التفسير (٢٩٢)، وأحمد (١/٢١٨). وقال الترمذي: حسن صحيح.

أتبكـر أم أنـت العشية رائـح ... وفي الصدر من إضمارك الحزن قادح
لفـرقة قـوم لا أحب فراقهـم ... كأنـك عنهم بعد يومين نـازح
وأخـبار صـدق خبرت عن محمد ... يخـبرها عـنه إذا غـاب ناصح
فـتاك الـذي وجهت يا خير حرة ... بغوري والنجدين حيث الصحاصح
إلى سـوق بصري في الركاب التي ... وهـن من الأحمال قعص دوالـح
فخـبرنا عـن كل خبر بعلمـه ... وللحـق أبـواب لهـن مفاتـح
بـأن ابـن عبد الله أحمد مرسـل ... إلى كـل من ضمت عليه الأباطـح
وظـني بـه أن سوف يبعث صادقا ... كمـا أرسل العبدان هود وصالـح
وموسـى وإبـراهيم حتى يرى لـه ... بهـاء ومنشور من الذكر واضـح
ومتـبعـه حيـاً لـؤي جماعـة ... شـبابهم والأشـيبون الجحاجـح
فـإن أبق حتى يدرك الناس دهـره ... فـإني به مستبشر الود فـارح
وإلا فـإني يـا خديجة فاعلمـي ... عن أرضك في الأرض العريضة سائح

حدثنا أحمد، نا يونس عن محمد بن إسحاق قال: وكانت قريش حين رفعوا بنيان الكعبة وسقفوها يترافدون على كسوتها كل عام، تعظيمًا لحقها، وكانوا يطوفون بها، ويستغفرون الله عندها، ويذكرونه مع تعظيم الأوثان والشرك في ذبائحهم ودينهم كله، وقد كان نفر من قريش: زَيد بن عَمرو بن نُفيل، وورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وعثمان بن الحارث بن أسد بن عبد العزى وعبد الله بن جحش بن رئاب، وكانت أمه أُميمة بنت عبد المطلب ابن هاشم حَليف بني أمية، حضروا قريشًا عند وثن لهم كانوا يذبحون عنده لعيد من أعيادهم، فلما اجتمعوا خلا بعض أولئك النفر إلى بعض، وقالوا: تصادقوا وليَكْتُم بعضكم على بعض، فقال قائلهم، تعلمون والله ما قومكم على شيء لقد أخطئوا دين إبراهيم عليه السلام وخالفوه، وما وثن يُعبد لا يضر ولا ينفع، فابتغوا لأنفسكم، فخرجوا يطلبون ويسيرون في الأرض

يلتمسون أهل الكتاب من اليهود والنصارى والملل كلها، والحنيفية دين إبراهيم عليه السلام.

ورقة بن نوفل يتنصر:

فأما ورقة بن نوفل فتنصر، فاستحكم في النصرانية، واتبع الكتب من أهلها، حتى علم علمًا كثيرًا من أهل الكتاب.

زيد بن عمرو بن نفيل يدين بالحنيفية:

فلم يكن فيهم أعدل أمرًا، ولا أعدل شأنًا من زيد بن عمرو بن نُفيل، اعتزل الأوثان وفارق الأديان من اليهود والنصارى والملل كلها إلاَّ دين إبراهيم، يوحد الله عز وجل ويخلع من دونه، ولا يأكل ذبائح قومه، بادأهم بالفراق لما هم فيه.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لقد رأيت زيد بن عمرو بن نُفَيل مسندًا ظهره إلى الكعبة، يقول: يا معشر قريش والذي نفس زيد بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري، ثم يقول: اللهم لو أني أعلم أحب الوجوه إليكِ عبدتك به، ولكني لا أعلمه ثم يسجد على راحته.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني بعض آل زيد بن عمرو بن نُفيل أن زيد كان إذا دخل الكعبة قال: لبيك حقًّا حقًّا تعبدًا ورقًّا، عذت بما عاذ به إبراهيم، وهو قائم، إذ قال: أنفي لك عان راغم مهما تجشمني فإني جاشم، البر أبغي لا الخال -يقول: لا الفخر- ليس مهجر كمن قال.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني هشام بن عروة قال:

رواني عروة بن الزبير أن زيد بن عمرو بن نفيل قال:

أربـا واحـدا أم ألف رب ... أديـن إذا تقسمت الأمور

عزلـت اللات والعزى جميعا ... كذلـك يفعل الجلد الصبور

فــلا عزى أدين ولا ابنتيها ... ولا صــنمي بني عمرو أدير
ولا غــنما أديــن وكان ربا ... لنا في الدهر إذ حلمي يسير
عجبت وفي الليالي معجبات ... وفي الأيــام يعرفها البصــير
بــأن الله قد أفنى رجــالاً ... كثيراً كان شأنهم الفجــور
وأبقــى آخرين ببر قــوم ... فيربك منهم الطفل الصغــير
وبينا المرء يعثر ثاب يومــاً ... كما يتروح الغصن النضــير

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: قال زيد بن عمرو بن نُفيل أيضًا:

أسلمت وجهي لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخراً ثقالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... لــه المــزن تحمل عذبا زلالا
إذا هــي ســيقت إلى بلدة ... أطاعت فصبت عليها سجالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له الريح تُصرف حالاً فحالا

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكان الخطاب بن نُفيل قد آذى زيد بن عمرو بن نُفيل حتى خرج عنه إلى أعلى مكة، فترل حراء، مقابل مكة ووكل به الخطاب شبابًا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم، فقال: لا تتركوه يدخل مكة، فكان لا يدخلها إلا سرًّا منهم، فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب، فأخرجوه وآذوه، كراهية أن يفسد عليهم دينهم، وأن يتابعه أحد منهم على فراقهم، وكان الخطاب عم زيد، وأخاه لأُمه، وكان عمرو بن نُفيل قد خلف على أم الخطاب بعده، فولدت له زيد بن عمرو، وكان الخطاب عمه وأخوه لأمه مع سنه، فكان يعاتبه على فراق دين قومه حتى آذاه، فقال زيد بن عمرو وهو يعظم حرمته على من استحل من قومه ما استحل:

الــلهم إني محرم لا أحله ... وإن بيتي أوسط المحله
عند الصفا ليس بذي مظلة

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: فحدثت أن رسول الله ﷺ قال

وهو يحدث عن زيد بن عمرو بن نفيل: «**إن كان لأول من عاب على الأوثان ونهى عنها وقد أقبلت من الطائف ومعي زيد بن حارثة حتى مررت بزيد بن عمرو وهو بأعلى مكة وكانت قريش قد شهرته بفراق دينها حتى خرج من بين أظهرهم، وكان بأعلى مكة، فجلست إليه ومعي سفرة لي فيها لحم يحملها زيد بن حارثة من ذبائحنا على أصنامنا، فقربتها له، وأنا غلام شاب، فقلت: كل من هذا الطعام أي عم، قال: فلعلها أي ابن أخي من ذبائحكم هذه التي تذبحون لأوثانكم؟ فقلت: نعم، فقال: أما إنك يا ابن أخي لو سألت بنات عبد المطلب أخبرتك أني لا آكل هذه الذبائح، فلا حاجة لي بها، ثم عاب على الأوثان ومن يعبدها ويذبح لها، وقال: إنما هي باطل لا تضر ولا تنفع أو كما قال**».

قال: قال رسول الله ﷺ: «**فما تحسست بوثن منها بعد ذلك على معرفة بها، ولا ذبحت لها حتى أكرمني الله عز وجل برسالته ﷺ**».

نا أحمد، نا يونس عن المسعودي عن نُفيل بن هشام عن أبيه قال: مر زيد ابن نُفيل على رسول الله ﷺ وعلى زيد بن حَارثة، فدعواه إلى سفرة لهما، فقال زيد: يا بن أخي إني لا آكل ما ذُبح على النصب، قال: فما رئي رسول الله ﷺ بعد ذلك اليوم يأكل شيئًا ذبح على النصب.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: وقد كان زيد أجمع على الخروج من مكة يضرب في الأرض، يطلب الحنيفية دين إبراهيم، فكانت امرأته صفية ابنة الحضرمي كلما أبصرته قد نهض إلى الخروج وأراده، آذنت به الخطاب بن نفيل، فخرج زيد إلى الشام يلتمس ويطلب في أهل الكتاب الأول دين إبراهيم، ويسأل عنه، فلم يزل في ذلك حتى أتى الموصل، أو الجزيرة كلها، ثم أقبل حتى أتى الشام، فجال فيها حتى أتى راهبًا ببيعته من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم النصرانية، فيما يزعمون، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم، فقال الراهب: إنك لتسأل عن دين ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم، لقد درس علمه، وذهب

من يعرفه، ولكنه قد أظلك خروج نبي يبعث بأرضك التي خرجت منها بدين إبراهيم الحنيفية، فعليك ببلادك فإنه مبعوث الآن، هذا زمانه، وقد كان شام اليهودية والنصرانية، فلم يرض شيئًا منهما فخرج سريعًا -حين قال له الراهب ما قال- يريد مكة، حتى إذا كان بأرض لخم، عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل، وكان قد اتبع مثل أثر زَيد، ولم يفعل في ذلك ما فعل، فبكاه ورقة فقال:

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما ... تجنبت تنوراً من النار حاميا

بدينك ربا ليس رب كمثله ... وتركك أوثان الطواغي كما هيا

وقد تدرك الإنسان رحمة ربه ... ولو كان تحت الأرض ستين واديا

ثناء الرسول ﷺ على زيد بن نفيل:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن عمر بن الخطاب، وسعيد بن زيد قالا: يا رسول الله نستغفر لزيد؟ فقال: نعم، فاستغفروا له، فإنه يبعث أمة وحده.

نا أحمد، نا يونس عن المسعودي عن نُفيل بن هشام عن أبيه أن جده سعيد بن زيد سأل رسول الله ﷺ عن أبيه زيد بن عمرو فقال: يا رسول الله إن أبي زيد بن عمرو كان كما رأيت، وكما بلغك، فلو أدركك آمن بك، فأستغفر له؟ قال: نعم، فاستغفر له فإنه يجيء يوم القيامة أمة وحده، وكان فيما ذكروا يطلب الدين، فمات وهو في طلبه.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكان حين أراد الله عز وجل كرامة نبيه ﷺ ورحمة العباد به واتخاذ الحجة عليهم، والعرب على أديان مختلفة متفرقة، مع ما يجمعهم من تعظيم الحرمة، وحج البيت، والتمسك بما كان بين أظهرهم من آثار إبراهيم ﷺ، وهم يزعمون أنهم على ملته، وكان يحجون البيت على اختلاف من أمرهم فيه[1].

---

(١) ذكر خبر ورقة بطوله ابن الكثير في «البداية والنهاية» (١٨/٣، ١٩) عن ابن إسحاق.

من حديث الحُمس:

فكانت الحُمس: قريش وكنانة، وخزاعة، ومن ولدت قريش من سائر العرب يُهلون بحجهم، فمن اختلافهم أن يقولوا: لبيك، لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك، فيوحدونه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده -يقول الله عز وجل لمحمد ﷺ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[١]، ولا يخرجون من الحرم ولا يدفعون من المزدلفة، يقولون: نحن أهل الحرم، فلا نخرج منه، وكانوا يسكنون البيوت إذا كانوا حُرمًا، وكان أهل نجد من مضر يهلون إلى البيت ويقفون على عرفة.

الرسول ﷺ والخلوة:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن شهاب الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت: أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله عز وجل كرامته ورحمة العباد به ألا يرى شيئًا إلا جاءت كفلق الصبح. فمكث على ذلك ما شاء الله عز وجل أن يمكث، وحبب الله عز وجل إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده[٢].

غار حراء ونزول الوحي:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي، وكان واعية، عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله عز وجل كرامته، وابتدأه بالنبوة، كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه، فيلتفت رسول الله ﷺ خلفه وعن يمينه وعن

---

(١) سورة يوسف: آية (١٠٦).

(٢) رواه الترمذي (٥/٥٩٦)، (٣٦٣٢) من طريق ابن إسحاق به. ورواه البخاري (٣)، (٣٣٩٢)، (٤٩٥٣)، (٤٩٥٥)، (٤٩٥٦)، (٤٩٥٧)، (٦٩٨٢)، ومسلم (٢٥٢)، (٢٥٣)، من طريق الزهري به.

شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة: السلام عليك، رسول الله، فكان رسول الله ﷺ يخرج إلى حراء في كل عام شهراً من السنة ينسك فيه، وكان من نسك في الجاهلية من قريش يطعم من جاءه من المساكين، حتى إذا انصرف من مجاورته وقضاه لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة حتى إذا كان الشهر الآخر الذي أراد الله عز وجل ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه فيها، وذلك شهر رمضان، فخرج رسول الله ﷺ كما كان يخرج لجواره، وخرج معه بأهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله عز وجل فيها برسالته، ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: **«جاءني وأنا نائم فقال: اقرأ، فقلت: وما اقرأ؟ حتى ظننت أنه الموت، ثم كشطه عني فقال: اقرأ، فقلت وما اقرأ؟ فعاد لي بمثل ذلك ثم قال: اقرأ فقلت: وما اقرأ؟ وما أقولها إلا تنجياً أن يعود لي بمثل الذي صنع بي فقال:**

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴾[1] **ثم انتهى فانصرف عني، وهببت من نومي وكأنما صوِّر في قلبي كتاب، ولم يكن في خلق الله عز وجل أحد أبغض إلي من شاعر أو مجنون، كنت لا أطيق أنظر إليهما، فقلت: إن الأبعد -يعني نفسه، ﷺ لشاعر أو مجنون، ثم قلت: لا تحدث قريش عني بهذا أبدًا، لأعمدن إلى حالق من الجبل، فلأطرحنِّ نفسي منه، فلأقتلنها، فلأستريحنِّ، فخرجت ما أريد غير ذلك، فبينا أنا عامد لذلك سمعت مناديًا ينادي من السماء يقول: يا محمد! أنت رسول الله، وأنا جبريل، فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد! أنت رسول الله، وأنا جبريل، فوقفت أنظر إليه، وشغلني عن ذلك وعما أريد، فوقفت ما**

(١) سورة العلق: آية (١-٥).

أقدر علي أن أتقدم ولا أتأخر ولا أصرف وجهي في ناحية من السماء إلا رأيته فيها، فما زلت واقفًا ما أتقدم ولا أتأخر حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي حتى بلغوا مكة ورجعوا، فلم أزل كذلك حتى كاد النهار يتحول، ثم انصرف عني، وانصرفت راجعًا إلى أهلي حتى أتيت خديجة فجلست إلى فخذها مضيفًا إليها، فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا، فقلت لها: إن الأبعد لشاعر أو مجنون، فقالت: أُعيذك بالله يا أبا القاسم من ذلك، ما كان الله عز وجل ليفعل بك ذلك مع ما علم من صدق حديثك، وعظم أمانتك، وحسن خُلقك، وصلة رحمك، وما ذاك يا بن العم، لعلك رأيت شيئًا أو سمعته؟ فأخبرتها الخبر، فقالت: أبشر يا بن عم، واثبت له، فوالذي تحلف به إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة، ثم قامت فجمعت ثيابها عليها[١].

ورقة بن نوفل يخبر خديجة بأن محمدًا خاتم الأنبياء:

ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل، وهو ابن عمها، وكان قد قرأ الكتب، وكان قد تنصر، وسمع التوراة والإنجيل، فأخبرته الخبر، وقصت عليه ما قص عليها رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع، فقال ورقة: قدُّوسٌ قدُّوسٌ، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة، إنه لنبي هذه الأُمة، وإنه ليأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى عليه السلام، فقولي له فليثبت، ورجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ما قال لها ورقة، فسهل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم بما جاءه فلما قضى رسول الله ﷺ جواره صنع كما كان يصنع، بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة وهو يطوف بالكعبة، فقال: يا ابن أخ أخبرني بالذي رأيت وسمعت، فقص عليه رسول الله ﷺ خبره، فقال

(١) إسناده ضعيف لجهالة شيوخ عبد الملك بن عبيد الله، ورواه من هذا الطريق البيهقي في «دلائله» (١٤٦/٢)، ورواه مسلم (٢٧٧٧/٢)، ١٧٨٢/٤)، والترمذي (٥/ ٥٩٢، ٥٩٣)، (٣٦٢٤)، وأحمد (٨٩/٥، ٩٥).

ورقة: والذي نفس ورقة بيده إنه ليأتيك الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى عليه السلام، وإنك لنبي هذه الأمة، ولتؤذَينَّ، ولتُكذبن، ولتُقاتلن، ولتُنصرن ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرنك نصرًا يعلمه الله، ثم أدنى إليه رأسه فقبَّل يافوخه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله وقد زاده الله عز وجل من قول ورقة ثباتًا، وخفف عنه بعض ما كان فيه من الهَم.

نا أحمد، نا يونس عن قُرَّة بن خالد قال: حدثني أبو رجاء العُطاردي قال: أول سورة نزلت على محمد ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ .

ورقة ينشد شعرًا مدحًا في الرسول ﷺ:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: وقد قال ورقة بن نوفل بن أسد ابن عبد العُزى بن قُصي فيما كانت ذكرت له خَديجة من أمر رسول الله ﷺ، فيما يزعمون:

إن يــك حقا يا خديجة فاعلمي ... حديــثك إيانــا فأحمــد مرسل
وجــبريل يأتــيه وميكال معهما ... من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفــوز بــه مــن فاز فيها بتوبة ... ويشــقى به العاتي الغوي المضلل
فــريقان مــنهم فرقة في جنانه ... وأخــرى بأحــواز الجحيم تغلل
إذا ما دعوا بالويل فيها تتابعت ... مقامــع في هامــاتهم ثم من غل
فسبحان من تهوى الرياح بأمره ... ومــن هو في الأيام ما شاء يفعل
ومن عرشه فوق السموات كلها ... وأقضــاؤه في خلقــه لا تــبدل

وقال ورقة في ذلك أيضًا:

يا للرجال لصرف الدهــــر ... ومــا لشــيء قضاه الله من غير
حــتى خديجة تدعوني لأخبرها ... ومــا لهــا بخفي الغيب مــن خبر
جــاءت لتسألني عنه لأخبرها ... أمــرًا أراه سيأتي الناس من أخر
فخــبرتني بأمر قد سمعت بــه ... فيما مضى من قديم الدهر والعصر

بــأن أحمــد يأتيه فيخـــبره جــبريل أنك مبعوث إلى البشـــر
فقلت علّ الذي ترجين ينجزه لك الإله فرجي الخير وانتظـــري
وأرسليه إلينا كي نسائلـــه عن أمر ما يرى في النوم والسهر
فقال حين أتانا منطقاً عجبـــاً يقـــف منه أعالي الجلد والشعـــر
إني رأيت أمين الله واجهـــني في صورة أكملت في أهيب الصور
ثم استمر فكاد الخوف يذعرني ممـــا يسلم ما حولي من الشجـــر
فقلت ظني وما أدري أيصدقني أن سوف يبعث يتلو منزل السور
وســـوف أبلـــيك إن أعلنت مـــن الجهـــاد بلا مَنٍّ ولا كدر[1]

حدثنا أحمد، نا يونس بن بُكير عن محمد بن إسحاق قال: حدثني عبد الله ابن أبي بكر عن جعفر قال كان رسول الله ﷺ تصيبه العين بمكة، فتسرع إليه قبل أن ينزل عليه الوحي فكانت خديجة ابنة خويلد تبعث إلى عجوز بمكة ترقيه، فلما نزل عليه القرآن فأصابه من العين نحو مما كان يصيبه فقالت له خديجة: يا رسول الله ألا أبعث إلى تلك العجوز فترقيك؟ فقال: أما الآن فلا.

الرسول يُحدِّث عن نفسه:

نا أحمد، نا يونس عن هشام بن عروة أن رسول الله ﷺ قال: ما من نبي إلا وقد رعى الغنم، فقيل: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا.

نا أحمد، نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عبيدة النَّصري قال: تفاخر رعاء الإبل ورعاء الغنم عند رسول الله ﷺ فأوطأهم رعاء الإبل غلبة، فقال: ما أنتم يا رعاء النقد، هل تحمون أو تصيدون، ورسول الله ﷺ جالس، فتكلم فقال: بعث موسى عليه السلام وهو راعي غنم، وبعث داود وهو راعي غنم، وبعثت أنا، وأنا راعي غنم أهلي بأجياد، فغلبهم رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه الطبري في «التاريخ» (٢/٣٠٢، ٣٠٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/١٥١، ١٥٣)، من طريق المصنف، وفيه انقطاع بين إسماعيل بن أبي حكيم وخديجة رضي الله عنها.

نا أحمد، نا يونس عن عبيد بن عُتيبة العَيْذي عن وهب بن كعب بن عبد الله بن سُور الأزدي عن سَلمان الفارسي أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه ليس من نبي إلا وله وصيٌّ وسبطان فمن وصيُّك وسبطاك؟ فسكت رسول الله ﷺ لم يرجع شيئًا، فانصرف سلمان يقول: يا ويله يا ويله كلما لقيه ناس من المسلمين قالوا: مالك سلمان الخير؟ فيقول سألت رسول الله ﷺ عن شيء فلم يرد عليَّ، فخفت أن يكون من غضب، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر قال: ادن يا سلمان، فجعل يدنو ويقول: أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فقال: سألتني عن شيء لم يأتني فيه أمر، وقد أتاني أن الله عز وجل قد بعث أربعة آلاف نبي، وكان أربعة آلاف وصي وثمانية آلاف سبط، فوالذي نفسي بيده لأنا خير النبيين، وإن وصيي لخير الوصيين، وسبطاي[1] خير الأسباط.

آخر الجزء، يتلوه في الثالث إن شاء الله: نا أحمد، نا يُونُس عن ابن إسحاق قال: ثم بعث الله عز وجل محمدًا رحمة للعالمين وكافة للناس.

والحمد لله حق حمده وصلواته على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليمًا كثيرًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) هما سيدنا: الحسن، والحسين ابنا الإمام عليٍّ، كرّم الله وجهه، والسيدة فاطمة الزهراء، رضي الله عنهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

توكلت على الله

أخذ الله ميثاقًا على الرسل بالإيمان بمحمد ﷺ:

أخبرنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد النَّقور البزاز -قراءة عليه وأنا أسمع- قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال: قرئ على أبي الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال: نا أبو عمر أحمد بن عبد الجبَّار العُطَاردي قال: نا يونس بن بُكير عن محمد بن إسحاق قال: ثم بعث الله عز وجل محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، وكافة للناس، وكان الله قد أخذ له ميثاقًا على كل نبي بعثه قبله، بالإيمان به، والتصديق له، والنصر له على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه، يقول الله تبارك وتعالى لمحمد ﷺ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ﴾[1] إلى آخر الآية. فأخذ الله ميثاق النبيين جميعًا بالتصديق له والنصر له على من خالفه، فأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين، فبعثه الله بعد بنيان الكعبة بخمس سنين، ورسول الله ﷺ يومئذٍ ابن أربعين سنة.

ابتداء نزول الوحي:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: فابتُدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان. بقول الله تبارك وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[2] إلى آخر الآية، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[3] إلى آخر السورة، وقال: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ

(١) آل عمران: آية (٨١).

(٢) سورة البقرة: آية (١٨٥).

(٣) سورة القدر: آية (١).

إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[١]، وقال: ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾[٢]، وذلك «التقى» رسول الله ﷺ والمشركين ببدر[٣].

تاريخ غزوة بدر الكبرى:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني أبو جَعفر محمد بن علي ابن الحسين أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون يوم بدر صبيحة الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان[٤].

نا أحمد، نا يونس عن أسباط بن إسماعيل بن عبد الرحمن قال: كان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان.

نا أحمد، نا يونس عن قرة بن خالد قال: سألت عبد الرحمن بن قاسم عن ليلة القدر، فقال: كان زيد بن ثابت يعظم سابعة عشر ويقول: هي وقعة بدر.

نا أحمد، نا يونس عن بسر بن أبي حفص الكندي الدمشقي قال: نا مَكحول أن رسول الله ﷺ قال لبلال: ألا لا يغادرك صيام الاثنين، أوحي إليّ يوم الإثنين، وهاجرت يوم الإثنين، وأموت يوم الاثنين.

تحديد ليلة القدر:

نا أحمد بن عبد الجبار قال: نا محمد بن فضيل عن عاصم بن كليب عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال: كنت عند عمر بن الخطاب رحمه الله وعنده أصحابه، فسألهم فقال: أرأيتم قول رسول الله ﷺ في ليلة القدر «**التمسوها في العشر الأواخر وترًا**»[٥] أي ليلة ترونها؟ فقال بعضهم: ليلة

---

(١) سورة الدخان: آية (١-٣).

(٢) سورة الأنفال: آية (٤١).

(٣) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٣٣/٢).

(٤) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٣٣/٢، ١٣٤)، عن ابن إسحاق به.

(٥) رواه البخاري (٢٠٢١)، (٥٩٩/٢)، مسلم (١١٦٥).

إحدى، وقال بعضهم: ليلة ثلاث، وقال بعضهم: ليلة خمس، وقال بعضهم: ليلة سبع، وأنا ساكت، فقال: مالك لا تتكلم؟ فقلت: إنك أمرتني ألا أتكلم حتى يتكلموا، فقال: ما أرسلت إليك إلا لتتكلم، فقال: إني سمعت الله يذكر السبع فذكر: ﴿ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾[1]، وخلق الإنسان من سبع، ونبات الأرض من سبع، فقال عمر: هذا أخبرني ما أعلم، أرأيت ما لا أعلم، قولك نبات الأرض من سبع؟ قال: قلت: قال الله: ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴾[2] «فالحدائق غلبا» الحيطان من النخل والشجر، ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[3] قال: الأبُّ ما أنبتت الأرض مما تأكل الدواب والأنعام ولا يأكل الناس، فقال عمر لأصحابه: أعجزتم أن تقولوا كما قال هذا الغلام الذي لم تجتمع له شؤون رأسه، والله إني لأرى القول كما قال.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: تتام الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو مؤمن بالله ومصدق لما جاءه، قد تقبله بقبول، وتحمَّل منه ما حمله الله على رضا العباد وسخطهم، وللنبوة أثقال ومؤونة لا يحملها ولا يستطيعها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس، وما يرد عليهم مما جاء به من عند الله تعالى.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: سمعت ابن منبه وهو في مسجد مِنى، وذكر له يُونُس النبي عليه السلام فقال: كان عبدًا صالحًا وكان في خلقه ضيق، فلما حملت عليه أثقال النبوة - ولها أثقال، فلما حملت عليه تفسخ تحتها تفسخ الرُّبَع تحت الحمل الثقيل، فألقاها عنه وخرج هاربًا.

---

(١) سورة الطلاق: آية (١٢).

(٢) سورة عبس: آية (٢٦-٢٩).

(٣) سورة عبس: آية (٣١).

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق ما جاء به، فخفف الله بذلك عن رسول الله ﷺ، لا يسمع شيئًا يكرهه من رَدٍّ عليه، وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرَّج الله عنه بها، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه، وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، رحمها الله ورضى الله عنها.

الرؤيا الصادقة أول ما بدئ به رسول الله ﷺ:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهري عن عروة عن عائشة قالت: أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به لا يرى شيئًا إلا جاءت كفلق الصبح، يمكث على ذلك ما شاء الله أن يمكث، وحبب إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده[1].

الرسول ﷺ يخبر خديجة بنزول جبريل عليه:

نا أحمد، نا يُونُس عن يُونُس بن عمرو عن أبي مَيْسرة عمر بن شُرَحْبيل أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: إني إذا خلوت وحدي أسمع نداء وقد والله خشيت أن يكون هذا الأمر، فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك ذلك فوالله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر رحمه الله. وليس رسول الله ﷺ، ثم ذكرت خديجة حديثه له، فقالت: يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده فقال: انطلق بنا إلى ورقة، فقال: ومن أخبرك؟ قال: خديجة.

بين الرسول وورقة بن نوفل:

فانطلقا إليه فقصا عليه، فقال: إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد، يا محمد، فأنطلق هاربًا في الأرض، فقال له: لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى

---

(١) رواه الترمذي (٥/٥٩٦)، (٣٦٣٢)، من طريق ابن إسحاق به، ورواه البخاري (٣)، ومسلم (٢٥٢).

تسمع ما يقول، ثم ائتني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [١] قل: لا إله إلا الله، فأتى ورقة فذكر ذلك له، فقال له ورقة: أبشر ثم أبشر، فأنا أشهد أنك الذي بشَّر بك ابن مريم، وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبي مرسل، وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك؛ فلما توفي ورقة قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني - يعني ورقة».

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال: سابَّ أخ لورقة، فتناول ورقة فسبه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لأخيه: هل علمت أني رأيت لورقة جنة أو جنتين، فنهى رسول الله ﷺ عن سبه.

تثبت خديجة رضي الله عنها من الوحي وإيمانها بالرسول ﷺ:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير، أنه حدث عن خديجة بنت خُوَيلد أنها قالت لرسول الله ﷺ، فيما تثبته به، فيما أكرمه الله به من نبوته: يا ابن عم هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، فقالت: إذا جاءك فأخبرني، فبينا رسول الله ﷺ عندها يومًا، إذ جاء جبريل، فرآه رسول الله ﷺ، فقال: يا خديجة هذا جبريل قد جاءني، فقالت: أتراه الآن؟ فقال: نعم، قالت: فاجلس إلى شقي الأيسر فجلس، فقالت: هل تراه الآن؟ قال: نعم، قالت: فاجلس إلى شقي الأيمن، فتحول فجلس، فقالت: هل تراه الآن؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس في حجري، فتحول رسول الله ﷺ فجلس، فقالت: هل تراه الآن؟ قال: نعم، فتحسرت فألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالس في

---

(١) سورة الفاتحة: آية (١-٧).

حجرها، فقالت: هل تراه الآن؟ قال: لا، قالت: ما هذا الشيطان، إن هذا لملك يا ابن عم فاثبت، وأبشر، ثم آمنت به، وشهدت أن الذي جاء به الحق(١).

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: فحدثت عبد الله بن الحسن هذا الحديث، فقال: قد سمعت فَاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة، إلا أني سمعتها تقول: أدخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها، فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام.

نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن عَامر الشعبي قال: سئل رسول الله ﷺ متى استنبئت؟ فقال: بين خلق آدم ونفخ الروح فيه.

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصاري عن رجل عن سعيد بن المُسَيَّب قال: نزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين، فأقام بمكة عشرًا، وبالمدينة عشرًا.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: ونزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشرًا.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: وأمر رسول الله ﷺ بالصبر لله على رسالته وتبليغ ما أمر به.

الرسول من أُولي العزم من الرسل:

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾(٢): نوح، وهود، وإبراهيم، فأمر رسول الله ﷺ أن يصبر كما صبر هؤلاء، وكانوا ثلاثة رسول الله ﷺ رابعهم، عليهم السلام ورحمة الله، قال نوح: ﴿ يَـٰقَوۡمِ إِن كَانَ

(١) رواه الطبري في «التاريخ» (٢/٣٠٢، ٣٠٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/١٥١، ١٥٣) من طريق المصنف.
(٢) سورة الأحقاف: آية (٣٥).

كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[1] إلى آخرها، فأظهر لهم المفارقة، وقال هود حين قالوا: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾[2] فأظهر لهم المفارقة، وقال عن إبراهيم: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[3] إلى آخر الآية، فأظهر لهم المفارقة، وقال محمد: ﴿ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[4] فقام رسول الله ﷺ عند الكعبة، فقرأها على المشركين فأظهر لهم المفارقة.

انقطاع الوحي ونزول سورة «الضحى»:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم فتر الوحي عن النبي ﷺ فترة من ذلك حتى شق عليه وأحزنه، ثم قال في نفسه مما أبلغ ذلك منه: لقد خشيت أن يكون صاحبي قد قلاني وودَّعني، فجاء جبريل بسورة «والضحى»، يقسم له به، وهو الذي أكرمه: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ فقال: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ يقول ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ ما صرمك وتركك وما قلى: ما أبغضك منذ أحبك، ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ أي ما عندي من مرجعك إلى خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا، ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ من الفتح في الدنيا والثواب في الآخرة، ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ يعرفه ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ومنِّه عليه في يتمه وعيلته وضلالته، واستنقاذه من ذلك كله برحمته ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ لا تكن جبارًا ولا متكبرًا ولا

---

(١) سورة يونس: آية (٧١).

(٢) سورة هود: آية (٥٤).

(٣) سورة الممتحنة: آية (٤).

(٤) سورة الأنعام: آية (٥٦).

فاحشًا فظًّا على الضعفاء من عباد الله ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ أي بما جاء من الله من كرامته ونعمته من النبوة، فحدث: اذكرها وادع إليها، يذكره ما أنعم الله به عليه وعلى العباد من النبوة.

نا أحمد، نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن خديجة أنها قالت: لما أبطأ على رسول الله ﷺ الوحي جزع من ذلك جزعًا شديدًا، فقلت له مما رأيت من جزعه: لقد قلاك ربك مما يرى من جزعك، فأنزل الله ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾.

الرسول ﷺ يسأل جبريل عن غيبته:

نا يونس عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾.

جبريل يعلّم الرسول ﷺ الوضوء والصلاة:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم إن جبريل أتى رسول الله ﷺ حين افترضت عليه الصلاة، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين ماء مزن، فتوضأ جبريل عليه السلام، ومحمد ينظر إليه، فوضأ وجهه ومضمض واستنشق ومسح برأسه وأذنيه ورجليه إلى الكعبين، ونضح فرجه، ثم قام فصلى ركعتين، وسجد أربع سجدات على وجهه.

الرسول ﷺ يعلّم خديجة الوضوء والصلاة:

ثم رجع النبي ﷺ قد أقر الله عينه وطابت نفسه، وجاءه ما يحب من الله، فأخذ بيد خديجة حتى أتى بها العين، فتوضأ كما توضأ جبريل، ثم ركع ركعتين وأربع سجدات هو وخديجة، ثم كان هو وخديجة يصليان سرًّا.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة أن الصلاة أول ما افترضت ركعتين، ثم أكملت أربعًا، وأثبتت للمسافر. قال: فحدثت ذلك عمر بن عبد العزيز، فقال لعروة:

حدثتني أن عائشة كانت تصلي في السفر أربعًا، فجاء عروة فقلت في نفسي لا يكون هذا بي، فسألته عن الحديث، فحدثه، فقال عمر: ما أدري ما أحاديثكم هذه! ثم حول وركه ونزل عن سريره ودخل.

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: أول ما افترضت الصلاة ركعتين فأثبتت للمسافر وأكملت للمقيم أربعًا[(١)].

نا يونس عن سالم مولى أبي المهاجر قال: سمعت ميمون بن مهران يقول: كان أول الصلاة مثنى مثنى مثنى، ثم صلى رسول الله ﷺ أربعًا فصارت سنة، وأُقرت الركعتين للمسافر وهي تمام[(٢)].

إسلام علي بن أبى طالب رضي الله عنه

الرسول ﷺ يعرض الإسلام علَى عليٍّ رضي الله عنه:

نا أحمد، حدثني يونس **عن ابن إسحاق** قال: ثم إن علي بن أبي طالب جاء بعد ذلك بيومين فوجدهما يصليان، فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: دين الله الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وحده، وإلى عبادته، وكفر باللات والعزى، فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرًا حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول الله ﷺ أن يفشي عليه سره قبل أن يستعلن أمره، فقال له: يا علي إذا لم تسلم فاكتم، فمكث علي تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال: ما عرضت علي يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد، ففعل علي وأسلم، ومكث علي يأتيه على خوف من أبي طالب، وكتم علي إسلامه ولم يظهر به[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٢/ ١٠، ١١)، ومسلم (٣/٤٥٣)، (٦٨٥)، ومالك في الموطأ (١/١٤٦).

(٢) انظر: السابق.

(٣) رواه الطبري في «التاريخ» (٢/٣١٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/١٦١)، من طريق ابن إسحاق.

وأسلم زيد بن حارثة فمكث قريباً من شهر يختلف عليٌّ إلى رسول الله ﷺ(١).

علي ينشأ في كنف الرسول:

وكان مما أنعم الله به على عليّ أنه كان في حجر الرسول ﷺ قبل الإسلام.

سن عليٍّ عند إسلامه:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي نَجيح، قال: أراه عن مُجاهد، قال: أسلم علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني يحيي بن أبي الأشْعَث الكِنْدى -من أهل الكوفة- قال: حدثني إسماعيل بن إياس بن عَفيف عن أبيه عن جده عفيف أنه قال: كنت امرءًا تاجرًا فقدمت أيام مني، أيام الحج، وكان العباس بن عبد المطلب امرءًا تاجرًا، فأتيته أبتاع منه وأبيعه، قال فبينا نحن إذ خرج رجل من خباء يصلي فقام تجاه الكعبة، ثم خرجت امرأة فقامت تصلي معه، وخرج غلام فقام يصلي معه، فقلت: يا عبَّاس ما هذا الدين، إن هذا الدين ما ندري ما هو؟ فقال العباس: هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به؛ قال العفيف: فليتني آمنت يومئذ وكنت أكون ثانياً.

نا يونس عن يُوسف بن صُهيب عن عبد الله بن بُرَيْدَة قال: أول الرجال إسلامًا عليّ بن أبي طالب ثم الرهط الثلاثة: أبو ذَرٍّ، وبُريدة، وابن عَمٍّ لأبي ذَر(٢).

---

(١) رواه الطبري في «التاريخ» (٢/٣١٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/١٦٥).

(٢) رواه الطبري في «التاريخ» (٢/٣١٣) عن ابن إسحاق.

إسلام أبي بكر الصديق ﷺ

الرسول ﷺ يُعرض الإسلام على أبي بكر:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم إن أبا بكر لقي رسول الله ﷺ فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد من تَرْكِكَ آلهتنا، وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آباءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر إني رسول الله ونبيه، بعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق، فوالله إنه للحق أدعوك إلى الله يا أبا بكر، وحده لا شريك له، ولا يعبد غيره، والموالاة على طاعته أهل طاعته، وقرأ عليه القرآن، فلم يفر، ولم ينكر، فأسلم وكفر بالأصنام وخلع الأنداد، وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق.

استجابته الفورية للإسلام:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي أن رسول الله ﷺ قال: «**ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عتم حين ذكرته له، وما تردد فيه**».

إعلانه الإسلام ﷺ:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: فابتدأ أبو بكر أمره، وأظهر إسلامه، ودعا الناس، وأظهر علي وزيد بن حارثة إسلامهما فكبر ذلك على قريش.

وكان أول من اتبع رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد، زوجته، ثم كان أول ذكر آمن به علي، وهو يومئذ ابن عشر سنين، ثم زيد بن حارثة، ثم أبو بكر الصديق ﷺ[١].

إيلاف قريش له:

فلما أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه ودعا إلى الله ورسوله، وكان أبو بكر

---

(١) انظر البداية والنهاية (٣/٣٩)، وسبل الهدى والرشاد (٢/٣٠٢).

رجلاً مآلفًا لقومه، مُحببًا سَهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير أو شر، وكان رجلاً تاجرًا، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه.

إسلام خمسة على يديه:

فأسلم على يديه فيما بلغني: الزُبير بن العوَّام، وعثمان بن عفان، وطلحة ابن عُبيد الله، وسعد بن أبي وقَّاص، وعبد الرحمن بن عَوف، ومعهم أبو بكر، فانطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، وأنبأهم بحق الإسلام، وبما وعدهم الله من كرامة فآمنوا، وأصبحوا مقرين بحق الإسلام، فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام فصلُّوا وصدَّقوا رسول الله ﷺ، وآمنوا بما جاء من عند الله تعالى.

إسلام أبي ذرّ رضي الله عنه

ذهابه إلى مكة وسماعه الرسول وإسلامه ومن معه:

نا يونس عن يوسف بن صُهَيب عن عبد الله بن بُريدة قال: انطلق أبو ذر وبُريدة، معهما ابن عم لأبي ذر يطلبون رسول الله ﷺ، وهو بالجبل مكتتم بطائفة من مكة، وأتوه وهو نائم في الجبل مسجًّا بثوبه، خارجة قدميه، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس قدمًا، فقال أبو ذر: إن كان نبي بهذه البلاد فهو هذا النائم، فمشوا حتى قاموا عليه، ومع أبي ذر عَصًا يتوكأ عليها، فقال أبو ذر: أنائم الرجل؟ وكان رسول الله ﷺ نائمًا، فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم نادى أبو ذر: أنائم الرجل؟ فلم يجبه، ثم أعاد عليه أبو ذر: أنائم الرجل؟ وغمز بعصاه في باطن قدم رسول الله ﷺ فاستيقظ رسول الله ﷺ فقعد، فقال له أبو ذر: يا محمد أتيناك لنسمع ما تقول، وإلى ما تدعو، فقال رسول الله ﷺ: أقول: لا إله إلا الله وأني رسول الله، فآمن به أبو ذر وصاحباه وكان علي رضي الله عنه فى حاجة لرسول الله ﷺ أرسله فيها.

خيرية أمة محمد:

نا يونس عن جعفر بن حيان عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «**أنتم توفون بسبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله**».

صفة رسول الله ﷺ في التوراة:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن ثابت بن شُرَحْبيل عن أم الدرْدَاء قالت: قلت لكَعب الحَبْر: كيف تجدون صفة رسول الله ﷺ في التوراة؟ قال: نجده محمدا رسول الله، اسمه المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخّاب في الأسواق، وأُعطي المفاتيح ليبصر الله به أعينًا عورًا، ويسمع به آذانًا وقرًا، ويقيم به ألسنًا معوجة، حتى تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له يعين المظلوم ويمنعه.

أسماء رسول الله ﷺ:

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو بن مُرة عن أبي عُبيدة عن أبي موسى قال سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا، قال: أنا محمد وأحمد والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة والملحمة.

صفة رسول الله ﷺ في الإنجيل:

نا يونس عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حريث عن عائشة رضي الله عنها قالت: لرَسول الله ﷺ مكتوب في الإنجيل، لا فظ، ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح.

منزلة أمة محمد:

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن زياد مولى مُصعب عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: مضت تسع وستون أمة وأنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: أخبرني الزهري عن مُحمد بن جُبَير بن مُطْعِم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لي خمسة أسماء: أنا

محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأن العاقب، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدميه.

إسلامُ المُهَاجرين رضي الله عنهم

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم انطلق أبو عُبيدة بن الحارث، وأبو سَلمة بن عبد الأسد، وعبد الله بن الأرَقم المخْزُومي، وعثمان بن مَظْعُون حتى أتوا رسول الله ﷺ فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، فأسلموا وشهدوا أنه على هدى ونور.

ثم أسلم ناس من قبائل العرب منهم: سَعيد بن زَيد بن عَمْرو بن نُفيل، أخو بَني عَدِي بن كَعْب، وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نُفَيل بن عبد العزَّى، أخت عمر بن الخطاب، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة بنت أبي بكر وهي صغيرة، وقُدَامة بن مَظْعُون، وعبد الله بن مَظْعُون الجمحيان، وخباب بن الأرت حليف بني زهرة، وعمير بن أبي وقاص الزهري وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة، ومسعود بن القاري وسُليط بن عمرو أخو بنى عامر بن لُؤي، وعياش ابن أبي ربيعة المخْزُومي وامرأته أسماء بنت سَلامة بن مخرمة التميمي، وخنيس بن حُذافة السهمي، وعامر بن ربيعة حليف بني عَدِي بن كَعْب، وعبد الله بن جَحش الأسدي، وأبو أحمد بن جحش، وجعفر بن أبي طالب وامرأته أسماء بنت عُميس، وحاطب بن الحارث الجمحي وامرأته أسماء بنت المحلل أخت بني عامر بن لُؤي، والخطاب بن الحارث وامرأته فكيهة بنتُ يسَار، ومعمر بن الحارث بن معمر الجُمَحي، والسائب بن عثمان بن مظعون، والمطلب بن أَزْهَر ابن عبد عوف الزهري وامرأته رَمْلة بنت أبي عوف بن أبي صَبير بن سعد بن سهم، والنحَّام واسمه نعيم بن أسد أخو بني عَدي بن كَعْب، وعامر بن فُهيرة مولى أبي بَكر الصديق، وخالد بن سعيد بن العَاص وامرأته أُمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة من خُزَاعة، وحاطب بن عَمرو بن عبد شمس أخو بني عامر بن لُؤي، وأبو حُذَيفة بن عُقبة بن ربيعة، وواقد بن فائد بن عبد الله بن

عزيز بن ثعلبة التميمي حليف بني عدي بن كعب، وخالد بن البكير، وعامر بن البكير، وعاقل بن البُكير، وإياس بن البكير بن عبد الله بن ناشب من بني سعد ابن ليث، حلفاء بني عدي بن كعب، وعمار بن ياسر حليف بني مخزوم، وصهيب بن سنان حليف بني تميم.

ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من النساء والرجال حتى فشا ذكر الإسلام وتُحدِّث به، فلما أسلم هؤلاء النفر وفشا أمرهم بمكة أعظمت ذلك قريش، وغضبت له، وظهر فيهم لرسول الله ﷺ البغي والحسد، وشخص له منهم رجال فبادوه العداوة، وطلبوا له الخصومة، منهم: أبو جهل بن هشام، وأصحابه وأبو لهب، وعبيد بن عبد يغوث، وعمرو بن الطُّلاطلة، والوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، وأُمية بن خلف، وأُبي بن خلف، وهو الذي أصاب وجه رسول الله ﷺ بمكة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وأبو قيس بن الأسلت والحُضين، أو الحُضير بن الحارث بن سعيد بن الحجاج وهو زهير بن أبي أمية بن المغيرة، والسائب بن صيفي بن عائذ، والأسود بن عبد الأسد، والعاصي بن سعيد، وعُتْبة بن ربيعة، وشَيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وأبو العاصي ابن هشام، وعقبة بن أبي مُعيط، وأبو الأشد الهُذلي، نطحته أروى فسقط فتقطع، والحكم بن أبي العاصي، وعدي بن جبر الثقفي، وزمعة بن الأسود.

وكان الذين يؤذونه: أبو لهب، وعُقْبة بن أبي مُعَيط، والحكم بن أبي العاصي، وعَدي بن جبر الثقفي، ورجل آخر[1].

قوله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

أمر الله رسوله بتبليغ دعوته:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكان الذي تنتهي إليه عداوة رسول الله ﷺ، ويجتمع إليه فيها أبو جهل، حَسدًا وبغيًا؛ لما خص الله به رسول

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/١٧٣، ١٧٥)، عن ابن إسحاق.

الله ﷺ من كرامته.

ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاء به، وأن ينادي الناس بأمره، وأن يدعو إلى الله تعالى، وكان ربما أخفى الشيء، واستسر به إلى أن أمر بإظهاره، فلبث سنين من مبعثه، ثم قال الله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]، وقال: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[2].

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني من سمع عبد الله بن الحارث بن نوفل واستكتمني اسمه عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال رسول الله ﷺ: عرفت أني إن بادأت بها قومي رأيت منهم ما أكره، فصمت عليها، فجاءني جبريل فقال: يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرك ربك تعالى عذبك ربك، قال علي: فدعاني رسول الله ﷺ فقال: يا علي إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فعرفت أني إن بادأتهم بذلك رأيت منهم ما أكره، فصمت عن ذلك حتى جاءني جبريل فقال: يا محمد إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك، فاصنع لنا يا علي رجل شاة على صاع من طعام، وأعد لنا عسَّ لبن، ثم اجمع بني عبد المطلب ففعلت، فاجتمعوا له وهم يومئذ أربعون رجلاً أو ينقصون، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب الكافر الخبيث، فقدمت إليهم تلك الجفنة، فأخذ منها رسول الله ﷺ حذية فشقها بأسنانه، ثم رمى بها في نواحيها، ثم قال: كلوا باسم الله، فأكل القوم حتى نهلوا عنه، فما رئي إلا آثار أصابعهم، والله إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها، ثم قال رسول الله ﷺ: اسقهم

---

(١) سورة الحجر: آية (٩٤).

(٢) سورة الشعراء: آية (٢١٤: ٢١٦).

يا علي، فجئت بذلك القعب فشربوا حتى نهلوا جميعًا، وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لهد، ما سحركم صاحبكم! فتفرقوا و لم يكلمهم رسول الله ﷺ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ : يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالأمس من الطعام والشراب، فإن هذا الرجل قد بدرني إلى ما قد سمعت قبل أن أكلم القوم، ففعلت، ثم جمعهم له فصنع رسول الله ﷺ كما صنع بالأمس، فأكلوا حتى نهلوا عنه، ثم سقيتهم فشربوا من ذلك القعب حتى نهلوا عنه، وايم الله إن الرجل منهم ليأكل مثلها، ويشرب مثله، ثم قال رسول الله ﷺ: يا بني عبد المطلب، والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة(١).

الرسول ﷺ يصف نزول الوحي عليه:

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل الحارث بن هشام رسول الله ﷺ فقال: كيف يترل عليك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: كل ذلك يأتيني الملك أحيانًا في مثل صَلْصَلة الجرس، وهو أشقه عليَّ، فيفصم عني وقد وعيته، ويتمثل لي الملك أحيانًا في صورة رجل فيكلمني فأعي ما يقول.

نا يونس عن عَبَّاد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي ثقل عليه، وتربَّد له جلده، وأمسك الناس عن كلامه.

نا يونس عن عمر بن ذر عن مجاهد قال: كان إذا نزل القرآن على رسول الله ﷺ قرأه على الرجال ثم على النساء.

الرسول ﷺ يأمر أهله بالعمل الصالح:

نا يونس عن أبي مَعْشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة، أن رسول الله

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/٣١٨).

ﷺ قال: «**يا بني عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد، يا صفية عمة رسول الله اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئتم، واعلموا أن أول آت يوم القيامة المتقون، فإن تكونوا يوم القيامة مع قرابتكم فذاك وإياي لا يأتون الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على أعناقكم فأصد وجهي عنكم، فتقولون: يا محمد، فأقول هكذا - فصرف وجهه - فتقولون يا محمد فأقول هكذا - وصرف وجهه إلى الشق الآخر**».

خروج الرسول ﷺ بأصحابه للصلاة في الشِّعب:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا إلى الشِّعاب، واستخفوا بصلاتهم عن قومهم، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شعب من شعاب مكة؛ إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، واقتتلوا، فضرب سعد بن أبي وقاص رجلاً من المشركين بلحي بعير فشجه، فكان أول دم أهريق في الإسلام.

عداوة قومه ومساندة أبي طالب له:

فلما رأت قريش رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا عمه أبا طالب قد حدب عليه، وقام دونه فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب فيهم: عتبة بن ربيعة، وشيبة، وأبو سفيان، وأبو البَخْتري، والأسود بن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل، والعاصي بن وائل، ومُنَبه ونبيه ابنا الحجَّاج، أو من مشى فيهم.

وفد قريش يعاتب أبا طالب على فعل ابن أخيه:

فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا، وسفَّه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه فنكفيكه وإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فقال أبو طالب قولاً رقيقًا، ورد ردًّا جميلاً، فانصرفوا عنه.

الرسول ﷺ يستمر في دعوته وقريش تظهر عداوتها للمسلمين:

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله، ويدعو إليه، ثم إن قريشًا تآمروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله منهم رسوله بعمه أبي طالب، وقد قال أبو طالب، حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني المطلب، دعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من دفع عن رسول الله ﷺ إلا ما كان من أبي لهب، وهو يحرِّض بني هاشم، وإنما كانت بنو المطلب تدعى لهاشم إذا دعوا بالحلف الذي كان بين بني هاشم وبين بني المطلب دون بني عبد مناف، فقال:

حتى متى نحن على فتنة ... يا هاشم والقوم في محفل

يدعون بالخيل على رقبة ... منا لدى الخوف وفي معزل

كالرحبة السوداء يعلو بها ... سرعانها فى سبسب مجفل

عليهم النزك على رَعله ... مثل القطا الشارب المهمل

يا قوم ذودوا عن جماهيركم ... بكل مفضال على مسبل

وقد شهدت الحرب في فتية ... عند الوغا في عثير القسطل

فلما اجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب معه ورأى أن قد امتنع بهم وأن قريشاً لن يعادوه معهم قال أبو طالب، وبادى قومه بالعدواة، ونصب لهم الحرب فقال:

منعنا الرسول رسول المليك ... ببيض تلألأ كلمع البروق

بضرب بزبر دون التهاب ... حذار البوادر كالخنفقيق

أذب وأحمي رسول المليك ... حماية حام عليه شفيق

وما إن أدب لأعدائه ... دبيب البكار حذار الفنيق

ولكــن أزأر لهــم ســامياً   كمــا زار ليث بغيل مضيق

شعر أبي طالب في مدح قومه لنصرته:

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرَّه من جدهم معه، وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم، ومكانه منهم ليشتد لهم رأيهم فيه، وليحدبوا معه على أمرهم، فقال أبو طالب:

إذا اجتمعــت يوماً قريش لفخر   فعــبد مــناف سرها وصميمـــها
وإن حصــلت أشراف عبــــد   ففــي هاشم أشرافها وقديـــمها
وإن فخرت يوماً فإن محمـــداً   هو المصطفى من سرها وكريمـــها
تداعــت قريش غثها وسمينهــا   علينــا فــلم تظفر وطاشت حلومها
وكــنا قديمــاً لا نقر ظلامــة   إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمـــها
ونحمــي حماها كل يوم كريهــة   ونضرب عن أحجارها من يرومها[١]

أبو طالب يسخر من أبي لهب:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم أقبل أبو طالب على أبي لهب حين ظافر عليه قومه، ونصب لعداوة رسول الله ﷺ مع من نصب له، وكان أبو لهب للخزاعية، وكان أبو طالب وعبد الله أبو رسول الله والزبير لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عُمران بن مخزوم، فغمزه أبو طالب بأُمٍّ له يقال لها أسماحيج، وأغلظ له في القول:

مستعرض الأقوام يخبرهـــم   عــذري وما إن جئت من عذر
فــاجعل فلانة وابنها عوضــاً   لكرائم الأكفاء والصهـــــر
واسمع نوادر من حديث صادق   تهوين مثل جنادل الصخـــر
إنــا بنو أم الزبير وفحلهـــا   حملــت بنا للطيب والطهـــر

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢/٣٢٢، ٣٢٦)، وانظر: البداية والنهاية (٣/٦٢، ٦٥). وسبل الهدى والرشاد (٢/٣٢٨).

فحرمت منا صاحباً ومـــوازراً وأخاً على السراء والضـــر

أبو طالب يعلن لقريش تمسكه بنصر ابن أخيه:

قال: فلما مضى أبو طالب على أمره من خلاف قومه فيما أراد رسول الله ﷺ، واجتمعت قريش على عدوانه وخلافه، قال أبو طالب في ذلك:

مـــا إن جنيـــنا من قريش عظيمة سوى أن منعنا خير من وطئ التربا
أخـــا ثقة للنائبات مـــــوراً كـــريماً ثناه لا لئيماً ولا ذربـــا
فـــيا أخوينا عبد شمس ونوفــــلا فإياكمـــا أن تُسعروا بيننا حربـــا
وإن تصبحوا من بعد ود وإلفـــة أحابيش فيها كلكم يشتكي النكبـــا
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس ورهط أبي يكسوم إذا ملئوا الشعب
فـــوالله لولا الله لا شيء غـــيره لأصـــبحتم لا تملكون لنا سربـــا

الوليد بن المغيرة يكيد للرسول:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدَّثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جُبير، أو عكرمة عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال: يا معشر إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأياً واحدًا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا، ويرد قول بعضكم بعضاً، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيًا نقوم به، فقال: بل أنتم، قولوا أسمع، فقالوا: نقول: كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكاهن وسجعه فقال: نقول مجنون، فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو تخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته، فقالوا: نقول: شاعر، فقال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر برجزه وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، قد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثه ولا عقده، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، إن أصله لغدق، وإن فرعه لجنًا، فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً

إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا: ساحر، فقولوا ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون يسألون الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره.

القرآن يرد على الوليد:

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة، وفي ذلك من قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[1]، وأنزل الله عز وجل في النفر الذين كانوا معه يصنفون له القول في رسول الله ﷺ وفيما جاء به من عند الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ أي أصنافاً: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2] أولئك النفر الذين يقولون ذلك لرسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ، وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها.

نا يونس عن أبي معشر عن محمد بن قيس في قوله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾[3]، قال: قالت قريش لرسول الله ﷺ: إن ما تقول حق، فوالله إن قلوبنا لفي أكنة منه ما نعقله، وفي آذاننا وقر فما نسمعه، ومن بيننا وبينك حجاب فما ندري ما تقول.

قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب بدل محمد:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم إن قريشاً حين عرفت أن أبا طالب أبى خُذْلان رسول الله ﷺ، وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك، وعدواهم، مشوا إليه ومعهم عمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له فيما بلغنا: يا أبا طالب قد جئناك بفتى قريش عُمارة بن الوليد جمالاً، وشبابًا، ونهادة، فهو لك نصره وعقله، فاتخذه ولدًا تنازع فيه، وخل بيننا وبين ابن أخيك هذا الذي فارق

---

(١) سورة المدثر: آية (١١-٢٦).

(٢) سورة الحجر: آية (٩١-٩٢).

(٣) سورة فصلت: آية (٥).

دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومه، وسفَّه أحلامهم، فإنما رجل كرجل لنقتله، فإن ذلك أجمع للعشيرة، وأفضل في عواقب الأمور مغَبَّة، فقال لهم أبو طالب: والله ما أنصفتموني، تعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابن أخي تقتلونه، هذا والله لا يكون أبدًا، أفلا تعلمون أن الناقة إذ فقدت ولدها لم تحن إلى غيره، فقال له المُطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: لقد أنصفك قومك يا أبا طالب، وما أراك تريد أن تقبل ذلك منهم، فقال أبو طالب للمطعم بن عدي: والله ما أنصفتموني ولكنك قد أجمعت على خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ، فاصنع ما بدا لك، أو كما قال أبو طالب، فحقب الأمر عند ذلك وجمعت للحرب وتنادى القوم وبادى بعضهم بعضا، فقال أبو طالب عند ذلك -وإنه يعرض بالمطعم- ويعم من خذله من بني عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه فيما طلبوا منه وما تباعد من أمرهم.

شعر أبي طالب في المطعم ومن خذله:

ألا ليت حظي من حياطتكم بكر ... يرش على الساقين من بوله قطر

من الخور حبحاب كثير رغاؤه ... إذا ما علا الفيفاء تحسبه وبر[١]

أرى أخوينا من أبينا وأمنا ... إذا سئلا قالا إلى غيرنا الأمر

بل لهما أمر ولكن ترجما ... كما ترجمت من رأس ذي الفلق الصخر

هما أغمزا للقوم في أخويهما ... وقد أصبحا منهم أكفهما صفر

أخص خصوصاً عبد شمس ونوفلا ... هما نبذانا مثل ما نبذ الجمر

فأقسمت لا ينفك منهم مجاور ... يجادرنا ما دام من نسلنا شفر[٢]

هما أشركا في المجد من لا أخا له ... من الناس إلا أن يرش له ذكر[٣]

---

(١) الخور: الضعيف. الفيفاء: القفر، وربر: دويبة على قدر الهرة (القطة).

(٢) شفر: أيّ أحد.

(٣) إلا أن يرش له ذكر: يعني أن يذكر ذكراً خفيًا.

وليدًا أبوه كان عبداً لجدنا ... إلى علجة زرقاء جاش بها البحر
وتيم ومخزوم وزهرة منهم ... وكانوا لنا مولى إذا ابتغي النصر
وقد سفهت أحلامهم وعقولهم ... وكانوا كجفر شرها ضغطت جفر

بَابُ مَا نَالَ أَصْحَابِ رَسولِ اللهِ مِنَ الْبَلاَءِ والجَهْدِ

رجوع الوفد لأبي طالب مرة ثانية:

ثم إن قريشًا مشوا إلى أبي طالب تارة أخرى فكلَّموه، وقالوا: ما نحن يا أبا طالب، وإن كنت فينا ذا مترلة بسنِّك وشرفك وموضعك، بتاركي ابن أخيك على هذا حتى نهلكه أو يكف عنا ما قد أظهر بيننا من شتم آلهتنا، وسبِّ آبائنا، وعيب ديننا، فإن شئت فاجمع لحربنا، وإن شئت فدع، فقد أعذرنا إليك، وطلبنا التخلص من حربك وعداوتك فكل ما نظن أن ذلك مخلص، فانظر في أمرك، ثم اقض إلينا قضاك.

ما دار بين الرسول ﷺ وعمه أبي طالب:

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني يعقوب بن عُتْبة بن المُغيرة بن الأَخْنس أنه حدث أن قريشًا حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا: كذا وكذا، للذي قالوا له، وآذوني قبل، فأبق عليَّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، واكفف عن قومك ما يكرهون من قولك هذا الذي فرق بيننا وبينهم، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمِّه فيه بَداء، وأنه خَاذله ومسلِّمه، وضعف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله ﷺ: يا عم، **لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه**، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، فلما ولى قال له - حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ -: أقبل يا ابن أخي، فأقبل عليه، فقال: امض على أمرك وافعل ما أحببت، فوالله لا نسلِّمك بشيء أبداً.

نا يونس عن طلحة بن يحيى بن طلحة بن عُبيد الله عن موسى بن طلحة قال: أخبرني عقيل بن أبي طالب قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا، فانهه عنا، فقال: يا عقيل انطلق فأتني بمحمد فانطلقت إليه، فاستخرجته من خيس، يقول بيت صغير، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فجعل يطلب الفيء يمشي فيه من شدة الحر الرحَض، فلما أتاهم قال أبو طالب: إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم، فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال أترون هذه الشمس؟ قالوا: نعم، قال: فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة، فقال أبو طالب: والله ما كذبنا ابن أخي فارجعوا.

شعر أبي طالب في مساندة ابن أخيه:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق: ثم قال أبو طالب من شعر قاله حين أجمع لذلك من نُصرة رسول الله ﷺ، والدفاع عنه على ما كان من عداوة قومه وفراقهم له:

والله لـــن يصـــلوا إليه بجمعهم ... حـــتى أوسد في التراب دفينا

امضي لأمرك ما عليك غضاضة ... وابشـــر وقر بذاك منك عُيونا

ودعوتـــني وعلمت أنك ناصح ... فلقد صدقت وكنت قدماً أمينا

وعرضـــت ديناً قد عرفت بأنه ... من خير أديان البرية ديـــنا

لولا الملامة أو حذاري ســـبة ... لوجدتني سمحاً لذلك مبينـــا

فلما قالت قريش: لقد سفه أحلامنا، وعَاب ديننا، وسب آباءنا، فوالله لا نقر بهذا أبداً، وقام أبو طالب دون رسول الله ﷺ، وكان أحب إليه، فشمَّر في شأنه، ونادى قومه، قال قصيدة تعوذ فيها منهم، وبادأهم في آخرها، فقال:

لمـــا رأيـــت القـــوم لا ود بينهم ... وقد قطعوا كل العُرى والوسائل[1]

---

(١) الوسائل: القربة.

وقـــد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقـــد طـــاوعوا أمـــر العدو المزايل
وقـــد حالفوا قوماً علينا أظنـــــة ... يعضـــون غـــيظاً خلفنا بالأنامل[1]
صبرت لهم نفسي بصفراء سمحـــة ... وأبيض عضب من سيوف المقاول[2]
وأحضرت عند البيت رهطـــــي ... وأمســـكت من أثوابه بالوصائل[3]
عكوفاً معاً مستقبلين وتـــــارة ... لدى حيث يقضي حلفه كل نافل[4]
وحيث ينيخ الأشعريون ركابهـــم ... بمفضـــي السيول بين ساف ونائل[5]

مقاطعة قريش بني هاشم وبني المطلب:

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال: فلما مضى رسول الله ﷺ على الذي بعث به، وقامت بنو هاشم، وبنو المطلب دونه، وأبوا أن يسلموه، وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه، إلا أنهم أنفوا أن يستذلوا، ويسلموا أخاهم لمن فارقه من قومه، فلما فعلت ذلك بنو هاشم، وبنو المطلب، وعرفت قريش أنه لا سبيل إلى محمد ﷺ معهم، اجتمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم ولا ينكحوا إليهم، ولا يبايعوهم ولا يتاعون منهم، فكتبوا صحيفة في ذلك، وكتب في الصحيفة عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وعلّقوها بالكعبة، ثم عدوا على من أسلم فأوثقوهم، وآذوهم، واشتد البلاء عليهم، وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالاً شديداً، فخرج أبو لهب عدو الله يظاهر عليهم قريش، وقال: قد نصرت اللات والعزى يا معشر قريش فأنزل الله عز وجل: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلى آخرها.

---

(١) أظنة: جمع ظنين وهو المتهم.
(٢) بصفراء سمحة: أي قناة تسمح بالانعطاف عند هزها، والعضب: القاطع، والمقاول: الملوك.
(٣) الوصائل: ثياب حمر فيها خطوط، كان يكسى البيت بها قديماً.
(٤) كل نافل: كل متبرّي.
(٥) إساف ونائل: اسمان لصنمين كانا يعبدان في الجاهلية.

شعر صفية عمة رسول الله ﷺ – لقريش:

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: وقالت صفية بنت عبد المطلب:

ألا مـــن مبلغ عني قريشاً ... ففـــيم الأمر فينا والإمار

لنا الأمر المقدم قد علمتم ... ولم توقـــد لنا بالغدر نار

مجـــازيل العطا إذا وهبنا ... وأيسار إذا ابتغي اليسار

وكل مناقب الخيرات فينا ... وبعض الأمر منقصة وعار

فلا والعاديات غداة جمع ... بأيديهـــــا إذا ســـــطع

لنصطبرن لأمر الله حـــتى ... يبين ربنا أين القـــــرار

شعر أبي طالب لقريش: وقال أبو طالب:

ألا أبلغـــا عـــني على ذات نأيها ... لؤيـــاً وخصـــا من لؤي بني كعـــب

ألم تعـــلموا أنا وجدنا محمـــداً ... نبـــياً كموسى خط في أول الكتـــب

وأن علـــيه في العـــباد محبـــة ... ولا خـــير فـــيمن خصه الله بالحـــب

وأن الـــذي أضـــفتم في كتابكم ... لكم كائن نحساً كراغية السقـــب[1]

أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الثرى ... ويصبح من لم يجن ذنباً كذي الذنـــب

ولا تتـــبعوا أمر الغواة وتقطعوا ... أواصـــرنا بعـــد المـــودة والقـــرب

وتســـتجلبوا حرباً عوانا وربمـــا ... أمـــر عـــلى من ذاقه حلب الحـــرب

ولســـنا ورب البيت نسلم أحمدا ... على الحال من عض الزمان ولا كرب[2]

أليس أبونا هاشم شـــد أزره ... وأوصـــى بنيه بالطعان وبالضـــرب

ولسنا نمل الحرب حتى تملنـــا ... ولا نتشـــكى ما ينوب من النكـــب

ولكنـــنا أهل الحفاظ ذوو النُّهى ... إذا طـــار أرواح الكماة مـــن الرعب[3]

---

(١) كراغية السقب: هو من الرغاء وهو أصوات الإبل، والسقب: ولد الناقة.

(٢) وعض الزمان: شدته.

(٣) الحفاظ: هي الغضبات في الحرب، والنُّهي: العقول، والكماة: الشجعان.

وقال أبو طالب:

ألا أبلغا عني لوياً رسالة ... بحق وما تغني رسالة مرسل

بني عمنا الأدنين تيما نخصهم ... وأخوتنا من عبد شمس ونوفل

أظاهرتم قوماً علينا ولاية ... وأمر غوى من غواة وجهل

يقولون إن قد قتلنا محمداً ... أقرت نواصي هاشم بالتذلل

كذبتم ورب الهدى تدمى نحورها ... بمكة والركن العتيق المقبل

تناولونه أو تعطلون لقتله صوارم ... تفري كل عظم ومفصل

وتدعو بويل أنتم إن ظلمتم ... مقابله في يوم أغر محجل

فمهلاً ولما تنجح الحرب بكرها ... ويأتي تماماً أو بآخر معجل

وإنا متى ما نمرها بسيوفنا ... تجلجل وتعرك من نشا بكلكل

ويعلو ربيع الأبطحين محمد ... على ربوة من رأس عنقاء عيكل

ويأوي إليها هاشم إن هاشماً ... عرانين كعب آخر بعد أول

فإن كنتم ترجون قتل محمد ... فروموا بما جمعتم نقل يذبل

فإنا سنمنعه بكل طمرة ... وذي ميعة نهد المراكل هيكل

وكل رديني طمى كعوبة ... وعضب كما ماض الغمامة مفصل

بأيمان شم من ذؤابة هاشم ... مغاوير بالأبطال في كل محفل

أبو طالب يدعو رب البيت على قاطع المحارم:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: فلما سمعت قريش بذلك، ورأوا منه الجد وآيسوا منه، فأبدوا لبني عبد المطلب الجفاء، فانطلق بهم أبو طالب فقاموا بين أستار الكعبة، فدعوا الله على ظلم قومهم لهم، وفى قطيعتهم أرحامهم واجتماعهم على محاربتهم، وبتأولهم سفك دمائهم، فقال أبو طالب: اللهم إن أبى قومنا إلا النصر علينا، فعجل نصرنا، وحل بينهم وبين قتل ابن أخي ثم أقبل إلى جمع قريش وهم ينظرون إليه وإلى أصحابه، فقال أبو طالب: ندعو

برب هذا البيت على القاطع المنتهك للمحارم، والله لتنتهن عن الذي تريدون، أو ليترلن الله بكم في قطيعتنا بعض الذي تكرهون، فأجابوه: إنكم يا بني عبد المطلب لا صلح بيننا وبينكم ولا رحم إلا على قتل هذا الصبي السفيه.

قريش تحاصر بني هاشم وبني المطلب في شعبهم:

ثم عمد أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبني أبيه ومن اتبعهم من بين مؤمن دخل لنصرة الله، ونصرة رسول الله ﷺ، ومن بين مشرك يحمي، فدخلوا شعبهم، وهو شعب في ناحية من مكة، فلما قدم عمرو -عمرو بن العاص- وعبد الله بن أبي ربيعة إلى قريش وأخبروهم بالذي قال النجاشي لمحمد ﷺ وأصحابه، اشتد وجدهم، وآذوا النبي وأصحابه أذى شديداً وضربوهم في كل طريق وحصروهم في شعبهم وقطعوا عنهم المادة من الأسواق، فلم يدعوا أحدًا من الناس يُدخل عليهم طعامًا ولا شيئًا مما يرفق بهم، وكانوا يخرجون من الشعب إلى الموسم، وكانت قريش تبادرهم إلى الأسواق فيشترونها ويغلونها عليهم، ونادى منادي الوليد بن المغيرة في قريش: أيما رجل وجدتموه عنده طعام يشتريه فزيدوا عليه.

الوليد بن المغيرة يؤذي أهل الرسول ﷺ:

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التيمي عن الربيع بن أنس قال: نزلت في الوليد بن المغيرة: ﴿ عُتُلٍّ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [1] قال: فاحش مع ذلك لئيم.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق في حديثه عن الوليد: فمن رأيتموه عند طعام يشتريه فزيدوا عليه، وحولوا بينهم وبينه ومن لم يكن عنده نقد فليشتر وعليَّ النقد، ففعلوا ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد، وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب، وكان المشركون يكرهون ما فيه بنو هاشم من البلاء، حتى كره عامة قريش ما أصاب بني هاشم، وأظهروا

---

(١) سورة القلم: آية (١٣).

لكراهيتهم لصحيفتهم القاطعة الظالمة التي تعاهدوا فيها على محمد ﷺ ورَهطه، وحتى أراد رجال منهم أن يبرءوا منها، وكان أبو طالب يخاف أن يغتالوا رسول الله ﷺ ليلاً أو سراً، فكان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه أو رقد بعثه أبو طالب عن فراشه وجعله بينه وبين بنيه خشية أن يقتلوه؛ وتصبح قريش فيسمعوا من الليل أصوات صبيان بني هاشم الذين في الشعب يتضاغون من الجوع، فإذا أصبحوا جلسوا عند الكعبة فيسأل بعضهم بعضًا، فيقول الرجل لصاحبه: كيف بات أهلك البارحة؟ فيقول: بخير، فيقول لكن إخوانكم هؤلاء الذين في الشِّعب بات صبياهم يتضاغون من الجوع حتى أصبحوا، فمنهم من يعجبه ما يلقى محمد ﷺ ورهطه، ومنهم من يكره ذلك، فقال أبو طالب، وهو يذكر ما طلبوا من محمد ﷺ، وما حشدوهم في كل موسم يمنعوهم أن يبتاعوا بعض ما يصلحهم، وذكر في الشعر:

ألا من لهم آخر الليل معتم ... طوانى وأخرى النجم لم يتقحم

طوانى وقد نامت عيون كثيرة ... وسائر أخرى ساهر لم ينوم

لأحلام أقوام أرادوا محمداً ... بسوء ومن لا يتقي الظلم يظلم

سعوا سفهاً واقتادهم سوء رأ ... يهم على قائل من رأيهم غير محكم

رجاء أمور لم ينالوا نظامها ... وإن حشدوا في كل نفر وموسم

يرجون أن نسخا بقتل محمد ... ولم تختضب سمر العوالي من الدم

يرجون منا خطة دون نيلها ... ضراب وطعن بالوشيج المقوم

كذبتم وبيت الله لا تقتلونه ... جماجم تلقى بالحطيم وزمزم

وتقطع أرحام وتنسى حليلة ... حليلها ونغشا محرما بعد محرم

وينهض قوم في الدروع إليكم ... يذبون عن أحسابهم كل مجرم

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق**: فأقامت قريش على ذلك من أمرهم في بني هاشم وبني المطلب سنتين أو ثلاثاً، حتى جهد القوم جهداً شديداً لا يصل

إليهم شيء إلا سرًّا، أو مستخفًا ممن أراد صلتهم من قريش، فبلغني أن حكيم بن حزام خرج يومًا ومعه إنسان يحمل طعامًا إلى عمته خديجة بنت خويلد، وهي تحت رسول الله ﷺ، ومعه في الشعب، إذ لقيه أبو جهل فقال: تذهب بالطعام إلى بني هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك عند قريش، فقال له أبو البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد: تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده، فأبى أبو جهل أن يدعه، فقام إليه أبو البَخْتري بساق بعير فشجه ووطئه وطئاً شديداً، وحمزة بن عبد المطلب قريباً يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتوا بهم، فقال أبو البختري بن هاشم في ذلك:

ذق يا أبا جهل لقيت غما — كذلك الجهل يكون ذما

سوف ترى عودي إن ألما — كذلك اللوم يعود ذما

تعلم أنا نفرج المهما — ونمنع الأبلج أن يطما

ما فعله الله بالصحيفة:

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق** قال: ثم إن الله عز وجل برحمته أرسل على صحيفة قريش التي كتبوا فيها تظاهرهم على بني هاشم، الأَرَضَة، فلم تدع فيها اسم هو لله عز وجل إلا أكلته، وبقي فيها الظلم والقطعية والبهتان (كذا)، فأخبر الله عز وجل بذلك رسول الله ﷺ ، فأخبر أبا طالب، فقال أبو طالب: يا ابن أخي من حدَّثك هذا، وليس يدخل إلينا أحد، ولا تخرج أنت إلى أحد، ولست في نفسي من أهل الكذب، فقال له رسول الله ﷺ : أخبرني ربي هذا، فقال له عمه: إن ربك لحق، وأنا أشهد أنك صادق، فجمع أبو طالب رهطه ولم يخبرهم بما أخبره به رسول الله ﷺ كراهية أن يفشوا ذلك الخبر فيبلغ المشركين، فيحتالوا للصحيفة الخبث والمكر، فانطلق أبو طالب برهطه حتى دخلوا المسجد، والمشركون من قريش في ظل الكعبة، فلما أبصروه تباشروا به، وظنوا أن الحصر والبلاء حملهم على أن يدفعوا إليهم رسول الله ﷺ فيقتلوه، فلما انتهى إليهم أبو طالب ورهطه رحبوا به وقالوا: قد آن لك أن تطيب

نفسك عن قتل رجل في قتله صلاحكم وجماعتكم، وفي حياته فرقتكم وفسادكم! فقال أبو طالب: قد جئتكم في أمر لعله يكون فيه صلاح وجماعة فاقبلوا ذلك منا، هلموا صحيفتكم التي فيها تظاهركم علينا، فجاءوا بها، ولا يشكون إلا أنهم سيدفعون رسول الله ﷺ إليهم إذا نشروها، فلما جاءوا بصحيفتهم قال أبو طالب: صحيفتكم بيني وبينكم، وإن ابن أخي قد خبرني -ولم يكذبني- أن الله عز وجل قد بعث على صحيفتكم الأرضة، فلم تدع لله فيها اسماً إلا أكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان، فإن كان كاذباً فلكم علي أن أدفعه إليكم تقتلونه، وإن كان صادقًا فهل ذلك ناهيكم عن تظاهركم علينا؟ فأخذ عليهم المواثيق، وأخذوا عليه، فلما نشروها فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ، وكانوا هم بالغدر أولى منهم، واستبشر أبو طالب وأصحابه، وقالوا: أينا أولى بالسحر والقطيعة والبهتان؟ فقال المُطْعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وهشام بن عمرو، أخو عامر بن لؤي بن حارثة، فقالوا: نحن براء من هذه الصحيفة القاطعة العادية الظالمة، ولن أغالي أحدًا في فساد أنفسنا وأشرافنا، وتتابع على ذلك ناس من أشراف قريش، فخرج أقوام من شعبهم وقد أصابهم الجهد الشديد، فقال أبو طالب في ذلك من أمر محمد ﷺ وما أرادوا من قتله:

تطاول ليلي بهم وصب ... ودمع كسح السقاء السرب

للعب قصي بأحلامها ... وهل يرجع الحلم بعد اللعب

ونفي قصي بني هاشم ... كنفي الطهاة لطاف الحطب

وقول لأحمد أنت امرء ... خلوف الحديث ضعيف النسب

وإن كان أحمد قد جاءهم ... بحق ولم يأتهم بالكذب

على أن إخوتنا وازروا ... بني هاشم وبني المطلب

هما أخوان كعظم اليمين ... أمر علينا كعقد الكرب

فيا لقصي ألم تخبروا بما ... قد مضى من شئون العرب

فلا تمسكن بأيديكم ... بعد الأنوف بعجب الذنب

عــلام عــلام تلافيتـــم ... بأمــر مزاح وحلم عــزب
ورمــتم بأحمد ما رمتـــم ... على الأصرات وقرب النسب
فإني وما حج من راكـــب ... لكعبة مكة ذات الحجـــب
تنالون أحمد وتصطلـــوا ... ظبات الرماح وحد القضــب
وتغترفــوا بين أبياتكـــم ... صدور العوالي وحبل عصب
تراهن من بين صافي السبيب ... قصير الحزام طويل اللبـــب
وجرداء كالطير سمحوجــة ... طواها المقانع بعد الحلـــب
علــيها صناديد من هاشــم ... هــم الأنجبون مع المنتجــب

وقال أبو طالب في شأن الصحيفة حين رأى قومه لا يتناهون وقد رأوا فيها من العلم ما رأوا:

ألا مــن لهــم آخر الليل منصب ... وشعب العصا من قومك المتشعب
وحــرب أبينا من لؤي بن غالب ... مــتى مــا تزاحمها الصحيفة تحرب
إذا مــا مشــير قــام فيها بخطة ... الذؤابــة ذنــباً ولــيس بمذنــب
وما ذنب من يدعو إلى البر والتقى ... ولم يستطع أن يأرب الشعب يأرب
وقد جربوا فيما مضى غب أمرهم ... ومــا عــالم أمــراً كمن لم يجرب
وقــد كان في أمر الصحيفة عبرة ... مــتى مــا يخبر غائب القوم يعجب
محــى الله منها كفرهم وعقوقهم ... ومــا نقموا من باطل الحق معرب
فأصــبح ما قالوا من الأمر باطلاً ... ومــن يختلق ما ليس بالحق يكذب
وأمســى ابن عبد الله فينا مصدقاً ... على سخط من قومنا غير معتــب
فلا تحسبوا يا مسلمين محـــمداً ... لــذي غــربة منا ولا متغــرب
ستمنعه منا يـــد هاشميـــة ... مركــبها في الناس خير مركـــب

فلما بادأهم أبو طالب بالعداوة، وبادأهم بالحرب، عدت قريش على من أسلم منهم فأوثقوه وآذوه واشتد البلاء عليهم، وعظمت الفتنة فيهم، وزلزلوا

زلزالاً شديداً، وعدت بنو جمح على عثمان بن مظعون، وفر أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم إلى أبي طالب ليمنعه، وكان خاله فجاءت بنو مخزوم ليأخذوه، فمنعهم، فقالوا: يا أبا طالب منعتنا ابن أخيك أتمنع منا ابن أخينا؟! فقال أبو طالب: أمنع ابن أختي مما أمنع ابن أخي، فقال أبو لهب —ولم يتكلم بكلام خير قط ليس يومئذ-: صدق أبو طالب لا يسلمه إليكم، فطمع فيه أبو طالب حين سمع منه ما سمع، ورجا نصره والقيام معه، فقال شعراً استجلبه بذلك:

وإن امرءاً أبو عتيبة عمه — لفي روضة من أن يسام المظالما

أقول له وأين مني نصيحتي — أبا معتب ثبت سوادك قائما

ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة — تسب بها لما هبطت المواسما

وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى — أخا الحرب يعطي الضيم إلا مسالما

وولي سبيل العجز غيرك منهم — فإنك لن تلحق على العجز لازما

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم إنه قام في نقض الصحيفة التي تكاتبت قريش على بني هاشم، وبني المطلب، نفر من قريش، ولم يبل أحد فيها بلاء أحسن بلاء من هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن خُزيمة بن نَصر بن مالك بن حسْل بن عامر بن لُؤي، وذلك أنه كان ابن نَضْلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه، وكان عمرو ونضلة أخوين لأم، وكان هشام لبني هاشم واصلاً، وكان ذا شرف في قومه، وكان فيما بلغني يأتي بني المغيرة وبني هاشم وبني المطلب في الشعب ليلاً، قد أوقر جملاً طعاماً، حتى إذا أقبله في الشِّعب حل خطامه من رأسه ثم ضرب جنبه، فدخل الشعب عليهم، ويأتي به قد أوقره بُرًّا أو بزاً فيفعل به مثل ذلك.

ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أُمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال لزهير: قد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء، وإخوانك حيث قد علمت لا يباعون ولا يباع

منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم، ولا يأمنون ولا يؤمن عليهم؟! أما إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً، قال: ويحك فما أصنع وأنا رجل واحد؟! قال: فقال: قد وجدت ثانياً، قال: ومن هو؟ قال: أنا أقوم معك فقال له زُهير: أبغنا ثالثاً؛ قال: وذهب إلى المطْعِم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف فقال له يا مُطْعِم قد رضيت أن تهلك بطن من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق عليه، أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها سراعاً منكم، فقال: ويحك فما أصنع إنما أنا رجل واحد؟! فقال: قد وجدت ثانياً، قال: فمن هو؟ قال أنا، قال: فابغنا ثالثاً، قال: قد فعلت، قال: ومن هو؟ قال: زهير بن أبي أمية، قال: فابغنا رابعاً يتكلم معنا، قال: فذهب إلى أبي البَخْتَري بن هشام فذكر قرابتهم وحقهم، فقال: هل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم، المطعم بن عدي، وزهير بن أبي أمية، فقال: أبغنا خامساً، فذهب إلى زمْعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه، وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال له زمعة: هل معك على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ فقال: نعم ثم سمى له القوم، فتواعدوا عند خَطم الحجون ليلاً بأعلى مكة، فاجتمعوا هناك وأجمعوا أمرهم، وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها، فقال زُهير: أنا أبدأ فأكون أولكم[1].

حديث نقض الصحيفة:

فلما أصبحوا غدوا على أنديتهم، وغدا زهير بن أبي أُمية في حُلة له فطاف بالبيت سبعاً، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة أنأكل الطعام ونشرب الشراب، ونلبس الثياب، وبنو هاشم وبنو المطلب هلكى لا يباعون ولا يباع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم، والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة، فقال أبو جهل: كذبت والله -وهو في ناحية

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير (٣/١١٩، ١٢١).

المسجد لا تشق هذه الصحيفة، فقال زمعة بن الأسود: بل أنت والله أكذب، ما رضينا كتابها حين كتبت، فقال أبو البخْتري: صدق زمْعَة بن الأسود، لا نرضى بما كتب فيها ولا نعرفه، فقال المُطْعِم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله عز وجل منها ومماً كتب فيها، وقال هشام بن عمرو مثل ما قالوا في نقضها وردها، فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل تشوِّر فيه -يعني بغير هذا المكان- وأبو طالب جالس في ناحية المسجد يرى ما يصنع القوم، ثم أن المطعم بن عدي قام إلى الصحيفة فشقها فوجد الأرضة قد أكلها إلا (باسمك اللهم) وكان الذي كتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن هشام بن عبد مناف ابن عبد الدار فشلت يده فيما يزعمون، والله أعلم.

فلما مزقت وبطل ما فيها قال أبو طالب في ذلك مما كان في أمر أولئك النفر في نقضها يمدحهم:

ألا هل أتى الأعداء رأفة ربنا ... على نأيهم والله بالناس أرود[1]

فيخبرهم أن الصحيفة مزقت ... وأن كل ما لم يرضه الله مفسد

تداعى لها إفك وسحر مجمع ... ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد

تداعى لها من ليس فيها بقربة ... فطائرها في وسطها يتردد

ألم تك حقاً وقعة صيلمية ... ليقطع فيها ساعد ومقلد[2]

ويظعن أهل ماكثون فيهربوا ... فرائصهم من خشية الموت ترعد[3]

عمرو وعمارة وذهابهما إلى الحبشة:

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق** قال: وقد كان عمارة بن الوليد بن المغيرة، وعمرو بن العاص - بعد مبعث رسول الله ﷺ، ومشي قريش بعُمارة إلى

---

(١) أرود: أرفق.

(٢) المقلد: العنق.

(٣) يظعن: يرحل، الفرائص: بضعة في مرجع الكتف ترعد إذا فزع الإنسان، وانظر: الروض الأنف للسهيلي (١٢٨/٢، ١٢٩).

أبي طالب - قد خرجا تاجرين إلى أرض الحبشة، وكانت لقريش ملجأ ووجهًا، وهما على شركهما، وكلاهما كان شاعرًا غازيًا فاتكاً، وكان عمارة رجلاً جميلاً وسيماً، يفتن النساء، صاحب محادثة، فركب البحر، ومع عمرو بن العاص امرأته حتى إذا سارا في البحر ليالي أصابا من خمر معهما، فلما انتشى عمارة بن الوليد قال لامرأة عمرو: قبليني، فقال عمرو: قبلي ابن عمك، فقبلته، فألقاها عمارة بن الوليد فجعل يريدها عن نفسها، فامتنعت منه ثم إن عمراً قعد على منجاف السفينة يبول فدفعه عمارة في البحر، فلما وقع فيه سبح حتى أخذ بمنجاف السفينة، فقال له عمارة: أما والله لو عرفت يا عمرو أنك تسبح ما طرحتك، ولكن كنت أظنك لا تحسن السباحة، فلما قال ذلك عمارة لعمرو ضغن عليه عمرو في نفسه، وعرف أنه قد أراد قتله ومضيا في وجههما حتى قدما أرض الحبشة كتب عمرو إلى أبيه العاصي بن وائل أن اخلعني وتبرأ من جريرتي إلى بني المغيرة وجميع بني مخزوم، وخشي على أبيه أن يتبع بجريرته، فلما قدم الكتاب على العاصي مشى إلى رجال من بني مخزوم، ورجال من بني المغيرة فقال: إن هذين الرجلين قد خرجا حيث قد علمتم، وكلاهما فاتك صاحب شر، غير مأمونين على أنفسهما، ولا أدري ما يكون، إني أتبرأ إليكم من عمرو وجريرته فقد خلعته، فقالت له عند ذلك بنو المغيرة ورجال من بني مخزوم: وأنت تخاف عمرًا على عمارة ونحن قد خلعنا عمارة وتبرأنا إليك من جريرته، فخلِّ بين الرجلين، فقال: قد فعلت، فخلعوهما وتبرأ كل واحد من صاحبهم، ومما جر عليهم.

فلما اطمأنا لم يلبث عمارة أن دب لامرأة النجاشي، وكان رجلاً جميلاً وسيماً، فأدخلته فاختلف إليها، وجعل إذا رجع من مدخله يحدِّث عمراً بما كان من أمره، فجعل عمرو يقول: ما أصدقك إن قدرت على هذا، شأن المرأة أرفع من هذا ! فلما أكثر عليه عمارة، وكان عمرو قد صدقه وعرف أنه قد دخل عليها، ورأى من هيئته وما يصنع به والذهاب إذا أمسى وبيتوتته عنه حتى يأتي

من السَّحر ما عرف به في ذلك، وكانا في مترل واحد، ولكنه كان يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دفعه إن هو رفع شأنه إلى النجاشي، فقال له في بعض ما يذكر له من أمرها: إن كنت صادقًا أنك بلغت منها ما تقول، فقل لها فلتدهنك من دهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره، فإني أعرفه، وائتني منه بشيء حتى أصدقك بما تقول، قال: أفعل، قال: فجاءه في بعض ما يدخل عليها، فدهنته وأعطته منه شيئًا في قارورة، فلما شمه عمرو عرفه، وقال له عند ذلك: أشهد أنك قد صدقت، ولقد أصبت شيئاً ما أصاب أحد من العرب مثله، امرأة الملك، ما سمعنا مثل هذا، وكانوا أهل جاهلية، وكان ذلك في أنفسهم فضلاً لمن أصابه وقدر عليه، ثم إنه سكت عنه حتى إذا اطمأن دخل عمرو على النجاشي فقال: أيها الملك معي سفيه من سفهاء قريش، وقد خشيت أن يعزى عندك أمره، وقد أردت أن أرفع إليك شأنه ولم أعلمك ذلك حتى استثبت أنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر، وهذا دهنك قد أعطته وادهن به، فلما شم النجاشي الدهن، قال: صدقت هذا دهني الذي لا يكون إلا عند نسائي، ثم دُعي بعُمارة ابن الوليد، ودعا بالسواحر فجردنه من ثيابه ثم أمرهن فنفخن في إحليله، ثم خلى سبيله فخرج هارباً في الوحش، فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، فخرج إليه رجال من بني المغيرة منهم عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة، وكان اسم عبد الله قبل أن يسلم بجير، فلما أسلم سمَّاه رسول الله ﷺ عبد الله، فرصده بأرض الحبشة بماء كان يرده مع الوحش، فذكروا أنه أقبل في حُمر من حُمر الوحش يرد معها، فلما وجد ريح الإنس هرب حتى أجهده العطش، فورد فشرب حتى إذا امتلأ خرجوا في طلبه، قال عبد الله بن أبي ربيعة: فسبقت إليه فالتزمته، فجعل يقول: أي بجير أرسلني فإني أموت إن أمسكتني، قال عبد الله: فضبطته فمات في يدي مكانه، فواريته ثم انصرفنا، وكان شَعره فيما يزعمون قد غطى كل شيء منه، فقال عمرو، وهو يذكر ما صنع به وما أراد من امرأته:

تعــلم عمــار أن من شر شيمة ... بمثلك أن يدعا ابن عم لكائن ما
أئن كنت ذا بردين أحوى مرحلا ... فلست ترأى لابن عمك محرما
إذا المــرء لم يــترك طعامــاً يحبه ... ولم يــنه قلــباً غاوياً حيث يمما
قضى وطراً منها يسيراً فأصبحت ... إذا ذكــرت أمــثاله تملأ الفما
أصــبت من الأمر الدقيق جليله ... وعيشا إذا لاقيت من قد تلوما
ألا فــارفع عــن مطامع خشية ... وعــالج أمــر المجــد لا يتندما
فلــيس الفــتى وإن أنمت عروقه ... بــذي كــرم إلا بــأن يتكرما

إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

سبب إسلامه:

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق** قال: فحدثني رجل من أسلم - وكان واعية - أن أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف له، فلم يكلمه رسول الله ﷺ، ومولاة لعبدالله ابن جدعان التَّيْمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادي لقريش عند الكعبة، فجلس معهم، ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحًا قوسه[1]، راجعًا من قنص له، وكان إذا فعل ذلك لا يمر على نادٍ من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعز قريش وأشدها شكيمة، وكان يومئذ مشركًا على دين قومه، فلما مر بالمولاة وقد قام رسول الله ﷺ فرجع إلى بيته، فقالت له: أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك من أبي الحكم آنفًا قبيل، وجده ههنا فآذاه وشتمه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد، فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله عز وجل به من كرامته، فخرج سريعًا لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالبيت، مُعدًّا

---

(١) أي متقلداً قوسه مستعداً للقتال والنزال.

لأبي جهل أن يقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم، فأقبل نحوه حتى قام على رأسه، رفع القوس وضربه بها ضربة شجه بها شجة منكرة، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه، فقالوا: ما تراك يا حمزة إلا قد صبأت؟! فقال حمزة: وما يمنعني منه وقد استبان لي منه ذلك، وأنا أشهد أنه رسول الله، وأن الذي يقول حق، فوالله لا أنزع فامنعوني إن كنتم صادقين، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فإني والله لقد سببت ابن أخيه سبًّا قبيحاً، وتم حمزة على إسلامه وعلى ما بايع عليه رسول الله ﷺ من قوله.

حمزة يهجو أبا جهل ويعتز بإسلامه:

فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه، فقال في ذلك شعراً حين ضرب أبا جهل وأسلم:

ذق يا أبا جهل بما عسيت ... من أمرك الظالم إذ مشيت

ستسعط الرغم بما أتيت ... تؤذي رسول الله إذ نَهيت

عن أمرك الظالم إذ عتيت ... لو كُنت ترجو الله ما شقيت

ولا تركت الحق إذ دعيت ... ولا هويت بعدما هويت

تؤذي رسول الله قد غويت ... ما كُنت حباً بعدما غدرت

فحتى تذوق الخزي قد لقيت ... فقد شفيت النفس وأشفيت[1]

الشيطان يوسوس لحمزة ليترك الإسلام:

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق** قال: ثم رجع حمزة إلى بيته فأتاه الشيطان فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ، وتركت دين آبائك،

---

(١) إسناده ضعيف: رواه ابن سعد في الطبقات (٣/٩)، والطبراني في الكبير (٢/٣٣٣، ٣٣٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٢١٣)، والحاكم في المستدرك (٣/١٩٢، ١٩٣)، تامًا ومختصرًا.

للموت كان خير لك مما صنعت فأقبل على حمزة بثه فقال: ما صنعت اللهم، إذا كان رشداً فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجًا، فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان وتزيينه حتى أصبح، فغدا على رسول الله ﷺ فقال: يا بن أخي إني قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد هو أم غي شديدة؟ فحدِّثني حديثاً فقد اشتهيت يا بن أخي أن تحدثني، فأقبل رسول الله ﷺ فذكره ووعظه وخوَّفه وبشَّره، قال: فألقى الله عز وجل في نفسه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ، فقال: أشهد أنك صادق، شهادة الصدق العارف، فأظهر يا بن أخي دينك، فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء وأني على ديني الأول فكان حمزة ممن أعز الله به الدين[1].

حمزة يحمد الله على إسلامه:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وقال حمزة بن عبد المطلب:

حمدت الله حين هدى فؤادي ... إلى الإسلام والدين الحنيف

لدين جاء من رب عزيز ... خبير بالعباد بهم لطيف

إذا تليت رسائله علينا ... تحدر دمع ذي اللب الحصيف

رسائل جاء أحمد من هداها ... بآيات مبينات الحروف

وأحمد مصطفى فينا مطاع ... فلا تغشوه بالقول العنيف

فلا والله نسلمه لقوم ... ولما نقض فيهم بالسيوف

ونترك منهم قتلى بقاع ... عليها الطير كالورد العكوف

وقد خبرت ما صنعت ثقيف ... به فجزى القبائل من ثقيف

إله الناس شر جزاء قوم ... ولا أسقاهم صوب الخريف

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/٢٠٤)، وانظر: البداية (٣/٦٣).

ما جاء في هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة

الرسول يأمر أصحابه بالهجرة للحبشة:

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق** قال: ومنع الله بأبي طالب رسول الله ﷺ فلما رأى رسول الله ﷺ أصحابه وما يصيبهم من البلاء والشدة، وأن الله تعالى قد أعفاه من ذلك، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم من قومهم، وأنه ليس في قومهم من يمنعهم كما منعه عمه أبو طالب، أمرهم بالهجرة إلى أرض الحبشة، وقال لهم: إن بها ملكًا لا يُظلم الناس ببلاده في أرض صدق فتحرزوا عنده يأتكم الله عز وجل بفرج منه، ويجعل لي ولكم مخرجاً، فهاجر رجال من أصحابه إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفروا إلى الله عز وجل بدينهم، واستخفى آخرون بإسلامهم.

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التَّميمي عن الرَّبيع بن أنس عن أبي العالية في قوله عز وجل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[1]. الآية فمكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين بعدما أوحي إليه خائفاً هو وأصحابه يدعون لله عز وجل سراً وعلانية، ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة، وكانوا بها خائفين يمسون ويصبحون في السلاح، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فقال رسول الله ﷺ: **لن تعبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم ليس فيه حديد**، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[2] إلى آخر الآية لقول الرجل ولقول رسول الله ﷺ، وقوله: ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3]. قال: ومن

---

(١) سورة النور: آية (٥٥).

(٢) سورة النور: آية (٥٥).

(٣) سورة النور: آية (٥٥).

كفر بهذه النعمة، ليس يقول: من كفر بالله، وكانوا كذلك حتى قبض الله عز وجل رسوله ﷺ، ثم كانوا كذلك في إمرة أبي بكر، وعمر، وعثمان ثم غيروا فغير ما بهم، كفروا بهذه النعمة فأدخل الله عز وجل عليهم الخوف الذي كان قد وضعه عنهم.

نا يونس عن هشام بن سعيد بن زيد بن أسلم قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ على ثلاث فرق: فرقة بالمدينة، وفرقتين بمكة، فرقة كانوا يؤذون بمكة عشر سنين فيعفون عن المشركين، وفرقة كانوا إذا أوذوا انتصروا منهم، فأنزل الله عز وجل عليهم جميعاً، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ ﴾ وهو الشرك ﴿ وَٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾ وهو الزنا: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴾ هؤلاء الذين كانوا لا ينتصرون من المشركين: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾ الذين كانوا بالمدينة لم يكن عليهم أمير، كان رسول الله ﷺ بمكة وهم بالمدينة، يتشاورون في أمرهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴾ هؤلاء الذين انتصروا: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ الذين عفوا ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ ﴾، إلى قوله: ﴿ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ المشركين الذين كانوا يظلمون الناس المسلمين ﴿ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[1].

تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة من مكة

أوائل المهاجرين إلى الحبشة:

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق** قال: وكان ممن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة، قبل هجرة جعفر وأصحابه من بني أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف: عثمان بن عفان معه امرأته رقيَّة ابنة رسول الله، وأبو حُذيفَة بن عُتْبة بن عبد شمس معه امرأته سَهْلَة ابنة سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن

---

(١) سورة الشورى: آية (٣٦-٤٢).

نصر بن مالك بن حسل، ولدت هناك محمد بن أبي حُذيفة.

ومن حلفائهم: عبد الله بن جحش بن رئاب.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان بن جابر، حليف لهم من قيس عيلان.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصي: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد.

ومن بني عبد الدار بن قُصي: مصعب بن عمير بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار.

ومن بني عبد بن قصي: طُليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد بن قصي.

ومن بني زُهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد ابن الحارث بن زهرة، وعبد الله بن مسعود، حليف لهم، والمقداد، حليف لهم.

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مُرة: أبو سلمة بن عبد الأسد معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية، وسلمة بن هشام بن المغيرة، حبس بمكة فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد، والخندق، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة هاجر معه إلى المدينة ولحق به أخواه لأمه: أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأُحد والخندق.

ومن حلفائهم: عمار بن ياسر - يشك فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا، ومُعتب بن عوف بن عامر بن خُزاعة من بني عدي بن كعب بن لُؤي بن عامر ابن ربيعة، حليفًا لهم، مع امرأته ليلى ابنه أبي حثمة بن غانم.

ومن بني جُمح بن عمرو بن هَصيص: عثمان بن مَظْعُون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، وابنة السائب، وقُدامة بن مظعون[1].

---

(١) انظر: حلية الأولياء (١/٣٦٠)، الاستيعاب (٦٧٧).

ومن بني سهم بن عمر بن هُصَيص بن كعب: خنيس بن حذافة بن قَيس ابن عَدي، وهشام بن العاصي بن وائل.

ومن بني عامر بن لُؤَي: حاطب بن عمرو بن عبد شمس، وهو أول من هاجر، فيما يقال، وسليط بن عمرو بن عبد شمس، معه امرأته أم يقَظة بنت علقمة، ولدت له، سليط بن سليط، والسكران بن عمرو بن عبد شمس، معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس، مات بمكة قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، فخلف رسول الله ﷺ على امرأته سودة ابنة زمعة.

ومن حلفائهم: سعيد بن خولة.

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك: أبو عبيدة بن الجراح، وسهيل بن بيضاء، وعمرو بن أبي شريح بن ربيعة، وعمرو بن الحارث بن زُهَير بن أبي شداد.

سورة النجم وما فعل الشيطان بالمشركين:

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق** قال: فأقاموا حتى بلغهم أن أهل مكة قد أسلموا وسجدوا، وذلك أن سورة النجم أنزلت على رسول الله ﷺ، فقرأها رسول الله ﷺ، فأنصت لها كل مسلم ومشرك، وحتى انتهى إلى قوله: ﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴾[1] فأصاخوا له والمؤمنون يتصدقون، وارتد ناس حين سمعوا سجع الشيطان، فقال: والله لنعبدهن ليقربونا إلى الله زلفا، وعلم الشيطان بتيك الآيتين كل مشرك، وذلت بها ألسنتهم، وكبر ذلك على رسول الله ﷺ حتى أتاه جبريل عليه السلام، فشكا إليه هاتين الآيتين وما لقي من الناس فيهما، فتبرأ جبريل عليه السلام منهما وقال: لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل، وقلت ما لم يقل لك، فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً، وخاف، فأنزل الله عز وجل تعزية له: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا

---

(١) سورة النجم: آية (١٩).

تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

رجوع بعض المهاجرين إلى مكة:

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق** قال: فلما بلغ من بالحبشة من المسلمين سجود أهل مكة مع رسول الله ﷺ أقبلوا، أو من شاء الله عز وجل منهم وهم يرون أنهم قد تابعوا رسول الله ﷺ فلما دنوا من مكة بلغهم الأمر فثقل عليهم أن يرجعوا إلى أرض الحبشة، وتخوفوا أن يدخلوا مكة بغير جوار، فمكثوا على ذلك حتى دخل كل رجل منهم بجوار من بعض أهل مكة، وقدم عثمان بن مظعون بجوار من الوليد بن المغيرة، وأبو سلمة بن عبد الأسد بجوار من أبي طالب، وكان خاله، وأم أبي سلمة برة بنت عبد المطلب.

عثمان بن مظعون يطلب من الوليد أن يرد عليه جواره:

فأما عثمان بن مظعون فكان من خبره أن يُونس بن بُكير: نا **عن محمد ابن إسحاق** قال: فحدثني صالح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عمن حدثه قال: لما رأى عثمان ما يلقى رسول الله ﷺ وأصحابه من الأذى، وهو يغدو ويروح بأمان الوليد بن المغيرة قال عثمان: والله إن غدوي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل بيتي يلقون من البلاء والأذى في الله عز وجل ما لا يصيبني لنقص كثير في نفسي، فمشى إلى الوليد بن المغيرة وهو في المسجد، فقال: يا أبا عبد شمس وفت ذمتك، قد كنت في جوارك، وقد أحببت أن أخرج منه إلى رسول الله ﷺ، ولي به وبأصحابه أسوة، قال الوليد: فلعلك يا بن أخي أوذيت، أو انتهكت؟ فقال: لا ولكني أرضى بجوار الله تعالى ولا أريد أن أستجير بغيره، قال: فانطلق إلى المسجد، فاردد عليَّ جواري علانية كما أجرتك علانية، فقال: انطلق قال: فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد: هذا عثمان بن مظعون قد جاء ليرد عليَّ جواري، فقال عثمان: صدق، وقد

---

(١) سورة الحج: آية (٥٢).

وجدته وفَّياً كريم الجوار، وقد أحببت ألا أستجير بغير الله، وقد رددت عليه جواره.

عثمان يؤذى في سبيل الله ويصبر:

ثم انصرف عثمان بن مظعون ولبيد بن ربيعة بن جعفر بن كلاب القيسي في مجلس قريش، فجلس معهم عثمان، فقال لبيد وهو ينشدهم:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ....

فقال عثمان: صدقت، فقال لَبِيد:

.... **وكل نعيم لا محالة زائل**

فقال عثمان: كذبت، فالتفت إليه القوم وقالوا للبيد: أعد علينا، فأعاد لبيد، وعاد له عثمان بتصديقه مرة وتكذيبه مرة، وإنما يعني عثمان إذ قال: كذبت، يعني نعيم الجنة لا يزول، فقال لبيد: والله يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا! فقام سفيه منهم إلى عثمان ولطم عينه فاخضرت، فقال له من حوله: والله يا عثمان لقد كنت في ذمة منيعة، وكانت عينك غنية عما لقيت! فقال عثمان: جوار الله آمن وأعز، وعيني الصحيحة فقيرة إلى ما لقيت أختها ولي برسول الله ﷺ أسوة، وبمن معه أسوة، فقال الوليد: هل لك في جواري؟ قال عثمان: لا إرب لي في جوار أحد إلا جوار الله، ثم قال عثمان في ذلك:

لا إرب لي يا بن المغيرة في الذي ... تقول ولكني بأحمد واثق
رسول عظيم الشان يتلو كتابه ... له كل من يبغي التلاوة وامق
محب عليه كل يوم طلاوة ... وإن قال قولاً فالذي قال صادق
فيا رب إني مؤمن لمحمد ... وجبريل إذ جبريل بالوحي طارق
وما نزل الرحمن من كل آية ... لها كل قلب حين يذكر خافق
من الخوف مما ينذر الله خلقه ... إذا صد عن آيات ذي العرش وامق
ترى الناس ضلالاً وقد ضل سعيه ... وبالخير مغبون وبالشر سابق

إسلام عُمر بن الخطاب رضي الله عنه

متى أسلم عمر رضي الله عنه:

نا أحمد: نا يونس **عن محمد بن إسحاق** قال: كان إسلام عمر بن الخطاب بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الرحمن بن الحارث عن عبد العزيز بن عبد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه ليلى قالت: كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة، جاءني عمر بن الخطاب أنا على بعيري نريد أن نتوجه، فقال: أين يا أم عبد الله؟ فقلت له: آذيتمونا في ديننا فنذهب إلى أرض الله عز وجل حيث لا نؤذى في عبادة الله، فقال: صحبكم الله، فذهب، ثم جاءني زوجي عامر بن ربيعة، فأخبرته بما رأيت من رقة عمر فقال: أترجين يسلم؟ فقلت: نعم، فقال: والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب[1].

عمر يذهب لدار الأرقم يريد قتل الرسول ﷺ:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم إن قريشًا بعثت عمر بن الخطاب -وهو يومئذ مشرك- في طلب رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ في دار في أصل الصفا، ولقيه النحَّام وهو نعيم بن عبد بن أسد، أخو بني عَدي بن كعب، قد أسلم قبل ذلك، وعمر متقلِّد سيفه، فقال: يا عمر أين تراك تعمد؟ فقال: أعمد إلى محمد هذا الذي سفه أحلام قريش، وسفه آلهتها، وخالف جماعتها، فقال له النحَّام: والله لبئست الممشى مشيت يا عمر، ولقد فرطت وأردت هلكة بني عدي بن كعب، أو تراك تنفلت من بني هاشم، وبني زهرة وقد قتلت محمداً ﷺ ؟! فتحاورا حتى ارتفعت أصواتهما، فقال له عمر: إني

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٢١)، والطبقات الكبرى (٣/٢٧٠)، والبداية والنهاية (٣/٩٩).

لأظنك قد صبأت، ولو أعلم ذلك لبدأت بك فلما رأى النحّام أنه غير منته قال: فإني أخبرك، أن أهلك وأهل خَتَنك قد أسلموا وتركوك وما أنت عليه من ضلالتك، فلما سمع عمر تلك المقالة يقولها قال: فأيهم؟ قال: ختنك وابن عمك وأختك، فانطلق عمر حتى أتى أخته.

الرسول ﷺ يدعو أن يعز الله الإسلام بعمر:

وكان رسول الله ﷺ إذا أتته الطائفة من أصحابه من ذوي الحاجة نظر إلى أولي السَّعة فيقول: عندك فلان فليكن إليك، فوافق ذلك ابن عم عمر وختنه زوج أخته سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فدفع إليه رسول الله ﷺ خَبَّاب بن الأرت، مولى ثابت بن أم أنمار حليف بني زهرة، وقد أنزل الله عز وجل: ﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ وكان رسول الله ﷺ دعا ليلة الخميس فقال: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي الحكم بن هشام، فقال ابن عم عمر وأخته: نرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لعمر، فكانت.

سبب إسلام عمر:

فأقبل عمر حتى انتهى إلى باب أخته ليغير عليها ما بلغه من إسلامها، فإذا خَبَّاب بن الأرت عند أخت عمر يدرس عليها طه، ويدرس عليها إذا الشمس كورت، وكان المشركون يدعون الدراسة الهينمة، فدخل عمر فلما أبصرته أخته عرفت الشر في وجهه فخبأت الصحيفة، وراغ خباب فدخل البيت، فقال عمر لأخته: ما هذه الهينمة في بيتك؟ قالت: ما عدا حديثاً نتحدث به بيننا، فعذلها وحلف ألا يخرج حتى تبين شأنها، فقال لها زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: إنك لا تستطيع أن تجمع الناس على هواك يا عمر وإن كان الحق سواه، فبطش به عمر فوطئه وطئاً شديداً وهو غضبان، فقامت إليه أخته تحجزه عن زوجها فنفحها عمر بيده فشجها، فلما رأت الدم قالت: هل تسمع يا عمر؟ أرأيت كل شيء بلغك عني مما يذكر من تركي آلهتك وكفري باللات والعزى

فهو حق، أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، فائتمر أمرك، واقض مما أنت قاض، فلما رأى ذلك عمر سقط في يديه، فقال عمر لأخته: أرأيت ما كنت تدرسين أعطيك موثقاً من الله لا أمحوها حتى أردها إليك، ولا أريبك فيها، فلما رأت ذلك أخته، ورأت حرصه على الكتاب ورجت أن تكون دعوة رسول الله ﷺ له، فقالت: إنك نجس ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾[1]، ولست آمنك على ذلك، فاغتسل غسلك من الجنابة، وأعطني موثقاً تطمئن إليه نفسي ففعل عمر، فدفعت إليه الصحيفة، وكان عمر يقرأ الكتاب، فقرأ ﴿ طه ﴾ حتى إذا بلغ: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ إلى قوله ﴿ فَتَرْدَىٰ ﴾[2]، وقرأ ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ حتى بلغ ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾[3] فأسلم عند ذلك عمر، فقال لأخته، وختنه: كيف الإسلام؟ قالا: تشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وتخلع الأنداد، وتكفر باللات والعزى، ففعل ذلك عمر، وخرج خبَّاب، وكان في البيت داخلاً، فكبَّر خباب وقال: أبشر يا عمر بكرامة الله فإن رسول الله ﷺ قد دعا لك أن يعز الله الإسلام بك، قال عمر: فدلوني على المترل الذي فيه رسول الله ﷺ فقال له خبَّاب بن الأرت: أنا أخبرك، فأخبره أنه في الدار التي في أصل الصفا.

ذهاب عمر للرسول ﷺ معلنًا إسلامه:

فأقبل عمر، وهو حريص على أن يلقى رسول الله ﷺ، وقد بلغ رسول الله ﷺ أن عمر يطلبه ليقتله و لم يبلغه إسلامه، فلما انتهى عمر إلى الدار استفتح، فلما رأى أصحاب رسول الله ﷺ عمر متقلداً بالسيف، أشفقوا منه، فلما رأى

---

(١) سورة الواقعة: آية (٧٩).

(٢) سورة طه: آية (١-١٦).

(٣) سورة التكوير: آية (١-١٤).

رسول الله ﷺ وَجَلَ القوم قال: **افتحوا له فإن كان الله عز وجل يريد بعمر خيراً اتبع الإسلام وصدق الرسول، وإن كان يريد غير ذلك لم يكن قتله علينا هيناً**، فابتدره رجال من أصحاب رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يوحى إليه، فخرج رسول الله ﷺ حين سمع صوت عمر، وليس عليه رداء، حتى أخذ بمجمع قميص عمر، ورداءه فقال له رسول الله ﷺ: **ما أراك منتهياً يا عمر حتى يترل الله بك من الرجز ما أنزل بالوليد بن المغيرة، ثم قال: اللهم اهد عمر،** فضحك عمر. فقال: يا نبي الله أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فكبَّر أهل الإسلام تكبيرة واحدة سمعها من وراء الدار والمسلمون يومئذ بضعة وأربعون رجلاً وإحدى عشرة امرأة.

عمر يعلن إسلامه بشعر رقيق أمام الرسول وأصحابه:

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق**: قال: قال عمر حين أسلم:

الحمـــد لله ذي المن الذي وجبت ... لـــه علينـــا أيـــادي ما لها غير

وقـــد بدأنـــا فكذبـــنا فقال لنا ... صـــدق الحديث نبي عنده الخبر

وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى ... ربي عشـــية قالوا قد صبا عمر

وقد ندمت على ما كان من زلل ... بظلمها حين تتلى عندها السور

لمـــا دعت ربها ذا العرش جاهدة ... والدمع من عينها عجلان يبتدر

أيقنت أن الذي تدعوه خالقـــها ... فكـــاد يسبقني من عـــبرة درر

فقلـــت أشـــهد أن الله خالقـــنا ... وأن أحمـــد فينا اليوم مشتـــهر

نبي صدق أتى بالحق من ثقـــــة ... وافى الأمانة ما في عوده خـــور

عمر يخرج بالمسلمين إلى الكعبة:

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق** قال: قال عمر عند ذلك: والله لنحن بالإسلام أحق أن ننادي منا بالكفر، فليظهرن لمكة دين الله، فإن أراد قومنا بغيًا علينا ناجزناهم، وإن قومنا أنصفونا قبلنا منهم، فخرج عمر وأصحابه، فجلسوا

في المسجد، فلما رأت قريش إسلام عمر سقط في أيديهم.

ثبات عمر في إسلامه:

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق** قال: حدثني نافع عن ابن عمر قال: لما أسلم عمر بن الخطاب قال: أي أهل مكة أنقل للحديث؟ قالوا: جميل بن معمر الجمحي، فخرج عمر - وخرجت وراء أبي وأنا غليم أعقل كل ما رأيت حتى أتاه، فقال: يا جميل هل علمت أني أسلمت؟ فوالله ما راجعه الكلام. حتى قام يجر رداءه، وخرج عمر معه، وأنا مع أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش إن عمر قد صبا، فقال عمر: كذبت ولكني أسلمت، فبادروه فقاتلهم وقاتلوه حتى قامت الشمس على رءوسهم وبلح، فجلس وعرشوا على رأسه قياماً وهو يقول: اصنعوا ما بدا لكم فأقسم بالله لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركتموها لنا أو تركناها لكم، فبينا هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حُلة حَبرة وقميص قومسي، فقال: مَهْ؟ فقالوا: خيراً، عمر بن الخطاب صبا، فقال فمه؟! رجل اختار لنفسه ديناً، أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟! عن الرجل، فوالله لكأنما كان ثوب كشف عنه، فلما قدمنا المدينة قلت: يا أبه من الرجل صاحب الحلة الذي صرف القوم عنك؟ قال: ذاك العاص بن وائل السَّهمي.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني المنكدر أن أعرابياً من بني الدِّئل قال حيث بلغه أمر رسول الله ﷺ وظهوره واختلاف الناس بها قال: فما فعل الأصلع الطوال الأعسر، مع أيِّ الحزبين هو، فوالله ليملأنها غدًا خيرًا أو شرًا، يعني عمر بن الخطاب.

نا يونس عن النَّضر أبي عُمر عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: اللهم أيد الإسلام بأبي جَهْل بن هشام أو بعمر بن الخطاب، فأصبح عمر فغدا على رسول الله ﷺ فأسلم، ثم خرج فصلى في المسجد ظاهراً.

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن القاسم عن عبد الله بن مسعود

أنه قال: كان إسلام عمر بن الخطاب فتحًا، وهجرته نَصرًا، وإمارته رحمة، وما استطعنا أن نصلي ظاهرين عند الكعبة حتى أسلم عمر رحمه الله[١].

عبد الله بن مسعود أول من جهر في مكة بالقرآن:

نا يونس عن محمد بن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عُروة بن الزُّبير بن العوَّام عن أبيه قال: كان أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله ابن مسعود، اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهم؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا قالوا: إنا نخشاهم عليك إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن آذوه، فقال: دعوني فإن الله عز وجل سيمنعني، فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام رافعاً صوته: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**الرحمن * علم القرآن**﴾ فاستقبلها فقرأها، فتأملوا فجعلوا يقولون ما يقول ابن أم عبد، ثم قالوا: إنه يتلو بعض ما جاء به محمد ﷺ فقاموا فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك، فقال: ما كان أعداء الله قط أهون عليَّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غداً، قالوا: حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون.

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن المطْعِم قال: كان أول من أفشى القرآن بمكة وعذِّب في رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[٢].

آخر الجزء الثالث

يتلوه إن شاء الله من عُذب في الله بمكة

من المؤمنين وحسبنا الله وصلى الله على سيدنا النبي محمد وآله وسلم

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ١٢٠).

(٢) رواه الطبري في التاريخ (٢/ ٣٣٤، ٣٣٥)، من طريق ابن إسحاق، وسنده صحيح.

بسم الله الرحمن الرحيم

توكلت على الله

من عُذّب في الله بمكة من المؤمنين

قصة استماع قريش إلى قراءة النبي ﷺ:

أنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور البزاز قراءة عليه، وأنا أسمع قال: أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال: قرئ على أبي الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال: نا أبو عمر أحمد بن عبد الجبّار العُطَاردي قال: نا يونس بن بُكير **عن ابن إسحاق** قال: نا الزهري قال: حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن الشَّريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته، وأخذ كل رجل منهم مجلسًا ليستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يسمعون له حتى إذا أصبحوا أو طلع الفجر، تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، لو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثلما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا، فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

الأخنس يستفهم عما سمعه:

فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصا ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: حدثني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة، والله سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وأشياء ما أعرف معناها ولا ما يراد بها، فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت له، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم: ما رأيك فيما سمعت من

محمد؟ فقال ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى تدرك هذه؟! والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدِّقه؛ فقام عنه الأخنس بن شريق[1].

عدوان المشركين وفتنة المستضعفين:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يعذبونهم.

تعذيب بلال:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني هشام بن عروة عن أبيه قال: كان ورقة بن نوفل يمر ببلال وهو يعذَّب على الإسلام، وهو يقول أَحَدٌ، أحد، فيقول ورقة: أحد، أحد، والله يا بلال لن تفنى، ثم يقبل على من يفعل ذلك به من بني جمح وعلى أمية فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنَّه حناناً.

عمَّار يمدح أبا بكر لإعتاقه بلالاً:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: فبلغني أن عمار بن ياسر قال: وهو يذكر بلال بن رباح، وأمه حمامة، وأصحابه، وما كانوا فيه من البلاء، وعتاقة أبي بكر رضي الله عنه إياهم، فقال:

جزى الله خيراً عن بلال وصحبه ... عتيقا وأخزى فاكهاً وأبا جهل
عَشية هموا في بلال بسوءة ... ولم يحذروا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الأنام وقوله: ... شهدت بأن الله ربي على مهل
فإن تقتلوني تقتلوني ولم أكن ... لأشرك بالرحمن من خيفة القتل

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/٢٠٦، ٢٠٧) من طريق ابن إسحاق، وهو مرسل.

فيا رب إبراهيم والعبد يونس ... وموسى وعيسى نجي ثم لا تملي
لمن ظل يهوى الغي من آل غالب ... على غير برٍ كان منه ولا عدل

من أعتقهم أبو بكر:

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذَّب في الله عز وجل سبعة، أعتق: بلالاً، وعامر بن فُهيرة، والزِّبيرة، وجارية بني عمرو ابن مؤُمل، والهندية وابنتها، وأم عُبيس، وذكر أنه مر بالنهدية ومولاتها تعذبها، تقول والله لا أعتقك حتى تعتقك حياتك، فقال أبو بكر: أجل يا أم فلان، قالت: فأعتقها إذاً فإنها على دينك، قال أبو بكر فباكئن؟ قالت: بكذا وكذا، فقال: قد أخذتها وأعتقتها، ردي عليها طحينها، قالت: دعني أطحنه لها.

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ذهب بصر الزبيرة، وكانت ممن تعذَّب في الله عز وجل على الإسلام، فتأبى إلا الإسلام، فقال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللاَّت والعُزَّى، فقالت: كذا؟! والله ما هو كذلك، فرد الله عليها بصرها[١].

أبو قحافة يلوم أبا بكر:

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق** قال: حدثني أبو عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: لما جعل أبو بكر يعتق أولئك الضعفاء بمكة قال له قحافة: أي بني لو أنك إذا أعتقت أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون معك، فقال له: يا أبه، إنما أريد ما أريد لله عز وجل، قال: فيحدث أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾[٢] إلى آخر السورة[٣].

---

(١) انظر: الإصابة للحافظ (٨/٤٣٤).

(٢) سورة الليل: آية (٥-٧).

(٣) أورده ابن كثير في البداية (٣/٥٨)، من طريق المصنف به وسنده ضعيف.

تعذيب آل ياسر:

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال: فحدثني رجال من آل عمار بن ياسر أن سمية أم عمار عذّبها - هذا الحيّ من بني المغيرة بن عبد الله بن مخزوم - على الإسلام وهي تأبى غيره حتى قتلوها، وكان رسول الله ﷺ يمر بعمار وأمه وهم يعذبون بالأبطح في رمضاء مكة، فيقول: **صبراً آل ياسر موعدكم الجنة.**

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكان ياسر عبداً لبني بكر من بني الأشجع بن ليث فاشتروه منهم، فزوجوه سمية أم عمار، فولدت عماراً، وكانت سمية أمة لهم، فأعتقوا سُمية، وعماراً، وياسراً[1].

نا يونس عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين قال: مر رسول الله ﷺ بعمار بن ياسر وهو يبكي بذلك عينيه فقال له رسول الله ﷺ: مالك، أخذك الكفار، فغطوك في الماء، فقلت كذا وكذا، فإن عادوا لك فقل كما قلت[2].

مدى فتنة المسلمين:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني حكيم بن جبير عن سعيد ابن جبير قال: قلت لابن عباس: يا أبا عباس أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ فقال: نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي به حتى أنه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة وحتى يقولوا: اللات والعُزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، وحتى أن الجُعل ليمر بهم فيقولون: أهذا الجُعل إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم افتداء منهم لما يبلغون من جهده.

خالد بن الوليد يهجو اللات والعزى:

نا يونس عن العيزار بن حريث قال: مرَّ خالد بن الوليد على اللاَّت

---

(١) انظر: البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧٦/٣).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٧٦/٣).

والعزى فقال:

كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

ثم مضى.

ثبات بلال ﷺ:

نا يونس عن حبيب بن حَسَّان الأَسْدي عن مسلم بن صُبَيْح قال: قال أصحاب رسول الله ﷺ: إنا قد كثرنا، فلو أمرت كل عشرة منا فأتوا رجلاً من صنَاديد قريش ليلاً وأخذوه فقتلوه، فتصبح البلاد لنا؟ فسر النبي ﷺ بذلك حتى رؤي في وجهه، فقام عثمان بن عَفَّان فقال: يا رسول الله أبناءنا، آباءنا، إخواننا، فما زال عثمان يردد ذلك حتى سلم رسول الله ﷺ قولهم الأول ورؤي في وجهه، حتى رفض ذلك، وأخذنا المشركون حين أمسينا فما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلاَّ قد أعطى الفتنة غير بلال فإنه قال: الأحد الأحد.

ما لاقاه مصعب بن عمير من بلاء:

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق** قال حدثني صالح بن كسيان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا قومًا يصيبنا صلف[1] العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك، وصبرنا له، وكان مصعب بن عُمير أنعم غلام بمكة، وأجوده حُلَّة مع أبويه، ثم لقد رأيته جهد في الإسلام جهداً شديداً حتى لقد رأيت جلده يتحشف تحشف جلد الحية عنها حتى إن كنا لنعرضه على قسينا فنحمله مما به من الجهد، وما يقصر عن شيء بلغناه، ثم أكرمه الله عز وجل بالشهادة يوم أُحد.

شفقة الرسول ﷺ على مصعب:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن زياد عن محمد ابن كعب القُرظي قال: حدثني من سمع علي بن أبي طالب ﷺ يقول: إنا لجلوس

(١) أي خشن العيشة وضنكها، نسأل الله السلامة والعافية.

مع رسول الله ﷺ في المسجد إذا طلع علينا مصعب بن عمير ما عليه إلا بُردة له مرقوعة بفرو[١]، قال: فلما رآه رسول الله ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة وما هو فيه اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «**كيف بك إذا غدا أحدكم في حُلَّة وراح في حُلَّة، ووضعت بين يديه صحفة[٢] ورفعت أخرى وسترتم جدُر بيوتكم كما تستر الكعبة**»، فقالوا: يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نتفرغ للعبادة ونكفى المؤنة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أنتم اليوم خير منكم يومئذ**».

نماذج مما لاقاه المسلمون من البلاء:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني صالح بن كيسان عن بعض آل سعد عن سعد بن أبي وقاص قال: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجت من الليل أبول فإذا أنا أسمع قعقعة شيء تحت بولي فنظرت فإذا قطعة جلد بعير فأخذها فغسلتها ثم أحرقتها فرضضتها بين حجرين ثم استففتها، فشربت عليها من الماء، فقويت عليها ثلاثاً.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القُرظي قال: حدثني من سمع علي بن أبي طالب ﷺ يقول: خرجت في يوم شات من بيت رسول الله ﷺ ولقد أخذت إهابًا معطونًا فخويت وسطه فأدخلته في عنقي، وشددت وسطي وحزمته بخوص النخل، وإني لشديد الجوع فلو كان في بيت رسول الله ﷺ طعام لطعمت منه، فخرجت ألتمس شيئًا، فمررت بيهودي في مال له وهو يستقي ببكرة له، فاطلعت عليه من ثلمة في الحائط فقال: مالك يا عربي، هل لك في كل دلو بتمرة؟ فقلت: نعم، فافتح حتى أدخل، ففتح فدخلت فأعطاني دلوه فلما نزعت دلوًا أعطاني تمرة، حتى إذا

---

(١) يعني كساءً مرقعة.

(٢) الصحفة: إناء يوضع فيه الطعام.

امتلئت كفي أرسلت الدلو وقلت: حسبي، فأكلتها، ثم نزعت في الماء فشربت، ثم جئت المسجد فوجدت رسول الله ﷺ.

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان ضجاع[1] رسول الله ﷺ أدماً حشوه ليف.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن أبي ثور عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على خصفة وإن بعضه لفي التراب، متوسداً وسادة أدم محشوة ليفًا، فوق رأسه إهاب معطون معلق في سقف العُلية، وفي زاوية البيت شيء من قَرَظ.

نا يونس عن أبي معشر المدني عن سعيد المقبري قال: كان لرسول الله ﷺ حصير يفرشه بالنهار حتى إذا كان الليل احتجزه في المسجد فصلى فيه.

نا يونس عن المسعودي عن عمرو بن مُرَّة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: اضطجع رسول الله ﷺ ذات يوم على حصير فقام وقد أثر بجلده، فلما استيقظ جعلت أمسح عنه وأقول: ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئًا يقيك منه، فقال رسول الله ﷺ: وما أنا والدنيا، ما أنا والدنيا، إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها.

فزع أبي جهل وهيبته من رسول الله ﷺ:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الملك بن أبي سفيان الثقفي قال: قدم رجل - من إراش[2] بإبل له - مكة، فابتاعها منه أبو جهل بن هشام فماطله بأثمانها، وأقبل الإراشي حتى وقف على نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد فقال: يا معشر قريش من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام فإني غريب ابن سبيل، وقد غلبني على حقي، وأنا غريب ابن

---

(١) أي ما يتكئ عليه رسول الله ﷺ أو ما ينام عليه من وسادة ونحوه.

(٢) هي قبيلة خارج مكة.

سبيل؟ فقال أهل المجلس: ترى ذلك الرجل - وهم يهزءون به، إلى رسول الله ﷺ، لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة - اذهب إليه فهو يؤديك عليه، فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قِبَله، وأنا غريب ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه، يأخذ لي حقي منه فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقي منه، رحمك الله؛ فقال رسول الله ﷺ: **انطلق إليه**، وقام معه، فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه فانظر ماذا يصنع، فخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه، فضرب عليه بابه، فقال: من هذا؟ فقال: **محمد فاخرج إليَّ**، فخرج إليه وما في وجهه رائحة، قد امتقع لونه، فقال له: **أعط هذا الرجل حقه**، فقال: نعم، لا يبرح حتى أعطيه الذي له، فدخل، فخرج إليه بحقه فدفعه إليه، ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشي: الحق بشأنك.

فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال: جزاه الله خيراً فقد أخذ الذي لي، وجاء الرجل الذي بعثوا معه، فقالوا له: ويحك ماذا رأيت؟ فقال: عجبًا من العجب، والله إلا أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه رُوحه فقال: أعط هذا الرجل حقه، قال: نعم لا يبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل فأخرج إليه حقه فأعطاه إياه؛ ثم لم يلبث أن جاء أبو جهل فقالوا له: ويلك مالك فوالله ما رأينا مثل ما صنعت؟! قال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب عليَّ بابي وسمعت صوته فَمُلِئْتُ رعبًا ثم خرجت إليه وإن فوق رأسي لفحل من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أبيتُ لأكلني[1].

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/١٩٢، ١٩٤)، من طريق ابن إسحاق به، وسنده ضعيف.

حديث النبي ﷺ حيث خاصمهُ المشركون

زعماء قريش تفاوض الرسول ﷺ:

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق** قال: حدثني شيخ من أهل مكة قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث أخا بني عبد الدار، وأبا البختري أخا بني أسد، والأسود بن المطلب بن أسد، وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أمية، وأُمية بن خلف، والعاصي بن وائل، ونبيه ومنبه ابني الحجاج السهميين اجتمعوا، أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظَهر الكعبة فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد وكلِّموه وخاصموه حتى تُعْذروا فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعًا وهو يظن أن قد بدا لهم في أمره بداء، وكان عليهم حريصًا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم فقالوا له: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لِنُعْذَر فيك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، ولقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا سوَّدناك علينا، وإن كنت تريد به مُلكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك به رئى تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن رئياً، فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك، فقال لهم رسول الله ﷺ: **ما أدري ما تقولون؟ ما جئتكم به لطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليَّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً نذيراً فبلَّغتكم رسالة ربي، ونصحتُ لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوا علي أصبر لأمر الله حتى**

يحكم الله بيني وبينكم، أو كما قال رسول الله ﷺ.

زعماء قريش يطلبون من الرسول أن يحيي الله قُصي بن كلاب، ويسيِّر الجبال عنهم وغير ذلك:

فقالوا: يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فإنك قد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاداً ولا أقل ماء، ولا أشد عيشًا منا، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسيِّر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليجري فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا فيهم قُصي بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً، نسألهم عما تقول أحق هو أم باطل، فإن صنعت لنا ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به مترلتك من الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بهذا بعثت إنما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أُرسلت به فإن تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

فقالوا: فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث معك ملكًا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جناناً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه، وحتى نعرف فضلك ومترلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم، فقال لهم رسول الله ﷺ: **ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسل ربه هذا ولا بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.**

قالوا: فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل، فقال رسول الله ﷺ: **ذلك إليه إن شاء فعل ذلك بكم**؛ قالوا: يا محمد فأعلم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما

نطلب، فيتقدم إليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرنا إليك يا محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى تهلك أو تهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة وهن بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً، فلما قالوا له ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهو ابن عمته، ابن عاتكة بنت عبد المطلب، فقال له: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها مترلتك من الله فلم تفعل، ثم إن تعجّل لهم بعض ما تخوِّفهم به من العذاب، فوالله لا أُومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، ثم تأتي معك بصك [1] منشور ومعك أربعة من الملائكة يشهدون أنك كما تقول، وايم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينًا آسفًا لما فاته مما كان فيه يطمع من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدهم إياه.

أبو جهل يتوعد الرسول ﷺ :

فلما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل: يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا، وسب آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك وامنعوني فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، وكان رسول الله ﷺ بمكة وقبلته إلى الشام وكان إذا صلى صلى بين الركنين الأسود واليماني، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، فقام رسول الله ﷺ يصلي وقد غدت

---

(١) الصك: هو الوثيقة أو العقْد.

قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع متهيباً منتقعاً قد تغير لونه مرعوباً قد يبست يده على حجره حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ فقال: قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة، ولما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهَمَّ بأن يأكلني.

حفظ الله لنبيه ﷺ :

نا أحمد: نا يونس **عن ابن إسحاق** قال: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال: ذاك جبريل لو دنا لأخذه[1].

النضر بن الحارث ينصح قريشاً:

نا يونس قال: ثم رجع الحديث إلى الأول قال: فلما قال له ذلك أبو جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فقال: يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أشلتم له نبله بعد، لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثًا، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم: ساحر، ولا والله ما هو بساحر، قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن، ولا والله ما هو بكاهن، وقد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر، ولا والله ما هو بشاعر ولقد روينا الشعر وأصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه، وقلتم: مجنون، ولا والله ما هو بمجنون، ولقد رأينا الجنون، فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه، يا معشر قريش انظروا في شأنكم، فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم.

---

(١) رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/١٩٠، ١٩١)، من طريق ابن إسحاق قال: حدثني شيخ من أهل مصر قديم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس به.

أذى النضر الرسول:

وكان النضر من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك فارس، وأحاديث رستم[(١)]، وأسفندباذ وكان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلسًا يذكر فيه بالله ويحذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم يقول: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلموا فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفندباذ، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟

ما نزل في النضر من قرآن:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال: أنزل الله في النضر ثماني آيات، قول الله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [(٢)] وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن[(٣)].

قريش تسأل أحبار اليهود عن الرسول ﷺ:

فلما قال النضر ذلك بعثوه وبعثوا معه عُقْبة بن أبي مُعَيط إلى أحبار اليهود بالمدينة فقالوا لهما: سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره، وأخبروهم ببعض قوله، وقالوا لهم: إنكم أهل التوراة فقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث يأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مُرسَل، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقوِّل، فَرَوْا فيه رأيكم، سلوه عن

(١) هو أحد ملوك بلاد الفرس.

(٢) سورة المطففين: آية (١٣).

(٣) مثل ما جاء في سورتي الأنعام: آية (٢٥)، والأنفال: آية (٣١).

فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإنه كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طوَّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان بناؤه، وسلوه عن الروح ما هو، فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتَّبعوه وإن لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

قريش تسأل والرسول يجيب:

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار اليهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به فقال لهم رسول الله ﷺ: **أخبركم عما سألتم عنه غداً**، ولم يستثن فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله تعالى إليه في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبريل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة وقد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، حتى حزن رسول الله ﷺ مُكث الوحي عنه، وشَقَّ عليه ما تكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطوَّاف، يقول الله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

---

(١) سورة الإسراء: آية (٨٥).

باب أحاديث الأحبار وأهل الكتاب بصفة النبي ﷺ

الرسول يسأل عن الروح وإجابته:

نا يونس عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله قال: كنت مع رسول الله ﷺ فهو يمشي في حرث ومعه عسيب يتوكأ عليه فمر على ناس من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسلوه، فقام إليه بعضهم فقال: أخبرنا يا محمد عن الروح ما هو؟ فقام رسول الله ﷺ ساكتا لا يتكلم، فعرفت أنه يوحى إليـــه، وكنت وراءه فتأخرت، ثم تكلم رسول الله ﷺ فقال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾[1] إلى قوله: ﴿ قَلِيلًا ﴾ فقالوا: أليس قد نهيناكم أن تسألوه؟!

قلة علم البشر:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني رجل بمكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة: يا محمد أرأيت قولك: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله ﷺ: كلا، فقالوا: ألست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: إنها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه، فأنزل الله عز وجل فيما سألوه عنه من ذلك: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ﴾[2] إني أرى التوراة في علم الله قليل.

الحديث عن ذي القرنين:

نا يونس عن بسام مولى علي بن الطفيل قال: قام علي بن أبي طالب على المنبر فقال: سلوني قبل ألا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي؛ فقام ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين ما ذو القرنين أنبي أو ملك؟ فقال: ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا أحب الله فأحبه وناصح الله بنصحه فضرب على قرنه الأيمن فمات ثم بعثه، ثم ضرب على قرنه الأيسر فمات وفيكم مثله[3].

---

(١) سورة الإسراء: آية (٨٥).

(٢) سورة لقمان: آية (٢٧).

(٣) رواه ابن عبد الحكم في فتوح مصر (ص٣٧، ٣٨) وأورده بنحوه السيوطي في «الدر =

نا يونس عن عمرو بن ثابت عن سماك بن حرب عن رجل من بني أسد قال: سأل رجل عليًّا: أرأيت ذا القرنين كيف استطاع أن يبلغ المشرق والمغرب؟ فقال: سخَّر له السحاب ومدَّ له في الأسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء.

استكبار قريش عن الإيمان بالرسول ﷺ:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: فلما جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عنه، فحال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه، فعتوا على الله وتركوا أمره عيانًا، ولجوا فيما هم عليه من الكفر فقال قائلهم: ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[1]، أي اجعلوه لعبًا وباطلاً، واتخذوه هزوًا، أي لعلكم تغلبون، تغلبونه بذلك، فإنكم إن وافقتموه وناصفتموه غلبكم، فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن وهو يصلي يتفرقون عنه ويأبون أن يسمعوا له، وكان الرجل منهم إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي استتر واستمع دونهم، فرقًا منهم، فإن رأى أنهم عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم و لم يستمع، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته فظن الذين يستمعون أنهم لم يسمعوا من قراءته شيئًا وسمع هو دونهم أشاح له ليستمع منه.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني داود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا عنه وأبوا أن يستمعوا منه، وكان الرجل إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو وهو يصلي يسترق السمع دونهم فرقًا منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم و لم يستمع، وإن خفض رسول الله ﷺ صوته فظن الذي يستمع أنهم لم يسمعوا شيئًا من قراءته وسمع من دونهم أشاح له يستمع، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ فيتفرقوا عنك ﴿ وَلَا

=

المنثور» (٤/٢٤١).

(١) سورة فصلت: آية (٢٦).

تُخَافِتۡ بِهَا ﴾ فلا يسمع من أراد أن يستمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوى إلى بعض ما يسمع فيقتنع به ﴿ وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴾[(١)].

نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة: ﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا ﴾ قالت: نزلت في الدعاء.

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمي عن رجل عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾[(٢)] قال: أمر رسول الله ﷺ أن يجهر بالقرآن بمكة.

نا يونس عن يونس بن عمرو الهمداني عن أبيه عن سعد بن عياض اليماني قال، كان رسول الله ﷺ من أقل الناس منطقاً، فلما أمر بالقتال شمّر فكان من أشد الناس بأسًا.

عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول ﷺ:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن زياد مولى بني هاشم عن محمد بن كعب قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيدًا حليمًا قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى هذا فأكلمه أمورًا لعله أن يقبل بعضها فنعطه أيها شاء ويكف عنا؟ - وذلك حين أسلم حمزة بن عبد المطلب، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون - فقالوا: بلى يا أبا الوليد فقم فكلمه، فقام عُتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها، فقال رسول الله ﷺ: **قل يا أبا الوليد أسمع،** فقال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت من هذا القول مالاً جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد شرفاً شرفناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه، ولا تستطيع أن ترده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، ولعل هذا الذي تأتي به شعر جاش به

---

(١) سورة الإسراء: آية (١١٠).
(٢) سورة الحجر: آية (٩٤).

صدرك، فإنكم لعمري يا بني عبد المطلب تقدرون منه على ما لا يقدر عليه أحد، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال رسول الله ﷺ: **أفرغت يا أبا الوليد؟** قال: نعم، قال: **فاستمع مني**، قال: أفعل، فقال رسول الله ﷺ: **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا ﴾[١] فمضى رسول الله ﷺ يقرأها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت له، وألقى بيده خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك.

عتبة يعترف للمشركين بأن محمدا ﷺ على حق ويأمرهم بتركه:

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ فقال: ورائي أني والله قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصيبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، فقال: هذا رأي لكم فاصنعوا ما بدا لكم[٢].

قريش تفتن ضعفة المسلمين:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة حتى كثر في الرجال والنساء، وقريش تحبس من قدرت على حبسه، وتفتن من استطاعت فتنته من الناس، فقال أبو طالب يمدح عتبة بن ربيعة حين رد على أبي جهل، فقال: ما تنكر أن يكون محمد نبيا؟!:

عجبت لحلم يا ابن شيبة ... وأحلام أقوام لديك سخاف
يقولون شايع من أراد محمدا ... بسوء وقم في أمره بخلاف
فلا تركبن الدهر مني ظلامة ... وأنت امرؤ من خير عبد مناف

---

(١) سورة فصلت: آية (١-٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٤/٢٩٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/٢٠٤)، وأبو نعيم كذلك (١٨٢)، والحاكم في المستدرك (٢/٢٥٣، ٢٥٤).

ولا تتركنه ما حييت لمطمع ... وكن رجلاً ذا نجدة وعفاف
تدور العدى عن دورة هاشمية ... ألا فهم في الناس خير آلاف
فإن له قراباً لديك قريبة ... وليس بذي حلف ولا بمضاف
ولكن من هاشم في صميمها ... إلى أبحر فوق البحور صواف
وزاحم جميع الناس فيه وكن له ... ظهيراً على الأعداء غير مجاف
فإن غضبت فيه قريش فقل لهم: ... بني عمنا ما قومكم بضعاف
فما بالكم تغشون منا ظلامة ... وما بال أحلام هناك خفاف
وما قومنا بالقوم يغشون ظلمنا ... وما نحن فيما ساءهم بخفاف
ولكننا أهل الحفاظ والنهى ... وعز ببطحاء الحطيم مواف

الرسول يأمر قريشاً باتباعه:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: إن رسول الله ﷺ قال: يا معشر قريش اتبعوني وأطيعوا أمري فإنه الهدى ودين الحق يعزكم ويمنعكم من الناس، ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾[1] فقالت قريش: إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ إلى قوله: ﴿ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

نا يونس عن يونس بن عمرو عن العيزار بن حريث قال: كان رسول الله ﷺ يقول: **اللهم إني أدعو قريشًا لتملك بتلك برًّا وبحرًا، وقد جعلوا طعامي كطعام الحجلة، يا معشر قريش أطيعوني يطأ الناس أعقابكم إلى يوم القيامة،** قال أبو جهل: والله لئن بايعناك يا ابن أخي لا تبايعك مضر ولا ربيعة، قال: **بلى والله طوعًا وكرهًا، وفارس والروم.**

شفقة الرسول ﷺ على المشركين:

نا يونس عن محمد بن أبي حميد المديني عن محمد بن المنكدر قال: أُتي رسول الله ﷺ فقيل له: إن قريشًا يتواعدونك ليقتلوك، فخرج رسول الله ﷺ من باب الصفا حتى وقف عندها فأتاه جبريل عليه السلام فقال له يا محمد إن الله قد أمر السماء أن

(١) سورة نوح: آية (١٢).
(٢) سورة القصص: آية (٥٧).

تطيعك، والأرضٍ أن تطيعك، وأمر الجبال أن تطيعك، فإن أحببت فمر السماء أن تنزل عليهم عذاباً منها، وإن أحببت فمر الأرض أن تخسف بهم، وإن أحببت فمر الجبال أن تنضم عليهم، فقال رسول الله ﷺ: أُؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم.

نا أحمد بن عبد الجبار قال: نا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي المنهال عن سعيد وعبد الله بن الحارث عن ابن عباس قال: لما أتى موسى قومه فأمرهم بالزكاة جمعهم قارون فقال: هذا جاءكم بالصوم والصلاة وأشياء تحملونها، أفتحتملون أن تعطوه أموالكم؟ قالوا: ما نحتمل أن نعطيه أموالنا فما ترى؟ قال: أرى أن ترسلوا إليه بغي بني إسرائيل فتأمروها أن ترميه بأنه أرادها على نفسها، فرمت موسى على رءوس الناس بأنه قد أرادها على نفسها، فدعا الله عليهم، فأمر الله الأرض أن تطيعه، فقال للأرض: خذيهم فأخذتهم إلى أعقابهم فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، فقال: خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم،فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، فقال: خذيهم فأخذتهم إلى حُجزهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، فقال: خذيهم، فأخذتهم فغيبتهم فيها، فأوحى الله إليه أن يا موسى سألك عبادي وتضرعوا إليك فلم تجبهم، لو إياي دعوا لأجبتهم.

الرسول ﷺ يدعو أبا جهل للإسلام:

نا يونس عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن المغيرة بن شعبة قال: إن أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ، إني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: يا أبا الحكم هلم إلى الله وإلى رسوله، إني أدعوك إلى الله، فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا، هل تريد إلا أن تشهد أن قد بلغت، فنحن نشهد أن قد بلغت، فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حقًّا ما تبعتك، فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل عليَّ فقال: والله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن بني قُصي قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم؛ قالوا: فينا الندوة، قلنا: نعم؛ قالوا: فينا اللواء، قلنا: نعم؛ قالوا: فينا السقاية، قلنا: نعم؛ ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي فلا والله لا أفعل.

فرعون أمة محمد:

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: إن لكل

أمة فرعونا، فإن فرعون هذه الأمة أبو جهل.

ما نزل في القرآن زجرا لأبي جهل:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني حكيم بن حكيم عن عباد عن حنيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه تلا: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾(١) قال: يقول المذمومة نزلت في أبي جهل بن هشام.

دعاء الرسول ﷺ على صناديد الكفر:

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن عمرو بن ميمون الأودي قال: نا عبد الله بن مسعود قال بينا رسول الله ﷺ يصلي عند المقام، فقال أبو جهل لأصحابه، وهم جلوس عنده: من يذهب فيأتينا بسلي الجزور عند بني فلان، فقام غاو منهم فجاء به فقيل له: إذا رأيت محمدا ساجدا فضعه بين كتفيه، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه، فلم يتحلل حتى فرغ من سجوده، وبلغ فاطمة فجاءت وهي جارية فأخذته وجعلت تمسح عن ظهر رسول الله ﷺ ثم أقبلت عليهم تشتمهم واستضحكوا حتى صرعوا فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته استقبل الكعبة ورفع يديه فدعا عليهم: اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة وعمارة بن الوليد، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، قال عبد الله بن مسعود: وأنا يومئذ غلام غير ذي منعة في القوم، فوالذي أنزل الكتاب على محمد لقد رأيتهم صرعى في الطوى طوى بدر.

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال: وقد قال عمر بن الخطاب فيما يزعمون بعد إسلامه يذكر ما رأت قريش من العبرة فيما كان أبو جهل هم به من رسول الله ﷺ، وقائل يقول قالها أبو طالب، فالله أعلم بمن قالها:

أفيقوا بني غالب وانتهوا ... عن البغي في بعض ذا المنطق
وإلا فإني إذا خائف ... بوائق في داركم تلتقي
تكون لغابركم عبرة ... ورب المغارب والمشرق
كما ذاق من كان من قبلكم ... ثمود وعاد فمن ذا بقي
غداة أتاهم بها صرصرا ... وناقة ذي العرش إذ تستقي
فحل عليهم بها سخطة ... من الله في ضربة الأزرق

---

(١) سورة الإسراء: آية (٦٠).

غـــداة يعض بعرقوبهـــا حسام من الهند ذو رونـــق
وأعجب من ذاك من أمركم عجائب في الحجر الملصـــق
بكف الذي قام من حينـــه إلى الصابر الصادق المتقـــي
فـــأيبســـه الله في كفـــه على رغم ذا الخائن الأحمق
أحيمق مخزومكم إذ غـــوى بغى الغواة ولم يصـــدق

هلاك من عاند الرسول ﷺ:

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: **أيها الناس انظروني، وقريشًا فإن غلبوني فسترون ذاكم، وإن غلبهم الله لي فانتظروا**، فكفَّ ناس وقالوا: صدق إن غلب قريشًا فما ذاك إلا من الله ليس من هذا فكفُّوا عن قتاله، وأبى آخرون فهلكوا.

نا يونس عن قَيس بن الرَّبيع عن حكيم بن الديلم عن الضحاك بن مزاحم عن عبد الله بن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ﴾[1] قال: كانوا يمرون على رسول الله ﷺ وهو يصلي ألم تر إلى البعير يكون في الإبل فتراه يخطر بذنبه شائحًا.

حديث الهجرة الأولى إلى الحبشة

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة تواثبوا على أصحاب رسول الله ﷺ وكانت الفتنة الآخرة التي أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين كانوا خرجوا قبلهم إلى أرض الحبشة.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أُم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا مما أنتم فيه**»، فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار إلى خير جار أمنًا على ديننا، ولم

---

(١) سورة النجم: آية (٦١).

نخش منه ظلماً[١].

قريش ترسل لملك الحبشة كي يرد المسلمين:

فلما رأت قريش أن قد أصبنا داراً وأمنًا أجمعوا على أن يبعثوا إليه فينا ليخرجنا من بلاده وليردنا عليهم، فبعثوا عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة فجمعوا له هدايا ولبطارقته، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هيأوا له هدية على ذي حدة، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا فيهم، ثم ادفعوا إليه هداياه، وإن استطعتم أن يردهم عليكما قبل أن يكلمهم فافعلا.

فقدما عليه، فلم يبق بطريق من بطارقته إلا قدَّموا له هديته وكلموه وقالوا له: إنا قدمنا على هذا الملك في سفهاء من سفهائنا فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم، فبعثنا قومهم فيهم ليردهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل، فقالوا: نفعل، ثم قدَّما إلى النجاشي هداياه، وكان أحب ما يهدى إليه من مكة الأدم، فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له: أيها الملك إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجأوا إلى بلادك، فبعثنا إليك فيهم عشائرهم: آباؤهم، وأعمامهم، وقومهم لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم عينًا، فقالت بطارقته: صدقوا أيها الملك لو رددتهم عليهم كانوا هم أعلى بهم عيناً، فإنهم لم يدخلوا في دينك فتمنعهم بذلك، فغضب ثم قال: لا لعمر الله لا أردهم عليهم حتى أدعوهم، وأكلِّمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجأوا إلى بلادي واختاروا جواري على جوار غيري، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أخل بينهم وبينهم، ولم أنعمهم عيناً[٢].

استدعاء النجاشي المهاجرين وما دار بينهم من حوار:

فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ولم يكن شيء أبغض إلى عمرو بن

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢٠١/١)، (٢٩٠/٥، ٢٩٢)، والطبراني في الكبير (١٤٧٩)، والطبري في التاريخ (٣٣٠/٢، ٣٣١)، وأبو نعيم في «الدلائل» (١١٥/١)، وكذلك البيهقي (٣٠١/٢)، (٩/٩) ورواه بنحوه البخاري (٤٢٣٠)، ومسلم (٢٥٠٢).

(٢) انظر: طبقات ابن السعدي الكبرى (٢٠٤/١)، وتاريخ الطبري (٣٣٠/٢، ٣٣١).

العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم، فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا: ماذا تقولون؟ فقال: وماذا نقول، نقول والله ما نعرف، وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا كائن في ذلك ما كان، فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب، فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذي أنتم عليه، فارقتم دين قومكم، ولا تدخلوا في يهودية ولا نصرانية، فما هذا الدين؟ فقال جعفر: أيها الملك كنا قوماً على الشرك: نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، ونستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئًا ولا نحرِّمه، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونُحسن الجوار، ونصلي ونصوم، ولا نعبد غيره، فقال: هل معك شيء مما جاء به - وقد دعا أساقفته فأمروهم فنشروا المصاحف حوله؟ فقال جعفر: نعم، قال: هلم فاتل عليَّ ما جاء به، فقرأ عليه صدرًا من ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[1] فبكى والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى، انطلقوا راشدين، لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عينًا، فخرجا من عنده، وكان أتقى الرجلين فينا عبد الله بن أبي ربيعة، فقال له عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم، لأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذي يعبد - عيسى ابن مريم- عبد، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحمًا ولهم حقًا، فقال: والله لأفعلن.

المهاجرون يشرحون للنجاشي رأي الإسلام في عيسى عليه السلام:

فلما كان الغد دخل عليه فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عنه، فبعث إليهم، ولم ينزل بنا مثلها، فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له في عيسى إن هو سألكم عنه؟ فقالوا: نقول والله الذي قاله فيه، والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه، فدخلوا عليه وعنده بطارقته، فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟

(١) سورة مريم.

فقال له جعفر: نقول: هو عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول فدَّلى النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عويداً بين إصبعيه فقال: ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته، فقال: وإن تناخرتم والله، اذهبوا فأنت شيوم بأرضي، والشيوم[1]: الآمنون، ومن سبكم غرم، ومن سبكم غرم، ومن سبكم غرم، ثلاثاً، ما أحب أن لي دبيراً، وأني آذيت رجلاً منكم، والدبير بلسانهم الذهب، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليَّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، ولا أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها، واخرجا من بلادي، فخرجا مقبوحين مردود عليهما ما جاءا به.

فرح المسلمين بانتصار النجاشي:

فأقمنا مع خير جار في خير دار، فلم ينشب أن خرج عليه رجل من الحبشة ينازعه في ملكه، فوالله ما علمنا حزنًا قط كان أشد منه، فرقًا أن يظهر ذلك الملك عليه فيأتي ملك لا يعرف من حقنا ما كان يعرف، فجعلنا ندعوا الله، ونستنصره للنجاشي، فخرج إليه سائرًا، فقال أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم لبعض: من رجل يخرج فيحضر الوقعة حتى ينظر على من تكون فقال الزبير - وكان من أحدثهم سناً: أنا، فنفخوا له قربة، فجعلها في صدره ثم خرج يسبح عليها في النيل حتى خرج من شقه الآخر إلى حيث التقى الناس، فحضر الوقعة، فهزم الله ذلك الملك وقتله، وظهر النجاشي عليه، فجاءنا الزبير فجعل يليح إلينا بردائه ويقول: ألا أبشروا فقد أظهر الله النجاشي فوالله ما علمنا فرحنا بشيء قط فرحنا بظهور النجاشي، ثم أقمنا عنده حتى خرج من خرج منا راجعًا إلى مكة، وأقام من أقام.

قصة تملك النجاشي على الحبشة:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: قال الزهري: فحدثت بهذا الحديث عروة بن الزبير عن سلمة، فقال عروة: هل تدري ما قوله: ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليَّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، ولا أطاع الناس فيَّ فأطيع الناس فيه؟ فقال الزهري: لا، ما حدثني ذاك أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن أم سلمة، فقال

---

(١) هي لفظة حبشية كما في الروض الأنف للسهيلي (١٩٢/٢).

عُروة: فإن عائشة حدثتني أن أباه كان ملك قومه، وكان له أخ، من صلبه اثنا عشر رجلاً، ولم يكن لأبي النجاشي ولد غير النجاشي، فأدارت الحبشة رأيها بينها فقالوا: لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فإن له اثنى عشر رجلاً من صلبه فيتوارثوا الملك لبقيت الحبشة عليهم دهراً طويلاً لا يكون بينها اختلاف، فغدوا عليه فقتلوه وملكوا أخاه، فدخل النجاشي لعمه حتى غلب عليه فلا يدير أمره غيره، وكان لبيباً فلما رأت الحبشة مكانه من عمه قالوا: لقد غلب هذا الغلام على أمر عمه، فما نأمن أن يملكه علينا، وقد عرف أنا قتلنا أباه وجعلناه مكانه، وإنا لا نأمن أن يملكه علينا فيقتلنا، فإما أن نقتله وإما أن نخرجه من بلادنا، فقال: ويحكم قتلتم أباه بالأمس، وأقتله اليوم! بل أخرجوه من بلادكم، فخرجوا به فوقفوه بالسوق فباعوه من تاجر من التجار، فقذفه في سفينته، بستمائة درهم أو سبعمائة درهم، فانطلق به، فلما كان العشي هاجت سحائب الخريف، فخرج عمه، يتمطر تحتها فأصابته صاعقة فقتلته، ففزعوا إلى ولده فإذا هم محمقون[1] ليس في أحد منهم خير، فمرج على الحبشة أمرهم، فقال بعضهم لبعض: تعلمن والله إن ملككم الذي لا يصلح أمركم غيره للذي بعتم الغداة، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه قبل أن يذهب، فخرجوا في طلبه حتى أدركوه فردوه فعقدوا عليه تاجه وأجلسوه على سريره وملكوه، فقال التاجر ردوا عليَّ مالي كما أخذتم مني غلامي، فقالوا: لا نعطيك، فقال: إذاً والله أكلمه، فقالوا: وإن؛ فمشى إليه فقال: أيها الملك إني ابتعت غلامًا فقبض مني الذين باعوه ثمنه، ثم عدوا على غلامي فنزعوه من يدي ولم يردوا عليَّ مالي، فكان أول ما اختبر من صلابة حكمه وعدله أن قال: لتردن عليه ماله أو ليجعلن غلامه يده في يده فليذهبن به حيث شاء؟ فقالوا: بل نعطه ماله، فأعطوه إياه، فلذلك يقول: ما أخذ الله مني رشوة فآخذ الرشوة فيه حين رد إليَّ مُلكي، ولا أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن رومان عن عروة ابن الزبير قال: إنما كان يكلم النجاشيَّ عثمانُ بن عفان.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وليس كذلك، إنما كان يكلمه جعفر بن أبي طالب.

---

(١) يعني حمقى، من الحمق، فلا يصلحون للرئاسة.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني بعض أهل العلم أن فتية من الحبشة قد رأوا رقية بنت رسول الله ﷺ وهي هناك مع زوجها عثمان بن عفان، وكانت فيما يقال أجمل وأحسن البشر، وكانوا يقفون إليها ينظرون إليها إذا رأوها عجبًا منها حتى آذاها ذلك من أمرهم، وهم يتقون أن يؤذوا أحدًا منهم للغربة، ولما رأوا من حسن جوارهم، فلما سار النجاشي إلى عدوه، ساروا معه فقتلهم الله جميعاً لم يفلت منهم أحد.

قدوم وفد من نصارى الحبشة على الرسول وإسلامهم:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى، حين ظهر خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه فكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدّقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا: خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمأن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم، فصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركبًا أحمق منكم، أو كما قالوا لهم؛ فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا نألوا أنفسنا خيراً، ويقال: إن النفر النصارى من أهل نجران، فالله أعلم على أي ذلك كان، ويقال -والله أعلم- إن فيهم نزلت هؤلاء الآيات: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾[1] إلى قوله: ﴿لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[2].

نا يونس عن أسباط بن نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن قال: بعث النجاشي إلى رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً يسألونه ويأتونه بخبره، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن، فبكوا وكان فيهم سبعة رهبان وخمسة قسيسين، أو خمسة رهبان وسبعة قسيسين، ففيهم، أنزل الله: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى

---

(١) سورة القصص: آية (٥٢).
(٢) سورة القصص: آية (٥٥).

﴿ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ﴾[١] إلى آخر الآية.

إسلام النجاشي:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: سألت الزهري عن الآيات: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٨٢ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ إلى قوله:﴿مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[٢]، وقوله:﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[٣] فقال: ما زلت أسمع علماءنا يقولون نزلت في النجاشي وأصحابه.

الرسول ﷺ يصلّي على النجاشي يوم موته:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: خرج بنا رسول الله ﷺ إلى المصلى، فصفنا خلفه، وكبّر بنا أربعًا، فلما انصرف قلنا: يا رسول الله على من صلّيت؟ فقال على أخيكم النجاشي، مات اليوم[٤].

نا يونس عن عبد الله بن عمر بن شهاب قال: كبّر رسول الله ﷺ على النجاشي أربعًا.

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن رُومَان عن عُروة بن الزُّبير عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: ما كان يزال يُرى على قبر النجاشي نور.

نا يونس عن ابن إسحاق قال: كان اسم النجاشي أصْحَمَة وهو بالعربية عطية، وإنما النجاشي اسم الملك، كقولك كسرى وهرقل.

نا أحمد: نا يونس عن يُونس الإيلي عن الزهري قال: قال ابن عمر لرجل جالس معه: تمنَّه فقال: لا أفعل، فقال ابن عمر: لكني لوددت أن لي مثل أُحد ذهبًا أحصى وزنه وأُؤَدِّي زكاته.

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: إذا تمنى أحدكم فليستكثر فإنما يسأل ربه عز وجل.

---

(١) سورة المائدة: آية (٨٣).

(٢) سورة المائدة: آية (٨٢-٨٣).

(٣) سورة الفرقان: آية (٦٣).

(٤) هو في رجب سنة تسع، فصلى عليه النبي بالبقيع.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني والدي إسحاق بن يسار قال: رأيت أبا نَيْزَر بن النجاشي فما رأيت رجلاً قط عربيًّا ولا عجمياً أعظم ولا أطول ولا أوسم منه، وجده علي بن أبي طالب مع تاجر بمكة فابتاعه منه وأعتقه مكافأة للنجاشي لما كان ولي من أمر جَعْفر وأصحابه، فقلت لأبي: أكان أبو نَيْزر أسود كسواد الحبشة؟ فقال: لو رأيته لقلت رجل من العرب.

رفض أبي نيزر ملك الحبشة:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن الحسن أن أمه فاطمة بنت الحسين حدثته قالت: قَدم على أبي نيزر بن النجاشي - وكان علي أعتقه- ناس من الحبشة فأقاموا عنده شهرًا ينحر لهم علي بن أبي طالب ويصنع لهم الطعام فقالوا له: إنَّ أمر الحبشة قد مرج عليهم، فانطلق معنا نملكك عليهم، وإنك ابن من قد علمت، فقال: أما إذ أكرمني الله بالإسلام ما كنت لأفعل، فلما أيسوا منه رجعوا وتركوه، وكان أيما رجل غير أنه كان رجلاً يتلمز ويصيب الخمر.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكان مما قيل في الحبشة من الشعر أن عبد المطلب بن الحارث بن قيس بن عدي بن سَعْد بن سهم، حين أمنوا بأرض الحبشة وحمدوا جوار النجاشي، وعبدوا الله لا يخافون على دينهم أحدًا، وكان قد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به فقال:

يا راكبا أبلغا عني مغلغلة ... من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ من عباد الله مضطهد ... ببطن مكة مقهور ومفتون
أنا وجدنا بلاد الله واسعة ... تنجى من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحياة ولا ... خزي الممات وعيب غير مأمون
إنا تبعنا رسول الله فاطرحوا ... قول النبي وغالوا في الموازين
فاجعل عذابك في القوم الذين بغوا ... وعائذ بك أن يعلوا فيطغوني

وقال أيضاً يذكر نفي قريش إياهم من بلادهم ويعاتب بعض قومهم في ذلك فقال:

أبت كبدي لا أكذبنك قتالهم ... علي وتأباه علي أناملي
وكيف قتالي معشر يأدبونهم ... على الحق ألا يأشبوه بباطل

نفيتم عباد الله من حر أرضهم … فأضحوا على أمر كثير البلابل
فإن تك كانت في عدي أمانة … عدي بن كعب من يفي ويواسل
فقد كنت أحسب أن ذلك فيكم … بحمد الذي لا يطبا بالجعائل
فبدلت شبلاً شبل كل كتيبة … بذي فخرها مأوى الضعاف الأرامل

وقال أبو طالب حين رأى ذلك من رأيهم، وما نشبوا فيه، أبياتًا للنجاشي يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم فقال:

ألا ليت شعري كيف في النأي جعفر … وزيد وأعداء العدو الأقارب
وهل نال أفعال النجاشي جعفراً … وأصحابه أم عاق ذلك شاغب[1]
تعلم - أبيت اللعن - أنك ماجد … كريم فلا يشقى لديك المجانب[2]
تعلم بأن الله زادك بسطة … وأسباب خير كلها بك لازب[3]
فإنك فيض ذو سجال غزيرة … ينال الأعادي نفعها والأقارب[4]

وقال أبو طالب أيضاً:

تعلم خيار الناس أن محمداً … وزير لموسى والمسيح بن مريم
أتى بهدى مثل الذي أتيا به … وكل بأمر الله يهدي ويعصم
وأنكم تتلونه في كتابكم … بصدق حديث لا حديث الترجم
وأنك ما يأتيك منا عصابة … لفضلك إلا أرجعوا بالتكرم

فضل مهاجري الحبشة:

نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي عن أسماء بنت عُمَيس أنها انطلقت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ناسًا من المهاجرين يفخرون علينا ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأولين، فقال رسول الله ﷺ: **«لكم هجرتان: هاجرتم إلى أرض الحبشة ونحن مدهنون بمكة، وهاجرتم بعد»**

---

(١) شاغب: محدث الفتنة والوقيعة.
(٢) أبيت اللعن: كانت هذه تحية العرب للملوك في الجاهلية، ويعني بها أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن به.
(٣) لازب: أي ثابت ولاصق.
(٤) سجال: هو الدلو الممتلئ ماء.

وكانوا قدموا عليه خيبر.

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل عن الزُّهري عن قبيصة بن ذؤيب عن أبي سلمة بن عبد الأسد، وكان ابن عمة رسول الله ﷺ، وأول من هاجر بظعينته إلى أرض الحبشة ثم إلى المدينة، وكانت تحته أم سلمة التي هاجر بها، فلما توفى عنها تزوجها رسول الله ﷺ بعده.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني صالح بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن عَوف عن أبيه قال: كنا نسير مع عثمان بن عفان في طريق مكة إذ رأى عبد الرحمن بن عوف فقال: ما يستطيع أحد أن يعيد على هذا الشيخ فضلاً في الهجرتين جميعاً - يعني هجرته إلى الحبشة وهجرته إلى المدينة.

تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: هذه تسمية من هاجر إلى أرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ من شهد بدراً، ومن تخلف حتى قدوم بعد بدر منهم، ومن تخلف حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري، فجعلهم في سفينة ثم بعث بهم إليه فقدموا عام الحديبية سنة سبع؛ وكان من قدم عليه وشهد معه بدرًا من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: عثمان بن عفان، ضرب له رسول الله ﷺ في بدر بسهمه وأجره، وكان يخلف على رقية بنت رسول الله ﷺ، وكانت معه بأرض الحبشة، وله عقب. وأبو حُذيفة بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، قتل يوم اليمامة شهيدًا، وكانت معه امرأته بأرض الحبشة سهلة بنت سهيل بن عمر وأخي بني عامر بن لؤي، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حُذَيفة، لا عقب له.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى: الزبير بن العوام.

ومن بني عبد الدار بن قُصي: مصعب بن عمير.

ومن بني زُهرة: عبد الرحمن بن عوف.

ومن بني مخزوم: أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم، معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية.

ومن بني جُمح بن عمرو بن هَصيص: عثمان بن مَظْعُون.

ومن بني عَدي بن كعب: عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمةَ[١].

ومن بني عامر بن لُؤَي: أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى، ويقال: بل هو أبوه حاطب بن عبد شمس بن عبد ودٍّ بن نصر بن مالك، ويقال: بل هو كان أول من قدمها.

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك: سُهَيل بن بَيضاء، وهو سُهيل بن ربيعة بن هلال بن أهيب، وكانوا هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة فيما بلغني. ثم جعفر بن أبي طالب.

ومن بني نوفل بن عبد مناف بن قُصي: عُتْبة بن غَزْوان بن جابر بن وهب، حليف لهم، رجل، وله عقب.

ومن بني عبد الدار: سويبط بن سَعْد بن حَرْملة بن مالك بن عَميلة بن السباق بن عبد الدار، وجهم بن قَيْس بن عبد بن شَرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، معه امرأته أم حرملة بنت الأسود بن خزيمة بن أقيش بن عامر بن بياضة بن تبيع بن خيثمة، بن خزاعة، وابناه عمرو بن جهم، وأبو الروم ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وفراس بن النضر بن الحارث ابن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار.

ومن بني عبد بن قُصَي: طُليب بن عُمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد بن قُصي، رجل لا عقب له.

ومن بني زُهْرة بن كِلاب: عبد الرحمن بن عَوْف له عقب، وعَلْقمة بن أبي وقَّاص، ووقاص، وأبو وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زُهرة، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زُهرة، معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب، ومن حلفائهم عبد الله بن مسعود وأخوه عُتْبة بن مسعود.

ومن بَهْراء: المقداد بن عمرو، وكان يقال المقداد بن الأسود بن عبد يغوث

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/ ٣٣٠، ٣٣١)، طبقات ابن سعد (١/ ١٥٩، ١٦٠)، سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٧، ٢٠٨)، البداية والنهاية (٣/ ٨٥).

ابن وهب بن عبد مناف بن زُهرة، وذلك أنه كان تبناه، وحالفه، ستة نفر.

ومن بني مخزوم: شماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن عمر بن مخزوم، وكان اسم شماس عثمان، ولا عقب له، وهبار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال، وأخوه عبد الله بن سفيان، وهشام بن أبي حُذيفة.

ومن حلفائهم: مُعْتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف، وهو الذي يدعى عيهلة بن فليت بن سلول بن كعب بن خُزَاعة.

ومن بني عامر بن لؤي: عبد الله بن سُهَيل بن عَمرو، وله عقب، وأبو سبرة ابن أبي رهم معه امرأته أمُّ كلثوم ابنة سُهيل بن عمرو، وعبد الله بن مَخْرمة ابن عبد العزى بن أبي قَيْس بن عبد ودٍّ، وسُلَيْط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودٍّ، وأخوه السكران بن عمرو، معه امرأته سودة بنت زمعة، ومالك بن ربيعة ابن قيس ابن عبد شمس بن لُؤي، ومعه امرأته عمرة بنت السعدي وسعيد حليف لهم.

ومن بني جمح بن عمرو بن هُصَيص: عثمان بن مَظْعون، وابنه السائب ابن عثمان، لا عقب لهما، وأخوه قدامة بن مظعون، له عقب، وحاطب بن الحارث بن المغيرة بن حبيب بن حُذافة، معه امرأته فاطمة بنت المحجل بن عبد الله، وابناه محمد ابن حاطب، والحارث بن حاطب، وهما لابنة المحجل، وابنه الحارث بن حاطب معه امرأته فُكيهة بنت يسار، وسفيان بن معمر بن حبيب، معه أبناؤه جابر بن سفيان، وجُنادة بن سفيان، ومعه امرأته حسنة، وهي أمهما، وأخوهما من أمهما شُرحبيل ابن حَسنة، وعثمان بن ربيعة بن أُهبان، أحد عشر رجلاً.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص: خُنيس بن حُذافة، قتل يوم بدر شهيداً لم يكن له عقب إلا امرأته، وكانت عنده حفصة بنت عمر بن الخطاب، خلف عليها رسول الله ﷺ بعده، وعبد الله بن الحارث بن قيس، وهشام بن العاصي، بن وائل، وأبو قيس بن الحارث، والحجاج بن الحارث، ومعمر بن الحارث، وأخ له من أمه من بني تميم يقال له سعيد بن عمرو، وسعيد بن الحارث بن قيس، والسائب بن الحارث بن قيس، وعمران بن رئاب بن حُذيفة، ومحمية بن جزء حليف لهم من بني زبيد، اثنا عشر رجلاً.

ومن بني الحارث بن فهر: أبو عبيدة، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح

هلك بعمواس من أرض الشام أميراً لعمر بن الخطاب، لا عقب له. وسُهيل بن بيضاء، وهو سُهيل بن بيضاء بن سهيل بن وهب، والبيضاء أمه -كذا في الأصل- وهو سُهيل بن وهب بن ربيعة، ولا عقب له، ولكن أمه غلبت على نسبه، فهو ينسب إليها وهي دعد بنت جحدم بن أُمية بن ضرب، وكانت تدعى البيضاء، قتل يوم بدر شهيداً، وعياض بن زُهير بن أبي شديد بن ربيعة لا عقب له، ويقال ابن ربيعة بن هلال بن مالك، والحارث بن عبد قيس بن عامر ابن أمية، وعمرو بن أبي سَرح بن ربيعة بن هلال، ثمانية نفر. ثم تتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فكانوا بها منهم من خرج بنفسه وأهله معه.

من بني هاشم بن عبد مناف: جعفر بن أبي طالب، قتل يوم مؤُتة شهيدًا، أميرًا لرسول الله ﷺ، له عقب، وكان يقال إنه أول من عقر من المسلمين دابته له عند الحرب، معه امرأته أسماء بنت عميس بن كعب بن مالك بن قُحافة من خثعم، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر، رجل.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عَبَّاد عن رجل من بني مُرَّة بن رباب، ويقال ابن ذبيان، قال: كأني أنظر إلى جعفر حين لحمته الحرب عقر فرسًا له شقراء، ثم قاتل حتى قتل.

ومن بني أُمية بن عبد شمس: خالد بن سعيد بن العاص، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة، من بني سُبيع بن خثَعمة من خُزاعة، ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد، وأمة ابنة خالد، فتزوج أمة الزبير بن العوَّام، فولدت له عمرو بن الزبير، وخالد بن الزبير، قتل خالد يوم مرج الصفر بأرض الشام، وعمرو بن سعيد بن العاصي، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية ابن شفي بن محرب بن شفي الكناني، قتل يوم أجنادين، ولعمرو يقول أبو سعيد:

بكيتُ بشعري عنك يا عمرو سَائلا إذا شبَّ واشتدت بدماه تبلجا
أَتتركُ أمر القوم فيه بَلابل وتَكشف غيظًا كان في الصدر موهَجا

ومن حلفائهم من بني أسد بن خزيمة: عبد الله بن جحش، معه امرأته بَركة بنت يسار، ومعيقب بن أبي فاطمة، وهو أبوه سعيد بن العاصي، وله عقب.

ومن بني عبد الدار بن قصي: جهم من قيس بن عبد شَرحبيل بن هاشم

ابن عبد مناف بن عبد الدار، وعمرو بن جهم، وأبو الروم بن عمير بن وهب.

ومن بني عبد بن قصي: طُليب بن عمير بن أبي كبير، لا عقب له.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قصي: الأسود بن نوفل بن خويلد. ومن بَني زُهْرة بن كلاب: عامر بن أبي وقَّاص، وهو مالك بن أُهيب بن عبد مناف ابن زُهرة، وله عقب، وعتبة بن مسعود بن الحارث.

ومن بني تيم بن مُرَّة: الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن ربيعة بن تيم بن مُرَّة، معه امرأته ريطة بنت الحارث من بني تميم، ولدت له بأرض الحبشة: موسى بن الحارث، وعائشة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث ... وعمرو بن عثمان بن كعب بن سعد بن تيم، رجلان.

عدد مهاجري الحبشة:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم، أو ولدوا بها نيفًا وثمانين رجلاً، إن كان عمار بن ياسر فيهم، وهو يُشك فيه.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق: فقالت هِنْد بنت عُتْبة، تهجو أبا حُذَيفة حين أسلم:

الأحول الأبلق المقلوب كليته أبُو حذيفة شر الناس في الدين
ماذا جزيت أباً رباك من صغر ثمــت غذاك غذاء غير محجون

كتاب النبي ﷺ للنجاشي:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وهذا كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب محمد النبي إلى النجاشي الأصحم، عظيم الحبشة:

سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولم يتخذ صاحبة، ولا ولدًا وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسوله فأسلم تَسْلَم: و﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ

بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (١) فإن أبيت فعليك إثم النصارى قومك.

نـــا يونس عن ابن إسحاق قال: فقال عبد الله بن الحارث السهمي يذكر نفي قريش إياهم:

تلك قريش تجحد الله حقـــــه كما جحدت عاد ومدين والحجر
فإن أنا لم أبرق فلا يسعــــــني مـــن الأرض بر ذو فضاء ولا بحر
بأرض بها عبد الإله محـــــمد أبـــين ما في النفس إذ بلغ الثغر (٢)

حديث ما لقي رسول الله ﷺ من أذى قومه

أشد ما أُذيَ به الرسول ﷺ:

نا أَحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عروة عن أبيه عُروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: ما أكثر ما رأيت قريشًا أصابت من رسول ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته؟ فقال: لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يومًا في الحجر فقالوا فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط: سفَّه أحلامنا وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعاتنا، وسب آلهتنا، وصبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قال؛ فبيناهم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفًا بالبيت فغمزوه ببعض القول، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ، فمضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفتها في وجهه، فمضى، ثم مر الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال: **أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح،** فأخذت القوم كلمته حتى ما من رجل إلا ولكأنما على رأسه طائر واقع، وحتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك لتلقاه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشدًا، فوالله ما أنت بجهول، فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه، فبينا هم على ذلك طلع رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل، وأحاطوا به يقولون أنت الذي يقول كذا وكذا؛ لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول

---

(١) سورة آل عمران: آية (٦٤).
(٢) انظر: البداية والنهاية (٣/٩٧).

رسول الله ﷺ: **نعم، أنا الذي أقول ذلك**، فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائه، وقام أبو بكر الصديق دونه يبكي ويقول: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[1]؟! ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأكثر ما رأيت قريشًا بلغت منه قط.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني بعض آل أم كلثوم بنت أبي بكر أنها كانت تقول: لقد رجع أبو بكر ذلك اليوم، ولقد صدعوا فرض رأسه بما جبذوه، وكان رجلاً كثير الشعر[2].

إيذاء أبي جهل الرسول ﷺ:

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمي عن الربيع بن أنس البَكري قال: كان رسول الله ﷺ يصلي فلما سجد جاءه أبو جهل فوطئ عنقه، فأنزل الله فيه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ أبو جهل: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ محمدًا: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أبو جهل: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ أبو جهل: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[3]، قال: هم تسعة عشر خزنة النار، فقال رسول الله ﷺ: **والله لئن عاد لتأخذنه الزبانية**، فانتهى فلم يعد.

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال: بات جهلة قوم رسول الله ﷺ عامَّة ليلة يقولون له: يا محمد تكفِّر آبائك وتراد أمرهم، وتفعل وتفعل، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[4].

ابن أم مكتوم وسورة عبس:

نا يونس عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال: كان رسول الله ﷺ جالسًا وعنده عُتْبَة بن رَبيعة، وابن أمُّ مَكْتوم الأعمى، فقال: يا رسول الله علِّمني القرآن، فعبس رسول الله ﷺ في وجهه وصرفه عنه كراهية أن يُزْهد إقباله عليه

---

(١) سورة غافر: آية (٢٨).

(٢) رواه أحمد (٢/٢١٨)، والطبري في التاريخ (٢/٣٣٢، ٣٣٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/٢٧٥، ٢٧٦)، من طريق المصنف بسندٍ حسن.

(٣) سورة العلق: آية (٩-١٨).

(٤) سورة الزمر: آية (٦٤-٦٦).

عُتْبة في الإسلام، يقول: إنما يتبع هذا العميان والمساكين، فأنزل الله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴾ عتبة: ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴾(١)، ابن أم مكتوم، فلم يعذر رسول الله ﷺ بمثل ذلك.

الرسول يدعو إلى التوحيد:

نا يونس عن مسعر بن كدام عن أشعث بن أبي الشعثاء عن رجل من كنانة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تُفْلحوا.**

قصة النبي ﷺ لما عرض نفسه على العرب

الرسول ﷺ يدعو القبائل في المواسم:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: فكان رسول الله ﷺ على مثل ذلك من أمره يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام، يعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله تعالى من الهدى والرحمة.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهري قال: أتى رسول الله ﷺ ناسًا من كندة في مياه لهم، وفيهم سيد لهم يقال له فليح، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، فأبوا أن يقبلوا منه نقمة عليه.

ثم أتى حيًا من كلب يقال لهم بنو عبد الله، فقال لهم: **يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم**، فلم يقبلوا، فأعرض عنهم.

نا يونس عن يزيد بن زياد عن أبي الجَعْدي عن جامع بن شَداد عن طارق قال: رأيت رسول الله ﷺ مرتين: رأيته بسوق ذي المجاز وأنا في بياعة لي، فمر وعليه حُلة حمراء فسمعته يقول: **أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وقد أدمى كعبيه، وهو يقول: يا أيها الناس لا تطيعوا هذا فإنه كذَّاب، فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا غلام من بني عبد المطلب، فقلت من هذا الذي يرميه بالحجارة؟ فقيل: عمه عبد العزى، أبو لهب، بن عبد المطلب، فلما أظهر الله الإسلام خرجنا من الرَّبَذَة ومعنا ظعينة لنا حتى نزلنا قريباً من المدينة، فبينا نحن قعود

---

(١) سورة عبس: آية (١-٩).

إذا أنا برجل عليه ثوبان، فسلم علينا فقال: من أين أقبل القوم؟ فقلت: من الربذة، ومعنا جمل أحمر، فقال: تبيعون الجمل؟ فقلنا: نعم، فقال: بكم؟ فقلنا: بكذا وكذا صاعاً من تمر، فقال: قد أخذته وما استنقصنا، وأخذ بخطام الجمل فذهب به حتى توارى بحيطان المدينة، فقال بعضنا لبعض أتعرفون الرجل؟ فلم يكن منا أحد يعرفه، فلام القوم بعضهم بعضًا وقالوا: تعطون جملكم من لا تعرفون! فقالت الظَّعينة: فلا تلاوموا فلقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم ما رأيت شيئًا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه، فلما كان العشي أتانا رجل فقال: السلام عليكم ورحمة الله، أأنتم الذين جئتم من الربذة؟ فقلنا: نعم، فقال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم وهو يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر حتى تشبعوا وتكتالوا حتى تستوفوا، فأكلنا من التمر حتى شبعنا، واكتلنا حتى استوفينا، ثم قدمنا المدينة من الغد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يخطب الناس على المنبر، فسمعته يقول: **يد المعطي العليا، وابدأ بمن تعول: أمك وأباك وأختك وأخاك، وأدناك أدناك**، وثَمَّ رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة ابن يربوع الذين قتلوا فلاناً في الجاهلية فخذ لنا بثأرنا، فرفع رسول الله ﷺ يده حتى رأيت بياض إبطيه، فقال: **لا تجني أم على ولد، لا تجني أم على ولد.**

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبي السفيان سعيد بن أحمد الثوري قال: بعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقال: أطعمني من عنب جنتك، وأبو بكر الصديق جالس عند رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

نا يونس قال: قال ابن إسحاق: ولما سمع أبو سفيان بإسلام خفاف بن إيماء بن رحضة، قال: لقد صبأ الليلة سيد بني كنانة.

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني يعقوب بن عُتْبة عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل من قريش بمكة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد ألم يبلغني أنك تنهى عن السِّباء، يقول عن سباء العرب، فقال رسول الله ﷺ: بلى، فتحول الرجل فكشف عن استه في وجه رسول الله ﷺ (كذا)، فلعنه رسول الله ﷺ

(١) سورة الأعراف: آية (٥٠).

ودعا عليه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾(١) فأسلم الرجل بعد ذلك وحسن إسلامه.

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه قال: شَجَّ غلام من قريش فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهي غَادية، فنادت يا آل عبد شمس، فخرج أبو سفيان، وخرج أبو جهل فقال: يا أبا سفيان هذه يدي فرجع.

نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي أنه سئل عن الزنيم، فقال هو الرجل تكون له الزَّنَمة من الشر يعرف بها، وهو الأخنس بن شريق الثقفي نزلت فيه.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني والدي إسحاق بن يسار عن رجال من بني سعد بن بكر قال: قدم الحارث بن عبد العزى، أبو رسول الله ﷺ من الرضاعة، على رسول الله ﷺ بمكة، فقالت له قريش حين أنزلت عليه ألا تسمع يا حارث ما يقول ابنك هذا! قال: وما يقول؟ قالوا: يزعم أن الله يبعث الناس بعد الموت، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه، ويكرِّم فيهما من أطاعه، وقد شتت أمرنا، وفرق جماعتنا، فأتاه فقال: أي بني مالك ولقومك يشكونك ويزعمون أنك تقول إن الناس يبعثون بعد الموت، ثم يصيرون إلى جنة ونار؟! فقال رسول الله ﷺ: نعم، أنا أزعم ذلك، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبَه لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم، فأسلم الحارث بعد ذلك، فحسن إسلامه، وكان يقول حين أسلم: لو قد أخذ ابني بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني إن شاء الله حتى يدخلني الجنة.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهري عن عروة عن عائشة قال: كانت لأبي بكر مسجد بفناء داره، فكان إذا صلى فيه وقرأ القرآن بكى بكاءً كبيراً، فتجتمع إليه النساء والصبيان والعبيد يعجبون مما يرون من رقته، وقد كان استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة حين أوذوا بمكة، فأذن له رسول الله ﷺ فخرج حتى كان من مكة على يومين لقيه ابن الدغنَّة، رجل من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وكان سيد الأحابيش، فقال له: أين يا أبا

(١) سورة آل عمران: آية (١٢٨).

بكر؟ فقال: آذاني قومي وأخرجوني من بلادي، فأود أن أؤم بلداً أكون فيه، أستريح من أذاهم، وآمن منهم، فقال: و لم؟ فوالله إنك لتزين العشيرة، وتعين على النائبة، وتفعل المعروف، وتكسب المعدم، ارجع فأنت في جواري، فرجع، فلما دخل مكة قام فصرخ بمكة: يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة، فلا يؤذيه أحد، وكانوا إذا عقدوا فنخ، وكف عنه هذا الحي من قريش، وكان إذا صلى في مصلاه ذلك بمكة كان من أمره ما وصفت، فمشى إليه رجال من قريش، فقالوا: يا ابن الدغنة إن هذا الرجل الذي أجرت، رجل له حال ما هو لغيره، إنه إذا تلا ما جاء به محمد بكى بكاء لا يبكيه أحد، فيرق لذلك منه ضعفاؤنا ونساؤنا وخدمنا، فمره فليكف عنا، يتخذ مصلى غير هذا في بيته، فمشى إليه ابن الدغنة فقال: يا أبا بكر إني لم أجرك لتؤذي قومك، فاتخذ مصلى غير هذا، فقال أبو بكر: أو غير ذلك؟ فقال: وما هو؟ قال: أرد عليك جوارك، وأرضى بجوار الله فقال: نعم، فقال أبو بكر: لقد رددت عليك جوارك، فقال ابن الدغنة: يا معشر قريش إن أبا بكر قد رد عليَّ جواري، فشأنكم بصاحبكم.

وفاة أبي طالب وما جاء فيه

المشركون يطلبون من أبي طالب عهدًا بينهم وبين ابن أخيه:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: فقال أبو جهل وعُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة، والعاصي بن سعيد، وأمية بن خلف: يا معشر قريش إن هذا الأمر يزداد وإن أبا طالب ذو رأي وشرف وسن، وهو على دينكم، وهو اليوم مدنف (مريض)، فامشوا إليه فأعطوه السواء يأخذ لكم وعليكم في ابن أخيه، فإنكم إن خلوتم بعمر بن الخطاب وبحمزة بن عبد المطلب وقد خالفا دينكم تكون الحرب بينكم وبين قومكم، فأقبلوا يمشون إلى أبي طالب حتى جاءوه فقالوا: أنت سيدنا وأنصفنا في أنفسنا، وقد رأيت الذي فعل هؤلاء السفهاء مع ابن أخيك، من تركهم آلهتنا وطعنهم في ديننا، وقد فرق بيننا محمد وأكفر آلهتنا وسب آباءنا، فأرسل إلى ابن أخيك، فأنت بيننا عدل.

الرسول ﷺ يرد على عمه أبي طالب:

قال: فأرسل أبو طالب إلى رسول الله، فأتاه، فقال: هؤلاء قومك وذووا أسنانهم وأهل الشرف منهم، وهو يعطونك السواء، فلا تمل عليهم كل الميل، فقال رسول الله ﷺ: **قولوا أسمع قولكم**، فقال أبو جهل بن هشام: ترفضنا من ذكرك، ولا تلزمنا ولا من آلهتنا، في شيء فندعك وربك، فقال رسول الله ﷺ: **إن أعطيتكم ما سألتم، أمعطى أنتم كلمة واحدة لكم فيها خير، تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم**، فقال أبو جهل، وهو مستهزئ نعم لله أبوك كلمة نعطيكها وعشرة أمثالها، فقال: **قولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له**، فنفروا من كلامه وخرجوا مفارقينه وقالوا: ﴿ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾[1]. وكان ممشاهم إلى أبي طالب لما لقوا من عمر، وسمعوا منه[2].

نا أحمد: نا يونس عن محمد بن إسحاق قال: فلما رأى رسول الله ﷺ تكذيبهم بالحق قال: **لقد دعوت قومي إلى أمر ما اشتططت في القول**، فقال عمه: أجل لم تشتط، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك -وأعجبه قول عمه- **يا عم بك عليَّ كرامة ويدك عندي حسنة، ولست أجد اليوم ما أجزيك به، غير أني أسألك كلمة واحدة تحل لي بها الشفاعة عند ربي، أن تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تصيب بها الكرامة عند الممات، فقد حيل بينك وبين الدنيا، وتنزل بكلمتك هذه الشرف الأعلى في الآخرة**، فقال له عمه: والله يا ابن أخي لولا رهبة أن ترى قريش إنما ذعرني الجذع، وتعهدك بعدي سبة تكون

---

(١) سورة ص: آية (٦-٨).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/٣٢٢، ٣٢٣)، والبداية والنهاية (٣/٦٢، ٦٣)، وسبل الهدى والرشاد (٢/٣٢٦، ٣٢٧).

عليك وعلى بني أبيك غضاضة لفعلت الذي تقول، وأقررت بها عينك، لما أرى من شدة وجدك ونصحك لي ...»[١].

أبو طالب يأمر بني المطلب باتباع محمد:

ثم إن أبا طالب دعا بني عبد المطلب فقال: إنكم لن تزالوا بخير ما سمعتم قول محمد واتبعتم أمره، فاتبعوه وصدقوه ترشدوا، فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك: **تأمرهم بالنصيحة وتدعها لنفسك؟!** فقال له عمه: أجل لو سألتني هذه الكلمة وأنا صحيح لها لاتبعتك على الذي تقول، ولكني أكره الجزع عند الموت وترى قريش أني أخذتها عند الموت، وتركتها وأنا صحيح، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.

ما حدث عند وفاة أبي طالب:

نا يونس عن محمد بن أبي أنيسة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال رسول الله ﷺ لأبي طالب: **يا عماه، قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله**، فقال أبو جهل وعبد الله: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال له أبو طالب، آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، ويأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: **أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك**، فأنزل الله في ذلك: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾[٢]، وأنزل الله في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/٣٢٢، ٣٢٣).

(٢) سورة التوبة: آية (١١٣).

نا يونس عن قيس بن الربيع عن حبيب بن أبي ياسر قال: حدثني من سمع ابن عباس يقول في قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ ﴾[1] نزلت في أبي طالب، كان ينهى عن أذى محمد، وينأى عما يجيء به أن يتبعه.

الرسول يطلب من عمه نطق الشهادة عند الموت:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس قال: لما أتى رسول الله ﷺ أبا طالب في مرضه فقال له: **يا عم قل لا إله إلا الله أستحل بها لك الشفاعة يوم القيامة**، قال: والله يا ابن أخي لولا أن تكون سبة عليك وعلى أهل بيتك من بعدي يرون أنّي قلتها جزعًا حين نزل بي الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها فلما ثقل أبو طالب رؤى يحرك شفتيه، فأصغى إليه العباس ليسمع قوله، فرفع العباس عنه فقال: يا رسول الله قد والله قال الكلمة التي سألته، فقال رسول الله ﷺ: **لم أسمع**.

الرسول يُسأل عن جزاء عمه بعد موته:

نا يونس عن سنان بن إسماعيل الحنفي عن يزيد الرقاشي قال: قيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، أبو طالب ونصرته لك وحيطته عليك أين مترلته؟ فقال رسول الله ﷺ: **هو في ضَحْضَاح من نار**، فقيل: وإن فيها لضحضاحًا وغمرًا؟ فقال رسول الله ﷺ: **نعم، إن أدنى أهل النار مترلة لمن يحذى له نعلان من نار يغلي من وهجهما دماغه حتى يسيل على قوائمه**، قال سنان: فبلغني أنه يُنادى تُرى ألا يعذَّب أحد عذابه من شدة ما هو فيه؟!.

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن ناجية بن كعب عن علي بن أبي طالب قال: لما مات أبو طالب أتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أبا طالب، عمك الكافر، قد مات، فقال رسول الله ﷺ: **اذهب فواره** فقلت: والله لا أواريه، قال: **فمن يواريه إن لم تواره، فانْطَلق فواره ثم لا تُحدث شيئًا حتى تأتيني**، فانطلقت

(١) سورة الأنعام: آية (٢٦).

فواريته ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فقال: **انطلق واغتسل ثم ائتني**، ففعلت ثم أتيته، فلما أن أتيته دعا لي بدعوات ما أحب أن لي بهن ما على الأرض من شيء.

اعتراف الرسول ﷺ بنصرة عمه له:

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: **مازالت قريش كاعين عني حتى مات أبو طالب.**

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وقال علي بن أبي طالب يرثي أباه لما مات:

أرقت لنوح آخر الليل غردا لشيـ ـخي بنعي والرئيس المسودا
أبا طالب مأوى الصعاليك ذا الندى وذا الحلم لا جلفا ولم يك قعددا
أخا الهلك خلا ثلمه سيشدها بنو هاشم أو تستباح وتضهدا
فأمست قريش يفرحون لفقده ولست أرى حياً لشيء مخلدا
أرادوا أمورا زينتها حلومهم ستوردهم يوما من الغي موردا
يرجون تكذيب النبي وقتله وإن يفتروا بهتاً عليه وجحدا
كذبتم وبيت الله حتى نذيقكم صدور العوالي والصفيح المهندا
ويبدو منا منظر ذو كريهة إذا ما تسربلنا الحديد المسردا
فإما تبيدونا وإما نبيدكم وإما تروا سلم العشيرة أرشدا
وإلا فإن الحي دون محمد بنو هاشم خير البرية محتدا
وإن له منكم من الله ناصرا ولست بلاق صاحب الله أوحدا
نبي أتى من كل وحي بحظه فسماه ربي في الكتاب محمدا
أغر كضوء الشمس صورة وجهه جلا الغيم عنه ضوءه فتعددا
أمين على ما استودع الله قلبه وإن قال قولاً كان فيه مسددا

آخر الجزء الرابع بحمد الله

بعده وفاة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

بسم الله الرحمن الرحيم

وفاة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

أنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور البزاز قراءة عليه وأنا أسمع قال: أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال: قرئ على أبي الحسين رضوان بن أحمد وأنا أسمع قال: نا أبو عمر أحمد بن عبد الجبار العطاردي قال: نا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب ماتا في عام واحد فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلاك خديجة وأبي طالب، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، كان يسكن إليها.

جزاء الله خديجة رضي الله عنها:

نا يونس عن فايد بن عبد الرحمن العبدي عن عبد الله بن أوفى أن رسول الله ﷺ قال: **أتاني آت من الله عز وجل يبشر خديجة ببيت في الجنة من قَصب لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب.**

نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة لرسول الله ﷺ ما غرت على خديجة مما كنت أسمع من ذكره لها، وما تزوجني إلا بعد موتها بثلاث سنين، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا نصب ولا صخب.

غيرة السيدة عائشة من حديث الرسول عن خديجة:

نا يونس عن عبد الواحد بن أيمن المخزومي قال: نا أبو نجيح أبو عبد الله ابن أبي نجيح قال: أهدي لرسول الله ﷺ جزور ولحم، فأخذ عظمًا منها فناوله الرسول بيده فقال له: اذهب بهذا إلى فلانة، فقالت له عائشة: لم غمرت يدك؟ فقال رسول الله ﷺ: **إن خديجة أوصتني بها**، فغارت عائشة، وقالت: لكأنه ليس في الأرض امرأة إلا خديجة! فقام رسول الله ﷺ مغضبًا، فلبث ما شاء الله، ثم رجع فإذا أم رومان، فقالت: يا رسول الله مالك ولعائشة إنها حدث وأنت أحق من تجاوز عنها، فأخذ بشدق عائشة وقال: **ألست القائلة كأنه ليس على**

الأرض امرأة إلا خديجة؟! والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك، ورُزِقتْ منِّي الولد وحرمتموه.

مكانة السيدة خديجة:

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **خير بناتها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد.**

نا يونس عن الحسن بن دينار عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: **حسبك من نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ.**

نا يونس قال: كل شيء من ذكر أزواج النبي ﷺ فهو إملاء ابن إسحاق حرفًا حرفًا.

ذكر أبناء الرسول ﷺ وبناته:

نا يونس عن ابن إسحاق قال: كان أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصي، وتزوج خديجة قبل رسول الله ﷺ -وهي بكر- عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له امرأة ثم هلك عنها، فتزوجها بعده أبو هالة النباشي بن زراة أحد بني عمرو بن تميم، حليف بني عبد الدار، فولدت له رجلاً وامرأة، ثم هلك عنها، فتزوجها رسول الله ﷺ فولدت له بناته الأربع: زَينب، ورُقية، وأُم كلثوم، وفاطمة، وولدت بعد البنات، القاسم، والطاهر، والطيب، فذهب الغلمة جميعًا وهم يرضعون.

نا يونس عن إبراهيم بن عثمان عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: ولدت خديجة لرسول الله ﷺ غلامين وأربع نسوة: القاسم، وعبد الله، وفاطمة، وأم كلثوم، وزينب، ورُقية[1].

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٦٩) من طريق ابن إسحاق به، وانظر: الطبقات =

نا يونس عن أبي عبد الله الجعفي عن جابر عن محمد بن علي قال: كان القاسم ابن رسول الله ﷺ قد بلغ أن يركب الدابة، ويسير على النجيبة؛ فلما قبضه الله عز وجل قال عمرو بن العاص: لقد أصبح محمد أبتر من ابنه، فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ عوضًا، يا محمد من مصيبتك بالقاسم: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾[1].

نا أحمد: عن يونس عن ابن إسحاق قال: وعاشت رقية حتى تزوجها عثمان بن عفان، فلما ماتت زوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم، ويزعمون أنه قد ولد له من رقية غلام، فذهب وهو صغير رضيع، وبه كان يكنى عثمان، أبا عبد الله.

أنا أحمد: أنا يونس عن ابن إسحاق قال: وكانت زينب عند أبي العاص ابن الربيع، فولدت له أمامة، وعليًّا، فذهب علي وهو غلام، وبقيت أمامة حتى تزوجها عليٌّ بعد فاطمة، فتزوجت بعد قتل علي المغيرة بن نَوفل بن الحارث بن عبد المطلب فهلكت عنده[2].

تزويج فاطمة رضي الله عنها

أنا (أخبرنا) أحمد: أنا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن علي قال: خُطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت لي مولاة لي: هلا سمعت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ ؟ فقلت: لا، فقالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله فيزوجك؟، فقلت: وعندي شيء

=

لابن سعد (١/١٠٦، ١٠٧)، والبداية والنهاية (٢/٣٥٩)، وسبل الهدى والرشاد (٢/١٦٥).

(١) سورة الكوثر: آية (١-٣).

(٢) رواه الطبري في التاريخ (٣٠/٢١٢)، وانظر: البداية والنهاية (٣/١٣٠)، والدر المنثور (٦/٤٠٤).

أتزوج به، فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ، وكان لرسول الله ﷺ جلال وهيبة، فلما قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم، فقال رسول الله ﷺ: «**ما جاء بك ألك حاجة؟**» فسكت، فقال: «**ما جاء بك ألك حاجة**» فسكت، فقال: «**لعلك جئت تخطب فاطمة؟**» فقلت: نعم، فقال: «**وهل عندك من شيء تستحلها به؟**» فقلت: لا والله يا رسول الله، فقال: «**ما فعلت درع سلَّحتكها، فوالذي نفس علي بيده إنها لحطمية ما ثمنها أربعة دراهم**»، فقلت: عندي، فقال: «**قد زوجتكها فابعث بها إليها فاستحلها بها**»، فإن كانت لصداق فاطمة ابنة رسول الله ﷺ.

أنا يونس عن عباد بن منصور عن عطاء بن أبي رباح قال: لما خطب على فاطمة أتاها رسول الله ﷺ فقال: «**إن عليا قد ذكرك**» فسكتت، فخرج رسول الله ﷺ فزوجها.

أنا أحمد: أنا يونس قال: سمعت ابن إسحاق قال: فولدت فاطمة لعلي الحسن والحسين ومحسن، فذهب محسن صغيرًا، وولدت له: أم كلثوم وزينب.

أنا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن هانئ بن هانئ عن علي قال: لما ولد حسن سميته حربا، قال: فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أروني بنيَّ، ماذا سميتموه؟**»، فقلت: سميته حربا، فقال رسول الله ﷺ: «**لله عليه، لا ولكن اسمه حسن**»، فلما ولدت حسينا سميته حربا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أروني ابني ما سميتموه؟**»، فقلت: سميته حربا، فقال: «**لا ولكن اسمه حسين**»، فلما ولدت الثالث سميته حربا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أروني ابني ما سميتموه؟**»، فقلنا: سميناه حربا، فقال: «**لا ولكن اسمه محسن**»، ثم قال: «**إني سميتهم ببني هرون، شبره وشُبيرا**» يقول: حسن وحسين.

تزويج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي رضي الله عنه

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: وتزوج أم كلثوم ابنة علي من فاطمة ابنة رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، فولدت له زيد بن عمر وامرأة معه، فمات عمر عنها.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: خطب عمر بن الخطاب إلى علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم وكانت لفاطمة بنت رسول الله ﷺ، فاعتل علي عليه، وقال: هي صغيرة، فقال عمر: لا والله ما ذاك بك ولكن أردت منعي، فإن كان كما تقول فابعثها إلي، فرجع علي فدعاها فأعطاها حُلَّة فقال: انطلقي بهذه إلى أمير المؤمنين فقولي: يقول لك أبي كيف ترى هذه الحلة، فأتته بها، فقالت له ذلك، فأخذ بدرعها فاجتبذتها منه، وقالت: أرسل، فأرسلها وقال: حصان كريم، انطلقي فقولي له: ما أحسنها وأجملها، ليست والله كما قلت، فزوجها إياه.

نا يونس عن خالد بن صالح عن واقد بن محمد بن عبد الله بن عمر عن بعض أهله قال: خطب عمر بن الخطاب إلى علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقال له علي: إن علي فيها أمراء حتى استأذنهم، فأتى ولد فاطمة، فذكر ذلك لهم فقالوا: زوجه، فدعا أم كلثوم وهي يومئذ صبية فقال: انطلقي إلى أمير المؤمنين فقولي: إن أبي يقرئك السلام ويقول لك: إنا قد قضينا حاجتك التي طلبت، فأخذها عمر فضمها إليه وقال: إني خطبتها إلى أبيها فزوجنيها، فقيل: يا أمير المؤمنين ما كنت تريد إليها وهي صبية صغيرة؟، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل سبب منقطع يوم القيامة إلا سببي، فأردت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ سبب صهر**».

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني أبو جعفر عن أبيه علي بن الحسين قال: لما تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم ابنة علي أتى مجلسا في مسجد رسول الله ﷺ بين القبر والمنبر للمهاجرين لم يكن يجلس فيه غيرهم، فدعوا له

بالبركة، فقال: أما والله ما دعاني إلى تزويجها إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من نسبي وسببي.

أنا يونس عن هشام بن سعد القرشي عن عطاء الخراساني عن عمر بن الخطاب أنه قال: لا تغالوا في مهور النساء فإنه لو كان تقوى لله أو مكرمة في الدنيا كان نبيكم أولاكم بذلك، ما أصدق أحدا من نسائه ولا أصدق بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية أربعمائة وثمانون درهما، ثم إن عمر بن الخطاب بعد خطب أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب فأصدقها أربعين ألفا.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: فلما مات عمر بن الخطاب عن أم كلثوم ابنة علي تزوجت عون بن جعفر، فهلك عنها عون ولم يصب منها ولدا.

تزويج أم كلثوم عون بن جعفر بن أبي طالب

نا أحمد نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني والدي إسحاق بن يسار عن حسن بن حسن عن علي بن أبي طالب أنه قال: لما أيمت أم كلثوم ابنة علي من عمر بن الخطاب دخل عليها حسن وحسين أخواها فقالا لها: إنك من قد عرفت سيدة نساء المسلمين وابنة سيدهن وإنك والله لئن أمكنت عليا من زمتك لينكحنك بعض أيتامه، ولئن أردت أن تصيبين بنفسك مالا عظيما لتصيبنه، فوالله ما قاما حتى طلع علي متوكيا على عصاه، فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر مترلتهم من رسول الله ﷺ وقال: قد عرفتم مترلتكم يا بني فاطمة وآثرتكم على سائر ولدي لمكانكم من رسول الله ﷺ وقرابتكم منه، فقالوا: صدقت رحمك الله وجزاك عنا خيرا، فقال: أي بنية إن الله عز وجل قد جعل أمرك بيدك، فأنا أحب أن تجعليه بيدي، فقالت أي أبة، والله إني لامرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء، وأحب أن أصيب ما تصيبه النساء من الدنيا، فأنا أريد أن أنظر في أمر نفسي، فقال: لا والله يا بنية ما هذا من رأيك، ما هو إلا من رأي هذين، ثم قام فقال: والله لا أكلم رجلا منهما أو تفعلين، فأخذا بثيابه فقالا:

اجلس يا أبة فوالله ما على هجرتك من صبر، اجعلي أمرك بيده، فقالت: قد فعلت، قال: فإني قد زوجتك عون بن جعفر، وإنه لغلام، ثم رجع إلى بيته فبعث إليها بأربعة آلاف، وبعث إلى ابن أخيه فأدخله عليها، قال حسن: فوالله ما سمعت بمثل عشق منها له منذ خلقك الله، فما نشب عون أن هلك، فرجع إليها علي فقال: أي بينة اجعلي أمرك بيدي ففعلت، فزوجها محمد بن جعفر ثم خرج فبعث إليها بأربعة آلاف درهم ثم أدخله عليها.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: فمات عون بن جعفر عن أم كلثوم ابنة عليَّ فتزوجها محمد بن جعفر بن أبي طالب فمات عنها ولم يصب منها أولاداً.

تزويج زينب بنت عليّ ابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: كانت زينب ابنة عليّ تحت عبد الله، بن جعفر بن أبي طالب؛ فولدت له عليّ بن عبد الله بن جعفر، وأم أبيها، فتزوج أم أبيها عبد الملك بن مروان وطلقها فتزوجها عليّ بن عبد الله بن عباس.

نا يونس عن ثابت عن دينار عن أبي جعفر قال: خطب معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن جعفر ابنته من زينب ابنة عليّ وأمها فاطمة؛ وقال له معاوية: أقضي عنك دينك، فوعده، فقال عبد الله: إن عليَّ أميرًا لست أستطيع أن أزوجها حتى استأمره، فقال له معاوية: فاستأمره، وأتى حسين بن علي، وقال: إن معاوية خطب إليَّ ابنتي ووعدني قضاء ديني، وإنما أنت والد، أنت خالها فما ترى؟ قال له: أحب أن تجعل أمرها بيدي، قال: هو بيدك، قال: فدخل حسين بن عليّ على الجارية فقال: إن أباك قد جعل أمرك بيدي فاجعلي أمرك بيدي، فقالت: هو بيدك، فخرج حسين فقال: اللهم أقدر لها خير من تعلم، فلقى شابًّا منهم فقال: يا فلان اجعل أمرك بيدي، فقال: هو بيدك.

وكتب معاوية إلى مروان بن الحكم، وهو أمير المدينة: إنني خطبت إلى أبي جعفر ابنته فاشترط رضى حسين فادعه إليك حتى يسلم، فجمع مروان الناس وجاء بالدف والسكر، ودعا حُسينا فقال: إن أمير المؤمنين كتب إليَّ أنه خطب إلى عبد الله بن جعفر، واشترط رضاك، فسلم له، فحمد الله حسين وأثنى عليه ثم قال: أشهدكم أني قد زوجتها فلاناً يعني الشاب الذي لقيه، فقال مروان أبيتم يا بني هاشم إلا غدراً، فقال له حسين: نشدتك بالله هل تعلم أن الحسن بن عليّ خطب ابنة عثمان بن عفان فاجتمع الناس مثل اجتماعهم الآن، وحضر الحسن لذلك، فجئت أنت فخطبت ثم زوجتها غيره؟ فقال: نعم، قال الحسين: فمن الغادر نحن أم أنتم، ثم أعطى حسين عبد الله بن جعفر أرضاً له يقال له البغيبغة فباعها من معاوية بألفي ألف، وأعطى الشاب الذي زوج أرضًا له أخرى قُوِّمت ألفي ألف، وأعطى من صلب ماله قيمة أربعة آلاف ألف.

ما جاء في تزويج عثمان بن عفان ﵁

نا يونس عن الحسن بن دينار عن الحسن قال: أتى رسول الله ﷺ على عثمان وهو مهموم، فقال له رسول الله ﷺ: **مالك؟** قال: خطبت إلى عمر فردَّني، فقال رسول الله ﷺ: **ألا أدلك على خَتَن خير لك من عمر وأدل عمر على خَتَن خير له منك،** فتزوج رسول الله ﷺ حفصة ابنة عمر وزوج النبي ﷺ ابنته عثمان بن عفان.

نا يونس عن هشام بن سنبر عن يحيى بن أبي كثير عن المهاجر بن عكرمة المخزومي قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينكح امرأة من بناته جلس عند خدرها فقال: **إن فلانًا يريد فلانة.**

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني من لا أتهم أن رسول الله ﷺ كان يغار لبناته غيرة شديدة، وكان لا ينكح بناته على ضرة.

أنا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عمرو بن عبيد عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لامرأة عثمان: «**أي بنية: إنها لا امرأة لرجل لم تأت ما**

يهوى ودمه في وجهه وإن أمرها أن تنقل من جبل أسود إلى جبل أحمر، أو من جبل أحمر إلى جبل أسود فاستصلحي زوجك».

غيرة الرسول ﷺ لفاطمة:

أنا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال: خطب عليٌّ ابنة أبي جهل إلى عمها الحارث، فاستأمر رسول الله ﷺ، فقال: عن أي شأنها تسلني، عن حسبها؟ قال: لا ولكن تأمرني بها، فقال: فاطمة مضغة مني ولا أحب أن تجزع، فقال: لا آتي شيئاً تكرهه.

تَزويجُ النبي ﷺ سَوْدَةَ بنت زَمَعَة

أنا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: فماتت خديجة بنت خويلد قبل مهاجر النبي ﷺ بثلاث سنين، لم يتزوج رسول الله ﷺ عليها امرأة حتى ماتت هي وأبو طالب في سنة، ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد خديجة سودة بنت زمعة، وكانت قبله عند السكران بن عمرو، أخي سُهيل بن عمرو وكان ابن عمها تزوجها وهي بكر، فهاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدما مكة فمات عنها مسلمًا بمكة. فتزوجها رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولدًا حتى مات.

نا يونس عن النعمان بن ثابت عن الهيثم أن رسول الله ﷺ قال لسودة ابنة زمعة: اعتدى فتعرضت له في طريقه فقالت له: نشدتك بالله ألا راجعتني ولك يومي أجعله لأي نسائك شئت فإنما أريد أن أحشر من أزواجك يوم القيامة فراجعها رسول الله ﷺ.

تزويجُ النبيِّ ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه

نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه عروة بن الزبير قال: لما دخلت سودة في السن جعلت يومها لعائشة فكان رسول الله ﷺ يقسم به لها.

قال ابن إسحاق: ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد سودة بنت زَمْعة عائشة بنت أبي بكر وهي بِكْر، لم يتزوج بكراً غيرها ولم يصب منها ولداً حتى مات.

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه قال: تزوج رسول الله ﷺ عائشة

بعد موت خديجة بثلاث سنين، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين، وبنى بها رسول الله ﷺ وهي ابنة تسع سنين، ومات رسول الله ﷺ وعائشة ابنة ثماني عشرة سنة.

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «**أُريتك في المنام مرتين، أرى أن رجلاً يحملك في سرقة حرير فيقول: هذه امرأتك فأكشف فأراك فأقول: إن كان هذا من عند الله يمضه**».

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كانت أمي تعالجني تريد لتسمنني بعض السمن لتدخلني على رسول الله ﷺ فما استقام لها بعض ذلك حتى أكلت التمر بالقثاء، فسمنت عليه كأحسن ما يكون من السِّمَن.

نا يونس قال: تحدث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: إني لألعب مع جواري من الأنصار في أرجوحة بين نخلتين إذ أتت أمي فأخذت بيدي ما أدري ما تصنع بي فجعلت أضع يدي على بطني لأرد نفسي لكي ترى ما بي، فذهبت بي أمي ونطقتني وأدخلتني على رسول الله ﷺ.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني يحى بن عباد عن أبيه عباد ابن عبد الله بن الزُّبير عن عائشة قالت: لما قدمنا مهاجرين سلكنا في ثنية صعبة فنفر بي جمل كنت عليه، قوي منكر، فوالله ما أنسى قول أمي: واعروساه، فركب بي رأسه فسمعت قائلاً يقول: والله ما أراه ألقى خطامه، فألقيته فقام يستدير عليه كأنما إنسان جالس تحته يمسكه.

تزويجُ النبي ﷺ حَفصَة بنت عمر رضي الله عنها

نا أحمد: نا يونس عن محمد بن إسحاق قال: ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد عائشة حَفْصة بنت عمر، وكانت قبله عند خُنَيس بن حُذَافة، أحد بني سهم فمات رسول الله ﷺ و لم يصب منها ولداً.

نا يونس عن سليمان الأَعْمش عن أبي صالح عن ابن عمر قال: دخل عمر على أختي حَفْصة وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك، لعل رسول الله ﷺ طلقك،

إنه قد كان طلقك مرة ثم راجعك، والله إن كان طلقك أخرى لا أكلمك كلمة أبداً.

تَزويجُ النبيِّ ﷺ زينب بنت خُزَيمة رضي الله عنها

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد حفصة زينب ابنة خُزيمة الهلالية، أمُّ المساكين، وكانت قبله عند الحصين بن الحارث أو عند أخيه الطُّفيل بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، ماتت بالمدينة، أول نسائه موتًا، ولم يصب رسول الله ﷺ منها ولدًا.

نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال: قلن النسوة لرسول الله ﷺ: أيُّنا أسرع بك لحوقًا؟ قال: **فقال أطولكن يدًا**، فأخذن يتنازعن عن أطولهن يدًا، فلما توفيت زينب علموا أنها كانت أطولهن يدًا في الخير والصدقة.

تَزويجُ النبي ﷺ أم حبيبة رضي الله عنها

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد زَينب أم حبيبة بنت أبي سفيان، كانت قبله عند عبيد الله بن جَحش بن رئاب، أحد بني أسد أخي عبد الله بن جحش، كان تزوجها وهي بكر، وكان له منها حبيبة ابنة عبيد الله، فمات عنها بأرض الحبشة وقد تنصر بعد إسلامه، وكانت مهاجرة معه بأرض الحبشة، فلم يصب رسول الله ﷺ منها ولداً.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني أبو جعفر قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، فزوجه أم حبيبة ابنة أبي سفيان وساق عنه أربعمائة دينار.

تَزويجُ النبي ﷺ أمِّ سَلمة رضي الله عنها

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد أم حبيبة أم سلمة هِنْد بنت أبي أمية، وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم هاجرا جميعاً إلى أرض الحبشة، ثم

قدما المدينة، فأصابته جراحة بأُحد، فمات بها من جراحته، كان تزوجها وهي بكر، فولدت له سلمة، وعمر، ودرة، وزينب، ولم يصب رسول الله ﷺ، منها ولداً.

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: كان رسول الله ﷺ يخطب أم سلمة يجلس على إسكفة الباب ويضع ثوبه ويتكئ عليه، ويقول عليه السلام: **إن كان إنما بك أن أزيدك في الصداق زدتك، وإن أردت أزد النسوة.**

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني والدي إسحاق بن يسار قال: كان لرسول الله ﷺ في كل يوم من سعد بن عبادة جفنة طعام يدور بها معه حيث دار، وكان رسول الله ﷺ إذا خطب امرأة عرض عليها ما أراد أن يسمي لها، ثم يقول: وجفنة سعد بن عبادة تأتيك كل غداة.

نا يونس عن أبي معشر المدني عن سعيد المقبري قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أم سلمة يخطبها، فقالت: إني فيَّ خصال لا أقدر على أن أتزوجك يا رسول الله، إني امرأة كبيرة، وأنا أغار على زوجي وأخاف أن أغار على رسول الله ﷺ: وأنا امرأة مخسوسة سهمي، وأنا مطفل ذات عيال، فقال رسول الله ﷺ: «**أمَّا ما تذكرين من الكبر فإنه ليس عليك أن تتزوجي من هو أكبر منك، وأما ما تذكرين من الغيرة فإني أدعو الله عز وجل أن يذهبها عنك وأما ما تذكرين من السهم، فأنا أدعو الله أن يحسن سهمك، وأما ما تذكرين من العيال، فمن ترك مالاً فلورثته، ومن ترك ديناً أو عيالاً فعلى الله وعلى رسوله**»، فتزوجها رسول الله ﷺ.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم، وعبد الرحمن بن الحارث ومن لا أتهم عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: كان الذي زوج رسول الله ﷺ أم سلمة ابنها سلمة، فزوجه رسول الله ﷺ ابنة حمزة وهما صبيان صغيران، فلم يجتمعا حتى ماتا، فقال رسول الله ﷺ: **هل**

جزيت سلمة بتزويجه إياي أمه.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أبيه قال: تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة في شوَّال وجمعها في شوَّال فقالت له: سبِّع عندي، فقال رسول الله ﷺ: **إن شئت فعلت وسبعت عند صواحبك، وإن شئت فثلاث ثم أدور عليهن في يومك**، فقالت: لا بل ثلاث.

نا يونس عن النعمان بن ثابت عن الهيثم أن رسول الله ﷺ أَوْلَمَ على أم سلمة بتمر وسويق.

تَزْويجُ النبي ﷺ زينب ابنة جحش رضي الله عنها

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد أم سلمة زينب ابنة جَحْش أخت عبد الله بن جحش إِحْدَى نساء بني أسد بن خزيمة، وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة، زوَّجه الله إياها، فمات رسول الله ﷺ، ولم يصب منها ولداً، وهي أم الحكم.

نا يونس عن أبي سلمة الهمذاني مولى الشَّعبي عن الشعبي قال: مرض زيد ابن حارثة فدخل عليه رسول الله ﷺ يعوده، وزينبُ ابنة جَحْش امرأته جالسة عند رأس زيد، فقامت زينب لبعض شأنها، فنظر إليها رسول الله ﷺ (كذا)، ثم طأطأ رأسه فقال: سبحان الله مقلِّب القلوب والأبصار، فقال زيد: أطلقها لك يا رسول الله؟ فقال: لا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴾.

تَزويجُ النبي ﷺ جُوَيْرِيةَ ابنة الحارث رضي الله عنها

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: تزوج رسول الله ﷺ بعد زَينب بنت جَحش جُوَيْرية ابنة الحارث بن أبي ضرار، وكانت قبله عند ابن عم لها يقال له ابن ذي الشفر، فمات رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير

عن عروة عن عائشة أنها قالت: لما قسَّم رسول الله ﷺ سَبايا بني المصْطَلق وقعت جويرية ابنة الحارث في السهم لثابت بن قيس ولابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت نفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهتها وقلت: سيرى منها مثلما رأيت، فلما دخلت عليه قالت: يا رسول الله أنا جويرية ابنة الحارث، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك وقد كاتبت على نفسي فأعني على كتابتي، فقال رسول الله ﷺ: أو خير من ذلك، أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك فقالت: نعم، ففعل رسول الله ﷺ، فبلغ الناس أن رسول الله ﷺ تزوجها، فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق بها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة على أهل البيت منها.

نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن عامر الشعبي قال: كانت جويرية من ملك يمين رسول الله ﷺ فأعتقها واستنكحها وجعل مهرها عتق كل مملوك من بني المصطلق.

تـزويجُ النبي ﷺ صَفِيَّة ابنة حُيَيٍّ رضي الله عنها

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد جويرية صفية ابنة حيي، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيق، فمات عنها رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني والدي إسحاق بن يسار قال: لما افتتح رسول الله ﷺ حصن ابن أبي الحقيق أتى بصفية ابنة حيي ومعها ابنة عم لها جاء بها بلال فمر بهما على قتلى من قتلى اليهود، فلما رأتهم التي مع صفية صكت وجهها، وصاحت وحثت التراب على رأسها، فقال رسول الله ﷺ: **غربوا هذه الشيطانة عنِّي**، وأمر بصفية خلفه وغطى عليها ثوبه، فعرف الناس أنه اصطفا لنفسه، وقال رسول الله ﷺ لبلال، حيث رأى من اليهودية

ما رأى: **يا بلال نزعت منك الرحمة حين تمر بامرأتين على قتلاهما**، وقد كانت صفية رأت قبل ذلك، أن قمراً وقع في حجرها، فذكرت ذلك لأبيها، فضرب وجهها ضربة أثر فيه، وقال: إنك لتمدين عنقك إلى أن تكوني عند ملك العرب، فلم يزل الأثر في وجهها حتى أتى بها رسول الله ﷺ، فسألها عنه، فأخبرته خبره.

نا يونس عن هشام بن أبي عبد الله عن شُعيبْ بن الحبْحَاب عن أنس بن مالك قال: أعتق رسول الله ﷺ صفية وجعل عتقها صداقها.

نا يونس عن عبد الله بن عبد الله الأزدي عن أنس بن مالك قال: لما تزوج رسول الله ﷺ صفية ابنة حُيَي دعا الناس على مأدبته وهي يومئذ بالحيس والتمر.

نا يونس عن سليمان الأعمش قال: بلغني رسول الله ﷺ أَوْلَمَ على بعض نسائه بقدر من جشيشة.

تزويجُ النبي ﷺ
ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد صفية ميمونة بنت الحارث الهلالية، وكانت قبله عند أبي رهم بن أبي قيس أحد بني مالك بن حسل من بني عامر بن لُؤي، مات رسول الله ﷺ ولم يصب منها ولداً.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني ثقة عن سعيد بن المسيب أنه قال: هذا عبد الله بن عباس يزعم أن رسول الله ﷺ نكح ميمونة وهو مُحْرِم، وكذب، إنما قدم رسول الله ﷺ مكة فحل، فكان الحل والنكاح جميعاً فشبه ذلك على الناس.

نا يونس عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران عن يزيد بن الأصم قال: تزوج رسول الله ﷺ مَيْمونة وهو حلال، بعث إليها الفضل بن عباس

ورجلاً معه فزوجاها إياه.

نا يونس عن عبد الله بن محرز عن يزيد بن الأصم أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال بسرف، وبنى بها وهو حلال في قبة لها، فماتت فيها.

نا يونس عن عبد الله بن مُحْرز عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو مُحْرِم.

نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي قال: تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو محرم.

تزويج النبي أسماء بنت كَعب الجَونية وعمرة بنت يزيد

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: كان رسول الله ﷺ تزوج أسماء ابنة كعب الجونية، ولم يدخل بها حتى طلقها، وتزوج عمرة ابنة يزيد إحدى نساء بني كلاب ثم بني الوحيد، وكانت قبله عند الفضل بن العباس بن عبد المطلب فطلقها رسول الله ﷺ قبل أن يدخل بها.

تزويج النبي امرأة من غِفَار

نا يونس عن أبي يحيى عن جميل بن زيد الطائي عن سعد بن زيد الأنصاري قال: تزوج رسول الله ﷺ امرأة من غِفار، فدخل بها فأمرها فنزعت ثوبها فرأى بها بياضاً من بَرص عند ثديها فانماز رسول الله ﷺ وقال: خذي ثوبك والحقي بأهلك، وأكمل لها صداقها.

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل عن عثمان بن كعب القرظي أن أخا لتميمة ابنة وهب ذكر أختًا له لرسول الله ﷺ، وذكر حالها، فقال لها رسول الله ﷺ: **أتُحبين أن أتزوجك**، فقالت: أعوذ بالله منك، فقال رسول الله ﷺ: **منع الله عائذة**.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة عن ابن عباس قال: نظر رسول الله ﷺ إلى أم

حبيب ابنة عباس وهي بدر بين يديه فقال رسول الله ﷺ: **لئن بلغت هذه وأنا حي لأتزوجنها**، فقبض رسول الله ﷺ قبل أن تبلغ فتزوجها الأسود بن عبد الأسد أخو أبي سلمة، فولدت له رزق بن الأسود ولبابة ابنة الأسود، سمتها باسمها أم الفضل وكان اسمها لبابة.

عَددُ النّسْوة اللاتي وَهَبْنَ أنفسهن للرسول ﷺ

نا يونس عن زكريا بن أبي زائدة عن الشعبي قال: وهبن لرسول الله ﷺ نساء أنفسهن، فدخل ببعضهن، وأرجأ بعضاً فلم يقربهن حتى توفي، ولم ينكحن بعده، فيهن أم شُريك، فذلك قوله: ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾.

نا أحمد قال: نا أبي عن جرير بن عبد الحميد عن منصور بن أبي رُزَين في قول الله تعالى: ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ فكان فيمن أرجأ رسول الله ﷺ سودة، وأم حبيبة، وميمونة، فأراد فراقهن فقلن لا تفارقنا ودعنا على حالنا، واقسم لنا ما شئت من نفسك ومالك، قال: فتركهن على حالهن وقسم لهن ما شاء، قال: وكان ممن آوى: عائشة، وأم سلمة، وزينب، وحفصة، وكانت قسمته من نفسه وماله بينهن سواء.

نا يونس عن هشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة قالت: كنت أغارُ، فقلت لامرأة ممن وهبت نفسها لرسول الله ﷺ: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها بغير صداق، وكان رسول الله ﷺ قد اعتزل بعضهن، وكنت على رجاء فلما نزل: ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ أيست وقلت: إني لأرى ربك يسارع لك في هواك.

نا يونس عن عنبسة بن الأزهر عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها له.

نا يونس عن أبي سلمة الهمذاني عن الشعبي: نزل على رسول الله ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ إلى آخر

الآيتين، فخيَّرهن رسول الله ﷺ فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فشكر الله لهن ذلك وأنزل الله عليه: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾.

ما اتّخذه النبي ﷺ من السراري

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: ومات رسول الله ﷺ عن التسع من نسائه ولم تمت قبله غير خديجة ابنة خويلد وزينب أُمُّ المساكين، ومات عن التسع البواقي، ولم يهاجر منهن إلى أرض الحبشة غيرها ولا الثلاث: أم سَلمة وأم حبيبة وفلانة، ولم يصب الولد إلا من خديجة، وكان عند رسول الله ﷺ في ملك يمينه: ريحانة ابنة عمرو بن حُذافة، فلم يصب منها ولداً حتى مات، ومارية أم إبراهيم القبطية، ولدت له إبراهيم فلم يصب رسول الله ﷺ الولد إلا من خديجة ومارية.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن طلحة عن يزيد ابن ركانة قال: مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وهو ابن ثمانية عشر شهراً، فلم يصلِ عليه.

نا أحمد، نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة بمثله.

نا يونس عن إبراهيم بن عثمان عن الحاكم عن مقسم عن ابن عباس قال: ولدت مارية القبطية لرسول الله ﷺ إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: **إن له لمرضعة في الجنة، ولو بقي لكان صديقًا نبيًا، ولو بقي لأعتق كل قبطي.**

نا يونس عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عطاء بن جابر عن عبد الرحمن بن عوف قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فانطلق بي إلى النخل، فوجد فيه إبراهيم ابن النبي ﷺ، فأخذه فوضعه في حجره، فذرفت عيناه، ثم قال: «**يا بني ما أملك لك من الله شيئاً**»، فقلت له: يا رسول الله تبكي، ألم تنه عن البكاء؟ فقال: «**إنما نهيت عن النوح، عن صوتين أحمقين فاجرين؛ صوت عند**

نغمة لعب ولهو، ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة، خمش وجوه، وشق جيوب ورنة شيطان، وهذا رحمة ومن لا يرحم ولا يُرحم، يا إبراهيم لولا أنه أمر حق، ووعد صدق، وأنها سبيل مأتية لابد منها حتى يلحق آخرنا أولنا لحزنا عليك حزنًا هو أشد من هذا، وإنا بك لمحزونون، تبكي العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب».

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: ولد لي البارحة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن علي ابن أبي طالب عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب قال: دعاني رسول الله ﷺ وقد كان كبر على مارية أم إبراهيم في ابن عم لها يزورها ويختلف إليها قبطي، قال خذ هذا السيف وانطلق فإن وجدته عندها فاقتله، فقلت يا رسول الله أكون في أمرك كالمشكة المحماة لا يثنيني شيء حتى أمضي لما أمرتني به، أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ فقال رسول الله ﷺ: **بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب**، فأقبلت متوشحًا السيف فأجده عندها، فلما رآني اخترطت سيفي فعرف أني أريده، اشتد في نخلة فرقا فيها حتى إذا كان في نصفها ودنوت منه رمى بنفسه على ظهره، ثم شغر برجله فإذا إنه لأمسح أجب ماله مما للرجال قليل ولا كثير، فغمدت السيف ثم جئت رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر فقال: **الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت.**

ما عُوِّض النبي ﷺ من أبنائه

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال حدثني يزيد بن رومان قال: كان العاص بن وائل السهمي إذا ذُكر رسول الله ﷺ قال: دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له، لو قد هلك قد انقطع ذكره، فاسترحتم منه، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ حتى قضى السورة، إنا قد أعطيناك الكوثر ما هو خير لك من الدنيا وما فيها، أو الكوثر: العظيم من الأمر ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ

ٱلۡأَبۡتَرُ﴾[(١)] العاص بن وائل.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق: حدثني جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن عبد الله بن مسلم الزهري قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قيل لرسول الله ﷺ: ما الكوثر الذي أعطاك ربك؟ فقال: **نهر كَمثل ما بين صنعاء إلى أيلة من أرض الشام، آنيته أكثر من عدد نجوم السماء، يرده طير لها أعناق كأعناق البخت** فقال عمر بن الخطاب: والله يا رسول الله إنها لناعمة؟ فقال رسول الله ﷺ: **آكِلُها أنعم منها**[(٢)].

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمي عن عبد الله بن أبي نجيح عن أنس ابن مالك قال في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ قال: نهر في الجنة قال ابن أبي نجيح: وقالت عائشة: هو نهر في الجنة ليس أحد يدخل إصبعيه في أذنيه لا سمع خرير ذلك النهر.

نا يونس عن يزيد بن زياد بن أبي الجعد عن عاصم الجحدري عن عليّ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ قال: وضع اليمين على الشمال في الصلاة.

نا يونس عن فطر بن خليفة قال: سألت عطاء عن الكوثر قال: نهر في الجنة، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ قال: أمر أن يصلي الفجر يوم النحر ثم ينحر[(٣)].

---

(١) سورة الكوثر: آية (١-٣).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٦٦)، وأحمد في «المسند» (٣/٢٣٦)، وهناد في «الزهد» (١٣٦)، والنسائي في «التفسير» (٢/٥٣٧)، والطبري في «التفسير» (٣٠/٢٠٩).

(٣) انظر: الدر المنثور (٦/٤٠٢).

قصة المستهزئين والآيات

عقاب الله لمن عاند وآذى رسوله ﷺ:

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: قام رسول الله ﷺ على أمر الله محتسبًا مؤديًا إلى قومه النصيحة على ما كان فيهم من النائرة، والأذى والاستهزاء، وكان عظماء المستهزئين برسول الله ﷺ كما حدثني يزيد بن رُومان عن عُروة أو غيره من العلماء قال: كان المستهزئون برسول الله ﷺ خمسة: الأسود بن عبد يغوث بن وهب، والأسود بن المطلب بن أسد، والوليد ابن المغيرة، والعاصي بن وائل والحارث بن الطِّلاطلة أحد بني خزاعة، فكانوا يهزءون برسول الله ﷺ ويغمزونه فأتاه جبريل عليه السلام فوقف به عند الكعبة وهم يطوفون به، فمر به الأسود بن عبد يغوث فأشار جبريل إلى بطنه فمات جبنًا؛ ومر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى جرح في كعب رجله قد كان أصابه قبل ذلك بيسير، فانتقض به فقتله، ومر به العاصي بن وائل فأشار إلى أخمص رجله، فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شبرقة فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته، ومر به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخض قيحاً حتى قتله، ففيهم أنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهيري عن عُكَّاشة بن عبد الله بن أبي أحمد أنه حدث أن رجالاً من بني مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد وقد كانوا أجمعوا أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا: سلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، فقالوا له -وخشوا شره: إنا قد أردنا أن نعاقب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي أحدثوا فإنا نأمن بذلك في غيرهم فقال: من هذا فعليكم به (وهذا أخي) فعاقبوه وإياكم نفسه وقال:

ألا لا تقتلوا أخي غبيش ... فيبقى بيننا أبداً تلاح

احذروا على نفسه، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلاً، فقالوا: اللهم العنه من يغرر بهذا الخبيث، فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل أشرفنا رجلاً، فتركوه ونزعوا عنه، فكان مما دفع الله به عنهم.

نا يونس عن أبي معشر عن محمد بن كعب قال: كلمت رسول الله ﷺ قريش فقالوا: يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا ضرب به الحجر فانفجرت منها اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن ثمود (صالحاً) كانت له ناقة، فأتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ: **أي شيء تحبون أن آتيكم به** قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبًا قال: **فإن فعلت تصدقوني؟** قالوا: نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين، فقام رسول الله ﷺ يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال له: ما شئت إن شئت أصبح ذهبًا، ولكن لم أرسل آية ولم يصدقوا عند ذلك إلا عذّبتهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ إلى قوله: ﴿ مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[1].

نا يونس عن عيسى بن عبد الله التميمي عن الربيع بن أنس البَكري قال: قال الناس لرسول الله ﷺ: لو جئتنا بآية كما جاء بها صالح والنبيون، فقال رسول الله ﷺ: **إن شئتم دعوت الله فأنزلها عليكم، فإن عصيتم هلكتم**، يقول: يترل العذاب، قالوا: لا نريدها[2].

نا يونس عن أبي معشر المديني عن محمد بن كعب القُرظِي قال: كلمت قريش رسول الله ﷺ فقالت: يا محمد إنا في واد ضيق قليل الماء فسيِّر عنا بقرآنك هذه الجبال، وأخرج لنا من الأرض ينبوعاً حتى نشرب منه الماء، وأخرج لنا آباءنا نكلمهم فنسألهم: ماذا لقوا، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّ

---

(١) سورة الأنعام: آية (١٠٩-١١١).

(٢) انظر: «دلائل النبوة» (٢/١٩٥).

قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾[١] يقول: يا محمد لو أن قرآناً صُنعت به هكذا لصنعته بقرآنك.

الفرق بين القرآن المكي والمدني:

نا يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عروة قال: كل شيء نزل على رسول الله ﷺ من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون وما يثبت به الرسول فإنما نزل بمكة، وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة.

ذكر سماع الجنّ القرآن:

نا يونس عن مُبارك بن فُضالة عن الحسن قال: قدم عبد الله الكوفة فرأى أناساً من الزط ففزع منهم فقال: ما هؤلاء؟ فقيل الزط، فقال: هؤلاء أشبه من رأيت بالجن الذين أقرأهم رسول الله ﷺ.

نا يونس عن الأعمش قال: بلغني أن الجن الذين خاطبوا رسول الله ﷺ كانوا تسعة.

حديث رُكانة بن عبد يزيد

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني والدي إسحاق بن يسار أن رسول الله ﷺ قال لركانة بن عبد يزيد: **أسلم**، قال: لو أعلم ما تقول حقًّا لفعلت، فقال له رسول الله ﷺ -وكان ركانة من أشد الناس-: **أرأيت إن صرعتك تعلم أن ذلك حق؟** قال: نعم، فقام رسول الله ﷺ فصرعه فقال له: عد يا محمد، فعاد له رسول الله ﷺ، فأخذه الثانية فصرعه، وانطلق ركانة يقول: هذا ساحر، لم أر مثل سحر هذا قط، والله ما ملكت نفسي شيئًا حتى وضع جنبي إلى الأرض[٢].

---

(١) سورة الرعد: آية (٣١).

(٢) أورده ابن كثير من طريق المصنف (١٢٨/٣، ١٢٩) وقال: هكذا روى ابن إسحاق هذه القصة مرسلة بهذا البيان. وروى القصة أبو داود (٤٠٧٨)، (٥٥/٤) والترمذي (١٧٨٤)، ٢٤٧/٤، ٢٤٨). والحاكم في المستدرك (٤٥٢/٣)، والبخاري في «الكبير» (٨٢/١).

أعلامُ النبوة[1]

من معجزات النبي ﷺ:

نا يونس عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن يعلي بن مُرة عن أبيه قال: سافرت مع رسول الله ﷺ سفراً، فرأيت منه شيئًا عجباً، نزلنا منزلاً فقال: «**انطلق إلى هاتين الأشاءتين فقل: إن رسول الله يقول لكما أن تجتمعا**»، فانطلقت فقلت لهما ذلك، فانتزعت كل واحدة منهما من أصلها فمرت كل واحدة إلى صاحبتها فالتقتا جميعاً، فقضى رسول الله حاجته من ورائهما ثم قال: «**انطلق فقل لهما لتعود كل واحدة منهما إلى مكانها**»، فأتيتهما فقلت ذلك لهما، فمرت كل واحدة حتى عادت إلى مكانها.

وأتته امرأة فقالت: إن ابني هذا به لمم[2] منذ سبع سنين يأخذه كل يوم مرتين فقال رسول الله ﷺ: **أدنيه**، فأدنته منه، فتفل في فيه وقال: **اخرج عدو الله، أنا رسول الله**، ثم قال لها رسول الله ﷺ: «**إذا رجعنا فأعلمينا ما صنع**»، فلما رجع رسول الله ﷺ استقبلته ومعها كبشان وأقط[3] وسمن، فقال لي رسول الله ﷺ: **خذ هذا الكبش**، فأخذ منه ما أراد فقالت: والذي أكرمك ما رأينا به شيئاً منذ فارقنا.

ثم أتاه بعير فقام بين يديه فرأى عينيه تدمعان، فبعث إلى أصحابه فقال: **ما لبعيركم هذا يشكوكم؟** فقالوا: كنا نعمل عليه، فلما كبر وذهب عمله تواعدنا

---

(١) أفرد كثير من أهل العلم من محدثين ومتكلمين وفقهاء ومفسرين كتاباً مفرداً في هذا الموضوع، منهم ابن أبي حاتم الرازي له «أعلام النبوة» وكذلك أيضاً أبو الحسن الماوردي، وللبيهقي «دلائل النبوة» وكذلك لأبي نعيم، وأبي جعفر الفريابي وقوام السنة الأصبهاني والشمائل المحمدية بتحقيقنا، والشفا في حقوق المصطفى -بتحقيقنا، وأشرف الوسائل شرح الشمائل لابن حجر بتحقيقنا، وغيرها.

(٢) أي مس من الجن والشيطان.

(٣) هو اللبن المحمض، وهو الزبد.

لنحره غداً، فقال رسول الله ﷺ: **فلا تنحروه، واجعلوه في الإبل ليكون فيها.**

نا يونس عن الأعمش عن شَمر بن عَطية عن بعض أشياخه قال: جاءت امرأة بابن لها إلى رسول الله ﷺ قد تخرس فقالت: يا رسول الله إن ابني هذا لم يتكلم منذ ولد، فقال رسول الله ﷺ: **أدنيه**، فأدنته منه، فقال: **من أنا؟** فقال: أنت رسول الله.

نا يونس عن إسماعيل بن عبد الملك عن أبي الزبير عن جابر قال: خرجت مع رسول الله ﷺ في سفر، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد البراز تباعد حتى لا يراه أحد، فترلنا مترلاً بفلاة من الأرض ليس فيها علم ولا شجر، فقال لي: **يا جابر خذ هذه الأداوة وانطلق بنا**، فملأت الأداوة ماء وانطلقنا فمشينا حتى لا نكاد نرى فإذا شجرتان بينهما أذرع، فقال رسول الله ﷺ: **يا جابر انطلق فقل لهذه الشجرة: يقول لك رسول الله الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما** ففعلتُ، فرجعت حتى لحقت بصاحبتها، فجلس خلفها حتى قضى حاجته، ثم رجعنا فركبنا رواحلنا، وسرنا كأنما علينا الطير تظلنا، فإذا نحن بامرأة قد عرضت لرسول الله ﷺ معها صبي تحمله فقالت: يا رسول الله إن ابني هذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرات لا يدعه، فوقف رسول الله ﷺ فتناوله فجعله بينه وبين مقدمة الرحل، فقال رسول الله ﷺ: **اخسأ عدو الله أنا رسول الله**، فأعاد رسول الله ﷺ ذلك ثلاث مرات، ثم ناولها إياه فلما رجعنا وكنا بذلك الماء عرضت لنا المرأة معها كبشان تقودهما، والصبي تحمله، فقالت: يا رسول الله أقبل هديتي، فوالذي بعثك بالحق ما عاد إليه بعدُ، فقال رسول الله ﷺ: «**خذوا أحدهما منها وذروا الآخر**»، ثم سرنا ورسول الله ﷺ بيننا، فجاء جمل بادٍ(١)، فلما كان بين السماطين خر ساجداً، فقال رسول الله ﷺ «**من صاحب هذا الجمل؟**» فقال فتية من الأنصار: هو لنا يا رسول الله، قال: «**فما**

---

(١) يعني جمل من جمال البوادي والصحراء.

شأنه؟» قالوا: سنونا عليه منذ عشرين سنة، فلما كبرت سنه، وكانت عليه شحيمة فأردنا نحره لنقسمه بين غلمتنا، فقال رسول الله ﷺ «**تبيعونه؟**» فقالوا: يا رسول الله هو لك، قال: «**فأحسنوا إليه حتى يأتيه أجله**» فقالوا: يا رسول الله نحن أحق أن نسجد لك من البهائم! فقال رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي لبشر، أن يسجد لبشر ولو كان ذلك، كان النساء لأزواجهن**».

نا يونس عن المبارك بن فُضَالة عن الحسن قال: خرج رسول الله ﷺ إلى بعض شعاب مكة، وقد دخله من الغم ما شاء الله من تكذيب قومه، فقال: **رب أرني ما أطمئن إليه ويذهب عني هذا الغم**، فأوحى الله عز وجل إليه: ادع أي أغصان هذه الشجرة إن شئت، فدعا غصنًا فانتزع من مكانه، ثم خد في الأرض حتى جاء رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**ارجع إلى مكانك**»، فرجع الغصن فخد في الأرض حتى استوى كما كان، فحمد رسول الله ﷺ الله عز وجل وطابت نفسه، وقد كان قال المشركون: أتضلل آباءك وأجدادك يا محمد؟، فأنزل الله عز وجل: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[1].

نا يونس عن مالك بن مغْوَل عن طَلْحة بن أبي صالح قال: بينا رسول الله ﷺ في مسير له إذ نفدت أزوادهم حتى هم رسول الله ﷺ أن ينحر بعض حمائلهم، فقال عمر بن الخطاب، يا رسول الله لو أمرت ما بقى من أزودة القوم فجمعته، فدعوت الله فيه بالبركة، فجاء صاحب التمر بتمره وصاحب البُرِّ ببُرِّه قال: وقال مجاهد: وذو النوى بنواه، فقلت: وما كانوا يصنعون بالنوى؟ قال: كانوا يمضغونه ويشربون عليه الماء -فدعا الله تعالى فيه بالبركة، فملأ القوم أزودهم، ثم قال عند ذلك أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، من آمن بالله غير شاك فيهما لم يحجب عن الجنة.

---

(١) سورة الزمر: آية (٦٤-٦٦).

نا يونس عن القاسم بن الفضل قال: حدثني أبو نضْرة العبدي عن أبي سعيد الخُدْري أنه حدثهم قال: بينما راع يرعى في الحرة إذ عرض ذئب لشاة من غنمه، فحال بين الذئب وبينها، فأقعى الذئب على ذنبه فقال للراعي: أما تتقي الله، تحول بيني وبين رزق ساقه الله إليَّ، قال الراعي: عجبًا من ذئب مقعي على ذنبه يكلمني كلام الآدميين! فقال له الذئب: ألا أحدثك بأعجب مني: رسول الله ﷺ يحدث الناس بأنباء ما قد سبق، فساق الراعي شياهه حتى أتى المدينة فزواها[1] إلى زاوية من زواياها، ثم دخل على رسول الله ﷺ فحدثه بما قال الذئب، فقال رسول الله ﷺ: **«صدق الراعي، والذي نفسي بيده، إنها من أشراط الساعة كلام السِّباع الإنس، ولا تقوم الساعة حتى تكلم السِّباع الإنس، ويكلمه شِرَاكُ نَعْله، ويحدثه سوطه، ويخبره فخذه ما أحدث أهله بعده»**.

نا يونس عن عبد الحميد بن بَهْرام الفَزازي قال: حدثني شهر بن حوْشب عن أبي سعيد أنه قال: بينا رجل من أسلم في غنيمة له يهش عليها ببيداء ذي الحليفة إذ عدا عليه الذئب فانتزع شاة من غنمه، فجهجاه (زجره) الرجل، ورماه حتى استنقذ منه شاته، ثم أقبل الذئب حتى أقعى مستقرًّا بذنبه مقابل الرجل فقال: أما اتقيت الله، حلت بيني وبين شاة رزقنيها الله، فقال الرجل: تالله ما سمعت كاليوم قط، فقال الذئب: ممَّ تعجب؟ قال: أعجب من مخاطبتك إياي! فقال الذئب: أعجب من ذلك رسول الله ﷺ بين الحرتين، في النخلات يحدث الناس ما خلا[2]، ويحدثهم بما هو آت، وأنت ههنا مع غنمك، فلما سمع الرجل قول الذئب ساق غنمه يحوزها حتى إذا أدخلها قُباء[3]، قرية الأنصار، فسأل عن رسول الله ﷺ، فصادفه في بيت أبي أيوب، فأخبره بخبر الذئب، فقال

(١) فزواها: يعني جمعها وجعلها في ناحية.
(٢) يعني ما ذهب ومضى.
(٣) قرية قريبة من المدينة المنورة، وبها أول مسجد بني في الإسلام.

رسول الله ﷺ: **صدقت، احضر العشية فإذا رأيت الناس قد اجتمعوا فأخبرهم ذلك ففعل**، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر واجتمع الناس أخبرهم الأسلمي خبر الذئب، فقال رسول الله ﷺ: **صدق، صدق، صدق، تلك الأعاجيب بين يدي الساعة، فرددها ثلاثاً، أما والذي نفس محمد بيده ليوشك الرجل أن يغيب عن أهله الروحة أو الغدوة ثم يخبره سوطه أو عصاه أو نعله بما أحدث أهله من بعده.**

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الرحمن الأعرج عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال- وحدث عن رجل ركب بقرة فاستحثها يضربها فقالت: يا عبد الله إني لم أخلق لهذا، قال القوم: سبحان الله، فقال رسول الله ﷺ: **أعجبتم لذلك؟** قالوا: نعم يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: **فأنا أؤمن به، وأبو بكر، وعمر**، وما هما ثَمَّ (هناك).

ثم قال رسول الله ﷺ: **إن ذئبًا عدا على غنم رجل فأخذ منها شاة، فطلبها الرجل حتى نزعها منه**، فقال الذئب: هذا أنت منعتها اليوم مني فمن الذي يمنعها يوم السَّبُع إذ ليس فيها راعي غيري؟! فسبح القوم، فقال رسول الله ﷺ: **أتعجبون من هذا؟** قالوا: نعم، قال: «**فإني أؤمن به أنا وأبو بكر وعمر**» وما هما ثم.

نا يونس عن يحيى بن أبي أنيسة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **بينما راعي في غنمه، فعدا الذئب فأخذ شاة من غنمه فطلبها الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب فقال له: من لها يوم السَّبُع، يوم ليس راع؟** فقال القوم سبحان الله؟! فقال رسول الله ﷺ: **إني أؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر.**

نا يونس عن ابن أبي أُنَيْسة عن أبي عن الزُّهري عن سعيد بن المُسيَّب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **بينا رجل يسوق**

بقرة لنفسه قد حمل عليها، فالتفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا ولكن خُلقت للحرث! فقال الناس: سبحان الله! فقال رسول الله ﷺ: **فإني أؤمن به أنا وأبو بكر وعمر.**

نا يونس عن السَّري بن إسماعيل عن الشعبي قال: كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فترل فأتى بأداوة من ماء، فقيل له: يا رسول الله ما معنا ماء غيرها، فسكبها في ركوة، ثم وضع إصبعه في وسط الركوة، غمسها في الماء فجعل يجيء الناس فيتوضئون، حتى صدروا، فأبصر رسول الله ﷺ عقب بعضهم لم يصبه الماء، فقال: **اللهم اغفر لأعقابهم.**

نا يونس عن مالك بن مغول عن طلحة عن أبي صالح أن رسول الله ﷺ قال: **متى ألقى إخواني؟** فقيل: يا رسول الله ألسنا إخوانك؟ فقال: **أنتم أصحابي وإخواني قوم من أمتي لم يروني يؤمنون بي ويصدقونني، فقال رسول الله ﷺ: أي الخلق أعجب إيماناً؟ قالوا: ملائكة الله، فقال رسول الله ﷺ: وما لهم ألا يؤمنوا وهم عند ربهم! قالوا: فالنبيون، قال: ما لهم لا يؤمنون وهم موحى إليهم! قالوا: فأصحاب النبيين، فقال رسول الله ﷺ: وما لهم لا يؤمنون وأنبياء الله عز وجل فيهم! لكنَّ قومًا من أمتي لم يدركوني يؤمنون بكتاب من ربهم فيؤمنون به ويصدقونه.**

نا يونس عن الأعمش عن عمارة بن عُمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال: تذكروا فضل أصحاب النبي ﷺ فقال عبد الله: ما كان أبيه فضلّه لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن قط أفضل إيماناً من مؤمن بغيب، ثم تلا عبد الله ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ حتى بلغ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[1].

نا يونس عن إسماعيل بن عبد الملك عن عطاء أن رسول الله ﷺ قال يوماً

(١) سورة البقرة: آية (١-٥).

لأصحابه وهم مجتمعون حوله: «**عجب وليس بالعجيب أن رجلاً منكم بعث إليكم فآمن به من آمن منكم، وصدقه من صدقه منكم، فهذا عجب وليس بالعجيب، وعجب وهو العجب العجيب لقوم يؤمنون بي ولم يروني**».

نا يونس عن إسماعيل قال: حدثني يزيد بن أبي حبيب عن مزيد بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الجهني قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل راكبان من أهل اليمن، فلما رآهما رسول الله ﷺ قال: كنديان، مذحجيان، أتيا رسول الله ﷺ ليبايعاه، فقال أحدهما حين أخذ بيده ليبايعه، يا رسول الله أرأيت من أدركك فآمن بك وصدقك وشهد أن ما جئت به هو الحق ماذا له؟ قال: **طوبى له فماسحه ثم انصرف**، وأقبل الآخر فقال: يا رسول الله أرأيت من لم يرك وصدقك وشهد أن ما جئت به هو الحق ماذا له؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: **طوبى له، فماسحه ثم انصرف**.

نا يونس عن فائد بن عبد الرحمن العبدي قال: نا عبد الله بن أوفى أن رسول الله ﷺ قال: **إني لمشتاق إلى إخواني**، فقال عمر: يا رسول الله ألسنا إخوانك؟ فقال: **لا أنتم أصحابي؛ إخواني قوم آمنوا بي ولم يروني**، فجاء أبو بكر فأخبره عمر بالذي قال له رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: **يا أبا بكر ألا تحب قومًا بلغهم أنك تحبني فأحبوك، فأحبهم أحبهم الله**.

إسلامُ أمِّ شريك الدوسية

نا يونس عن عبد الأعلى بن المُساور القرشي عن محمد بن عمرو عن عطاء عن أبي هريرة قال: كانت امرأة من دوس يقال لها أم شريك أسلمت في رمضان فأقبلت تطلب من يصحبها إلى رسول الله ﷺ، فلقيت رجلاً من اليهود فقال: ما لك يا أم شريك؟ قالت: أطلب رجلاً يصحبني إلى رسول الله ﷺ، قال: فتعالي أنا أصحبك، قالت: فانتظرني حتى املأ سقائي ماء، قال: معي ما تريدين من ماء فانطلقت معهم فساروا يومهم حتى أمسوا، فنزل اليهودي ووضع سفرته فتعشى، وقال: يا أم شريك تعالي إلى العشاء، فقالت: اسقني من الماء فإني عطشى ولا أستطيع أن آكل حتى أشرب، فقال: لا أسقيك حتى تهوَّدي، قالت: لا جزاك الله خيراً، غررتني ومنعتني أحمل ماء، قال: لا والله لا أسقيك منه قطرة حتى تهوَّدين، فقالت: لا والله لا أتهود أبداً بعد إذ هداني الله للإسلام، فأقبلت إلى بعيرها فعلقته ووضعت رأسها على ركبته فنامت، قالت فما أيقظني إلا برد دلو قد وضع على جبيني، فرفعت رأسي إلى دلو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، فشربت حتى رويت، ثم نضحت على سقائي حتى ابتل، ثم ملأته ثم رفع بين يدي، وأنا أنظر حتى توارى عني في السماء، فلما أصبحت جاء اليهودي فقال: يا أم شريك، فقلت: قد والله سقاني الله، قال: من أين؟ أأنزل عليك من السماء؟ قلت: نعم، والله قد أنزل الله عليَّ من السماء، ثم رفع بين يدي حتى توارى عني في السماء؛ ثم أقبلت حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقصت عليه القصة، فخطب إليها رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لست أرضى بنفسي لك، ولكن بضعي لك فزوجني من شئت، فزوجها زيداً، وأمر لها بثلاثين صاعاً، وقال: **كلوا ولا تكيلوا**، وكان معها عكة سمن هدية لرسول الله ﷺ، فقالت لجارية لها: أبلغي هذه العكة رسول الله ﷺ، وقولي: أم شريك تقرئك السلام وتقول: هذه عكة سمن أهديناها لك، فانطلقت بها، فأخذوها يفرغونها، وقال لها رسول الله ﷺ: «**علقوها ولا توكوها**»، فعلقوها في مكانها، فدخلت أم شريك فنظرت إليها مملوءة سمناً فقالت: يا فلانة أليس أمرتك أن

تنطلقي بهذه العكة إلى رسول الله ﷺ؟ فقالت: قد والله انطلقت بها كما قلت، ثم أقبلت بها أصوبها ما يقطر منها شيء، ولكنه قال: «**علقوها ولا توكوها**»، فعلقتها في مكانها، وقد أوكتها أم شريك حين رأتها مملوءة، فأكلوا منها حتى فنيت، ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعاً لم ينقص منه شيء.

إسلام أبي هريرة من دَوْس

نا يونس عن أبي خلدة خالد بن دينار عن أبي العالية قال: لما أسلم أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: ممن أنت؟ فقال: من دوس، فوضع رسول الله ﷺ يده على جبينه ثم نفضها، فقال: ما كنت أرى من دوس أحدًا فيه خير.

نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني بعض أصحابي عن أبي هريرة قال: كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر، فتسميت في الإسلام عبد الرحمن، وإنما كناني بأبي هريرة أني كنت أرعى غنماً له فوجدت أولاد هرة وحشية فجعلتها في كمي فلما أرحت عليه غنمه سمع أصواتهن في صفني، فقال: ما هذا يا عبد شمس؟ فقلت: أولاد هرة وجدتها، قال: فأنت أبو هريرة فلزمتني بعدُ.

نا يونس قال: قال ابن إسحاق: وكان وسيطاً في دوس حيث يحب أن يكون منهم.

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن هزان بن سعيد قال: أتيت بيت المقدس فلقيت بها عليَّ بن عبد الله بن العباس فسلمت عليه، فقال لي: من أنت؟ قلت: رجل من أهل الرها، قال: مرحباً برجل من قوم أوصى بهم رسول الله ﷺ، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: **أوصيكم بالرهاويين والدوسيين والداريين خيراً**. فزعم عبد الرحمن أن هذه أسماء من قبائل العرب.

إسلامُ عَديٍّ بن حاتم

نا يونس عن عبد الأعلى بن أبي المساور القرشي عن عامر الشعبي عن عَدِي بن حاتم قال: بُعث رسول الله ﷺ بالنبوة وما أعلم أحدًا من العرب كان أشد بغضًا ولا كراهية له مني حتى لحقت بالروم، فلما بلغني ما يدعو إليه من

الأخلاق الحسنة، وما قد اجتمع له من الناس ارتحلت حتى أتيته، فوقفت عليه وعنده صهيب وسلمان وبلال، فرفع رسول الله ﷺ رأسه فنظر إليَّ، فقال: يا عدي بن حاتم أسلم تسلم، فقلت: أخ أخ فأنخت، ثم جئت حتى ألصقت ركبتي بركبته فضرب على فخذي وقال: **يا عدي بن حاتم أسلم تسلم**، فقلت: وما الإسلام؟ قال: **تشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله وتؤمن بالأقدار كلها خيرها وشرها، حلوها ومرها يا عدي بن حاتم لا تقوم الساعة حتى تفتح خزائن قيصر وكسرى يا عدي بن حاتم: لا تقوم الساعة حتى تأتي الظعينة من الحيرة -ولم يكن يومئذ كوفة- فتطوف بهذه الكعبة بغير جوار، يا عدي بن حاتم لا تقوم الساعة حتى يحمل الرجل جراب المال فيطوف به، ولا يجد أحدًا يقربه فيضرب به الأرض فيقول: ليتك لم تكن لي، ليتك كنت تراباً**.

نا يونس عن سعيد بن عبد الرحمن عن محمد بن سيرين عن أبي عُبَيدة بن حُذَيفة بن اليمان، ولم أر سنه تزيد عليه، وكان يوم رأيته ابن أربعين سنة، عن رجل كان يسمى السمير أنه دخل على عدي بن حاتم فقال: إنه بلغني عنك حديث أحببت أن أكون أنا أسمعه منك، فقال: بُعث رسول الله ﷺ، وكنت أشد الناس له كراهية، أو من أشد الناس، فلحقت بأقصى أرض العرب من قبل الروم، وكرهت مكاني أشد من كراهتي الأمر الأول، فقلت: لآتين هذا الرجل فلئن كان صادقًا لا يخفى عليَّ، ولئن كان كاذبًا لا يخفى عليَّ أو لا يضرني شك محمد، فقدمت المدينة فاستشرفني الناس، فقالوا: عدي بن حاتم، فأتيت رسول الله ﷺ فقال: **يا عدي بن حاتم أسلم تسلم**، فقلت: إن لي ديناً، فقال: **أنا أعلم بدينك منك**، فقلت: ما يجعلك أعلم بديني مني؟ قال: **ألست ترأس قومك؟ ألست تأخذ المرباع؟** فقلت: بلى، قال: **فإن ذلك لا يحل لك في دينك**، فكان ذلك وهنًا في نفسي، فقال: **يمنعك أن تسلم خصاصة من ترى، وإنك ترى الناس ألبوا علينا مأخذًا – أو يداً واحدة**، شك محمد – فقلت: أجل، فقال: **هل أتيت الحيرة؟** فقلت: لا، وقد علت مكانها، فقال: **توشك**

الظعينة أن تخرج من الحيرة حتى تطوف بالبيت بغير جوار، وتوشك أن تفتح كنوز كسرى بن هرمز، فقلت: كنوز كسرى بن هرمز؟! فقال: **كنوز كسرى ابن هرمز**، مرتين، **ويوشك أن يخرج الرجل الصدقة من ماله فلا يجد من يقبلها**، قال: **فقد رأيت الظعينة تخرج من الحيرة حتى تطوف بالبيت بغير جوار وقد كنت في أول جيش أغار على المدائن، وايم الله لتكونن الثالثة، إنه لقول رسول الله ﷺ**.

نا يونس عن إبراهيم بن عبد الرحمن الشيباني عن محمد بن سيرين عن عدي بن حاتم قال: أخبرنا رسول الله ﷺ أنه قال: **لا تقوم الساعة حتى يفتح القصر الأبيض الذي بالمدائن، ولا تقوم الساعة حتى تسير الظعينة من الحجاز إلى العراق آمنة لا تخاف شيئًا**، فقد رأيتهما جميعاً، **ولا تقوم الساعة حتى يكون على الناس إمام يحثى المال حثياً**.

نا يونس عن عَنْبَسة بن الأزهر عن سعيد بن مَسْروق قال: كلم عدي بن حاتم عمر في شيء، فقال له عدي: يا أمير المؤمنين ألا تعرفني؟ قال عمر بلى آمنت إذ كفروا، وصدقت إذ كذَّبوا، فأُعطيت إذ مُنعوا.

نا يونس عن قُرَّة بن خالد: نا يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير قال: بينا نحن بهذا المربد إذ أتى علينا أعرابي شعث الرأس معه قطعة أديم، أو قطعة جراب فقلنا: كأن هذا ليس على أهل البلد، فقال أجل هذا كتاب كتبه إليَّ رسول الله ﷺ، فقال القوم: هات، فأخذته فقرأته فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب محمد النبي رسول الله ﷺ لبني زُهَير بن أقيش -قال أبو العلاء: وهم حي من عكل- إنكم إن شهدتم ألا إله إلا الله، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وفارقتم المشركين، وأعطيتم من الغنائم الخمس وسهم النبي ﷺ، والصفي -وربما قال: وصفيه- فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله ﷺ.

فقال القوم: هات أصلحك الله حديثا ما سمعت رسول الله ﷺ يقول؟

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **صوم الشهر صبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهب من وحر الصدر**، فقال القوم: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ يقول؟ فقال: لا أراكم تخافون أن أكون أكذب على رسول الله ﷺ، لا والله لا أحدثكم حديثاً اليوم، ثم أهوى إلى الصحيفة فانتزعها، ثم انصاع مدبراً.

نا يونس عن يونس بن عمرو عن أبيه عن أبي تميمة الهجيمي قال: أتى رسولَ الله ﷺ أعرابيٌّ فقال: يا محمد إلى ما تدعو؟ قال: «**أدعوك إلى من أصابك ضر فدعوته كشف عنك ضرك، وإلى من إن كنت بفلاة من الأرض فأضللت راحلتك فدعوته رد عليك، وإلى من إن أصابتك سَنة فأجدبت أنبت لك**»، فقال الأعرابي: ما أحسن هذا، أوصني، فقال رسول الله ﷺ: **أوصيك ألا تغتبط الناس، ولا تزهد في المعروف، والق أخاك حين تلقاه ووجهك منبسط إليه وإن لم يكن لك إلا دلو واحد فسألك أن تفرغ له من دلوك فأفرغ منه، وإياك وإسبال الإزار فإنه من المخيلة، وإن الله عز وجل لا يحب المخيلة.**

نا يونس عن يوسف بن ميمون عن الحسن قال: جاء رجل من أشراف أهل البوادي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إلى ما تدعو؟ قال: **أدعوك إلى من إن أَسْنَتَّ ثم دعوته أنبت لك، وإن أضللت ثم دعوته رد عليك، وإن أصابك كرب أو هم أو غم ثم دعوته كشف عنك، ثم أسلم، ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم قال: يا رسول الله إني أريد الرجوع إلى أهلي فأوصني، فقال رسول الله ﷺ: أوصيك بتقوى الله وأن تَصدَّق**، فقال: من أي شيء أتصدق، فقال: **من إبلك**، فقال: وكلنا له إبل؟ قال: **فمن غنمك**، فقال: وكلنا له غنم؟ فقال: **فمن مالك**، فقال: وكلنا له مال؟ فقال رسول الله ﷺ: **يا هذا تكف لسانك عن الناس فإنها صدقة عليك حسنة.**

إسلام جرير بن عبد الله

نا يونس عن داود بن زيد عن عامر الشَّعبي عن جرير بن عبد الله أنه حدثه قال: أتيتُ رسول الله ﷺ أبايعه فقال رسول الله ﷺ: **أرني يدك يا جرير**، فقلت: على مه؟ **فقال على أن تسلم لله، والنصيحة لكل مسلم**، فأدركها جرير، وكان رجلاً فطنًا، فقال: يا رسول الله فيما أطقت، فكانت له وللناس من بعدُ، قال جرير: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: **بُني الإسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان.**

نا يونس عن قيس بن الربيع عن سماك بن حرب وعبد الله بن عمر بن جابر بن سَمُرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **لتَفتحن أرض كسرى عصابة من المسلمين.**

نا يونس عن قيس بن الربيع عن جبلة بن سُحيم عن مؤثر بن غفارة العبدي قال: نزلت بابن الخصاصية في ركب من عبد القيس فقال: بايعني رسول الله ﷺ على الصلوات الخمس، وصيام رمضان، وحج البيت، والزكاة طيبة بها نفسك، والجهاد في سبيل الله، فقلت: يا رسول الله كل هذا لا أستطيع، أما الزكاة فليس لي إلا مال أعيش فيه، وأهلي يعتملون عليه وأما الجهاد فإني أخاف أن تخشع نفسي فأفر فأبوء بغضب من الله، فكف يده عني فقال: **لا جهاد ولا صدقة، فبمَ تدخل الجنة؟** فقلت يا رسول الله مد يدك فأبايعك عليهن كلهن فبسط يده فبايعه.

نا يونس عن يحيى بن أبي حيَّة الكَلبي عن زاذان عن جرير بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ على إبل آكلة نواء فلما بلغنا إلى الصحراء طلع راكب يوضع نحونا، فقال رسول الله ﷺ إياكم يريد هذا، فما دنا قال رسول الله ﷺ: من أين أقبلت؟ قال: من مالي وولدي وعشيرتي، فقال: أين تريد؟ قال: أردت رسول الله ﷺ، فقال له: قد أصبت، فقال له: يا رسول الله علمني الإسلام، فلما

رأينا رسول الله ﷺ قد أقبل عليه حففنا بعيره، فقال له: «**تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**»، قال: أقررت، قال: «**وتصلي الصلوات المكتوبة**»، قال: أقررت، قال: «**وتؤدي الزكاة المفروضة**»، قال: أقررت، قال: «**وتحج البيت**»، قال: أقررت قال: «**وتصوم رمضان**»، قال: أقررت، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا الإسلام**»، فسار مع رسول الله ﷺ فوقعت رجل بعيره في شبكة جرذان فعثر، فوقع الرجل على رأسه، فقال رسول الله ﷺ أخاكم، فوثب إليه حذيفة وعمار فأسنداه فقالا: يا رسول الله قد مضى الرجل فأعرض عنه ما شاء الله، ثم أقبل بوجهه فقال: «**ألم تروني حين أعرضت فإني رأيت ملكان يحشوان في فيه من ثمار الجنة**»، فعرفت أن الرجل كان جائعاً، فقال رسول الله ﷺ: «**عمل قليلاً وأجر كثيراً**»، هذا والله من ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ «**احملوا أخاكم**» فاحتملناه فلما انتهينا به إلى الماء قال رسول الله ﷺ: **اغسلوه وكفنوه وحنّطوه**، ففعلنا، ثم صلى عليه، ثم جلس رسول الله ﷺ على شفير القبر فقال: **ألحدوا له فإن اللحد لنا والشق لغيرنا**.

نا يونس عن عبد الرحمن بن أمين الكناني قال: حدثني محمد بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب؛ وحدثني الزهري، قالا: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: إن قومي أسلموا فزادهم الإسلام فقراً، فالتفت رسول الله ﷺ إلى الرجل كان دفع إليه نفقة فقال: قد أنفقت ما كان معي، فقال يهودي خلف رسول الله ﷺ: هذا رجل يعطيك ورْقاً، يسلفك في تمر حائط كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «**لا نسمي لك حائطاً ولكن تسلفنا في تمر مسمى في كيل معلوم إلى أجل معلوم**»، فبايعه اليهودي، ثم حل ورقاً معه فقال رسول الله ﷺ: ادفعها إلى الأعرابي إلحق فأغث بها قومك، فخرج رسول الله ﷺ في جنازة، فلما وضع الميت في قبره وحثوا عليه، قام اليهودي فقال: يا محمد ألا تقضينَّ تمري، فوالله ما أعلمكم يا بني عبد المطلب إلا تمطلون الناس بحقوقهم، فقال عمر بن

الخطاب ﷺ: والله لولا مجلسه لوجأت أنفك، وقال الزهري: لوجأت خطمك، فقال رسول الله ﷺ: **يا عمر أنت إلى غير هذا أحوج؛ أن تأمره فيحسن طلبي، وتأمرني فأحسن قضاءه، انطلق معه إلى حائط كذا وكذا**، وهو الذي كان أراد من رسول الله ﷺ فأبى أن يسميه له، فأدخله فقل لفلان يكشف له عن الطعام ليريه إياه، فإن رضيه فمره فليوفه ماله، وكِل له كذا وكذا صاعاً بشتمك إياه، فانطلق به عمر، فأراه فرضي فكال له ما أمره به رسول الله ﷺ، فقال اليهودي لعمر: إنه لم يكن بقى شيء مما وجدنا في كتابنا مما وصف لنا موسى عليه السلام إلا قد رأيناه في محمد ﷺ، إلا الحلم فقد رأيناه الآن منه فأنا أشهدك أني أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأشهد أن نصف ما أملك صدقة على من آمن بمحمد ﷺ، فقال له عمر: إنه قد حقت عليَّ نصيحتك، لا يسعهم كلهم ولكن اجعله لمن مع رسول الله ﷺ، ففعل، ثم إن هذا اليهودي مات فخرج رسول الله ﷺ فحمل سريره على عاتقه الأيمن وحمل عليٌّ أيضًا سريره على عاتقه الأيسر.

نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال كان عبد الله بن مُزينة ذو البجادين بينما هو في حجر عمه، وكان يعطيه، وكان محسناً إليه، فبلغ عمه أنه قد تابع دين محمد ﷺ، فقال له: لئن فعلت وتبعت محمدًا لأنزعن منك كل شيء أعطيتك، فقال: إني مسلم فنزع منه كل شيء أعطاه حتى جرده من ثوبه، فأتى أمه فقطعت له بجادًا كان لها باثنين، فائتزر نصفًا وارتدى نصفًا، ثم أصبح فصلى مع رسول الله ﷺ الصبح، فلما صلى رسول الله ﷺ تصفح الناس ينظر من أتاه، (وكذلك كان يفعل)، فرآه رسول الله ﷺ فقال: **من أنت؟** قال: أنا عبد العزى، فقال: **بل أنت عبد الله ذو البجادين، فالزم بابي**، فكان يلزم باب رسول الله ﷺ، وكان يرفع صوته بالقرآن والنحيب والتسبيح، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أمُرَائِي هو؟ قال: **دعه عنك فإنه أحد الأواهين.**

حديث الإسراء برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس[١]

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: فدعا رسول الله ﷺ قومًا إلى الإسلام وكلمهم وأبلغ إليهم فيما بلغني، قال زمعة: لو جعل معك ملك يحدث معك الناس ويرى معك، قوله تعالى: ﴿ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ ، قال: ثم إن رسول الله ﷺ أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس من إيلياء، وقد فشي الإسلام بمكة وفشي في القبائل كلها، وكان مسراه، وما ذكر منه، بلاء وتمحيص وأمر من الله عز وجل في قدرته وسلطانه عبرة لأولي الألباب، وهدى ورحمة وبيان، لمن آمن وصدق، وكان من أمر الله على يقين، فأسري به كيف شاء وكما شاء، ليريه من آياته ما أراد، حتى عاين ما عاين من أمر الله عز وجل وسلطانه العظيم، وقدرته التي صنع بها ما يريد، حتى ذكر من يصدقه[٢].

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة أنها كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن الله عز وجل أسرى بروحه، ثم وصف لأصحابه إبراهيم وعيسى والأنبياء وما أتى به من الماء والخمر واللبن وشربه من آنية جبريل وعيسى بن مريم عليهما السلام، وقال: «**أُريت الجنة والنار وأُريت في السماء كذا وكذا، وقال: وفُرِضت عليَّ الصلاة**»[٣].

---

(١) انظر في هذا الموضوع النور الوهاج في الإسراء والمعراج للعلامة الأجهوري بتحقيقنا، وكذلك الإسراء والمعراج لجمال الدين القاسمي، وقصة المعراج للعلامة الغيطي وحاشية الدرديري عليهما، والمعراج الكبير للغيطي، وحاشية عليّ الحلبي عليهما، والإسراء والمعراج لابن ناصر، وسيدي جعفر الصادق كلها بتحقيقنا – ط. دار الكتب العلمية– بيروت.

(٢) رواه الترمذي (١٧٩)، والحاكم (٦٠٦/٤)، وابن عساكر في تاريخه (٢٥/٢/١)، والبزار في مسنده (٤٨/١)، (٥٩) كشف الأستار، وانظر: الدر المنثور (٢٧٣/٤).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٦/٨)، عن ابن إسحاق به فذكره بنحوه.

نا يونس عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصاري قال: حدثني ابن شهاب الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيَّب أن رسول الله ﷺ قال: «**لقيت إبراهيم وموسى وعيسى عند بيت المقدس، فإذا عيسى رجل أحمر كأنما خرج من ديماس**[١]**، وإذا موسى رجل شحب ضرب كأنه من رجال شَنُوءَة**[٢]**، وأنا أشبه ولد إبراهيم به، فأُتيت بقدحين، قدح لبن وقدح نبيذ، فاخترت قدح اللبن فقال جبريل عليه السلام: هديت للفطرة، لو أخذت قدح النبيذ لغوت أمتك، وحانت الصلاة فأممتهم**»[٣].

قال ابن شهاب: قال عبد الله بن عمر: ما قال رسول الله ﷺ لعيسى بن مريم أحمر كأنما خرج من ديماس ولكنه قال: «**أراني أطاف بالبيت فإذا رجل أحمر حشيم يمشي بين رجلين ينطف رأسه، أو أهراق من رأسه ماء، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا عيسى بن مريم، ثم التفت فإذا رجل أحمر أعور العين اليمين كأنما عينه عنبة طافية، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا الدجال**».

نا يونس عن خالد بن دينار البصري عن فُضَيل الأعور قال: حضرت جنازة فيها أنس بن مالك فجاء أبو العالية وقد صلى على الجنازة فتخطى الناس حتى خلص إلى أنس بن مالك فقال: يا أبا حمزة عليك برنس[٤] أو برنسان، رأيتك البارحة في هذا المكان وعليك برنسان، فقال: الصدق ما رأيت، عليَّ برنسي الذي ترى عليّ، وعليَّ برنس الإسلام فتذاكروا الرؤيا، فقال أنس: كنت بالمدينة فمرضت مرضًا أشرفت على الموت، فجاءني إبراهيم وموسى عليهما السلام، فجلس إبراهيم عند رأسي وموسى عند رجلي، فاستيقظت فبرئت، قال أبو العالية: وأنا كنت بخراسان فمرضت مرضًا أشرفت منه على

---

(١) أي الحمّام.

(٢) هي قبيلة من الأزد.

(٣) رواه البخاري (١٤٧/٧)، (٣٤٣٧).

(٤) البرنس: كل ثوب رأسه منه ملتصق به.

الموت فجاءني إبراهيم، وموسى فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فاستيقظت فبرئت، قال أنس بن مالك: انعتهما لي إن رؤياك من رؤياي، قال: أما إبراهيم فرجل أبيض، أبيض الرأس واللحية، معروق اللحم، طويل الأنف، وأما موسى فرجل أشعر شديد الأدمة، عريض المنكبين، شعره يضرب إلى منكبيه، فقال أنس: كذا رأيت أنا[1].

نا يونس عن زكريا عن الشعبي قال: شبَّه رسول الله ثلاثة نفر من أمته قال: «**دحْية الكلبي شُبِّه بجبريل وعُروة بن مسعود الثقفي شبه بعيسى ابن مريم، وعبد العزى شبه بالدجال**».

نا يونس عن عنبسة بن الأزهر عن سماك بن حرب عن عكرمة قال: لما كان شأن بني قريظة بعث إليهم رسول الله ﷺ عليًّا، وجاء جبريل رسول الله ﷺ على فرس أبلق، قالت عائشة: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه جبريل فقلت هذا دحية الكلبي يا رسول الله؟ قال: «**هذا جبريل**».

نا يونس عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال: إن رسول الله ﷺ قال: أتيت على موسى وهو قائم يصلي في قبره، رجل آدم جعد أشبه من رأيت برجال شنوءة، ومررت على عيسى فسلم عليّ رجل شاب طويل، مرجل قد تعلوه حمرة.

نا يونس عن أسباط بن نصر عن إسماعيل السدي قال: فُرض على رسول الله ﷺ الخمس في بيت المقدس ليلة أسري به قبل مهاجره بستة عشر شهرًا.

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عُتْبَة عن عمرو بن مُرَّة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل قال: أحيلت الصلاة ثلاث أحوال وأحيل الصيام ثلاثة أحوال فأما أحوال الصلاة فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً، ثم إن الله عز وجل حوله إلى القبلة، فهذه حال

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢/٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/٣٩٠، ٣٩٦).

وكادوا أن ينقسموا عندما حضره الصلاة، فجاء عبد الله بن زيد الأنصاري فقال: يا رسول الله لو أخبرتك أني لم أكن نائماً صدقتك إن شاء الله، إني بينا أنا بين النائم واليقظان رأيت شخصاً عليه ثياب خُضر، فاستقبل القبلة فقال: الله أكبر الله أكبر، مثنى، أشهد ألا إله إلا الله مرتين، أشهد أن محمداً رسول الله مرتين، حي على الصلاة مثنى، حي على الفلاح مثنى، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، ثم أمهل ساعة، ثم قام فقال مثل مقالته غير أنه حين فرغ من قوله حي على الفلاح قال: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الأذان والإقامة مثنى مثنى، فقال رسول الله ﷺ: علمها بلالاً، فأُمر بلال فأذن بها، وجاء عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله لقد رأيت مثل الذي أُري الأنصاري، ولكنه سبقني إليك، فهذه حال أُخرى، وكان الرجل إذا انتهى إلى الناس وهم في الصلاة سألهم: كم صليتم؟ فيشيرون إليه بواحدة واثنتين بكم كان، فيبدؤون بما فاتهم، ثم يدخلون فيما بقى من الصلاة، فجاء معاذ فوجد رسول الله ﷺ قد صلى بعض صلاته فثبت على ما أدرك فصلى، فلما فرغ رسول الله ﷺ من صلاته قام معاذ فقضى ما فاته، فقال رسول الله ﷺ: **قد بين لكم معاذ، فهكذا فافعلوا، فهذه حال**[1].

وأما الصيام فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فصام يوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر، ثم إن الله عز وجل فرض شهر رمضان فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكينًا، ثم إن الله عز وجل أوجب الصيام على الصحيح المقيم وكتب الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصوم فأنزل الله عز وجل: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ إلى آخر الآيات، وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم

(١) رواه أحمد في المسند (١/٣٧٥)، بنحوه، وانظر: الدر المنثور (٤/٢٨٠).

يناموا، فإذا ناموا تركوا الطعام والشراب وإتيان النساء، فكان رجل من الأنصار يدعى صرمة يعمل في أرض له، فلما كان عند فطره نام فاستيقظ -يعني أصبح- فأصبح صائمًا فجهد جهدًا شديدًا، فقال له رسول الله ﷺ: ما لي أراك قد جهدت؟ فأخبره ما كان من حاله، واختلس رجل نفسه بإتيان النساء فأنزل الله عز وجل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[١] إلى آخر الآية.

نا يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله عن القاسم قال: أول من أَذَّن بلال.

نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهري قال: قدم عثمان بن مظعون على رسول الله ﷺ فوجده يصلي فسلم عليه فرد عليه رسول الله ﷺ وهو يصلي.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني أبو الزناد عن عامر الشعبي عن عبد الله بن مسعود: دخلت فسلمت على رسول الله ﷺ وهو يصلي، فأشار ولم يرد عليّ السلام، فقلت له: لم رددت على عثمان بن مظعون ولم ترد عليَّ فقال ﷺ: إن الله عز وجل يقلب الليل والنهار كما يشاء [....] وإن [...]حدث إليَّ إلا وسلم في الصلاة.

نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال: حدثني [....] أو عكرمة، شك محمد بن أبي محمد عن ابن عباس قال: صرفت القبلة عن الشام نحو الكعبة في رجب على رأس سبعة عشر شهرًا من مقدم رسول الله ﷺ المدينة [.....] رسول الله ﷺ [......] عمرو وكعب بن الأشرف بن أُبي [......][٢] كعب بن الأشرف والربيع بن الربيع.

---

(١) سورة البقرة: آية (١٨٣-١٨٥).

(٢) ما بين [.....] طمس بالأصل.

بعض غزوات النبي ﷺ

عن أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن نُفيل الحَرَّاني رواية أبي شُعَيب عبد الله بن الحسن الحرَّاني.

مما رواه عنه أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن الصَوَّاف رواية الشيخ الفاضل أبي الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس.

مما حدثنا به الشيخ الجليل الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي.

سماع طاهر بن بركات بن إبراهيم بن علي بن محمد بن علي الخشوعي القرشي.

نفعه الله به.

يتلوه غزوة السويق.

غزوة ذي أمر إلى نجد سنة ثلاث.

وقف

قرأ فيه إسماعيل بن إبراهيم بن سالم الأنصاري عفا الله عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم

قطعة من غزوة بدر

أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب البغدادي بدمشق في شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وأربع مائة قال: أخبرنا أبو نُعيم الحافظ قال: نا: أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن الصواف قال: أنا أبو شُعيب الحراني: نا النُّفيلي: نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال ثم قال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ﴾[1].

---

(١) سورة الأنفال: آية (٤٨).

وذكر استدراج إبليس إياهم بتشبهه بسراقة بن جعشم لهم حين ذكر لهم ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة في الحرب التي كانت بينهم وبينه يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ ﴾ ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة قد أمد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم: ﴿ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴾ وصدق عدو الله إنه رأى ما لا يرون فقال: ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ فأوردهم ثم أسلمهم، فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل مترل في صورة سراقة لا ينكرونه، حتى إذا كان يوم بدر، والتقى الجمعان، وكان الذي رآه حين نَكَص على عقبيه الحارث بن هشام، وعمير بن وهب الجمحي، قد ذكر أحدهما فقال: أين يا سُراقة ومثل عدو الله فذهب ثم ذكر الله أهل الكفر وما يلقون عند موتهم فوصفهم بصفتهم فأخبر نبيه عنهم حتى انتهى إلى قوله ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ أي فنكّل بهم من ورائهم لعلهم يعقلون، ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[١] إلى قوله: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[٢]، أي لا يضيع لكم أجره عند الله في الآخرة وعاجل خلفه في الدنيا ثم قال: ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾[٣] أي إن دعوك إلى السلم، يعني الإسلام فصالحهم عليه، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ إن الله كافيك إن الله، ﴿ هُوَ السَّمِيعُ

---

(١) سورة الأنفال: آية (٥٧).

(٢) سورة الأنفال: آية (٦٠).

(٣) سورة الأنفال: آية (٦١).

ﵟٱلۡعَلِيمُﵞ ﵟوَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُﵞ[١] هو من وراء ذلك، ﵟهُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦﵞ بعد الضعف ﵟوَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَﵞ ﵟوَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡﵞ على الهدى بالذي بعثك إليهم ﵟلَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡﵞ بدينه الذي جمعهم عليه ﵟإِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞﵞ. وقال: ﵟيَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَﵞ[٢] أي لا يقاتلون على نية ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر[٣].

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال: أنا النُّفيلي قال: نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثني أبو جعفر محمد بن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «**نصرت بالرعب، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأُعطيت جوامع الكلم، وأحلت لي المغانم ولم تحل لنبي كان قبلي، وأُعطيت الشفاعة، خمس لم يؤتهن نبي قبلي**»، ﵟمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰﵞ من عدوه ﵟحَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِﵞ أي يثخن عدوه حتى ينفيه من الأرض ﵟتُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَاﵞ أي المتاع، الفداء بأخذ الرجال ﵟوَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَﵞ[٤] أي بقتلهم بظهور الدين الذي يريدون إظهاره الذي تدرك به الآخرة ﵟلَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡﵞ من الأسارى والمغانم ﵟعَذَابٌ عَظِيمٞﵞ أي لولا أن سبق ألا أعذب إلا بعد النهي، ولم يكن

---

(١) سورة الأنفال: آية (٦٢-٦٣).

(٢) سورة الأنفال: آية (٦٤-٦٥).

(٣) انظر تاريخ الطبري (٢/٤٤٠، ٤٤٤)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/٣٢٧، ٣٣٠).

(٤) سورة الأنفال: آية (٦٧).

هاهم، لعذبكم فيما صنعتم، ثم أحلها لهم رحمة ونعمة وعائدة من الرحمن الرحيم فقال: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] فكان العباس بن عبد المطلب يقول: فيَّ والله نزلت حين ذكرت لرسول الله إسلامي وسألته أن يقاضي بالعشرين الأوقية التي أخذ مني، فأبى عليّ، فعوضني الله منها عشرين عبداً كلهم تاجراً يضرب بمالي، مع ما أرجو من رحمته ومغفرته، ثم حض المسلمين على التواصل وجعل المهاجرين والأنصار ولاية في الدين دون من سواهم، ثم جعل الكفار بعضهم أولياء بعض قال: ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ أي ليتولى المؤمن المؤمن دون الكافر وإن كان ذا رحم، ﴿ تَكُن فِتْنَةٌ ﴾ أي شبهة في الحق والباطل، في ظهور المفاسد في الأرض، بتولي المؤمن الكافر من دون المؤمن، ثم رد المواريث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار، وردهم إلى الأرحام التي بينهم فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أي بالميراث: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2].

عدد من شهد بدرًا:[3]

جميع من شهد بدرًا من المسلمين من المهاجرين والأنصار الأوس والخزرج ومن ضُرب له سهمه وأجره ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً من المهاجرين دون

---

(١) سورة الأنفال: آية (٦٨-٦٩).

(٢) سورة الأنفال: آية (٧٣، ٧٥).

(٣) انظر: شفاء الصدر في شرح أهل بدر لطه بن مهنا الجبرين، بتحقيقنا، ط. عالم الكتب- بيروت.

الأنصار ثلاثة وثمانون رجلاً، ومن الأوس واحد وستون رجلاً، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً واستشهد مع رسول الله ﷺ من قريش ثم من بني المطلب بن عبد مناف: عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، قطع رجله عُتْبة بن رَبِيعة بن عبد شمس فمات بالصفراء.

ومن بني زُهرة بن كلاب: عُمير بن أبي وقاص بن أهْيب بن عبد مناف ابن زهرة، وذو الشمالين عبد عمرو بن نضلة حليف لهم، من بني غبشان.

ومن بني عدي بن كعب: عاقل بن البُكير، حليف لهم، من بني سَعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ومهجع مولى عمر بن الخطاب.

ومن بني الحارث بن فِهر: صَفْوان بن بيضاء.

ومن الأنصار، ثم من بني عَمرو بن عوف: سعد بن خيثمة ومُبشر بن عبد المنذر بن زنبر.

ومن بني الحارث بن الخزرج: يزيد بن الحارث، وهو الذي يقال له فسحم.

ومن بني سلمة، ثم من بني حرام بن كعب بن غُنْم بن كعب بن سلمة: عُمير بن الحُمام.

ومن بني حُبيب أو خبيب بن عبد حارثة بن مالك: رافع بن المُعَلّي.

ومن بني النجار، ثم من بني عدي بن النجار: حارثة بن سراقة بن الحارث.

ومن بني غَنْم بن مالك بن النجار: عوف ومُعوِّذ ابنا الحارث بن سواد، وهما ابنا عفراء، ثمانية نفر.

وكان الفتية الذين قتلوا مع قريش يوم بدر فنزل فيهم القرآن فيما ذكر لنا: ﴿ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ

فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[١].

وذلك أنهم كانوا أسلموا [ورسول الله ﷺ بمكة فلما هاجر][٢] رسول الله ﷺ إلى المدينة حبسهم آباءهم وعشائرهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به جميعًا فهم فتية مُفتَّنون.

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَي: الحارث بن ربيعة وعقيل بن الأسود بن المطلب بن أسد.

ومن بني مخزوم أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة. ومن بني جُمح: عليّ بن أُمية بن خلف.

ومن بني سَهْم: العاص بن مُنَبَّة بن الحجاج[٣].

غزوة بني سليم

فلما قدم رسول الله ﷺ من بدر إلى المدينة وكان فراغه من بدر في عقب رمضان أو في أول شوَّال، فلم يقم بالمدينة إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سُليم، حتى بلغ ماء من مياههم يقال له الكُدْر[٤]، فأقام عليه ثلاث ليال؛ ثم رجع إلى المدينة و لم يلق كيداً، فأقام بقية شوَّال وذا القعدة وفادى في إقامته[٥] تلك جل الأساري من قريش.

---

(١) سورة النساء: آية (٩٧).

(٢) ما بين [.....] زيادة من سيرة ابن هشام، (٢/٢٣٣).

(٣) انظر: البداية والنهاية (٣/٣٦٠)، وتاريخ الطبري (٢/٤٥٧).

(٤) انظر: سبل الهدى والرشاد للصالحي (٤/١٧٢).

(٥) أي أخذ رجلاً وأعطى رجلاً.

غزوة السويق[١]

ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق في ذي الحجة، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة.

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال: حدثنا النُّفَيلي قال: نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال: فكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر ابن الزبير، ويزيد بن رُومان، ومن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان من أعلم الأنصار، حين رجع إلى مكة فلُّ قريش[٢] من بدر حلف ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدًا ﷺ فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جانب جبل يقال له تيت: من المدينة على بريد أو نحوه، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير من تحت الليل فأتى حُيّي بن أخطب فضرب عليه بابه فخاف فلم يفتح له فانصرف إلى سلام ابن مشكم وكان سيد بن النضير في زمانه ذلك، وصاحب كنزهم، فاستأذن عليه، فأذن له وقراه[٣] وسقاه وبطن له من خبر الناس، ثم خرج من عقب ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة، فأتوا ناحية منها يقال لها العُريض فحرقوا في أصوار من نخل بها، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما، ثم انصرفوا راجعين، ونذر بهم الناس، فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم حتى انتهى إلى قرقرة الكدر، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أبو سفيان وأصحابه، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها، في الحرث يتخففون منها للنجاء، فقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ: أنطمع أن تكون لنا غزوة؟ قال: نعم، فقال أبو سفيان وهو يتجهز غازياً من مكة إلى المدينة أبياتاً

---

(١) السويق: بالسين والصاد قمح أو شعير يُقلى ثم يطحن فيتزود ويُسَف تارة بما يُثرى به أو سمن أو بعسل وسمن. انظر: سبل الهدى والرشاد (١٧٤/٤).

(٢) أي المنهزمين منهم.

(٣) أي صنع له قِريّ، وهو طعام الضيافة.

من الشعر:

كروا على يثرب وجمعهم ... فإن ما جمعوا لكم نفل

إن يك يوم القليب كان لهم ... فإن ما بعده لكم دول

واللات لا أقرب النساء ولا ... يمس رأسي وجلدي الغسل

حتى تبيروا قبائل الأوس والـ ... خزرج إن الفؤاد مشتعل

فأجابه كعب بن مالك:

يا لهف أم المشجعين على ... جيش ابن حرب في الحرة الفشل

إذ يطرحون الرمال من نسم الطيـ ... ـر ترقوا بقية الجبل

جاءوا بجمع لو قيس مترله ... لم يك إلا كمعرس الدؤل

الدؤل دويبة أصغر من القطا، وبه سمي أبو الأسود الدؤلي.

وقال أبو سفيان بن حرب حين انصرف من المدينة إلى مكة:

إني تخيرت المدينة واحداً ... لحلف فلم أندم ولم أتلوم[1]

سقاني فرواني كميتا مدامة ... على عجل مني سلام بن مشكم[2]

فلما تولى الجيش قلت ولم أكن ... لأترحه أبشر بعز ومغنم

تأمل فإن القوم في سرواتهم ... صريح لؤي لا شماطيط جرهم

فما كان إلا بعض ليلة راكب ... أتى ساعياً من غير حلة معدم

غزوة ذي أمر إلى نجد سنة ثلاث

فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق أقام بالمدينة ذا الحجة والمحرم، أو قريباً منه ثم غزا نجداً يريد بني غطفان وهي غزوة ذي أمر، فأقام بنجد صفرًا كله، أو قريباً من ذلك، ثم رجع إلى المدينة و لم يلق كيدًا.

---

(١) أراد من المدينة، و لم أتلوم: أي أدخُل فيما لأُم عليه.

(٢) الكميت هنا: اسم من أسماء الخمر، ومشكم: مأخوذ من الشكم وهو الجزاء والثواب.

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال: حدثنا النُّفيلي قال: نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني رجل من أهل الشام يقال له أبو منظور عن عمه قال: حدثني عمي عن عامر الرامي أخي النضر قال: إني لببلادنا إذ رفعت إلي ألوية ورايات فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذا لواء رسول الله ﷺ، فأتيته وهو تحت شجرة قد بسط له تحتها كساء وهو جالس عليه، وقد اجتمع إليه أصحابه ﭫ فجلست إليهم، فذكر رسول الله ﷺ الأسقام فقال: **إن المؤمن إذا أصابه السقم، ثم أعفاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل به، وإن المنافق إذا مرض ثم أعفي كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه ولم يدر لم أرسلوه**، فقال رجل ممن حوله: وما الأسقام، والله ما مرضت قط؟ قال: **قم عنا فلست منا**، قال: فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل عليه كساء معه شيء في يده قد التف عليه، فقال: يا رسول الله لما رأيتك أقبلت فمررت بغيضة من شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر فأخذهن فوضعتهن في كسائي، فأقبلت أمهن حتى استدارت على رأسي، فكشفت لها عنهن فوقعت معهن فلففتهن، فهن الآن معي، فقال: **ضعهن عنك**، قال: فوضعتهن بكسائي وأبيت إلا لزومهن فقال: رسول الله ﷺ: **أتعجبون لرحمة أم الأفراخ فراخها؟** قالوا: نعم، قال: **فوالذي بعثني بالحق لله أرحم بعباده من أم الأفراخ بفراخها، ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذهن وأمهن معهن** قال: فرجع بهن[1].

غزوة الفُرع من بحران

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة و لم يلق كيداً فلبث بها شهر ربيع الأول كله إلا قليلاً منه، ثم غزا يريد قريشًا وبني سليم حتى بلغ بحران معدن بالحجاز في ناحية الفُرع، وذلك المعدن للحجاج بن علاط البهزي فأقام به شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ثم رجع إلى المدينة و لم يلق كيداً[2].

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٤/٣)، وتاريخ الطبري (٢/٤٨٧).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/٤٧٨)، والبداية والنهاية (٤/٤).

غزوة بني قينقاع

وقد كان فيما بين ذلك من غزوة رسول الله ﷺ بني قَيْنُقَاع وكان من حديث بني قَيْنُقَاع أن رسول الله ﷺ جمعهم في سوق بني قينقاع فقال لهم: **يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مُرْسَل، تجدون ذلك في كتابكم، وعهد الله إليكم،** قالوا: يا محمد إنك ترانا كقومك، يغرك إنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصةً! إنا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس.

ما نزل في يهود بني قينقاع:

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال: نا النُّفيلي قال: حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جُبير أو عكرمة عن ابن عباس قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ إلى قوله: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ﴾ أي في أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ وقريش ﴿ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾(١).

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال حدثنا النفيلي قال: نا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ عليه وحاربوا فيما بين بدر وأحد فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد أحسن في مواليَّ، وكانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عنه رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أحسن في مواليَّ، فأعرض عنه رسول الله، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ، قال: فقال

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٢-١٣).

رسول الله، وغضب رسول الله، ثم قال. أرسلني، فقال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربع مائة حاسر وثلاثمائة دارع منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر فقال رسول الله ﷺ: **هم لك**.

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال: نا النُّفيلي قال: نا محمد بن سَلمة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني أبي إسحاق بن يسار عن عبادة بن الوليد بن عُبادة بن الصَّامت قال: لما حاربت بنو قَيْنُقَاع تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ، وكان أحد بني عوف بن الخزرج، ولهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي فخلعهم إلى رسول الله ﷺ، وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم فقال: يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم، قال: ففيه وفي عبد الله بن أُبيٍّ نزلت القصة في المائدة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ يعني عبد الله بن أُبيٍّ لقوله: أخشى الدوائر ﴿ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ وذلك لقول عُبادة بن الصامت: أتولّى الله ورسوله وأبرأ من بني قينقاع من حلفهم وولايتهم. ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾[1][2].

---

(١) سورة المائدة: آية (٥١-٥٦).

(٢) انظر: الطبري (٢/٤٧٩)، دلائل النبوة للبيهقي (٣/١٧٤)، البداية والنهاية (٤/٥)، وتفسير الطبري (٤/٦١٦).

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

وسرية زيد بن حارثة التي بعثه رسول الله ﷺ فيها، حين أصابت عير قريش، فيها أبو سفيان بن حرب على القردة، ماء من مياه نجد.

وكان من حديثها أن قريشا كانت قد أخافت طريقها التي تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، وخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة، وهو عظم تجارهم، واستأجروا من بني بكر بن وائل رجلا يقال له: فرات بن حيان يدلهم على الطريق، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في ذلك الوجه، فلقيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير وما فيها، وأعجزه الرجال، فقدم بها رسول الله ﷺ.

فقال حسان بن ثابت يذكر قريشا وأخذها على ذلك الطريق بعد أحد في غزوة بدر الآخرة، وذلك أن رسول الله ﷺ خرج لميعاد أبي سفيان منصرفه من أحد، فسار حتى نزل بدرا، فأقام بها ثمان ليال، وأخلفه أبو سفيان فقال حسان بن ثابت.

دعوا، فلجات الشام قد حار دونها ... جلاد كأفواه المخاض الأوارك[١]

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم ... وأنصاره حقا وأيدي الملائك

إذا سلكت للغور من رمل عالج ... فقولا لها ليس الطريق هنالك[٢]

أقمنا على الرس النزوع ثمانيا ... بأرعن جرار عريض المبارك

بكل كميت جوره نصف خلقه ... وقب طوال مشرفات الحوارك

ترى العرفج العادي تذرى أصوله ... مناسم أخفاف المطي الرواتك

فإن نلق في تطوافنا والتماسنا ... فرات بن حيان يكن رهن هالك

وإن نلق قيس بن امرئ القيس بعده ... يزد في سواد لونه لون حالك[٣]

---

(١) الفلجات: الأنهار الصغار، والأوارك: التي ترعى الأراك من الشجر.

(٢) الغور: المنخفض من الأرض، وعالج: موضع به رمل كثيف.

(٣) انظر: ديوان حسان بن ثابت (ص١٦٤)، وطبقات بن سعد (٢/٦٦)، وتاريخ =

مقتل كعب بن الأشرف[1] :

وقتل كعب بن الأشرف، وكان من حديثه أنه لما أصيب أهل بدر، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وقدم عبد الله بن روُاحه إلى أهل العالية مبشّرين، بعثهما رسول الله ﷺ إلى أهل المدينة من المسلمين بفتح الله وقتل من قتل من المشركين، كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بُردة الطفَري، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم، وعَاصم بن عمر بن قتادة، وصالح ابن أبي أُمامة بن سهل كل قد حدثني بعض حديثه قالوا: قال كعب بن الأشرف، وكان رجلاً من طيء، ثم أحد بني نبهان، وكانت أمه من بني النضير حين بلغه الخبر: ويحكم أحقٌّ هذا؟ أترون أن محمدًا قتل هؤلاء الذين يُسمي هذان الرجلان -يعني زيدًا وعبد الله- فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها! فلما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة، فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضُبَيرة السهّمي وعنده عاتكة ابنة أبي العاص بن أمية بن عبد شمس فأنزلته وأكرمته وجعل يحرض على رسول الله ﷺ، وينشد الأشعار ويبكي على أصحاب القليب من قريش الذين أصيبوا؛ ثم رجع كَعْب بن الأشرف فشبب بأم الفضل ابنة الحارث، ثم شبب بنساء المسلمين، فقال رسول الله ﷺ - كما حدثني عبد الله بن مغيث: **من لي بابن الأشرف؟** فقال: محمد بن سلمة أخو بني عبد الأشهل أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله، قال: **فافعل إن قدرت على ذلك**، فرجع محمد فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق نفسه فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: **لو تركت الطعام والشراب؟** قال: يا رسول الله إني قلت لك قولاً لا أدري هل أقر به أم لا، قال: **إنما عليك الجُهْد**، قال: يا رسول الله إنه لا بد لنا

=

الطبري (٢/٤٩٢، ٤٩٣).

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/٤٨٧)، دلائل البيهقي (٣/١٨٧)، البداية والنهاية (٤/٦،٨).

أن نقول، قال: **قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك**، فأجمع في قتله محمد ابن مسلمة، وسلْكان بن سلامة بن وقش، وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل، والحارث بن أوس بن معاذ أحد بني عبد الأشهل، ثم قدموا إلى عدو الله ابن الأشرف قبل أن يأتوه سلكان بن سلامة أبا نائلة فجاءه، فتحدث معه ساعة وتناشدا، وكان أبو نائلة يقول الشعر ثم قال:

ويحك يا ابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتمها عني، قال: أفعل، قال: كان قدوم هذا الرجل علينا من البلاء، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة، وقطعت عنا السُّبل حتى ضاع العيال، وجهدت الأنفس، فأصبحنا وقد جهدنا وجهد عيالنا، فقال كعب: أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما كنت أقول لك، فقال سلكان: إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك. ونوثّق لك ونحسن في ذلك، قال: ترهنوني أبناءكم؟ قال: أردت أن تفضحنا إن لي أصحاباً على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك به لتبيعهم وتحسن في ذلك ونرهنك من الحلقة ما لك فيه وفاء، وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاؤوا به، قال: إن في الحلقة لوفاء، فرجع سلكان إلى أصحابه فأخبرهم خبره، وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ.

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّاني قال: نا النفيلي قال: نا محمد بن سَلَمة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني ثور عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرْقد، ثم وجههم وقال: **انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم** ثم رجع إلى بيته في ليلة مقمرة، فانتهوا إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة وكان حديث عهد بعرس، فوثب في ملحفته، فأخذت امرأته بناحيتها وقالت: إنك رجل محارَب وإن صاحب الحرب لا ينزل في مثل هذه الساعة، قال: أبو نائلة لو وجدني نائماً ما أيقظني، قالت: فوالله إني لأعرف في صوته الشر، قال: يقول لها: لو يدعى الفتى لطعنة لأجاب.

قال أبو شُعيب: حدثنا التوزي أبو محمد قال: قال الأصمعي ما تكلم بهذه الكلمة: لو وجدني نائماً ما أيقظني أحد في الجاهلية ولا إسلام إلا قُتِل قال: فنَزل فتحدث معه ساعة، وتحدثوا معه، ثم قال: هل لك يا ابن الأشرف أن نتماشى إلى شعب العجوز، فنتحدث بقية ليلتنا هذه؟ قال: إن شئتم، فخرجوا يتماشون ساعة، ثم إن أبا نائلة شام يده في فود رأسه ثم شم يده، ثم قال ما رأيت كالليلة طيباً أعطر قط، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثله فأخذ بفودى رأسه، ثم قال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئاً، قال محمد بن مسلمة فذكرت مغولاً[1] في سيفي حين رأيت أسيافنا لم تغن شيئاً، فأخذته، وقد صاح عدو الله صيحة لم تبق حولنا حصناً إلا أوقدت عليه الناس فوضعته في ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ فجرح في رأسه أو في رجله أصابه بعض أسيافنا، قال: فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قريظة، ثم على بعاث حتى أسندنا في حرة العريض [2] وقد أبطأ عنا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدم، فوقفنا له ساعة، ثم أتانا يتبع آثارنا، فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي، فسلمنا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدو الله، وتفل على جرح صاحبنا، ورجعنا إلى أهلنا، فأصبحنا وقد خافت يهود تبعتنا، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه.

أمر محيصة وحويصة:

وقال رسول الله ﷺ: من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه، فوثب محيصة ابن مسعود على أبي سنينة، رجل من تجار يهود، وكان يلابسهم ويبايعهم فقتله، وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم فقال لمحيصة، وكان أسن منه، لما قتله، وجعل ببصره: يا عدو الله أقتلته أما والله لَرُبَّ شحم في بطنك من ماله!

---

(١) هو السكين الذي يكون غمده في السيف.
(٢) في ضواحي المدينة، وهي أرض ذات حجارة سوداء.

فقال محيصة: والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك قال: فقال: والله إن دينًا بلغ بك هذا لدين له شأن، انطلق إلى صاحبك حتى أسمع منه، فانطلق إلى رسول الله ﷺ عليه، فكان أول إسلام حُوَيصة فقال مُحيِّصة:

يلوم ابن أمي لو أمرت بقتلـــــه لطبقت ذفراه بأبيض قاضب[1]

حسام كلون الملح أخلص صقله متى ما أصوبه فليس بكاذب[2]

وما سرني أني قتلتك طائعـــــاً وأن لنا ما بين بصرى فمأرب[3]

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قتل ابن الأشرف:

عرفت ومن يعتدل يعـــرف وأيقنـــت حقا فلم أصـــدف

عن الكلم المحكمات الـــتي مـــن الله ذي الرأفة الأرأف

رسائل تدرس في المؤمنـــين بهن اصطفى أحمد المصطفـــى

فأصـــبح أحمد فينا عزيـــزاً عزيز المقامة والموقــــــف

فـــيا أيها الموعدوه سفاهـــاً ولم يـــأت حوباً ولم يعنـــف

ألستم تخافون أدنى العذاب ومـــا آمـــن الله كـــالأخوف

وأن تصـــرعوا تحت أسيافه كمصرع كعب أبي الأشرف

غـــــداة رأى الله طغـــــيانه فأعـــرض كالجمل الأجنف

فأنـــزل جبريل في قتلـــــه بوحـــي إلى عـــبده ملطـــف

فـــدس الرسول رسولاً إليه بأبـــيض ذي هبة مرهـــــف

فباتـــت له عيون معـــولا ت ومن دمع كعب لها تذرف

فقلنا لأحمد ذرنا قليـــــلاً فإنـــا من القوم لم نشتـــــف

فـــأجلاهم ثم قـــال اظعنوا دحـــورًا عـــلى رغم الآنف

---

(١) قاضب: قاطع.
(٢) الحسام: القاطع.
(٣) بُصْرَى: مدينة بالشام، ومأربُ: موضع باليمين كما في البداية (٤/١٠).

فأجلى النضير إلى غربة   وكانوا بدار ذوي زخرف
إلى أذرعات رد أفاوهم   على كل ذي دبر أعجف

وكانت إقامة رسول الله ﷺ بالمدينة بعد قدومه من بحران جمادى الآخرة ورجبًا وشعبان ورمضان وغزته قريش غزوة أُحد في شوَّال سنة ثلاث[1].

غَزوة أُحُد

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحَرَّاني قال: نا النُفيلي عن محمد بن سلمة عن محمد ابن إسحاق قال: وكان من حديث أُحد كما حدثني محمد بن مُسلم بن عُبيد الله الزُّهري، ومحمد بن يحيى بن حبَّان، وعاصم بن عمر بنِ قتادة والحُصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلٌّ قد حدثني بعض الحديث عن يوم أُحد، فاجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد.

قال: لما أصيبت قريش؛ أو من قاتله منهم ببدر وأصحاب القليب[2] من كفار قريش؛ فرجع فلُّهم[3] إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أُمية في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر وكلَّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير تجارة فقالوا: يا معاشر قريش إن محمدًا قد وتركم[4] وقتل رجالكم وخياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرنا بما أصاب منا، ففيهم فيما ذكر لي بعض أهلِ العلم أنزل الله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[5].

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٢٠٠) عن ابن إسحاق به فذكره بنحوه. ورواه أبو داود (٣/١٥٥).
(٢) اسم من أسماء البئر، ويراد به هنا: بئر بدر.
(٣) الفل: المنهزم، ويراد بهم: المنهزمون.
(٤) قتل منكم قتلى، وأصبح لكم عنده ثأر.
(٥) سورة الأنفال: آية (٣٦).

فلما فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب تلك العير أجمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ بأحابيشها ومن أطاعهم من قبائل بني كنانة وأهل تهامة، كل أولئك قد استغووا على حرب رسول الله ﷺ، وكان أبو عزيز بن عمرو بن عبد الله الجُمحي قد منَّ عليه رسول الله ﷺ وعاهده أن لا يظاهر عليه، فأجمعت قريش السير إلى أُحد، قال صفوان بن أُمية: يا أبا عزيز إنك امرؤ شاعر فأعنَّا بلسانك واخرج معنا، فقال: إن محمدًا قد منَّ عليَّ، ولا أريد أن أظاهر عليه أحدًا، قال: بلى فأعنَّا بنفسك، فلك إن رجعت أن أغيثك، فإن أُصبت أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عُسر ويسر، فخرج أبو عزيز يسير في تهامة يدعو بني كنانة يقول:

يا بني عبد مناة الزرام[1] أنتم بنو الحرب ضرابو الهام

أنتم حماة وأبوكم حام لا تعدوني نصركم بعد العام

لا تسلموني لا يحل إسلام[2]

جبير بن مُطعم يحرض وحشيًّا على قتل حمزة:

ثم دعا جُبير بن مُطْعم بن عدي بن نوفل غلامًا له يقال له وحشي، وكان حبشيًا يضرب بحربة له قذف الحبشة قلَّ ما يخطئ بها فقال: اخرج مع الناس فإن أنت قتلت عم محمد -يعني حمزة- بعمي طُعيمة بن عدي فأنت عتيق- وكان طعيمة ممن قتل الله يوم بدر- فخرجت قريش بحدِّها وحديدها وأحابيشها ومن تبعها من كنانة وأهل تهامة وخرجوا بالظعن[3] التماس الحفيظة لئلا يفروا، فخرج أبو سفيان وهو قائد الناس معه بهند ابنة عُتْبة بن ربيعة، وخرج صفوان

---

(١) الزرام: الرجل المتشدد.

(٢) رواه الطبري في التاريخ (٢/٤٩٩، ٥٠٠)، و(٩/١٦٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٢٢٤، ٢٢٥)، وأورده ابن كثير في البداية (٤/١٠، ١١)، والسيوطي في الدر المنثور (٢/٦٧).

(٣) الظعن: السفر والارتحال.

ابن أُميَّة بن خلف ببرزة ابنة مسعود بن عمرو بن عُمير الثقفية وهي أم عبد الله ابن صَفوان؛ وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبِّه بن الحجاج وهي أم عبد الله بن عمرو، وكانت هند بنت عُتْبة كلما مرت بوحشي أو مرَّ بها قالت: أبا دسمة اشف واشتف، وكان وحشي يكنى بأبي دسمة، فأقبلوا حتى نزلوا ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مما يلي المدينة، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله ﷺ للمسلمين: **إني قد رأيت نفرًا، ورأيت في ذباب سيفي ثلمًا، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فتأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا وتدعوهم حيث قد نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها.**

الرسول ﷺ يشاور المسلمين في الخروج وانخذال المنافقين:

ونزلت قريش منزلها بأُحد يوم الأربعاء فأقاموا بها ذلك اليوم، ويوم الخميس ويوم الجمعة، وراح رسول الله ﷺ حين صلاة الجمعة فأصبح بالشِّعب من أُحد، فالتقوا يوم السبت في النصف من شوال سنة ثلاث، وكان رأي عبد الله بن أُبي ابن سلول مع رسول الله ﷺ يرى رأيه في ذلك «ألاَّ يخرج إليهم»، وكان رسول الله ﷺ يكره الخروج من المدينة فقال رجال من المسلمين، ممن أكرمهم الله بالشهادة يوم أُحد، وغيرهم ممن كان فاتته بدر وحضروه: يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جَبُنَّا عنهم أو ضعفنا، قال عبد الله بن أُبي بن سلول: يا رسول الله أقم بالمدينة فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا، وإن دخلوها قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم بالصبيان والنساء بالحجارة من فوقهم فلم يزل الناس برسول الله ﷺ، الذين كان من أمرهم حب لقاء الله، حتى دخل رسول الله ﷺ بيته فلبس لأمتهُ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو أحد بني النجار، فصلى عليه رسول الله ثم خرج وقد ندم الناس وقالوا: استكرهنا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله استكرهناك، اقعد، ولم

يكن لنا ذلك صلى الله عليك، فقال: رسول الله عليه الصلاة والسلام: **ما ينبغي إذا النبي لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل،** فخرج رسول الله في ألف من أصحابه حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأُحد انخذل عنه عبد الله بن أُبي بن سلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، والله ما ندري على ما نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس، ثم رجع معه من قومه من أهل النفاق وأهل الريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حَرَام أخو بني سَلمَة يقول: يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون، فقال فلما استصعبوا عليه وأبَوا إلاَّ الانصراف عنهم قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم، ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك حرة بني حارثة فذب فرس بذنبه[١] فأصاب كلاَّب سيفه فاستله [٢] فقال رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يحب الفأل ولا يعتاف[٣] لصاحب السيف: **شم[٤] سيفك فإني أرى أن السيوف ستسل اليوم،** ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه: **مَنْ رجل يخرج بنا على القوم من كثب –أي قريب– من طريق لا يمر بنا عليهم؟** فقال أبو خَيثمة، أخو بني حارثة بن الحارث: أنا يا رسول الله فنفذ به في حرة بني حارثة، وبين أموالهم حتى يسلك به في مال لربعى بن قَيْظي، وكان رجلاً منافقًا ضرير البصر، فلما حسَّ برسول الله ﷺ ومن معه قام يحثو في وجوههم التراب وهو يقول: إن كنت رسول الله فلا أحل لك أن تدخل حائطي، وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من تراب بيده ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب بها غيرك لضربت بها وجهك، فابتدره القوم ليقتلوه فقال لهم: هذا الأعمى، أعمى القلب والبصر وقد بدر إليه سعد أخو بني

(١) أي حرّك ذنبه «ذيله» ليطير عنه الذباب والحشرات.
(٢) كلاب سيف: المسمار الذي في قائم السيف، تكون فيه علاقته.
(٣) يعتاف: يتطير.
(٤) أي أدخله في غمده.

عبد الأشهل قبل نهي رسول الله ﷺ فضربه بالقوس في رأسه، ومضى رسول الله ﷺ على وجهه حتى نزل بالشعب من أُحد من عدوة الوادي إلى الجبل، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: **لا يقاتل أحد حتى نأمره بالقتال**؛ وقد سَرَّحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمغة من قناة، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال أترعى زروع بني قيلة ولما نضارب؟! وتعبأ رسول الله ﷺ للقتال في سبع مائة رجل، وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرها عكرمة بن أبي جهل، وأمَّر رسول الله ﷺ على الرماة وهم خمسون رجلاً عبد الله بن جُبير أخا بني عمرو بن عوف، وهو يومئذ مُعلم بثياب بياض، وقال: **انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا، اثبت مكانك لا نؤتين من قبلك**، وظاهر رسول الله عليه السلام بين درعين، وقال: **من يأخذ هذا السيف بحقِّه؟** فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة، أخو بني ساعدة، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: **أن تضرب به القوم حتى ينثني**، قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه، فأعطاه إيَّاه وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت، وكان إذا عُلِّم بعصابة له حمراء يعصبها على رأسه علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه، فجعل يتبختر بين الصفين[1].

أبو دُجانة يستعرض قوته أمام الأعداء:

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال: أنا النُّفيلي قال: أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني جعفر بن عبد الله بن أسْلَمَ مولى عمر بن

---

(١) رواه الطبري في التاريخ (٢/٥٠٦، ٥٠٧)، والطبراني في الكبير (٦٧٤٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/١٨)، والحاكم في المستدرك (٣/٥٦١)، وابن سعد في الطبقات (٤/٣٦٩، ٣٧٠)، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٤/١٥)، وابن الأثير في أسد الغابة (٣/٤٥٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٠٨).

الخطاب عن رجل من الأنصار من بني سَلَمَة قال: قال رسول الله ﷺ، حين رأى أبا دُجانة يتبختر: **إنها لمشية يبغضها الله إلاَّ في هذا الموطن.**

ما فعله أبو عامر الفاسق:

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحَرَّاني قال: أنا النُّفيلي قال: أنا ابن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قَتَادة أن أبا عامر عبد عمرو ابن صيفي بن مالك بن النعمان بن أمية أحد بني ضبيعة قد كان خرج حين خرج من مكة مباعدًا لرسول الله عليه السلام بخمسين غلامًا من الأوس منهم عثمان بن حُنيف، وبعض الناس يقول كانوا خمسة عشر، فكان أبو عامر يعدُّ قريشاً، أن لو قد لقي قومه لم يتخلف منه رجلان، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش(١) وعبدان أهل مكة فنادى: يا معاشر الأوس أنا أبو عامر، فقالوا: لا نعم الله بك عينًا يا فاسق، وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية الراهب، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق، فلما سمع ردهم عليه، قال: لقد أصاب قومي بعدي شر، ثم قاتلهم قتالاً شديدًا، وأرضخهم(٢) بالحجارة، فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عُتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرِّضنهم، فقالت هند فيما تقول:

نحـــن بـــنات طـــارق

إن تقـــبلوا نعانـــق

ونفـــرش الـــنمارق(٣)

وإن تدبـــروا نفـــارق

فـــراق غـــير وامـــق(٤)

---

(١) الأحابيش: نسبة إلى جبل من أسفل مكة يسمى حبشي.

(٢) الرضخ: كسر الرأس، ورضخهم بالحجارة: رماهم.

(٣) النمارق: جمع نمرقة، وهي الوسادة والأريكة.

(٤) وامق: محب متودد.

فاقتتل الناس حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة سماك بن خرشة حتى أمعن في العدو، وحمزة، وعليّ بن أبي طالب في رجال من المسلمين؛ فأنزل الله نصره، وصدقهم وعده، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم، وكانت الهزيمة لا يشك فيها[1].

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحَرَّاني قال: أنا النُّفيلي قال: أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال: أن يحيى بنُ عبَّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال: لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة عن العسكر، حين كشفنا القوم عنه، يريدون النهب، وخلوا ظهورنا للخيل، فأُتينا من أدبارنا، وصرخ صارخ ألا أن محمدًا قد قتل، فانكفأنا وانكفأوا علينا، بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم، فانكشف المسلمون فأصاب منهم العدو، فكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله من أكرم بالشهادة، وكان من المسلمين في ذلك اليوم لما أصابهم فيه من شدة البلاء ثلاثاً: فثلث قتيل، وثلث جريح وثلث منهزم، قد لقيته الحرب حتى ما يدري ما يصنع، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ، فقُذف بالحجارة حتى وقع لشقه، وأصيبت رباعيته[2] وشج في وجنتيه[3]، وكُلمت شفتاه، وكان الذي أصابه عُتبة بن أبي وقَّاص.

بلاء ابن السَّكن وبسالته:

وقال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم: من يشتري لنا نفسه كما حدثني

---

(١) رواه الطبري ٢/٥١١)، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٤/١٥)، ورواه أيضاً البيهقي في الدلائل (٤/٢٩٩)، وابن سعد في طبقاته (٢/١٢٥)، والحاكم في المستدرك (٢/١٠٧، ١٠٨).

(٢) أي السن التي بين الثنية والناب.

(٣) أي جُرح في خديه الشريفين ﷺ.

حُصَين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمد بن عمرو بن يزيد ابن السكن، فقام زياد بن السَّكن في خمسة نفر من الأنصار، وبعض الناس يقول إنما هو عُمارة بن زياد بن السكن، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً فرجل، فيقتلون دونه حتى كان آخرهم زياد بن السكن أو عمارة بن زياد، فقاتل حتى أثبتته الجراح، ثم فاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه، فقال رسول الله ﷺ: **أدنوه مني**، فوسَّده رسول الله ﷺ على قدمه، فمات وخده فوق قدم رسول الله ﷺ، وترس أبو دُجانة رسول الله بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن حتى كثر فيه النبل، ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ، قال سعد: فلقد رأيته يناولني النبل ويقول: ارم فداك أبي وأمي، حتى إنه ليناولني السهم ما له من نصل فيقول ارم به.

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّاني قال: أنا النُّفيلي قال: أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عُمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سيتُها[1] فأخذها قتادة بن النعمان فكانت عنده، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عُمر بن قتادة، أن رسول الله ﷺ ردها بيده فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما.

وقاتل مصعب بن عُمير دون رسول الله ﷺ ومعه لواؤه حتى قتل، فكان الذي أصابه ابن قميئة الليثي، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش فقال: قد قتلت محمدًا، فلما قُتل مُصعب أعطى رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب اللواء، وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطأة بن شرحبيل بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصي، وكان أحد النفر الذين يحملون لواء قريش، ثم مر به سباع بن عبد العُزَّى الفيشاني وكان يكنى بأبي نيار فقال له

---

(١) أي طرفها.

حمزة: هلم إليَّ يا ابن مقطِّعة البظور[1] فضربه فكأن ما أخطأ رأسه، وكانت أم نيار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي خَتَّانة بمكة، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله، وقال وحشي غلام جبير بن مُطعم: والله إني لأنظر إلى حمزة يهدُّ الناس بسيفه ما يُليق[2] شيئًا مثل الجمل الأورق إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى فقال له حمزة هلمَّ إليَّ يا ابن بنت مقطعة البظور فضربه فكأن ما أخطأ رأسه، وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها ذففتها عليه حتى وقعت في ثُنَّته[3] حتى خرجت من بين رجليه، وأقبل فقلب، فأمهلته حتى إذا ما مات جئت إليه فأخذت حربتي، ثم تنحيت إلى العسكر، ولم يكن لي بشيء حاجة غيره، وقد قتل عاصم بن ثابت بن الأقلح أخو بني عمرو بن عوف مُسافع بن طلحة وأخاه جلاسًا، كلاهما يشعره سهمًا فيأتي أمه سُلافة فيضع رأسه في حجرها، فتقول: يا بني ما أصابك؟ فيقول: سمعت رجلاً حين رماني يقول: خذها إليك وأنا ابن الأقلح فتقول أقلحي هو؟ فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر، وكان عاصم قد أعطى الله عهدًا ألاَّ يمس مشركًا ولا يمسه أبداً[4].

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّاني قال: أنا النُّفَيلي قال: أنا محمد بن سَلمَة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي ابن النجار قال: انتهى أنس بن النضر -وهو عم أنس بن مالك، وبه سمي أنس أنسًا- إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عُبيد الله ﷺ في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ قال: فما تضنون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم

(١) دعاه بذلك لأن أمه كانت تختن النساء وهو لفظ يراد به مذمة.

(٢) أي يثبت له أحد من الأعداء لشجاعته وإقدامه.

(٣) هي ما دون السرة فوق العانة أسفل البطن.

(٤) رواه الطبري في تاريخه (٢/٥١٦)، والبيهقي في الدلائل (٣/٢٣٨)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤/٢٠) نقلاً عن ابن إسحاق.

استقبل القوم فقاتل حتى قتل.

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّاني قال: أنا النُّفيلي قال: أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني حُميد الطويل عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة ما عرفَته إلا أخته، عرفت بنانه[1].

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّاني قال: أنا النُّفيلي قال: أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال: كان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس قتل رسول الله، كما حدثني ابن شهاب الزُّهري عن عبد الله بن كعب بن مالك أخو بني سلمة قال: قال كعب: عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليَّ أن أنصت، فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به، ونهض معهم نحو الشِّعب، معه: أبو بكر بن أبي قُحافة، وعُمر بن الخطاب، وعليّ بن أبي طالب، وطلحة بن عُبيد الله، والزبير بن العوام، والحارث بن الصمة رضي الله عنهم أجمعين، في رَهْط من المسلمين، فلما أسند رسول الله ﷺ في الشِّعب، أدركه أُبي ابن خلف وهو يقول: أين محمد أين محمد لا نجوتُ إن نجوتَ، فقال القوم: أيعطف عليه يا رسول الله رجل منا؟ فقال: دعوه فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، يقول بعض القوم فيما ذكر لي، فلما أخذها رسول الله ﷺ انتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعر من ظهر البعير إذا انتفض بها، ثم استقبله فطعنه بها طعنة تردى بها عن فرسه مرارًا.

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّاني قال: أنا النُّفيلي قال: أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف

---

(١) أي أطراف أصابعه. والأثر رواه البخاري (٢٨٠٥)، ومسلم (١٩٠٣)، والترمذي (٣٢٥٣)، والنسائي (٤٢٣)، والطيالسي في مسنده (٢٠٢٧)، والطبراني في الكبير (٧٦٩)، والطبري في تاريخه (٢/٥١٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/١٢١)، والبيهقي في الدلائل (٣/٢٤٤، ٢٤٥).

قال: كان أُبَي بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد: إن عندي العوز أعلفه كل يوم فرقاً من ذرة؟ أقتلك عليه، فيقول: **بل أنا أقتلك إن شاء الله**، فرجع إلى قريش وقد خدشه خدشًا في عنقه غير كبير فاحتقن الدم فقال: قتلني والله محمد، قالوا: ذهب والله فؤادك إن كان بك بأس، قال: إنه قد كان قال لي بمكة: بل أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليَّ لقتلني، فمات عدو الله بسرف[١] وهم قافلون به إلى مكة، فقال حسان بن ثابت في قتل رسول الله أبيًّا وقوله له بمكة ما قال:

لقد ورث الضلالة عن أبيه أبي حين بارزه الرسول

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج عليّ بن أبي طالب رحمة الله عليه بالدرقة حتى ملأها ماء من المهراس[٢]، ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ فوجد له ريحًا فعافه[٣] فلم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول: **اشتد غضب الله على من دَّمي[٤] وجه رسول الله[٥]**.

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّاني قال: أنا النُّفيلي قال: أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبي وقَّاص أنه كان يقول: ما حرصتُ على قتل أَحد ما حرصت على قتل عُتبة بن أبي وقَّاص، وإن كان ما علمت لسيئ الخلق مبغضًا في قومه ولقد كفاني منه قول رسول الله ﷺ: اشتد غضب الله عليَّ من دمَّي وجه رسوله، فبينما رسول

---

(١) اسم لموضع في الطريق إلى مكة.

(٢) حجر مستطيل يحفر بجانب البئر ليتوضأ الناس منه بيسر وسهولة.

(٣) أي كرهه، وأبى أن يشرب منه.

(٤) أي جُرح.

(٥) رواه البخاري (٤٠٧٤)، (٤٠٧٦)، وأحمد في المسند (١/٢٨٨)، والطبري في التاريخ (٢/٥١٩)، والطبراني في الكبير (١٠٧٣١) والحاكم في المستدرك (٢/٢٩٦، ٢٩٧).

الله ﷺ في الشِّعب معه أولئك النفر من أصحابه إذ علت عالية على الجبل، فقال رسول الله ﷺ: **إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا**، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل، ونهض رسول الله إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وكان قد بدن(١) وظاهر رسول الله بين درعين، فلما ذهب لينهض لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عُبيد الله، فنهض به حتى استوى عليها.

أخبرنا عبد الله بن الحسن قال: أنا النُّفيلي قال: أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير (عن الزبير) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول أوجب طلحة حين صنع ما صنع برسول الله، وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى المَنَقَّى دون الأعوص، وفر عثمان بن عفان، وعقبة بن عثمان، وسعد بن عثمان رجلان من الأنصار، ثم من بني زريق حتى بلغوا الجَلْعب جبلاً بناحية المدينة، فأقاموا به ثلاثًا ثم رجعوا إلى رسول الله عليه السلام، فقال رسول الله فيما زعموا لقد ذهبتم فيها عريضة(٢).

أخبرنا عبد الله بن الحسن قال: أنا النُّفيلي قال: أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عُمر بن قَتادة عن محمود بن لبيد عن حنظلة بن أبي عامر أخو بني عمرو بن عوف أنه التقى هو وأبو سفيان بن حرب، فلما استعلاه حنظلة، رآه شداد بن الأسود وكان يقال له شعوب قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله، فقال رسول الله ﷺ: **إن كان صاحبكم - يعني حَنْظلة لتغسله الملائكة فسألوا أهله ما شأنه؟؟** فسئلت صاحبته، فقالت: خرج وهو جُنب حين سمع الهائعة(٣)، فقال رسول الله: **لذلك غسلته الملائكة**(٤).

---

(١) أي كبر في السن أو عظم بدنه.
(٢) رواه أحمد في المسند (١/١٦٥)، والترمذي (١٦٩٢)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/٢١٨)، والطبري في تاريخه (٢/٥٢٢)، والحاكم في المستدرك (٣/٢٥، ٣٧٤)، وصححه ووافقه الذهبي.
(٣) الهائعة: الصيحة التي تقال إعلامًا للناس للخروج إلى الحرب والهاتفة كذلك.
(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٣/٢٠٤)، والبيهقي في الكبرى (٤/١٥)، وأبو نعيم في =

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّاني قال: أنا النُّفيلي قال: أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال: قد وقفت هِنْد بنت عُتبة كما حدثني صالح بن كيسان والنسوة الآتون معها يمثِّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يُجدِّعن الآذان[1] والآناف حتى اتخذت هند من أذان الرجال وآنافهم خذمًا وقلائد، وأعطت خذمها[2] وقلائدها وقرطيها وحشيًّا غلام جُبير بن مُطْعِم، وبقرت عن كبد حمزة[3]، فلاكتها[4] فلم تستطع أن تسيغها، ثم علت على صخرة فصرخت بأعلى صوتها وقالت، من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ:

نحن جزيناكم بيوم بدر

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف فقالت:

خزيت في بدر وبعد بدر

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف علا الجبل ثم صرخ بأعلى صوته:

أنعمت فعـــال إن الحرب سجال

يوم بيوم بدر أعل هبل

أي ظهر دينك -فقال رسول الله ﷺ لعمر- رحمة الله عليه قم فأجبه: الله أعلا وأجل لا سواء

=

الحلية (١/٣٥٧)، عن ابن الزبير بسند صحيح. ورواه البيهقي (٤/١٥)، والطبراني (١٢٠٩٤) عن ابن عباس بسند حسنٍ ورواه ابن منده وابن عبد البر وأبو نعيم في المعرفة -بتحقيقنا- عن أنس كمًا في أسد الغابة (٢/٦٦)، وفي الباب مراسيل عدة كما في الدلائل (٣/٢٤٦)، والكبرى (٤/١٥)، للبيهقي وتاريخ الطبري (٢/٥٢٢).

(١) أي يقطعن الآذان.

(٢) أي خلخالها.

(٣) أي شقت بطنه وأخرجت كبده الشريف.

(٤) أي مضغتها بفمها.

قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار

فلما أجاب أبا سفيان قال: هلم إلي يا عمر، فقال له رسول الله: ائته فانظر ما شأنه، فقال له أبو سُفيان: أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدًا؟ قال: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال فأنت والله أصدق عندي من ابن قَميئة وأبر، لقول ابن قميئة: قتلت محمدًا، ثم نادى أبو سفيان: إنه قد كان في قتلاكم مُثْلٌ[١]، والله ما رضيت وما سخطتُ وما أمرتُ ولا نهيتُ، ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: إن موعدكم بدر العام المقبل، فقال رسول الله لرجل من أصحابه: قل: نعم هي بيننا وبينك موعدًا، ثم بعث رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب قال: اخرج في إثر القوم فانظر ماذا يصنعون، وماذا يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل (فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل) فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأناجزنهم، قال عليَّ رحمة الله عليه ورضى عنه فخرجت في إثرهم أنظر ماذا يصنعون، فلما جنبوا الخيل، وامتطوا الإبل، ووجهوا إلى مكة، أقبلت أصيح ما أستطيع أن أكتم ما أمرني به رسول الله ﷺ لما بي من الفرح إذا رأيتهم انصرفوا عن المدينة[٢].

الرسول ﷺ يتفقد القتلى:

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّاني قال: أنا النُّفيلي قال: أنا محمد بن سَلمَة عن محمد بن إسحاق قال: وفزع الناس لقتلاهم، فقال رسول الله كما حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعصعة المازني أخو بني النجار: مَن رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أخو بلحارث بن الخزرج في الأحياء أو في

---

(١) أي تمثيل بجثث الشهداء.

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٢/٥٢٤، ٥٢٥)، وأورده ابن كثير في البداية (٤/٣٧) نقلاً عن ابن إسحاق.

الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل، فنظر فوجده جريحًا في القتلى، به رمق، فقال له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر له في الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: فأنا في الأموات فأبلغ رسول الله عنِّي السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول: جزاك الله عنا خيراً ما جزى نبيًّا عن أُمته، وأبلغ قومك عني السلام وقل: إن سعد بن ربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن يخلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف، قال: ثم لن أبرح حتى مات رحمة الله عليه، فجئت رسول الله فأخبرته خبره، فخرج رسول الله- فيما بلغني يلتمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومُثِّل به وجدع أنفه وأذناه.

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحرَّاني قال: أنا النُّفيلي قال: أنا محمد بن سَلمَة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى: **لولا أن تحزن صفية أو تكون سنة من بعدي ما غيبته ولتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أن أظهرني الله على قريش في موطن لأمثّلن بثلاثين رجلاً منهم**، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه على ما فُعل بعمه، قالوا: والله لئن أظهرنا الله عليهم لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط.

ما نزل من القرآن في النهي عن المُثلة:

أخبرنا عبد الله بن الحسن الحراني قال: نا النفيلي قال: أنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق قال حدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد ابن كعب القُرظِي، وحدثني من لا أتهم عن ابن عباس أن الله أنزل في ذلك من قول رسول الله وقول أصحابه ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾[1] إلى آخر القصة فعفا رسول الله ﷺ

(١) سورة النحل: آية (١٢٦).

وصبر ونهى عن المثل [١].

أخبرنا عبد الله بن الحسن قال: حدثنا النُّفيلي قال: أنا محمد بن سَلَمَة عن محمد بن إسحاق قال: حدثني حميد الطويل عن الحسن عن سُمْرة بن جندب أنه قال: ما قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ففارقه حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة.

والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) رواه الطبري (٢/٥٢٩)، والطبراني في الكبير (١١٠٥١)، وأحمد في المسند (٤/٤٢٩)، والحاكم (٤/٣٠٥)، وصححه وأقره الذهبي. وانظر: البداية والنهاية (٤/٤٠)، والدر المنثور (٤/١٣٥).





السيرة النبوية

لابن إسحاق

محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني

المتوفى ١٥١ هـ

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه

أحمد فريد المزيدي

الجزء الثاني

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

غزوة حمراء الأسد بعد أحد

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان: أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ، من بني عبد الأشهل كان شهد أحدًا مع رسول الله ﷺ، قال: شهدت أحدًا مع رسول الله ﷺ، أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي أو قال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ والله ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ، وكنت أيسر جرحا، فكان إذا غلب حملته عقبة، ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون[1].

قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم[2].

قال ابن إسحاق: فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة.

قال: وقد مر به كما حدثني عبد الله بن أبي بكر، معبد بن أبي معبد الخزاعي، وكانت خزاعة، مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله ﷺ بتهامة، صفقتهم معه، لا يخفون عنه شيئًا كان بها، ومعبد يومئذ مشرك فقال: يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم، ثم خرج رسول الله ﷺ بحمراء الأسد، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وقالوا: أصبنا أحد أصحابه وأشرافهم وقادهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم، لنكون على بقيتهم، فلنفرغن منهم. فلما رأى أبو سفيان معبدًا، قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢/٥٣٤، ٥٣٥) في تاريخه، والبيهقي (٣/٣١٤) وفي تفسيره (٤/١١٧)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤/٤٩)، في الدر المنثور (٢/١٠٠).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/٥٣٥) وفي الدلائل (٣/٣١٥) وفي البداية والنهاية (٤/٤٩).

أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقًا، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط، قال ويحك! ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصي الخيل، قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم، لنستأصل بقيتهم، قال فإني أنهاك عن ذلك، قال والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتًا من شعر، قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل
تردى بأسد كرام لا تنابلة ... عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عدوًا أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت: ويل ابن حرب من لقائكم ... إذا تغطمطت البطحاء بالجيل
إني نذير لأهل البسل ضاحية ... لكل ذي إربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لاوخش تنابلة ... وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه:

رسالة أبي سفيان إلى رسول الله ﷺ:

ومر به ركب من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة قال: ولما؟ قالوا: نريد الميرة، قال: فهل أنتم مبلغون عني محمدًا رسالة أرسلكم بها إليه، وأحمل لكم هذه غدًا زبيبا بعكاظ إذا وافيتموها؟ قالوا: نعم، قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان: فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل[1].

---

(١) إسناده معضل، أخرجه الطبري (٢/٥٣٥، ٥٣٦) في تاريخه، والبيهقي (٣/٣١٥) وفي البداية (٤/٤٩، ٥٠) عن ابن إسحاق، وانظر: الدرر (ص١٧٢، ١٧٣) لابن عبد البر، والدر المنثور (٢/١٠١).

ما فعله عبد الله بن أبي بعد غزة أُحُد:

قال ابن إسحاق: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبد الله بن أبي ابن سلول، كما حدثني ابن شهاب الزهري، له مقام يقومه كل جمعة لا يُنكر شرفًا له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفا، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال: «أيها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا» ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أُحد ما صنع ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس، أي عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بجرا أن قمت أشدد أمره، فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد، فقال: مالك؟ ويلك، قال قمت أشدد أمره، فوثب على رجال من أصحابه يجذبوني ويعنفوني، ولكأنما قلت بجرًا أن قمت أشدد أمره، قال: ويلك! ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ، قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي[1].

---

(١) إسناده مرسل، وأخرجه البيهقي (٣/٣١٨) عن ابن إسحاق، ابن كثير (٤/٥١، ٥٢) عن ابن إسحاق.

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن

قال ابن إسحاق: فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ومعاتبة من عاتب منهم، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ﴾(١).

قال ابن إسحاق: يقول الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(٢). أي من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل علي، وليستعن بي، أعنه على أمره، وأدفع عنه، حتى أبلغ به وأدفع عنه وأقويه على نيته: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾(٣). أي فاتقوني، فإنه شكر نعمتي، ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أقل عددًا وأضعف قوة: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾(٤). أي إن تصبروا لعدوي، وتطيعوا أمري، ويأتوكم من وجههم هذا، أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين.

قال ابن إسحاق: ثم قال لمحمد رسول الله ﷺ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾(٥). أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيه، أو أتوب عليهم، برحمتي، فإن

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٢١).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٢٢).

(٣) سورة آل عمران: آية (١٢٣).

(٤) سورة آل عمران: آية (١٢٤-١٢٥).

(٥) سورة آل عمران: آية (١٢٨).

شئت فعلت، أو أعذبهم بذنوبهم فبحقي ﴿ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ أي قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياي ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١]. أي يغفر الذنب ويرحم العباد، على ما فيهم.

وفي التعليق على قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢].

قال ابن إسحاق: أي فقولوا مثل ما قالوا، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم واستغفروه كما استغفروه، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم، ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم، واستنصروه كما استنصره على القوم الكافرين، فكل هذا من قولهم قد كان، وقد قتل نبيهم فلم يفعلوا كما فعلتم ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا ﴾[٣]. بالظهور على عدوهم ﴿ وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِ ﴾ وما وعد الله فيها.

تحذير المؤمنين من إطاعة الكفار:

قال ابن إسحاق: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ ﴾[٤]. أي تخاذلتم: ﴿ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ أي اختلفتم في أمري، أي تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم، يعني الرماة: ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ أي الفتح، لا شك فيه وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي الذين أرادوا النهب في الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة: ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأٓخِرَةَ ﴾ أي الذين جاهدوا في الله، ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه، لعرض من الدنيا ورغبة فيها، رجاء ما عند الله من حسن ثوابه في

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٢٩).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٤٧).

(٣) سورة آل عمران: آية (١٤٨).

(٤) سورة آل عمران: آية (١٥٢).

الآخرة؛ أي الذين جاهدوا في الدين و لم يخالفوا إلى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا، ليختبركم، وذلك ببعض ذنوبكم، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك، أن لا يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم، ولكني عدت بفضلي عليكم، وكذلك منَّ الله على المؤمنين أن عاقب ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدبًا وموعظة، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم، بما أصابوا من معصيته، رحمة لهم، وعائدة عليهم، لما فيهم من الإيمان.

جزاء شهداء أحد

قال ابن إسحاق: وحدثني إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم، وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب، فقال الله تعالى: فأنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله على رسوله ﷺ هؤلاء الآيات:** ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ .... ﴾».

قال ابن إسحاق: وحدثني الحارث بن الفضيل، عن محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشهداء علي بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا**»[1].

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هؤلاء الآيات: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ فقال: أما أنا قد سألنا عنها فقيل لنا: إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة،

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه هناد (١٦٦) في الزهد، وأحمد (١/٢٦٦)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٩٠)، وابن حبان (٧/٨٣) والحاكم (٢/٧٤) والطبري (٤/١١٣)، والطبراني (١٠/٤٠٥) الدر المنثور (٢/٩٦).

وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فيطلع الله عز وجل عليهم اطلاعة فيقول: يا عبادي، ما تشتهون فأزيدكم؟ قال: فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا! قال: ثم يطلع الله عليهم اطلاعة فيقول: يا عبادي، ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا قال: ثم يطلع عليهم اطلاعة فيقول: يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا! إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا، ثم نرد إلى الدنيا، فنقاتل فيك، حتى نقتل مرة أخرى.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «**ألا أبشرك يا جابر؟ قال: قلت بلى يا نبي الله، قال: إن أباك حيث أصيب بأُحد أحياه الله عز وجل، ثم قال له: ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك؟ قال: أي رب أحب أن تردني إلى الدنيا، فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى**»(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن عبيد، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ما من مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من نهار، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا فيقاتل في سبيل الله، فيقتل مرة أخرى**»(٢).

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين:

من بني هاشم:

قال ابن إسحاق: واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش، ثم من بني هاشم بن عبد مناف: حمزة بن عبد المطلب بن

---

(١) حديث صحيح، وإسناده ضعيف، وأخرجه مسلم (١٨٨٧) وعبد الرزاق (٩٥٥٤)، والترمذي (٣٠١١) وانظر رقم (١٢٠٧) وبنحوه الطبراني (١٠٤٦٦)، وانظر المجمع (٩٠/٦).

(٢) إسناده موضوع، وانظر ميزان الاعتدال (٢٧٤/٣).

هاشم ﷺ، قتله وحشي غلام جبير بن مطعم.

من بني أمية:

ومن بني أمية بن عبد شمس: عبد الله بن جحش، حليف لهم من بني أسد ابن خزيمة، ومن بني عبد الدار بن قصى: مصعب بن عمير، قتله ابن قمئة الليثي، ومن بني مخزوم ابن يقظة: شماس بن عثمان. أربعة نفر[1].

ذكر من استشهد بأحد من الأنصار

من بني عبد الأشهل: عمرو بن معاذ بن النعمان، والحارث بن أنس بن رافع، وعمارة بن زياد بن السكن.

قال ابن إسحاق: وسلمة بن ثابت بن وقش، وعمرو بن ثابت بن وقش، رجلان.

قال ابن إسحاق: وقد زعم لي عاصم بن عمر بن قتادة أن أباهما ثابتا قتل يومئذ، ورفاعة بن وقش وحسيل بن جابر، وأبو حذيفة وهو اليمان أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون، فتصدق حذيفة بديته على من أصابه، وصيفى ابن قيظي وحباب بن قيظي وعباد بن سهل والحارث بن أوس بن معاذ، اثنا عشر رجلا.

ومن أهل راتج: إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن زعوراء بن جشم بن عبد الأشهل، وعبيد بن التيهان.

قال ابن إسحاق: ومن بني النجار ثم من بني سواد بن مالك بن غنم: عمرو بن قيس، وابنه قيس بن عمرو.

قال ابن إسحاق: وثابت بن عمرو بن زيد، وعامر بن مخلد، أربعة نفر.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبدي بن زيد: أنيس بن قتادة، رجل.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن جبير بن النعمان، وهو أمير الرماة.

---

(١) انظر: الدرر (ص١٦٧-١٧٠) والدلائل (٣/٢٧٦-٢٨١) وطبقات ابن سعد (٢/ ٤٢، ٤٣) والبداية والنهاية (٤/٤٦) ومجمع الزوائد (٦/١٢٣).

قال ابن إسحاق: ومن بني عدي بن النجار: أنس بن النضر بن ضمضم ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار.

قال ابن إسحاق: وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبجر وعتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر، ثلاثة نفر.

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة ابن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة، وسقف بن فروة بن البدي، رجلان.

قال ابن إسحاق: فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار خمسة وستون رجلاً.

ذكر من قتل من قريش يوم أُحُد

قال ابن إسحاق: وقتل من المشركين يوم أُحُد من قريش، ثم من بني عبد الدار بن قصي من أصحاب اللواء: طلحة بن أبي طلحة، واسم أبي طلحة عبدالله ابن عبد العزي بن عثمان بن عبد الدار، قتله علي بن أبي طالب، وأبو سعد بن أبي طلحة، قتله سعد بن أبي وقاص.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن أبي طلحة، قتله حمزة بن عبد المطلب، ومسافع بن طلحة، والجلاس بن طلحة قتلهما عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وكلاب بن طلحة، والحارث بن طلحة قتلهما قزمان حليف لبني ظفر.

قال ابن إسحاق: وأرطأة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله حمزة بن عبد المطلب، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله قزمان، وصؤاب غلام له حبشي قتله قزمان.

قال ابن إسحاق: والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله قزمان. أحد عشر رجلا.

قال ابن إسحاق: فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أُحُد من المشركين اثنان وعشرون رجلا.

ذكر ما قيل من شعر يوم أُحُد

شعر هبيرة:

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر في يوم أُحُد، قول هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم.

مـــا بال هم عميد بات يطرقــني ... بـــالود مـــن هند إذ تعدو عواديها
باتـــت تعاتـــبني هـــند وتعذلـــني ... والحـــربُ قـــد شغلت عني مواليها
مهـــلا فلا تعذليني إن من خلُقـــي ... ما قد علمت وما إن لستُ أُخفيها
مساعف لبني كعب بما كلفـــوا ... حمال عبء وأثقال أعانيهـــا[1]
وقد حملت سلاحي فوق مشترف ... ســـاط سبوح إذا تجرى يباريـــها
كأنـــه إذ جـــرى عـــير بفدفـــدة ... مكـــدم لاحـــق بالعون يحميـــها
من آل أعوج يرتاح الندى لـــه ... كجـــذع شعراء مستعل مراقيـــها
أعددتـــه ورقاق الحد منتخـــلا ... ومارنـــا لخطـــوب قد ألاقيـــها
هـــذا وبيضاء مثل النهي مُحكمة ... نيطت عليّ فما تبدو مساويـــها
ســـقنا كنانة من أطراف ذي يمن ... عـــرض البلاد على ما كان يزجيها
قالـــت كـــنانة أنى تذهـــبون بنا؟ ... قلـــنا: النخيل، فأموها ومن فيـــها
نحـــن الفوارس يوم الجر من أُحُد ... هابـــت معد فقلنا نحن نأتيـــها
هابوا ضرابًا وطعنا صادفت خذمًا ... ممـــا يـــرون وقد ضمت قواصيها
ثمـــت رحـــنا كأنـــا عارض برد ... وقام هام بني النجـــــار يبكيها
كـــأن هـــامهم عـــند الوغى فَلَقٌ ... وقام من قبض ربذ نفته عن أداحيها
أو حنظل زعزعته الريح في غصن ... بـــال تعاوره منهـــــا سوافيها
قد نبذل المال سحا لا حساب لـــه ... ونطعـــن الخيل شزرًا في مآقيـــها

(١) ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٥٢-٦١).

ولـسيلة يصـطلي بالفرث جازرها ... يخـتص بالـنقري المثرين داعيها
ولـسيلة مـن جمـادى ذات أندية ... جـربا جمادية قـد بت أسريها
لا ينـبح الكلب فيها غير واحدة ... مـن القريس ولا تسري أفاعيها
أوقـدت فيها لذي الضراء حامية ... كالـبرق ذاكـية الأركان أحميها
أورثـني ذلكـم عمـرو ووالده ... مـن قـبله كـان بالمثنى يغاليها
كـانوا يـبارون أنواء النجوم فما ... دنـت عن السورة العليا مساعيها

حسان بن ثابت يرد على هبيرة:

قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت فقال:

سـقتم كـنانة جهلا من سفاهتكم ... إلى الرسُـول فجـند الله مخـزيها
أوردتموهـا حـياض الموت ضاحية ... فالـنار موعدهـا، والقتل لاقيها
جمعـتموهم أحابيشًـا بـلا حسب ... أئمـة الكُفـر غـرتكم طواغيها
ألا اعتـبرتم بخـيل الله إذ قتلـت ... أهـل القليـب ومـن ألقينه فيها
كـم مـن أسـير فككناه بلا ثمن ... وجـز ناصـية كـنا مواليـها

كعب يرد على هبيرة:

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبي وهب أيضًا:

ألا هل أتى غسان عنا ودونهم ... من الأرض خرق سيرة متنعنع
صـحار وأعـلام كأن قتامها ... مـن العـبد نقع هامد متقطع
تظل به البزل العراميس رزحًا ... ويخلوا به غيث السنين فيمرع
به جيف الحسرى يلوح صليبها ... كما لاح كتان التجار الموضع
بـه العين والآرام يمشين خلفة ... وبـيض نعـام قيضـه يتقلع
مجالدنـا عـن ديننا كل فخمة ... مدربـة فـيها القوانس تلمع
وكل صموت في الصوان كأنها ... إذا لبسـت نهى من الماء مترع
ولكـن ببدر سائلوا من لقيتم ... من الناس والأنباء بالغيب تنفع

وأنـــا بـــأرض الخوف لو كان سـوانا لقـد أجلـوا بليل فاقشعوا
إذا جـاء منا راكب كان قوله أعـدوا لمـا يزجي ابن حرب ويجمع
فمهمـا يهم الناس مما يكيدنا فـنحن له مـن سـائر الناس أوسع
فلـو غيرنا كانت جميعًا تكيده الـبرية قـد أعطـوا يـدًا وتورعوا
نجـالد لا تـبقى علينا قبيلة مـن الـناس إلا أن يهـابوا ويفظعوا
ولمـا ابتنوا بالعرض قال سراتنا عـلام إذا لم نمـنع العـرض نزرع؟
وفيـنا رسـول الله نتبع أمره إذا قـال فيـنا القـول لا نـتطلع
تـدلى عليه الروح من عند ربه يـنزل مـن جـو السـماء ويرفع
نشـاوره فـيما نريد وقصرنا إذا مـا اشـتهى أنـا نطيع ونسمع
وقـال رسـول الله لما بدوا لنا ذروا عـنكم هـول المنيات واطمعوا
وكونـوا كمـن يشري الحياة إلى ملـك يُحـيا لديـه ويـرُجع
ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا عـلى الله إن الأمـر لله أجمـع
فسـرنا إليهم جهرة في رحالهم ضـحيا علينا البـيض لا نتخشع
بمـلمومة فـيها السنور والقنا إذا ضـربوا أقدامهـا لا تـورع
فجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابـيش مـنهم حاسـر ومقـنعُ
ثلاثـة آلاف ونحـن نصـية ثـلاث مـئين إن كـثرنا فـأربع
نغـاورهم تجـري المنـية بيننا نشـارعهم حـوض المـنايا ونشرع
تهـادى قسي النبع فينا وفيهم ومـا هـو إلا اليـثربي المقطـع
ومـنجوفة حرمـية صاعدية يـذر علـيها السـم سـاعة تصنع
تصـوب بأبدان الرجال وتارة تمـر بأعـراض البصـار تقعقـع
وخـيل تـراها بالفضاء كأنها جـراد صـبا في قـرة يـتربع
فلما تلاقينا ودارت بنا الرحى ولـيس لأمـر حمـه الله مدفـع

ضـــربناهم حتى تركنا سراقم ... كـــأنهم بالقـــاع خشـــب مصـــرع
لدن غدوة حتى استفقنا عشية ... كـــأن ذكانـــا حـــر نـــار تلفـــعُ
وراحـــوا سراعًا موجعين كأنهم ... جهـــام هراقـــت مـــاءه الريح مقلع
ورحـــنا وأخـــرانا بطاء كأننا ... أســـود عـــلى لحـــم بيشـــة ظلـــع
فنلـــنا ونـــال القوم منا وربما ... فعلـــنا ولكـــن مـــا لـــدى الله أوسع
ودارت رحانـــا واســـتدارت ... وقـــد جعلـــوا كـــل من الشر يشبع
نحـــن أناس لا نرى القتل سبة ... عـــلى كـــل مـــن يحمي الذمار ويمنع
جـــلاد على ريب الحوادث لا ... عـــلى هـــالك عيـــنا لنا الدهر تدمع
بنو الحرب لا نعيا بشيء نقوله ... ولا نحـــن ممـــا جـــرت الحرب نجزع
بـــنو الحـــرب إن نظفر فلسنا ... ولا نحـــن مـــن إظفارهـــا نـــتوجع
وكـــنا شهابا يتقى الناس حره ... ويفـــرج عـــنه مـــن يلـــيه ويســـفع
فخرت على ابن الزبعرى وقد ... لكـــم طلـــب مـــن آخر الليل متبع
فسل عنك في عُليا معد وغيرها ... مـــن الـــناس من أخزى مقامًا وأشنع
ومـــن هـــو لم تترك له الحرب ... ومـــن خـــده يـــوم الكريهة أضرع
شـــددنا بحول الله والنصر شدة ... علـــيكم وأطـــراف الأســـنة شـــرع
تكـــر القنا فيكم كأن فروعها ... عـــزالى مـــزاد ملؤهـــا يـــتهزع
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطر ... بذكـــر اللـــواء فهو في الحمد أسرعُ
فخانوا وقد أعطوا يدًا وتخاذلوا ... أبى الله إلا أمـــره وهـــو أصـــنع

شعر ابن الزبعرى:

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزبعرى في يوم أُحُد:

يـــا غراب البين أسمعت فقل ... إنما تنطق شيئًا قد فعـــل
إن للخير وللشر مـــدى ... وكلا ذلك وجه وقبـــل

والعطيات خساس بينهم وسواء قبر مثر ومقل

كل عيش ونعيم زائل وبنات الدهر يلعبن بكل

أبلغا حسان عني آية فقريضُ الشعر يشفي ذا الغلل

كم ترى بالجر من جمجمة وأكف قد أثرت ورجل

وسرابيل حسان سريت عن كماة أهلكوا في المنتزل

كم قتلنا من كريم سيد ماجد الجدين مقدام بطل

صداق النجدة قرم بارع غير ملتاث لدى وقع الأسل

فسل المهراس ما ساكنه؟ بين أقحاف وهام كالحجل

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

حين حكت بقباء بركها واستحر القتل في عبد الأشل

ثم خفوا عند ذاكم رقصًا رقص الحفان يعلو في الجبل

فقتلنا الضعف من أشرافهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

لا ألوم النفس إلى أننا لو كررنا لفعلنا المفتعل

بسيوف الهند تعلو هامهم عللا تعلوهم بعد نهل

رد حسان على ابن الزبعرى:

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري ﷺ قال:

ذهبت يا بن الزبعرى وقعة كان منا الفضل فيها لو عدل

ولقد نلتم ونلنا منكم وكذلك الحرب أحيانًا دول

نضع الأسياف في أكتافكم حيث نهوى عللا بعد نهل

نُخرج الأصبع من أستاهكم كسلاح النيب يأكلن العصل

إذ تولون على أعقابكم هربًا في الشعب أشباه الرسل

إذ شددنا شدة صادقة فأجأناكم إلى سفح الجبل

بخناطيل كأشداف الملا ... من يلاقوه من الناس يُهل
ضاق عنا الشعب إذ نجزعه ... وملأنا الفرط منه والرجل
برجال لستم أمثالهم ... أيدوا جبريل نصرا فنزل
وعلونا يوم بدر بالتقى ... طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل رأس منهم ... وقتلنا كل جحجاح رفل
وتركنا في قريش عورة ... يوم بدر وأحاديث المثل
ورسول الله حقًا شاهد ... يوم بدر والتنابيل الهبل
في قريش من جموع جمعوا ... مثل ما يجمع في الخصب الهمل
نحن لا أمثالكم ولد استها ... نحضر الناس إذ البأس نزل

كعب يرثي حمزة:

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب وقتلى أُحد من المسلمين:

نشجت وهل لك من ... وكنت متى تذكر تلجج
تذكر قوم أتاني لهم ... أحاديث في الزمن الأعوج
فقلبك من ذكرهم خافق ... من الشوق والحزن المنضج
وقتلاهم من جنان النعيم ... كرام المداخل والمخرج
بما صبروا تحت ظل اللواء ... لواء الرسول بذي الأضوج
غداة أجابت بأسيافها ... جميعًا بنو الأوس والخزرج
وأشياع أحمد إذ شايعوا ... على الحق ذي النور والمنهج
فما برحوا يضربون الكماة ... ويضمون في القسطل المرهج
كذلك حتى دعاهم مليك ... إلى جنة دوحة المولج
فكلهم مات حر البلاء ... على ملة الله لم يحرج
كحمزة لما وفى صادقًا ... بذي هبة صارم سلجج

فلاقاه عبد بني نوفـــل | يربر كالجمل الأدعـــج
فأوجـــره حربة كالشهاب | تلهب في اللهب الموهـــج
ونعمـــان أوفى بميثاقـــه | وحنظلة الخير لهم يحنـــج
عن الحق حتى غدت روحه | إلى منزل فاخر الزبـــرج
أولـــئك لا من ثوى منكم | من النار في الدرك المرتـــج

ضرار يرد على كعب:

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهري فقال:

أيجـــزع كعـــب لأشياعه | ويبكـــي مـــن الزمن الأعوج
عجـــيج المذكى رأى إلفه | تـــروح في صـــادر محـــنج
فـــراح الروايا وغادرنه | يعجعـــج قســـرا ولم يحـــدج
فقـــولا لكعب يثني البُكا | وللنـــئ مـــن لحمـــه ينضـــج
لمصـــرع إخوانه في مكر | من الخيل ذي قسطـــل مرهج
فياليت فهرًا وأشياعـــه | وعتـــبة في جمعـــنا الســـورج
فيشفوا النفوس بأوتارها | بقتلـــى أصـــيبت من الخزرج
وقتلـــى مـــن الأوس في | أصيبوا جميعا بـــذي الأضوج
ومقـــتل حمزة تحت اللواء | بمطـــرد، مـــارن، مخلـــج
وحيث انثنى مصعب ثاويا | بضـــربة ذي هـــبة سلجـــج
بأحد وأسيافنا فيهـــم | تلـــهب كاللـــهب المـــوهـــج
غـــداة لقيناكم في الحديد | كأســـد الـــبراح فلـــم تعنج
بكـــل مجلحة كالعقـــاب | وأجـــرد ذي مـــيعة مســـرج
فدسناهم ثم حتى انثنـــوا | سوى زاهق النفـــس أو محرج

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزبعري في يوم أُحُد، يبكي القتلى:

ألا ذرفــت مــن مقلتيك دمــوع ... وقد بان من حبل الشباب قطوع
وشــط بمــن تهوى المزار وفرقت ... نــوى الحــي دار بالحبيب فجوع
ولــيس لمــا ولى على ذي حرارة ... وإن طال تذراف الدموع رجوع
فــذر ذا ولكــن هل أتى أم مالك ... أحاديــث قومي والحديث يشيع؟
ومجنبــنا جــردًا إلى أهــل يثرب ... عناجــيج مــنها مــتلد ونــزيع
عشــية ســرنا في لُهــام يقودنــا ... ضــرور الأعادي للصديق نفوع
تشــد علينا كل زعف كأنهــا ... غديــر بضوج الواديين نقيــع
فــلما رأونــا خالطتهم مهابــة ... وعايــنهم أمــر هناك فظيــعُ
وودوا لــو أن الأرض ينشــق ... بهــم وصبور القوم ثم جــزوع
وقــد عريــت بيض كأن وميضها ... حــريق ترقى في الأباء سريــع
بأيمانــنا نعلــوا بها كل هامــة ... ومــنها سمــام للعدو ذريــع
فغــادرن قتلى الأوس عاصية بهم ... ضــباع وطــير يعــتفين وقوع
وجمــع بــني الــنجار في كل تلعة ... بــأبدانهم مــن وقعهــن نجــيع
ولــولا علو الشعب غادرن أحمدًا ... ولكــن عــلا والسمهري شروع
كمــا غادرت في الكر حمزة ثاويًا ... وفي صــدره ماضي الشباة وقيع
ونعمــان قــد غادرن تحت لوائه ... عــلى لحمــه طــير يجفن وقوع
بــأُحد وأرمــاح الكمــاة يُردهم ... كمــا غــال أشطان الدلاء نزوع

رد حسان على ابن الزبعرى:

فأجابه حسان بن ثابت، فقال:

أشــاقك مــن أم الولــيد ربوع ... بلاقــع مــا مــن أهلهن جميع
عفــاهن صيفي الرياح وواكف ... من الدلو رجاف السحاب هموع
فــلم يــبق إلا موقد النار حوله ... رواكــد أمــثال الحمام كنوع

فدع ذكر دار بددت بين أهلها ... نوى لمتينات الحبال قطوع

وقل إن يكن يوم بأحد يعده ... سفيه فإن الحق سوف يشيع

فقد صابرت فيه بنو الأوس ... وكان لهم ذكر هناك رفيع

وحامي بنو النجار فيه وصابروا ... وما كان منهم في اللقاء جزوع

أمام رسول الله لا يخذلونه ... لهم ناصر من ربهم وشفيع

وفوا إذ كفرتم يا سخين بربكم ... ولا يستوي عبد وفى ومضيع

بأيديهم بيض إذا حمش الوغى ... فلابد أن يردى لهن صريع

كما غادرت في النقع عتبة ثاويا ... وسعدا صريعا والوشيج شروع

وقد غادرت تحت العجاجة ... أبيا وقد بل القميص نجيع

بكف رسول الله حيث تنصبت ... على القوم مما قد يثرن نقوع

أولئك قوم سادة من فروعكم ... وفى كل قوم سادة وفروع

بهن نعز الله حتى يعزنا ... وإن كان أمر ياسخين فظيع

فلا تذكروا قتلى وحمزة فيهم ... قتيل ثوى لله وهو مطيع

فإن جنان الخلد منزلة له ... وأمر الذي يقضى الأمور سريع

وقتلاكم في النار أفضل رزقهم ... حميم معا في جوفها وضريع

شعر عمرو بن العاص عن أحد:

وقال ابن إسحاق: وقال عمرو بن العاص في يوم أحد:

خرجنا من الفيفا عليهم كأننا ... مع الصبح من رضوى الحبيك المنطق

تمنت بنو النجار جهلا لقاءنا ... لدى جنب سلع والأماني تصدق

فما راعهم بالشر إلا فجاءة ... كراديس خيل في الأزقة تمرق

أرادوا لكيما يستبيحوا قبابنا ... ودون القباب اليوم ضرب محرق

وكانت قبابا أومنت قبل ما ترى ... إذ رامها قوم أبيحوا وأحنقوا

كأن رءوس الخزرجيين غدوة وإيماهم بالمشرفية بروق

شعر ضرار:

قال ابن إسحاق: وقال ضرار بن الخطاب:

إني وجدك لولا مقدمي فرسي إذا جالت الخيل بين الجزع
ما زال منكم يجنب الجزع من أحد أصوات هام تزاق بأمرها شاعي
وفارس قد أصاب بالسيف مفرقه أفلاق هامته كفروة الراعي
إني وجدك لا أنفك منتطقا بصارم مثل لون الملح قطاع
على رحالة ملواح مثابرة نحو الصريخ إذا ما ثوب الداعي
وما انتميت إلى خور ولا كشف ولا لئام غداة الباس أوراع
بل ضاربين حبيك البيض إذ لحقوا شم العرانين عند الموت لذاع
شم بها ليل مسترخ حمائلهم يسعون للموت سعيا غير دعداع

وقال ضرار بن الخطاب أيضًا:

لما أتت من بني كعب مزينة والخزرجية فيها البيض تأتلق
وجردوا مشرفيات مهندة وراية كجناح النسر تختفق
فقلت يوم بأيام ومعركة تنبي لما خلفها ما هزهز الورق
قد عودوا كل يوم أن تكون لهم ريح القتال وأسلاب الذين لقوا
خبرت نفسي على ما كان من منها وأيقنت أن المجد مستبق
أكرهت مهري حتى خاض غمرقم وبله من نجيع عانك علق
فظل مهري وسربالي جسيدهما نفخ العروق رشاش الطعن والورق
أيقنت أني مقيم في ديارهم حتى يفارق ما في جوفه الحدق
لا تجزعوا يابني مخزوم إن لكم مثل المغيرة فيكم ما به زهق
صبرًا فدىً لكم أمي وما ولدت تعاوروا الضرب حتى يدبر الشفق

كعب يرد على عمرو وضرار:

قال ابن إسحاق: فأجابهما كعب بن مالك فقال:

أبلــغ قريشا وخير القول أصدقه ... والصدق عند ذوي الألباب مقبول
أن قــد قتلــنا بقــتلانا سراتكم ... أهــل اللــواء ففــيما يكثر القيل
ويــوم بــدر لقيــناكم لنا مدد ... فــيه مــع النصــر ميكال وجبريل
إن تقــتلونا فديــن الحق فطرتنا ... والقــتل في الحــق عند الله تفضيل
وإن تــروا أمرنا في رأيكم سفها ... فــرأى مــن خالف الإسلام تضليل
فــلا تمنوا لقاح الحرب واقتعدوا ... إن أخا الحرب أصدى اللون مشغول
إن لكــم عــندنا ضربا تراح له ... عــرج الضــباع له خــذم رعابيل
إنــا بــنو الحرب نمريها وننتجها ... وعــندنا لــذوي الأضــغان تنكيل
إن يــنج مــنها ابن حرب بعدما ... مــنه الــتراقي وأمــر الله مفعــول
فقــد أفــادت له حلما وموعظة ... لمــن يكــون له لــب ومعقــول
ولو هبطتم ببطن السيل كفاحكم ... ضــرب بشــاكلة البطحاء ترعيل
تلقــاكم عصــب حول النبي لهم ... ممــا يعــدون للهــيجا ســرابيل
مــن جذم غسان مسترخ حمائلهم ... لا جبــناء ولا مــيل معــازيل
يمشــون تحت عمايات القتال كما ... تمشــي المصــاعبة الأدم المراســيل
أو مــثل مشى أسود الظل ألثقها ... يــوم رذاذ مــن الجــوزاء مشمول
في كــل ســابغة كالنهي محكمة ... قــيامها فــلج كالســيف بهلــول
تــرد حــد قــران النبل خاسئة ... ويــرجع السيف عنها وهو مفلول
ولــو قذفتم بسلع عن ظهوركم ... وللحــياة ودفــع المــوت تأجــيل
مــا زال في القوم وتر منكم أبدا ... تعفــو الســلام عليه وهو مطلول
عــبد وحــر كــريم موثق قنصا ... شــطر المدينــة مأســور ومقــتول

كـنا نؤمـل أخراكم فأعجلكم ... مـنا فـوارس لا عـزل ولا ميل

إذا جـنى فيهم الجاني فقد علموا ... حقـا بـأن الذي قد جر محمول

مـا نحـن لا نحـن من إثم مجاهرة ... ولا ملـوم ولا في الغـرم مخذول

حسان يرثى حمزة:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد:

يـاميُّ قومي فاندبـنّ ... بسحيرة شجو النوائـح

كالحاملات الوقر بالـ ... ثقل الملحات الدوالـح

المعـولات الخامشـا ... ت وجوه جرات صحائح

وكأن سيل دموعها الـ ... أنصاب تخضب بالذبائـح

ينقضـن أشعارا لهـن ... هناك بادية المسائـح

وكأنهـا أذناب خيـ ... ل بالضحى شمس روامـح

من بين مشزور ومجـ ... زور يذعـذع بالبـوارح

يـبكين شجوا مسلـبا ... ت كدحـتهن الكـوادح

ولقد أصاب قلوبـها ... مجـل له جلب قـوارح

إذ أقصد الحدثان مـن ... كنا نرجي إذ نشائـح

أصـحاب أحد غالهـم ... دهـر ألم له جـوارح

مـن كان فارسنا وحـا ... مينا إذا بعث المسالـح

يـا حمـز، لا والله لا ... أنسـاك ماصر اللقائـح

لمناخ أيتام وأضـيا ... ف وأرملـة تلامـح

ولما ينوب الدهر فـي ... حرب لحرب وهي لاقـح

يـا فارسًا يا مـدرها ... يا حمز قد كنت المصامـح

عنا شديدات الخطـو ... ب إذا ينوب لهن فـادح

ذكـرتني أسد الرسـو ل، وذاك مدرهنا المنافـح
عـنا وكـان يعـد إذ عد الشريفون الجحاجـح
يعلو القماقم جهـرة الـيدين أغر واضـح
لا طائش رعـش ولا ذو علـة بالحمل آنـح
بحـر فليس يغب جـا را منه سيب أو منـادح
أودى شباب أولى الحفـ ـائظ الثقيلون المراجح
المطعمـون إذا المشـا تي، مـا يصففهن ناضح
لحـم الجلاد وفوقـه من شحمه شطب شرائـح
لـيدافعوا عن جارهـم ما رام ذو الضعن المكاشح
لهفـي لشبان رزئـنا هـم كأنهم المصابـح
شـم، بطارقة، غطـا رفة، خضارمة، مسامـح
المشترون الحمـد بالأ مـوال إن الحمد رابح

قال ابن إسحاق: وقال أبو زعنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة، أخو بني جشم بن الخزرج يوم أحد:

أنا أبو زعنة يعدو بي الهزم لم تمـنع المخزاة إلا بالألم

يحمي الذمار خزرجي من جشم

شعر علي:

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب -قال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير علي، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر ولم أر أحدًا منهم يعرفها لعلي:

لا هم إن الحارث بن الصمة كان وفيا وبنا ذا ذمـه
أقبل فى مهامة مهمـة كليلة ظلماء مدلهمـه
بين سيوف ورماح جـمة يبغى رسول الله فيما ثـمه

قال ابن هشام: قوله: «كليلة» عن غير ابن إسحاق.

رجز عكرمة:

قال ابن إسحاق: وقال عكرمة بن أبي جهل فى يوم أحد:

كلهم يزجره أرحب هلا ... ولن يروه اليوم إلا مقبلا

يحمل رمحا ورئيسا جحفلا

صفية تبكى حمزة:

قال ابن إسحاق: وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب:

أسائلة أصحاب أحد مخافة ... بنات أبي من أعجم وخبير

فقال الخبير إن حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خير وزير

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة ... إلى جنة يحيا بها وسرور

فذلك ما كنا نرجي ونرتجي ... لحمزة يوم الحشر خير مصير

فوالله لا أنساك ما هبت الصبا ... بكاء وحزنا محضري ومسيري

على أسد الله الذى كان مدرها ... يذود عن الإسلام كل كفور

فياليت شلوي عند ذاك وأعظمي ... لدى أضبع تعتادني ونسور

أقول وقد أعلى النعي عشيرتي ... جزى الله خيرا من أخ ونصير

نعم ترثي حمزة:

قال ابن إسحاق: وقالت نعم، امرأة شماس بن عثمان، تبكي شماسًا وقد أصيب يوم أحد:

يا عين جودي بفيض غير إبساس ... على كريم من الفتيان إباس

صعب البديهة ميمون نقيبته ... حمال ألوية ركاب أفراس

أقول لما أتى الناعي له جزعًا ... أودي الجواد وأودي المطعم الكاسي

وقلت لما خلت منه مجالسه ... لا يبعد الله عنا قرب شماس

فأجابها أخوها، وهو أبو الحكم بن سعيد بن يربوع، يعزيها، فقال:

أقــني حــياءك في ستر وفى كرم ... فإنمـا كـان شماس من الناس[١]

لا تقتـلي النفس إذا حانت منيته ... فى طاعـة الله يوم الروع والباس

قد كان حمزة ليث الله فاصطبري ... فـذاق يومـئذ من كأس شماس

شعر هند بعد عودتها من أحد:

وقالت هند بنت عتبة، حين انصرف المشركون عن أحد:

رجعــت وفى نفســي بلابـل جمة ... وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي

مــن أصــحاب بــدر من قريش ... بــني هاشم منهم ومن أهل يثرب

ولكــنني قــد نلت شيئا ولم يكن ... كماكنت أرجو في مسيري ومركبي

ذكر يوم الرجيع في سنة ثلاث

مقتل خبيب وأصحابه:

عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال: حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عضل والقارة[٢].

قال ابن إسحاق: فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاما، فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ نفرا ستة من أصحابه، وهم: مرثد بن أبي مرثد الغنوي، حليف حمزة بن عبد المطلب وخالد بن البكير الليثي، حليف بني عدي بن

---

(١) أقني حياءك: أي حافظي عليه ولا تخرجي عنه والزمي الحياء.

(٢) إسناده مرسل، أخرجه الطبرى (٢/٥٣٨/٥٣٩) في «تاريخه» وابن سعد (٢/٥٥)، (٢/٥٦) والبيهقى (٣/٣٢٨ – ٣٢٩) في الدلائل وفي البداية والنهاية (٤/٦٣) وانظر: شرح السنة (١٣/٣٩٥) للبغوى (ص/١٧٤ – ١٧٧) لابن عبد البر، وأخرجه البخاري (٤٠٨٦) وأحمد (٢/٣١٠) وعبد الرزاق (٩٧٣٠)، وابن الأثير (٢/١٢٠) في أسد الغابة.

كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وخبيب بن عدي، أخو بني جحجبي بن كلفة بن عمرو بن عوف، وزيد ابن الدثنة بن معاوية أخو بني بياضة بن عمر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج، وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس[1].

خديعة عضل والقارة:

وأمر رسول الله ﷺ على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي فخرج مع القوم. حتى إذا كانوا على الرجيع، ماء لهذيل بناحية الحجاز، على صدر الهدأة غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هذيلا، فلم يرع القوم، وهم فى رحالهم، إلا الرجال بأيديهم السيوف، قد غشوهم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم: إنا والله ما نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم.

استشهاد مرثد وابن البكير وعاصم:

فأما مرثد بن أبى مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت فقالوا: الله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا، فقال عاصم بن ثابت:

مـا علتي وأنا جلد نابـل ... والقوس فيها وتر عنابـل[2]

تـزل عن صفحتها المعابـل ... الموت حق والحياة باطـل[3]

وكـل ما حم الإله نـازل ... بالمـرء والمرء إليه آئـل

إن لم أقاتلكم فأمي هابل

وقال عاصم بن ثابت أيضًا:

أبـو سليمان ومثلي رامي ... وكـان قومي معشرا كراما[4]

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) عنابل: غليظ شديد.

(٣) المعابل: نصل طويل عريض.

(٤) الدلائل (٣/٣٢٨ - ٣٢٩) للبيهقى، والبداية والنهاية (٤/٦٤) كلاهما عن ابن إسحاق.

وكان عاصم بن ثابت يكنى: أبا سليمان، ثم قاتل القوم حتى قتل، وقتل صاحباه.

الزنابير تحمي جثة عاصم:

فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه، ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد: لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفة الخمر، فمنعه الدبر، فلما حالت بينه وبينهم قالوا: دعوه يمسي فتذهب عنه، فنأخذه فبعث الله الوادي، فاحتمل عاصما، فذهب به.

وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركا أبدا، تنجسا، فكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: حين بلغه أن الدبر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركا أبدا في حياته، فمنعه الله بعد وفاته، كما امتنع منه في حياته.

استشهاد عبد الله بن طارق:

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة فأعطوا بأيديهم، فأسروهم، ثم خرجوا إلى مكة ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق ﷺ يده من القرآن، ثم أخذ سيفه، واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره رحمه الله بالظهران[1].

قال ابن إسحاق: قال عاصم، ثم خرجوا بخبيب، حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه، قال لهم: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة، قال: فكان خبيب بن عدي أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين، قال: ثم رفعوه على خشبة، فلما أوثقوه، قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه

(١) تقدم تخريجه.

الغداة ما يُصنع بنا، ثم قال: اللهم أحصهم عددا، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدا، ثم قتلوه رحمه الله.

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان، فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب، وكانوا يقولون: إن الرجل إذا دعي عليه، فاضطجع لجنبه زالت عنه.

قال ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عقبة بن الحارث، قال سمعته يقول: ما أنا والله قتلت خبيبا، لأني كنت أصغر من ذلك، ولكن أبا ميسرة أخا بني عبد الدار، أخذ الحربة فجعلها في يدي ثم أخذ بيدي وبالحربة، ثم طعنه بها حتى قتله [(١)].

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا، قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي على بعض الشام، فكانت تصيبه غشية، وهو بين ظهري القوم، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب، وقيل: إن الرجل مصاب، فسأله عمر في قدمة قدمها عليه، فقال: يا سعيد، ما هذا الذي يصيبك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما بي من بأس، ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن عدي حين قتل، وسمعت دعوته، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قط إلا غشي علي، فزادته عند عمر خيرا [(٢)].

ما نزل من القرآن في سرية الرجيع:

قال ابن إسحاق: وكان مما نزل من القرآن في تلك السرية، كما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت، عن عكرمة مولى ابن عباس، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: قال ابن عباس: لما أصيبت السرية التي كان فيها مرثد

---

(١) إسناده صحيح، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/٦٦) والذهبي في السير (١/٢٤٨) كلاهما عن ابن إسحاق، وانظر: أسد الغابة (٤/٥٠).

(٢) أورده ابن الأثير (٢/٣٩٣) في «أسد الغابة»، وفي البداية والنهاية (٤/٦٦) وفي الاستيعاب (٢/٦٢٥).

وعاصم بالرجيع، قال رجل من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا لا هم قعدوا في أهليهم، ولا أدوا رسالة صاحبهم؟ فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين وما أصاب أولئك النفر من الخير الذي أصابهم، فقال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾[1] أي يظهر من الإسلام بلسانه، ﴿ وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ ﴾ وهو مخالف لما يقول بلسانه، ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾[2].

أى: ذو جدال إذا كلمك وراجعك.

قال ابن إسحاق: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ أي خرج من عندك: ﴿ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾ أي لا يحب عمله ولا يرضاه.﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[3].

شعر خبيب:

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل في ذلك من الشعر، قول خبيب بن عدي، حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه:

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وكلهم مبدي العداوة جاهد ... علي لأني في وثائق بمضيع

وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقربت من جذع طويل ممنع

إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي ... وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي

فذا العرش، صبرني على ما يراد بي ... فقد بضعوا لحمي وقد ياس مطمعي

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٠٤).

(٢) إسناده ضعيف، وأخرجه ابن جرير (٢/١٨٢) في تفسيره، وفي الدر المنثور (٢/ ٢٣٨).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٠٥، ٢٠٧) إسناده ضعيف.

وذلــك فى ذات الإلــه وإن يشأ ... يــبارك عــلى أوصال شلو ممزع
وقــد خيروني الكفر والموت دونه ... وقــد هملت عيناي من غير مجزع
ومــا بي حــذار المــوت إني لميت ... ولكن حذاري جحم نار ملفــع
فــوالله مــا أرجو إذا مت مسلما ... عــلى أي جنب كان في الله مصرعي
فلســت بمــبد للعدو تخشــعا ... ولا جزعا إني إلى الله مرجعي(١).

حسان يبكي خبيبا:

وقال حسان بن ثابت يبكي خبيبا:

مــا بــال عينك لا ترقأ مدامعها ... سحا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق
عــلى خبيب في الفتيان قد علموا ... لا فشــل حــين تلقــاه ولا نزق
فاذهــب خبيــب جزاك الله طيبة ... وجــنة الخلــد عند الحور في الرفق
مــاذا تقولون: إن قال النبي لكم ... حــين الملائكــة الأبــرار في الأفق
فــيم قتلــتم شــهيد الله في رجل ... طاغ قد أوعث في البلدان والرفق(٢)

وقال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضًا يبكي خبيبا:

يا عين جودي بدمع منك منسكب ... وابكــي خبيبا مع الفتيان لم يؤب
صــقرا توسط في الأنصار منصبه ... سمــح السجية محضا غير مؤتشب
قــد هاج عيني على علات عبرتها ... إذ قيل نص إلى جذع من الخشب
يأيهــا الراكــب الغــادي لطيته ... أبلغ لديك وعيدًا ليس بالكذب
بــني كهيبة إن الحرب قد لقحت ... محلوبهــا الصاب إذ تمري لمحتلب
فــيها أسُــود بني النجار تقدمهم ... شــهب الأسنة في معصوصب لجب

---

(١) انظر: الحلية (١/١١٣ - ١١٤)، والبيهقي (٣/٣٢٨ - ٣٢٩) في الدلائل، وابن الأثير(٢/١٢١، ١٢٢) في أسد الغابة، وفي البداية والنهاية (٤/٦٧) عن ابن إسحاق.
(٢) انظر: البداية والنهاية (٤/٦٧، ٦٨) نقلاً عن ابن كثير والبيهقي (٣/٣٣٠) في الدلائل.
(٣) تقدم تخريجه.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

لو كان في الدار قرم ماجد بطل ... ألوى من القوم صقر خاله أنس

إذن وجدت خبيبا مجلسا فسحا ... ولم يشد عليك السجن والحرس

ولم تســقك إلى التنعــيم زعنفة ... من القبائل منهم من نفت عدس

دلُّوك غدرا وهم فيها أُولي خلف ... وأنت ضيم لهم في الدار محتبس

الذين اجتمعوا لقتل خبيب:

قال ابن إسحاق: وكان الذين أجلبوا على خبيب في قتله حين قتل من قريش: عكرمة بن أبي جهل، وسعيد بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود، والأخنس بن شريق الثقفى، حليف بن زهرة، وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمي، حليف بنى أمية بن عبد شمس وأمية بن أبي عتبة، وبنو الحضرمي.

هجاء حسان هذيلا:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يهجو هزيلا:

إن ســرك الغدر صرفا لا مزاج له ... فأت الرجيع فسل عن دار لحيان

قــوم تواصــوا بأكل الجار بينهم ... فالكلب والقرد والإنسان مثلان

لــو يــنطق التيس يوما قام يخطبهم ... وكــان ذا شرف فيهم وذا شان

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا:

ســألت هذيل رسول الله فاحشة ... ضــلت هذيل بما سالت ولم تصب

ســألوا رسولهم ما ليس معطيهم ... حــتى الممات، وكانوا سبة العرب

ولــن ترى لهذيل داعيا أبــدا ... يدعــو لمكــرمة عن منزل الحرب

لقد أرادوا خلال الفحش ويحهم ... وأن يحلــوا حراما كان في الكتب

حسان يبكي خبيبا وأصحابه:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكي خبيبا وأصحابه:

صلى الإله على الذين تتابعوا ... يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا
رأس السرية مرثد وأميرهم ... وابن البكير إمامهم وخبيب
وابن لطارق وابن دثنة منهم ... وافاه ثم حمامه المكتوب
والعاصم المقتول عند رجيعهم ... كسب المعالي إنه لكسوب
منع المقادة أن ينالوا ظهره ... حتى يجالد إنه لنجيب[(١)]

حديث بئر معونة في صفر سنة أربع

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة -وولي تلك الحجة المشركون والمحرم- ثم بعث رسول الله ﷺ أصحاب بئر معونة في صفر، على رأس أربعة أشهر من أحد [(٢)].

سبب الإرسال:

وكان من حديثهم، كما حدثني أبي إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيره من أهل العلم، قالوا: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة، على رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام، وقال: يا محمد، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: إني أخشى عليهم أهل نجد، قال أبو براء: أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك [(٣)].

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/٦٩) عن ابن إسحاق.

(٢) انظر: الدرر، (ص/١٧٩)، وفي الدلائل (٣/٣٣٨) للبيهقي، تاريخ الطبري (٢/٥٤٥)، والبداية والنهاية (٤/٧٢) عن ابن إسحاق، وفي «مجمع الزوائد» (٦/١٢٤).

(٣) إسناده مرسل، وأخرجه الطبري (٢/٥٤٥ - ٥٤٧) في «تاريخه» والبيهقي (٣/٣٣٨، ٣٤٠) في الدلائل، والبغوي (١/٤٧٧) في تفسيره، وذكره الحافظ ابن كثير في =

أسماء خيار المسلمين الذين أرسلوا إلى بئر معونة:

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة المعنق؛ ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه، من خيار المسلمين، منهم: الحارث بن الصمة،وحرام ابن ملحان بن عدي بن النجار، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي، ونافع ابن بديل بن ورقاء الخزاعى، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق، في رجال مسلمين من خيار المسلمين، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، وهي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرة بنى سليم أقرب.

خيانة بنى عامر إياهم:

فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا: لن نخفر أبا براء، وقد عقد لهم عقدا وجوارا، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم من عصية ورعل وذكوان، فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم، فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم، يرحمهم الله، إلا كعب بن زيد، أخا بني دينار بن النجار، فإنهم تركوه وبه رمق، فارتث من بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا، رحمه الله.

موقف ابن أمية والمنذر:

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري، ورجل من الأنصار، أحد بني عمرو بن عوف.

قال ابن إسحاق: فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على

=

«البداية والنهاية» (٧٢/٤ – ٧٣) وفي الدرر (ص١٧٩ – ١٨١) عن ابن إسحاق، وأورده الهيثمي في المجمع (١٢٨/٦، ١٢٩) عن ابن إسحاق.

العسكر، فقالا: والله إن لهذه الطير لشأنا، فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ، فنخبره الخبر، فقال الأنصاري: لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو، وما كنت لتخبرني عنه الرجال، ثم قاتل القوم حتى قتل، وأخذوا عمرو بن أمية أسيرا، فلما أخبرهم أنه من مضر، أطلقه عامر ابن الطفيل، وجز ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه.

فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة، أقبل رجلان من بني عامر[1].

قال ابن إسحاق: حتى نزلا معه في ظل هو فيه، وكان مع العامريين عقد من رسول الله ﷺ وجوار، لم يعلم به عمرو بن أمية، وقد سألهما حين نزلا، ممن أنتما؟ فقالا من بني عامر، فأمهلهما، حتى إذا ناما، عدا عليهما فقتلهما وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بنى عامر، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلم قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ ، فأخبره الخبر قال رسول الله ﷺ **لقد قتلت قتيلين** «لأدينهما».

حزن الرسول من فعل أبي براء:

ثم قال رسول الله ﷺ: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارها متخوفا، فبلغ ذلك أبا براء، فشق عليه إخفار عامر إياه، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ، بسببه وجواره، وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة [2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه البيهقي (٣/٣٤٠، ٣٤١) في الدلائل والطبراني كما في المجمع (٦/١٢٩) وفي البداية والنهاية (٤/٧٣) وفي تفسيره (٤/٣٣١)، وأخرجه الطبـــري (٢/٥٤٦، ٥٤٧).

ما حدث لابن فهيرة بعد مقتله:

قال ابن إسحاق: فحدثني هشام بن عروة، عن أبيه: أن عامر بن الطفيل كان يقول من رجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض، حتى رأيت السماء من دونه؟ قالوا: هو عامر بن فهيرة [(١)].

إسلام ابن سلمى:

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض بني جبار بن سلمة بن مالك بن جعفر قال -وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم- قال: فكان يقول: إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعته يقول: فزت والله فقلت في نفسي: ما فاز. ألست قد قتلت الرجل؟ قال: حتى سألت بعد ذلك عن قوله، فقالوا: للشهادة فقلت: فاز لعمرو الله [(٢)].

تحريض حسان بني البراء على عامر:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يحرض بني براء على عامر بن الطفيل:

بني أم البنين ألم يرعكم ... وأنتم من ذوائب أهل نجد

تهكم عامر بأبي براء ... ليخفره وما خطأ كعمد

ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي ... فما أحدثت في الحدثان بعدي

أبوك أبو الحروب أبو براء ... وخالك ماجد حكم بن سعد[(٣)]

(١) إسناده مرسل، وأخرجه البخاري (٤٠٩٣) والطبري (٤٥٨/٢) في «تاريخه» والبيهقي (٣٥٢/٣، ٣٥٣) في الدلائل.

(٢) أخرجه الطبري (٥٤٨/٢) في تاريخه بسنده عن ابن إسحاق ابن الأثير في أسد الغابة (٣١٥/١، ٣١٦) وفي البداية والنهاية (٧٢/٤).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٥٤٨/٢، ٥٤٩)، والبداية والنهاية (٧٣/٤، ٧٤) عن ابن إسحاق.

طعن عامر:

قال ابن إسحاق: فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل فطعنه بالرمح فوقع في فخذه، فأشواه، ووقع عن فرسه، فقال هذا عمل أبي براء، إن أمت فدمي لعمي فلا يتبعن به، وإن أعش فسأري رأيي فيما أتي إلي[١].

أمر إجلاء بني النضير في سنة أربع

سبب خروج النبي ﷺ إلى بني النضير:

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله عقده لهما، كما حدثني يزيد بن رومان، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين، قالوا نعم، يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه -ورسول الله إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد- فمن رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهما، فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم[٢].

انكشاف غدرهم ومحاربتهم:

فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعا إلى المدينة، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) إسناده معضل، أخرجه الطبري (٢/٥٥١، ٥٥٢) في «تاريخه» والبيهقي (٣/٣٥٤، ٣٥٥)، وأورده ابن عبد البر (ص/١٨٣، ١٨٤) في الدرر، وابن كثير (٤/٧٥).

حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم.

قال ابن إسحاق: ثم سار بالناس حتى نزل بهم (١).

حصار بني النضير:

قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أن يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد، وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها؟!

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج، منهم عدو الله عبد الله بن أبي ابن سلول ووديعة ومالك بن أبي قوقل، وسويد وداعس، قد بعثوا إلى بني النضير أن أثبتوا وتمنعوا، فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ففعل. فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به. فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام.

فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر: سلام بن أبي الحقيق وكنانة ابن الربيع ابن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، فلما نزلوها دان لهم أهلها (٢).

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث: أنهم استقلوا بالنساء والأموال، معهم الدفوف والمزامير، والقيان يعزفن خلفهم، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسي، التي ابتاعوا منه وكانت إحدى نساء بني غفار بزهاء وفخر ما رئي مثله من حي من الناس في زمانهم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

وخلوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقرًا، فأعطاهما رسول الله ﷺ.

ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان: يامين بن عمير، أبو كعب بن عمرو ابن جحَّاش، وأبو سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاها [1].

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض آل يامين: أن رسول الله ﷺ قال: ليامين: ألم تر ما لقيت من ابن عمك، وما همَّ به من شأني؟ فجعل يامين ابن عمير لرجل جعلا على أن يقتل له عمرو بن جحاش، فقتله فيما يزعمون.

ما نزل في بني النضير من القرآن: ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته وما سلط عليهم به رسوله ﷺ، وما عمل به فيهم، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوها، ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ ﴾[3]، وكان لهم من الله نقمة، ﴿ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾[4]: أي بالسيف، ﴿ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾[5] مع ذلك، ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا ﴾[6]، واللينة: ما

---

(١) إسناده معضل، وأخرجه الطبري (٢/٥٥٤) في «تاريخه» وانظر: الدر ص (١٨٥) مختصرا، والبداية (٤/٧٥).
(٢) سورة الحشر: آية (٢).
(٣) سورة الحشر: آية (٢ ، ٣).
(٤) سورة الحشر: آية (٣).
(٥) سورة الحشر: آية (٣).
(٦) سورة الحشر: آية (٥).

خالف العجوة من النخل ﴿ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[١]، أي فبأمر الله قطعت، لم يكن فسادًا، ولكن كان نقمة من الله ﴿ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[٢].

روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له إلى أين نخرج يا محمد؟ قال: إلى الحشر، يعني أرض المحشر، وهى الشام، وقيل: إنهم كانوا من سبط لم يصبهم جلاء قبلها، فلذلك قال: لأول الحشر، والحشر: الجلاء، وقيل إن الحشر الثاني، هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن، فتحشر الناس إلى الموقف، تبيت معهم، حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل من تخلف، والآية متضمنة لهذه الأقوال كلها، ولزائد عليها، فإن قوله: لأول الحشر يؤذن أن ثم حشرا آخر، فكان هذا الحشر والجلاء إلى خيبر، ثم أجلاهم عمر من خيبر إلى تيماء وأريحا، وذلك حين بلغه التثبيت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يبقينَّ دينان بأرض العرب**».

ما قيل في بني النضير من الشعر:

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الأشرف:

لقد خزيت بغدرها الحبــور ... كذاك الدهر ذو صرفٍ يدورُ

وذلك أنهم كفروا بــربٍ ... عزيزٍ أمره أمر كبـــيرُ

وقد أوتوا معا فهما وعلــما ... وجاءهم مبينة تغـــير

نذيــر صادق أدى كتابــا ... وآيــات مبينة تغـــير

فقالوا ما أتيت بأمر صــدق ... وأنــت بمنكر منا جديــر

فقــال بلى لقد أديت حقـا ... يصدقني به الفهم الخبــير

فمــن يتبعه يهد لكل رشــد ... ومن يكفر به يجز الكفــور

---

(١) سورة الحشر: آية (٥).

(٢) سورة الحشر: آية (٥)، وإسناده ضعيف، في البداية والنهاية (٤/٧٦)، وفي تفسيره (٤/٣٣٢)، والإصابة (٨/٣٣٣).

فلما أشربوا غدرا وكفــــرا وحــاد بهم عن الحق النفــور
أرى الله النبي برأي صــدق وكــان الله يحكم لا يجــور
فــأيده وسلطه عليهــــم وكــان نصيره نعم النصــير
فغودر منهم كعب صريــعا فذُلَّــت بعد مصرعه النضــير
على الكفين ثم وقد علتــه بأيديــنا مشهرة ذكــــور
بأمــر محمد إذ دس ليـــلا إلى كعــب أخا كعب يســير
فماكــره فأنزله بمكــــر ومحمــود أخو ثقة جســـور
فتلك بنو النضير بدار ســوء أبــارهم بما اجترموا المبــير
غداة أتاهم في الزحـــف رســول الله وهو بهم بصــير
وغســان الحمــاة موازروه عــلى الأعداء وهو لهم وزيــر
فقال: السلم ويحكم فصدوا وحالف أمرهم كــذب وزور
فذاقوا غب أمرهم وبـــالا لكــل ثلاثة منهم بعــــير
وأجلوا عامدين لقينقـــاع وغــودر مــنهم نخل ودور[1]

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/٣٣٤)، وفي البداية (٤/٧٥) عن ابن إسحاق.

غزوة ذات الرقاع
في سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى، ثم غزا نجدًا يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري: ويقال: عثمان بن عفان، فيما قال ابن هشام [(١)].

قال ابن إسحاق: حتى نزلا نخلا، وهي غزوة ذات الرقاع.

قال ابن إسحاق: فلقي بها جمعا عظيما من غطفان، فتقارب الناس، و لم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضا، حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف ثم انصرف بالناس[(٢)].

وهي أرض فيها بقع سود، وبقع بيض، كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة، وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري: قال: خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة، ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا، فحدث أبو موسى بهذا، ثم كره ذلك فقال: ما كنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شيئا من عمله أفشاه.

أحد الأعداء يهم بقتل النبي ﷺ:

قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن عبيد، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله: أن رجلا من بني محارب يقال له: غورث قال لقومه من غطفان ومحارب:

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/٥٥٥، ٥٥٦)، والدرر (ص١٨٦، ١٨٧) والدلائل (٣/ ٣٧٠) للبيهقي، شرح السنة (١٤/١٢) وابن كثير في البداية والنهاية (٤/٨٣)، وابن حجر في الفتح (٧/٤٧١).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/٥٥٦) والدلائل للبيهقي (٣/٣٧٠)، والدرر (ص/١٨٧) والبداية (٤/٨٣) عن ابن إسحاق.

ألا أقتل لكم محمدًا؟ قالوا بلى، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به، قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيف رسول الله ﷺ في حجره فقال: يا محمد انظر إلى سيفك هذا؟ قال: **نعم**، قال: فأخذه فاستله ثم جعل يهزه، ويهم، فيكبته الله؟ ثم قال: يا محمد أما تخافني؟ قال: **لا، وما أخاف منك**، قال: أما تخافني وفي يدي السيف؟ قال: لا، **يمنعني** الله منك ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ فرده عليه قال: فأنزل الله فيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان: أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش أخي بني النضير وما هم به، فالله أعلم أي ذلك كان (٢).

قصة جابرٍ وجَمَلهُ:

قال ابن إسحاق: وحدثني وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد الله قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل، على جمل لي ضعيف فلما قفل رسول الله ﷺ قال: جعلت الرفاق تمضي وجعلت أتخلف، حتى أدركني رسول الله ﷺ، فقال: مالك يا جابر؟ قال: قلت: يا رسول الله أبطأ بي جملي هذا قال أنخه، قال فأنخته: وأناخ رسول الله ﷺ، ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك، أو اقطع لي عصا من شجرة، قال: ففعلت: فأخذها رسول الله فنخسه بها نخسات، ثم قال: اركب، فركبت، فخرج والذي بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة(٣).

قال: وتحدثت مع رسول الله، فقال لي: أتبيعني جملك هذا يا جابر؟ قال:

---

(١) سورة المائدة: الآية (١١).

(٢) إسناده معضل، وانظر: تفسير الطبري (٦/٩٢، ٩٣).

(٣) إسناده صحيح، وأخرجه أحمد (٦/٣٧٥، ٣٧٦)، والبخارى (٢٠٧٩) ومسلم (٧١٥) والبيهقى(٣/٣٨٣،٣٨١) في الدلائل، والبغوي (٢١١٥)وفي البداية والنهاية (٤/٨٧،٨٦).

قلت: يا رسول الله، بل أهبه لك، قال: لا، ولكن بْعنيه، قال: قلت: فسمنيه يا رسول الله قال: قد أخذته بدرهم، قال: قلت: لا، إذن، تغبني يا رسول الله قال: فبدرهمين، قال: قلت: لا، قال: فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقية، قال: فقلت: أفقد رضيت يا رسول الله؟ قال: نعم، قلت: فهو لك، قال: قد أخذته: قال: ثم قال: يا جابر، هل تزوجت بعد؟ قال: قلت: نعم يا رسول الله؟ قال: أثيبًا أمْ بكرا؟ قال: قلت بل ثيبا قال: أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك! قال: قلت يا رسول الله، إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعا، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رءوسهن، وتقوم عليهن، قال أصبت إن شاء الله، أما لو جئنا صرارا، أمرنا بجزور فنحرت وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعت بنا فنفضت نمارقها قال: قلت: والله يا رسول الله ما لنا من نمارق. قال إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيسًا. قال: فلما جئنا صرارا أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم. فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا، قال: فحدثت المرأة الحديث، وما قال لي رسول الله ﷺ، قالت: فدونك سمع وطاعة -قال: فلما أصبحت، أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب مسجد رسول الله ﷺ قال: ثم جلست في المسجد قريبًا منه، قال: وخرج رسول الله ﷺ، فرأى الجمل، فقال: ما هذا قالوا: يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر، قال: فأين جابر؟ قال: فدعيت له، قال، فقال: يا ابن أخي خذ برأس جملك، فهو لك، ودعا بلالا فقال له: اذهب بجابر، فأعطه أوقية، قال: فذهبت معه فأعطاني أوقية، وزداني شيئًا يسيرا، قال: فوالله ما زال ينمي عندي، ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب لنا- يعنى يوم الحرة[1].

---

(١) إسناده صحيح، وأخرجه أحمد (٦/٣٧٥، ٣٧٦) البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (٧١٥)، والبيهقي (٣/٣٨١ – ٣٨٣) في الدلائل، والبغوي (٢١١٥) وفي البداية والنهاية (٤/ ٨٦، ٨٧).

قال ابن إسحاق: وحدثني عمي صدقة بن يسار، عن عقيل بن جابر عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً، أتى زوجها وكان غائبًا، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فترل رسول الله ﷺ مترلا، فقال: من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه؟ قال: فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل آخر من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: فكونا بفم الشعب، قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي.

قال ابن إسحاق: فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل تحب أن أكفيكه: أوله أم آخره؟ قال: بلى، اكفني أوله. قال فاضطجع المهاجري فنام، وقام الأنصاري يصلي، قال: وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم، قال: فرمى بسهم، فوضعه فيه، قال: فترعه ووضعه، فثبت قائمًا، ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه، قال فترعه فوضعه، وثبت قائما، ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، قال: فترعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهب صاحبه فقال: اجلس فقد أثبت، قال: فوثب فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به، فهرب. قال: ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا أهببتني أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها، فلما تابع على الرمي ركعت فأذنتك، وايم الله، لولا أن أضيع ثغرًا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها.

قال ابن إسحاق: و لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة الرقاع، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجبا [(١)].

---

(١) انظر الدرر (ص/١٨٨)، تاريخ الطبرى (٥٥٩/٢) والدلائل (٣٨٦/٣، ٣٨٧ للبيهقي، وفي البداية والنهاية (٨٧/٤).

غزوة بدر الآخرة في شعبان سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم خرج في شعبان إلى بدر، لميعاد أبي سفيان، حتى نزله [(١)].

قال ابن إسحاق: فأقام عليه ثماني ليال ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنة، من ناحية الظهران، وبعض الناس يقول: قد بلغ عسفان، ثم بدا له في الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب، ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب، وإني راجع، فارجعوا، فرجع الناس، فسماهم أهل مكة جيش السويق، يقولون إنما خرجتم تشربون السويق.

وأقام رسول الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده، فأتاه مخشي بن عمرو الضمري، وهو الذي كان وادعه على بني ضمرة في غزوة ودان، فقال: يا محمد، أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم يا أخا بني ضمرة، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك قال: لا والله يا محمد مالنا بذلك منك من حاجة [(٢)].

شعر معبد في ناقة رسول الله ﷺ:

فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أبا سفيان فمر به معبد بن أبي معبد الخزاعي فقال: وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوي به [(٣)].

قـد نفرت من رفقتي محمد ... وعجـوة من يثرب كالعنجد

تهـوي على دين أبيها الأتلد ... قـد جعلت ماء قديد موعدي

وماء ضجنان لها ضحى الغد [(٤)]

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) إسناده معضل، وأخرجه الطبري (٢/٥٥٩/ ٥٦٠) في «تاريخه»، والبيهقي (٣/٣٨٦، ٣٨٧) في الدلائل، وابن سعد (٢/٦٠) وفي البداية والنهاية (٤/٨٧، ٨٨) عن ابن إسحاق.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: البداية والنهاية (٤/٨٨، ٨٩) والبيهقي (٣/٣٨٧).

غزوة دومة الجندل
في شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأقام من مقدم رسول الله ﷺ بها أشهرا حتى مضى ذو الحجة وولي تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل [(١)].

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ قبل أن يصل إليها، ولم يلق كيدا، فأقام بالمدينة بقية سنته [(٢)].

غزوة الخندق
في شوال سنة خمس

عن زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطلبي، قال: ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس.

اليهود تحزب الأحزاب:

فحدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير، ومن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، ومحمد بن كعب القرظي، والزهري، وعاصم ابن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، وغيرهم من علمائنا، كلهم قد اجتمع حديثه عن الخندق، وبعضهم يحدث ما لا يحدِّث به البعض قالوا: إنه كان من حديث الخندق أنَّ نفرا من اليهود، منهم: سلام ابن أبي الحقيق النضري وحيي ابن أخطب النضري، وكنانة بن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت

---

(١) انظر: الدرر (ص١٨٩)، البداية (٤/ ٩١).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٢/ ٦٢، ٦٣) والدرر (ص١٨٨)، والدلائل (٣/ ٣٨٩، ٣٩٠) للبيهقي، والبداية (٤/ ٩٢).

لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً ﴾ (١).

تحريض اليهود غطفان:

قال: فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك واتعدوا له. ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريش قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه(٢).

خروج الأحزاب:

قال ابن إسحاق: فخرجت قريش، وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان، وقائدها عيينة بن حصين وحذيفة بن بدر في بني فزارة والحارث بن عوف ابن أبي حارثة المري في بني مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة ابن طريف بن سمحة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع.

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيبا للمسلمين في الأجر، وعمل معه المسلمون فيه، فدأب فيه ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة،

---

(١) سورة النساء: آية (٥١).

(٢) إسناده مرسل، أخرجه الطبري (٢/٥٦٥) في تاريخه والبيهقي في الدلائل (٣/٤٠٨)، وفى البداية والنهاية (٤/٩٤) عن ابن إسحاق، وانظر: الدرر (ص/١٩٠) لابن عبد البر.

من الحاجة التي لابد له منها، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ «ويستأذنه في اللحوق بحاجته، فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبة في الخير واحتسابا له»[(١)].

ما نزل من القرآن في حق العاملين في الخندق:

فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٢)] فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير، والطاعة لله ولرسوله ﷺ.

ثم قال تعالى، يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل، ويذهبون بغير إذن من النبي ﷺ: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[(٣)].

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾.

قال ابن إسحاق: من صدق أو كذب.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾[(٤)].

المسلمون يرتجزون وهم يعملون:

قال ابن إسحاق: وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين، يقال له جعيل، سماه رسول الله ﷺ: عمرا، فقالوا:

---

(١) إسناده مرسل، وأورده السيوطي مختصرًا في الدر المنثور (٥/٦٠).

(٢) سورة النور: آية (٦٢).

(٣) سورة النور: آية (٦٣).

(٤) سورة النور: آية (٦٤).

سمـــاه من بعد جعيل عمرا وكان للبائس يوما ظهرا

فإذا مروا بـــ «عمرا» قال رسول الله ﷺ: عمرا وإذا مروا بـــ «ظهرا» قال رسول الله ﷺ ظهرا [١].

معجزات ظهرت في حفر الخندق:

قال ابن إسحاق: وكان في حفر الخندق أحاديث بلغتني، فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ، وتحقيق نبوته، عاين ذلك المسلمون.

(١) معجزة الكدية:

فكان مما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدث: أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كدية، فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء، فتفل فيه، ثم دعاه بما شاء الله أن يدعو به، ثم نضح ذلك الماء عن تلك الكدية، فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحق نبيا، لانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فأسا ولا مسحاة[٢].

(٢) معجزة البركة في التمر:

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن مينا أنه حدث أن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير، قالت: دعتني أمي عمرة بنت رواحة، فأعطتني حفنة من تمر فى ثوبى، ثم قالت: أي بنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما، قالت: فأخذتها، فانطلقت بها، فمررت برسول الله ﷺ، وأنا ألتمس أبي وخالي، فقال: تعالي يا بنية، ما هذا معك؟ قالت: فقلت: يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد، وخالي عبد الله بن رواحة يتغديان، قال:

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/٥٦٦، ٥٦٧)، الدلائل للبيهقي (٣/٤٠٩، ٤١٠)، وفي البداية والنهاية (٤/٩٥) عن ابن إسحاق.

(٢) حديث صحيح، أخرجه البيهقى (٣/٤١٥)، وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٩٧) عن ابن إسحاق، وأخرجه البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩) وفي شرح السنة للبغوى (٣٧٩٣) وفي (الدلائل) للبيهقي (٣/٤٠٧).

هاتيه قالت: فصببته في كفي رسول الله ﷺ، فما ملأهما ثم أمر بثوب بسط له ثم دحا بالتمر عليه، فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغذاء، فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه! وإنه يسقط من أطراف الثوب! [(١)].

(٣) البركة في طعام جابر:

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن مينا، عن جابر بن عبد الله، قال عملنا مع رسول الله ﷺ في الخندق، فكانت عندي شويهة، غير جد سمينة قال: فقلت: والله لو صنعناها لرسول الله ﷺ، وقال، فأمرت امرأتي فطحنت لنا شيئا من شعير، فصنعت لنا منه خبزا، وذبحت تلك الشاة، فشويناها لرسول الله ﷺ قال: فلما أمسينا وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق -قال وكنا نعمل فيه نهارنا، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا- قال: قلت: يا رسول الله، إني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا، وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير، فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي، وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله ﷺ وحده، قال: فلما أن قلت له ذلك، قال: نعم، ثم أمر صارخا فصرخ. أن انصرفوا مع رسول الله إلى بيت جابر بن عبد الله قال: قلت إنا لله وإنا إليه راجعون! قال: فأقبل رسول الله ﷺ، وأقبل الناس معه، قال فجلس وأخرجناها إليه. قال: فبرك وسمى الله، ثم أكل، وتواردها الناس، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس، حتى صدر أهل الخندق عنها [(٢)]!

٤ – الله يبشر نبيه بالفتوح:

قال ابن إسحاق: وحدثت عن سلمان الفارسي، أنه قال: ضربت في ناحية من الخندق، فغلظت علي صخرة، ورسول الله ﷺ قريب مني، فلما رآني

(١) إسناده منقطع، أخرجه البيهقي (٣/٤٢٧)، وفى البداية والنهاية (٤/٩٦) عن ابن إسحاق.

(٢) إسناده صحيح، وأخرجه أحمد (٣/٣٧٧).

أضرب ورأى شدة المكان علي نزل فأخذ المعول من يدي، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة، قال: ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى، قال: ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقة أخرى. قال: قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: أو قد رأيت ذلك يا سلمان؟ قال قلت: نعم، قال: أما الأولى فإن الله فتح بها اليمن، وأما الثانية فإن الله فتح بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح بها المشرق[1].

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول -حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده- افتتحوا ما بدا لكم، فوالذي نفس أبي هريرة بيده، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمدا ﷺ مفاتيحها قبل ذلك.

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة، بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذنب نقمى، إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم[2].

قال ابن إسحاق: وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام.

حيي بن أخطب يحرض كعب بن أسد:

قال وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد

---

(١) إسناده معضل، والحديث صحيح، وأخرجه البيهقي (٣/٤١٧، ٤١٨) وفي البداية والنهاية (٤/٩٩) عن ابن إسحاق، رواه ابن جابر في «تاريخه» (٢/٥٦٧ - ٥٦٩)، وأخرجه الطبراني (١٢٠٥٢)، والهيثمي في المجمع (٦/١٣٢)، وأخرجه ابن أبي شيبة (١٤/٣٠٣، ٤٢٢)، وأحمد (٤/٣٠٣) والنسائي في الكبرى، والبيهقي (٣/٤٢١).

(٢) إسناده مرسل، أخرجه الطبرى (٢/٥٧٠) في تاريخه والبيهقى (٣/٤٢٨)، والبداية والنهاية (٤/١٠٢، ١٠٣) وانظر الدرر (ص/١٩٢، ١٩٣).

القرظي، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاقده على ذلك وعاهده، فلما سمع كعب بحيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناداه حيي: ويحك يا كعب افتح لي قال: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشئوم، وإني قد عاهدت محمدا، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا. قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن أغلقت الحصن دوني إلا تخوفت جشيشتك أن آكل معك منها، فأحفظ الرجل، ففتح له، فقال: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادها وسادها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادها وسادها حتى أنزلتهم بذنب نقمي إلى جانب أحد، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه. قال: فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر، وبجهام قد هراق ماؤه، فهو يرعد ويبرق، ليس فيه شيء، ويحك يا حيي: فدعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء، فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له، على أن أعطاه عهدا وميثاقا: لئن رجعت قريش وغطفان، ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة بن دليم، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بني الحارث بن الخزرج، وخوات بن جبير، أخو بني عمرو بن عوف فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس، قال: فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فيما نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين

محمد ولا عقد فشاتمهم سعد ابن معاذ وشاتموه، وكان رجلا فيه حدة، فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله فسلموا عليه ثم قالوا: عضل والقارة، أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب، وأصحابه، فقال رسول الله: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين [١].

الخوف الذي أصاب المسلمين ذلك اليوم:

قال ابن إسحاق: وعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير، أخو بنى عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط [٢].

قال ابن إسحاق: وحتى قال أوس بن قيظى، أحد بنى حارثة بن الحارث يا رسول الله، إن بيوتنا عورة من العدو، وذلك على ملإ من رجال قومه، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا، فإنها خارج من المدينة، فأقام رسول الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر، لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصار [٣].

محاولة الصلح مع غطفان:

فلما أشتد على الناس البلاء، بعث رسول الله ﷺ، كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم، عن محمد بن مسلم عن عبيد الله بن شهاب الزهري

(١) إسناده مرسل، أخرجه الطبرى (٢/٥٧١، ٥٧٢) في تاريخه وأخرجه البيهقى (٣/٤٣٠) وفي البداية والنهاية (٤/١٠٤) عن ابن إسحاق، انظر: الدرر (ص/١٩٣، ١٩٤) لابن عبد البر.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) تقدم تخريجه.

إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري، وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة في ذلك، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، فذكر لهما، واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه، أم شيئا أمرك الله به، لابد لنا من العمل به، أم شيئا تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسول الله ﷺ: فأنت وذاك، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا [(١)].

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس أخو بني عامر بن لؤي [(٢)].

قال ابن إسحاق: وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان، وضرار بن الخطاب الشاعر ابن مرداس، أخو بني محارب بن فهر، تلبسَّوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم، حتى مروا بمنازل بني كنانة، فقالوا: تهيئوا

---

(١) إسناده مرسل، وأخرجه الطبري (٢/٥٧٢، ٥٧٣) والبيهقي (٣/٤٣، ٤٣١) وفي البداية والنهاية (٤/١٠٤، ١٠٥) عن ابن إسحاق.

(٢) تقدم تخريجه.

يا بني كنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان اليوم، ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم، حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها[١].

عليّ يقتل عمرو بن عبد ود:

قال ابن إسحاق: ثم تيمموا مكانًا ضيقا من الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب ﷺ في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج مُعَلِّماً ليرى مكانه، فلما وقف هو وخيله، قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذها منه، قال له: أجل، قال له على: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لم يا بن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له علي: لكني والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقره، وضرب وجهه، ثم أقبل على عليّ، فتنازلا وتجاولا، فقتله علي ﷺ وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة [٢].

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك:

نَصَـــرَ الحجارة من سفاهة رأيه ... ونصـــرتُ ربَّ محمد بصوابي

فصـــددت حين تركته متجدلا ... كـــالجذع بين دكاءك وروابي

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) حديث ضعيف، أخرجه ابن سعد (٤/٩٨)، والحاكم (٣/٥٩٨)، والطبراني (٦٠٤٠) في الكبير، والطبرى (٢١/٨٥) في تفسيره، والبغوي (٥/٢٣٤) والبيهقي (٣/٤١٨) والهيثمي في المجمع (٦/١٣٠).

وعففت عن أثوابه ولو أنني ... كنت المقطر بزني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ... ونبيه يا معشر الأحزاب[(١)]

هجاء حسان عكرمة:

قال ابن إسحاق: وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت في ذلك:

فر وألقى لنا رمحه ... لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليم ... ما إن تجوز عن المعدل
ولم تلق ظهرك مستأنسا ... كأن قفاك قفا فرعل[(٢)]

استشهاد سعد بن معاذ: قال ابن إسحاق: وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري، أخو بني حارثة: أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكان من أحرز حصون المدينة، قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن، فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب: فمر سعد وعليه درع له مقلصة، وقد خرجت منها ذراعه كلها، وفي يده حربته يرفل بها ويقول [(٣)]:

لبث قليلا يشهد الهيجا جمل ... لا بأس بالموت إذا حان الأجل

قال: فقالت له أمه: الحق، أي بني، فقد والله أخرت، قالت عائشة فقلت لها: يا أم سعد، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي، قالت وخفت

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٤/١٠٥) عن ابن إسحاق.

(٢) انظر: البداية والنهاية (٤/١٠٦) عن ابن إسحاق.

(٣) إسناده صحيح، أخرجه ابن سعد (٢/٤٢١) في طبقاته، وأحمد (٦/١٤١) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨/٤٩٥)، والطبرى (٢/٥٧٤، ٥٧٥)، والبيهقى في «الدلائل» (٣/٤٤٠ – ٤٤١)، وأخرجه ابن الأثير (٣/٣٧٣، ٣٧٤)، والذهبى في السير (١/٢٨١)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/١٠٨)، وابن حجر في الإصابة (٣/٨٨) عن ابن إسحاق.

عليه حيث أصاب السهم منه، فرمي سعد بن معاذ بسهم، فقطع منه الأكحل. رماه -كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة- حبان بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي، فلما أصابه قال: خذها مني وأنا ابن العرقة فقال له سعد: عرق الله وجهك في النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذّبوه وأخرجوه، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة [1].

قاتل سعد بن معاذ:

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول: ما أصاب سعدًا يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي، حليف بني مخزوم.

وقد قال أبو أسامة في ذلك شعرا لعكرمة بن أبي جهل:

أعكرمُ هلا لمتني إذ تقول لى	**فداك بآطام المدينة خالد**
ألست الذي ألزمت سعدا مرشة	**لها بين أفناء المرافق عاند**
قضى نحبه منها سعيد فأعولت	**عليه مع الشمط العذارى النواهد**
وأنت الذي دافعت عنه وقد دعا	**عبيدة جمعا منهم إذ يكابد**
على حين ما هم جائر عن طريقه	**وآخر مرعوب عن القصد عاهد [2]**

---

(١) إسناده مرسل، وأخرجه ابن سعد (٣/٤٢٢، ٤٢٥) والبخارى (٤٦٣) (٣٩٠١)، (٤١١٧)، (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩)، والترمذي (١٥٨٢) وأحمد (٦/٥٦) وأبو داود (٣١٠١)، والنسائي (٢/٤٥) والطبري (٢/٥٧٥) والبيهقي (٣/٤٤١، ٤٤٢) والطبراني (٥٣٢٥)، وأخرجه الحاكم (٣/٢٠٥) في الدرر (ص١٩٧)، والذهبى في السير (١/٢٨١، ٢٨٢) وابن الأثير في أسد الغابة (٣/٣٧٤) وابن كثير (٤/١٠٨).

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه ابن سعد (٢/٦٧) مختصرًا جدًا والطبري (٢/٥٧٦، ٥٧٧) والبيهقي في الدلائل (٣/٤٤٢) وابن الأثير (٣/٣٧٤) عن ابن إسحاق، وأورده ابن عبد البر (ص/١٩٧) وفي البداية والنهاية (٤/١٠٨).

حديث حسان وصفية في وقعة الخندق:

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال: كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع، حصن حسان بن ثابت قالت وكان حسان بن ثابت معنا فيه، مع النساء والصبيان، قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله ﷺ، والمسلمون في نحور عدوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت قالت: فقلت: يا حسان، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله، قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت: فلما قال لي ذلك، ولم أر عنده شيئًا احتجزت ثم أخذت عمودًا، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته. قالت: فلما فرغت منه، رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان، انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب[1].

خداع نعيم المشركين:

قال ابن إسحاق: وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه، فيما وصف الله من الخوف والشدة، لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

---

(١) إسناده مرسل، أخرجه الطبري (٢/٥٧٧) والبيهقي (٣/٤٤٢، ٤٤٣)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/١٧٣) ابن كثير في البداية والنهاية (٤/١٠٨ - ١٠٩) عن ابن إسحاق، وأبو يعلى في المجمع (٦/١٣٣ - ١٣٤)، أخرجه الحاكم (٤/٥٠، ٥١)، وأخرجه الطبراني (٢٤/٣٢١، ٣٢٢)، وابن حجر في الإصابة (٨/١٢٨) أخرجه ابن سعد (٨/٤١) والحاكم (٤/٥١)، وأخرجه البيهقي (٣/٤٤٣) والطبراني في الكبير (٢٤/٣١٩) والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٣٤)، وأخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/١٧٤).

قال: ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفد بن هلال ابن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان، أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ: إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديما في الجاهلية، قال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودي إليكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم والبلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم؛ لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم، يكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدًا حتى تناجزوه، فقالوا: لقد أشرت بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قريشا، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم، وفراقي محمدًا، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقا أبلغكموه، نصحا لكم فاكتموا عني، فقالوا: نفعل، قال: تعلموا أن معشر يهود ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا عن رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدًا ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم، قال فاكتموا عني قالوا

نفعل، فما أمرك؛ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم [(١)].

ما أنزل الله بالمشركين:

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، كان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدًا، ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثًا فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنًا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدًا فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحدًا من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة، حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنًا فأبوا عليهم، وخذل الله بينهم،

---

(١) إسناده مرسل، أخرجه ابن سعد (٢/٦٩) والطبري في «تاريخه» (٢/٥٧٨، ٥٧٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/٤٤٥ – ٤٤٧) وابن كثير في البداية والنهاية (٤/١١١)، وابن حجر في الفتح (٧/٤٠٢) كلهم عن ابن إسحاق مرسلاً، وابن عبد البر في الدرر (ص/١٩٨ – ٢٠٠) وابن الأثير في أسد الغابة (٥/٨٣٨)، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣/٤٤٧)، وفي مصنفه عن عروة ابن أبي شيبة (٨/٤٩٩)، والاستيعاب (٤/١٥٠٨)، الإصابة (٨/٢٤٨).

وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم.

استخبار ما حل بالمشركين:

قال فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، وما فرق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم، لينظر ما فعل القوم ليلا [(١)].

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان، يا أبا عبد الله أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم، يا بن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا بجهد قال: فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا. قال: فقال حذيفة: يا بن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله ﷺ هويا من الليل، ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع – يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة – أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟ فما قام رجل من القوم، من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد، فلما لم يقم أحد، دعاني رسول الله ﷺ، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال يا حذيفة اذهب فادخل مع القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا. قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناء فقام أبو سفيان، فقال: يا معشر قريش: لينظر امرؤ من جليسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان.

أبو سفيان ينادي بالرحيل:

ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من

---

(١) تقدم تخريجه.

شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي «أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني»، ثم شئت لقتلته بسهم.

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط، لبعض نسائه، مراجل.

فلما رآني أدخلني إلى رجليه، ويطرح علي طرف المرط، ثم رجع وسجد وإني لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم (١).

انصراف الرسول عن الخندق:

قال ابن إسحاق: ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح.

غزوة بني قريظة في سنة خمس

أمر الله رسوله ﷺ بحرب بني قريظة:

فلما كانت الظهر، أتى جبريل رسول الله ﷺ كما حدثني الزهري، معتجرا بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها رحالة، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، فقال جبريل فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله ﷻ يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم.

---

(١) حديث صحيح، وإسناده منقطع، أخرجه أحمد (٣٩٢/٥)، والطبري (٥٧٩/٢، ٥٨٠) في تاريخه، وفي تفسيره (٨٠/٢١)، وفي البداية عن ابن كثير (١١٤/٤)، وأخرجه مسلم (١٧٨٨)، والحاكم (٣١/٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣٥٤/١)، والبيهقي في الدلائل (٤٤٩/٣، ٤٥٠).

إعلام الرسول ﷺ المسلمين بالقتال:

فأمر رسول الله ﷺ مؤذنًا، فأذن في الناس، من كان سامعًا مطيعًا، فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة [1].

علي يبلغ الرسول ما سمعه من بني قريظة:

قال ابن إسحاق: وقدم رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة، وابتدرها الناس، فسار علي بن أبي طالب، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: لم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا. فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم. قال: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولا.

جبريل في صورة دحية الكلبي:

ومر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: هل مر بكم أحد؟ قالوا: يا رسول الله قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة، عليها قطيفة ديباج، فقال رسول الله ﷺ: ذلك جبريل، بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم.

ولما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم، يقال لها بئر أنا.

---

(١) حديث صحيح وإسناده مرسل أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/٥٨ - ٥٩) وفي تفسيره (٢١/٩٦ - ٩٧) عن ابن إسحاق وفي البداية (٤/١١٦) وابن حجر في الفتح (٧/٤٠٨) عن ابن إسحاق، أخرجه البخاري (٤١١٧) ومسلم (١٧٦٩) وابن سعد (٣/٤٢١ - ٤٢٢) وأحمد (٦/٥٦، ١٤٢) وابن أبي شيبة (٨/٤٩٥) والبغوي (٣٧٩٧) والبيهقي (٤/٥ - ٧) وأخرجه الطبراني (١٩/٧٩-٨٠) والهيثمي في المجمع (٦/١٤٠).

قال ابن إسحاق: وتلاحق به الناس، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ: لا يصلين أحد العصر إلا ببني قريظة، فشغلهم ما لم يكن منه بد في حربهم، وأبوا أن يصلوا لقول رسول الله: «حتى تأتوا بني قريظة» فصلوا العصر بها، بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك في كتابه، ولا عنفهم به رسول الله ﷺ.

حدثني بهذا الحديث أبي إسحاق بن يسار عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري(١).

الرسول ﷺ يبدأ الحصار:

قال: وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسًا وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب.

وقد كان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاءًا لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه.

كعب بن أسد ينصح قومه:

فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاث فخذوا أيها شئتم قالوا: وما هي؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وإنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم، قالوا لا نفارق حكم التوراة أبدًا ولا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم علي هذه، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً، حتى يحكم الله

---

(١) حديث صحيح وإسناده مرسل، وأخرجه الطبري في تاريخه (٥٨٢/٢) عن ابن إسحاق وأخرجه البخاري (٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠) وابن سعد (٧٦/٢) والبغوي (٣٧٩٨) في شرح السنة، وابن حبان (١٢/٣)، (١٠٨/٧) والبيهقي (١١٩/١٠) وفي دلائل النبوة (٦/٤، ٧).

بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك، ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وأن نظهر فلعمري لنجد النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين؟ فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم علي هذه فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نفسد سبتنا علينا، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابهم ما لم يخف عليك من المسخ قال: ما بات منكم أحد منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازمًا [١].

قصة أبي لبابة:

قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حلفاء الأوس، لنستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم، وقالوا له: يا أبا لبابة! أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبح. قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله ﷺ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله على ما صنعت، وعاهد الله: أن لا أطأ بني قريظة أبدا، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا [٢].

قال ابن هشام: وأنزل الله تعالى في أبي لبابة، فيما قال سفيان بن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي قتادة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا

---

(١) إسناده مرسل، أخرجه ابن جرير (٢/٥٨٣، ٥٨٤) والبيهقي (٤/١٥، ١٦) وفي البداية والنهاية (٤/١٢٠) عن ابن إسحاق.

(٢) إسناده مرسل، وأخرجه الطبري (٢/٥٨٤) والبيهقي (٤/١٦) وفي الدرر (ص٢٠٣)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤/١١٩) وابن الأثير (٦/٢٦٦) والاستيعاب (٤/ ١٧٤١) والدر المنثور (٣/٢٧٣).

تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [(١)].

قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وكان استبطأه، قال: أما إنه لو جاءني لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه[(٢)].

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط: أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السَحَر، وهو في بيت أم سلمة، فقالت أم سلمة: فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك. قالت: فقلت: مم تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله سنك؟ قال: تيب على أبي لبابة، قالت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلى، إن شئت. قال: فقامت على باب حجرها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك قال: فثار الناس إليه ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده، فلما مر عليه رسول الله ﷺ خارجًا إلى صلاة الصبح أطلقه[(٣)].

إسلام بعض بني هدل:

قال ابن إسحاق: ثم إن ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد وهم نفر من بني هدل، ليسوا من بني قريظة، ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ[(٤)].

---

(١) إسناده مرسل، وأخرجه ابن جرير (١٤٦/٩)، وأخرجه سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (١٧٨/٣)، وفي البداية والنهاية عن ابن كثير (١٢٠/٦).

(٢) إسناده مرسل، وأخرجه الطبري (٩٦/٢١ – ٩٧) في تفسيره.

(٣) إسناده مرسل، أخرجه الطبري في تاريخه (٥٨٥/٢) والبيهقي (١٧/٤)، وفي البداية والنهاية لابن كثير (١٢٠/٤).

(٤) إسناده مرسل، أخرجه الطبري (٥٨٥/٢، ٥٨٦) والبيهقي (٣١/٤ – ٣٢) عن ابن إسحاق، انظر: الدرر (ص٣٠٤، ٣٠٥) والبداية (١٢١/٤) وأسد الغابة (٢٨٨/١)، (١١٢/٥).

قصة عمرو بن سعدي:

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدي القرظي، فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة، فلما رآه قال: من هذا؟ قال: أنا عمرو بن سعدي وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ وقال: لا أغدر بمحمد أبدًا فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام ثم خلي سبيله، فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه، فقال: ذاك رجل نجاه الله بوفائه. وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة، حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأصبحت رمته ملقاة، ولا يدري أين ذهب فقال رسول الله فيه تلك المقالة والله أعلم أي ذلك كان.

تحكيم سعد في أمر بني قريظة:

قال فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت -وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة قد حاصر بن قينقاع. وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبد الله بن أبي ابن سلول، فوهبهم له- فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال رسول الله ﷺ :فذاك إلى سعد بن معاذ، وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد ابن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم. يقال لها رفيدة، في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب. فلما حكم رسول الله ﷺ في بني قريظة، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم، وكان رجلا جسيما جميلا، ثم أقبلوا معه إلى رسول

الله ﷺ، وهم يقولون: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: لقد أنى لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى لهم رجال بني قريظة، قبل أن يصل إليهم سعد، عن كلمته التي سمع منه[1]. فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى سيدكم**» -فأما المهاجرون من قريش، فيقولون: إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار، وأما الأنصار، فيقولون: قد عم بها رسول الله ﷺ فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد بن معاذ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم: وعلى من ها هنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ «**نعم**»، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء [2].

ثناء الرسول ﷺ على حكم سعد بن معاذ:

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثي، قال: قال رسول الله ﷺ لسعد: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة**»[3].

---

(١) إسناده مرسل، وأخرجه الطبري (٩٧/٢١) في تفسيره (٥٨٦/٢، ٥٨٧) في تاريخه، وفي الدرر (ص٢٠٥)، وابن كثير في البداية (١٢١/٤) وفي الفتح (٤١٢/٧) كلهم عن ابن إسحاق.

(٢) حديث صحيح، أخرجه البخاري (٨١/٤)، (٤٤/٥) ومسلم (١٧٦٨)، وأحمد (٣/ ٢٢، ٧١)، وأبو داود (٥٢١٥، ٥٢١٦)، والترمذي (٨٥٦)، وابن أبي شيبة (١٤/ ٤٢٥) في مصنفه، وابن سعد (٤٢٣/٣)، وابن حبان (٨٥/٩)، والبغوي (٢٧/٨) في شرح السنة، والبيهقي (١٨/٤)، والطبراني (٥٣٢٣)، وسعيد بن منصور في سننه (٢٩٦٤) والطبري (٥٨٧/٢) في تاريخه.

(٣) أخرجه الطبري (٥٨٨/٢) وفي تفسيره (٩٧/٢١)، وابن كثير في البداية والنهاية (٤/ =

قتل بني قريظة:

قال ابن إسحاق: ثم استنزلوا، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث، امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم إليه أرسالاً، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب، ما تراه يصنع بنا؟ قال أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا يترع، وإنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ [(١)].

مقتل حيي بن أخطب:

وأتي بحيي بن أخطب عدو الله، وعليه حلة له فقاحية. قد شققها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة. قالت: والله إنها لعندي تحدث معي، وتضحك ظهرًا وبطنا، ورسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله.

=

١٠٨، ١٢٢) عن ابن إسحاق مرسلاً، وابن سعد (٣/٤٢٦)، والحاكم (٢/١٢٤)، والبيهقي (٩/٦٣) والطحاوي (٣/٢١٦) في معاني الآثار وهو حديث صحيح.

(١) إسناده مرسل، وأخرجه الطبري (٢/٥٨٨، ٥٨٩) والبيهقي (٤/٢٢، ٢٣) في الدلائل، وابن كثير في البداية (٤/١٢٤، ١٢٥) كلهم عن ابن إسحاق مرسلاً.

قالت: قلت لها: ويلك، مالك؟ قالت: أقتل، قلت: و لم؟ قالت: لحدث أحدثته، قالت: فانطلق بها، فضرب عنقها، فكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجابا منها، طيب نفسها، وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل [1].

قصة الزبير بن باطا:

قال ابن إسحاق: وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس، كما ذكر لي ابن شهاب الزهري، أتى الزبير بن باطا القرظي، وكان يكنى أبو عبد الرحمن - وكان الزبير قد مَنّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية، ذكر لي بعض ولد الزبير أنه كان مَنّ عليه يوم بعاث، أخذه فجز ناصيته، ثم خلى سبيله- فجاءه ثابت وهو شيخ كبير، فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك، قال: إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي، قال: إن الكريم يجزي الكريم، ثم جاء ثابت بن قيس رسول الله ﷺ.

فقال يا رسول الله إنه قد كانت للزبير علي منة. وقد أحببت أن أجزيه بها. فهب لي دمه، فقال رسول الله ﷺ: هو لك، فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك، فهو لك، قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ قال: فأتى ثابت رسول الله، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هب لي امرأته وولده، قال: هم لك. قال: فأتاه فقال: قد وهب لي رسول الله ﷺ أهلك وولدك، فهم لك، قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ماله، قال: هو لك، فأتاه ثابت فقال: قد أعطاني رسول الله ﷺ مالك، فهو لك، قال يا ثابت، ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحي، كعب بن أسد؟ قال: قتل، قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟ قال: قتل، قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا، وحاميتنا إذا فررنا عزال بن سموأل؟ قال: قتل، قال: فما

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه الطبري (٢/٥٨٩)، وأخرجه الحاكم (٣/٣٥، ٣٦) وصححه على شرط مسلم والطبري (٢١/٩٨) في تفسيره.

فعل المجلسان؟ يعني بن كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة، قال: ذهبوا قتلوا قال: فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير فيما أنا بصاير لله فتلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة فقدمه ثابت، فضرب عنقه.

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله: ألقى الأحبة. قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدًا فيها مخلدًا [1].

قصة عطية ورفاعة بن سموأل القرظيين:

قال ابن إسحاق: وحدثني شعبة بن الحجاج، عن عبد الملك بن عمير، عن عطية القرظي، قال: كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من أنبت منهم وكنت غلامًا. فوجدني لم أنبت. فخلوا سبيلي [2].

قال ابن إسحاق: وحدثني أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة أخو بني عدي بن النجار: أن سلمى بنت قيس، أم المنذر، أخت سليط ابن قيس -وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ ، قد صلت معه القبلتين وبايعته بيعة النساء- سألته رفاعة بن سموأل القرظي، وكان رجلا قد بلغ: فلاذ بها وكان يعرفهم قبل ذلك، فقالت يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، هب لي رفاعة فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل، قال: فوهبه لها، فاستحيته[3].

---

(١) أخرجه الطبري (٢/٥٨٩، ٥٩٠) والبيهقي في الدلائل (٤/٢٣، ٢٥) وابن كثير في البداية (٤/١٢٥) عن إبن إسحاق مرسلاً، وأخرجه البيهقي أيضًا في البيهقي (٤/ ٢٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٦/١٤١ – ١٤٢).

(٢) إسناده صحيح، وأخرجه عبد الرزاق (١٨٧٤٢، ١٨٧٤٣) في مصنفه وأحمد (٤/ ٣١٠)، وأبو داود (٤٣٨١) والترمذي (١٦٣٤) والنسائي (٦/١٥٥) وابن ماجه (٢٥٤١)، والحاكم (٢/١٢٣)، وأقره الذهبي، وأعاده (٣/٣٥) والبيهقي (٤/٢٥)، والطبراني (١٧/١٦٣ – ١٦٥) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/٤٦)، وانظر: الدرر (ص/٢٠٦) والبداية (٤/١٢٥).

(٣) إسناده مرسل، أخرجه الطبري (٢/٥٩١) في تاريخه، وانظر: الدرر (ص٢٠٦ – =

تقسيم الفيء:

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ قسم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين. وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال وأخرج منها الخمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفرس سهمان ولفارسه سهم، وللراجل من ليس له فرس، سهم. وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرسا، وكان أول فيء وقعت فيه السهمان، وأخرج منها الخمس، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم، ومضت السنة في المغازي[1].

ثم بعث رسول الله ﷺ مع سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل سبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا.

إسلام ريحانة:

قال: وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خناقة، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها، ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله، بل تتركني في ملكك، فهو أخف علي وعليك، فتركها. وقد كانت حين سباها قد تعصت بالإسلام، وأبت إلا اليهودية، فعزلها رسول الله ﷺ، ووجد في نفسه لذلك من أمرها، فبينما هو مع أصحابه، إذ سمع وقع نعلين خلفه، فقال: إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة، فجاءه فقال يا رسول الله، قد أسلمت ريحانة، فسره ذلك من أمرها [2].

=

٢٠٧) والبداية (١٢٦/٤) كلهم عن ابن إسحاق.

(١) إسناده مرسل، انظر: تاريخ الطبري (٥٩١/٢، ٥٩٢)، البيهقي في الدلائل (٢٤/٤)، والدرر (ص٢٠٧)، والبداية (١٢٦/٤) كلهم عن إبن إسحاق.

(٢) إسناده مرسل، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٥٩٢/٢)، والبيهقي في «الدلائل» (٤ =

ما نزل من القرآن في الخندق وبني قريظة:

قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى في أمر الخندق، وأمر بني قريظة من القرآن، القصة في الأحزاب، يذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عليهم، وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم، بعد مقالة من قال من أهل النفاق: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[١]. والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم من الريح الملائكة، يقول الله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾[٢] فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[٣] لقول: معتب بن قشير إذ يقول ما قال: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[٤] لقول أوس بن قيظي ومن كان على رأيه من قومه: ﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ﴾ أي المدينة[٥].

=

/٢٤، ٢٥)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (١٢١/٧)، وابن سعد (١٣١/٨)، وانظر: البداية (١٢٦/٤) عن ابن إسحاق.

(١) سورة الأحزاب آية (٩).

(٢) سورة الأحزاب: آية (١٠).

(٣)سورة الأحزاب: آية (١٢،١١).

(٤) سورة الأحزاب: آية (١٣).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٨١/٢١، ٨٣، ٨٤، ٨٦)، والبداية (١٢٦/٤) عن ابن إسحاق.

﴿ ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلْفِتْنَةَ ﴾ أي: الرجوع إلى الشرك: ﴿ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾(١) فهم بنو حارثة، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين همتا بالفشل يوم أحد، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدا، فذكر لهم الله الذي أعطوا من أنفسهم، ثم قال تعالى ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾(٢) أي: أهل النفاق: ﴿ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٣) أي: إلا دفعا وتعذيرًا: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾ ، أي: للضغن الذي في أنفسهم. ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ أي إعظامًا له وفرقًا منه. ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾(٤) أي في القول بما لا تحبون، أنهم لا يرجون آخرة، ولا تحملهم حسبة، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده(٥).

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْ ﴾ قريش وغطفان: ﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٦) .

ثم أقبل على المؤمنين فقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

---

(١) سورة الأحزاب: آية (١٤، ١٥).
(٢) سورة الأحزاب: (١٦ - ١٨).
(٣) سورة الأحزاب: (١٨).
(٤) سورة الأحزاب: (١١ - ١٩).
(٥) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٨٧ - ٩٠) عن ابن إسحاق.
(٦) سورة الأحزاب: آية (٢٠).

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ (١) أي: لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكان هو به.

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به، فقال: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٢) أي: صبرا على البلاء وتسليما للقضاء، وتصديقا للحق، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله ﷺ ثم قال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ أي: فرغ من عمله، ورجع إلى ربه، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد (٣).

قال ابن إسحاق: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ أي: ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه. يقول الله: ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ (٤) أي: ما شكوا وما ترددوا في دينهم، وما استبدلوا به غيره ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ (٥) أي قريشًا وغطفان: ﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (٦) أي بني قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾، والصياصي: الحصون والآطام التي كانوا فيها (٧).

---

(١) سورة الأحزاب: آية (٢١).

(٢) سورة الأحزاب: آية (٢٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/٩١، ٩٢) عن ابن إسحاق.

(٤) سورة الأحزاب: آية ٢٣.

(٥) سورة الأحزاب: آية (٢٤ – ٢٥).

(٦) سورة الأحزاب: آية (٢٥ – ٢٦).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٢١/٩٤، ٩٨) عن ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ (١) أي: قتل الرجال، وسبي الذراري والنساء، ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴾: يعني خيبر، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ (٢).

إكرام سعد في موته:

قال ابن إسحاق: فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه، فمات منه شهيدًا (٣).

قال ابن إسحاق: حدثني معاذ بن رفاعة الزرقي، قال: حدثني من شئت من رجال قومي أن جبريل أتى رسول الله ﷺ حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجرًا بعمامة من إستبرق، فقال: يا محمد، من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء، واهتز له العرش. قال: فقام رسول الله ﷺ سريعًا يجر ثوبه إلى سعد، فوجده قد مات(٤).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: أقبلت عائشة قافلة من مكة، ومعها أسيد بن حضير، فلقيه موت امرأة له، فحزن عليها بعض الحزن، فقالت له عائشة: يغفر الله لك يا أبا يحيى،

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٢٦.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٢٧. انظر: تفسير الطبري (٩٩/٢١) عن ابن إسحاق.

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٥٩٣/٢)، والدرر (ص٢٠٧) والبداية (١٢٧/٤).

(٤) حديث صحيح، أخرجه البيهقي (٢٩/٤) وابن الأثير في أسد الغابة (٣٧٤/٣) وفي البداية (١٢٧/٤)، وأخرجه أحمد (٣٦٠/٣، ٣٧٧)، والحاكم (٢٠٦/٣) والبيهقي في الدلائل (٢٩/٤)، وأخرجه أحمد والبخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (١٤٦٦) وابن سعد (٤٣٤/٤)، والترمذي (٣٨٤٧)، وابن ماجه (١٥٨) والبغوي (١٨٠/١٤) وابن الأثير في أسد الغابة (٣٧٦/٤)، وأخرجه ابن سعد (٤٣٠/٣، ٤٣٣) والنسائي (٢٠٠/٤)، وأخرجه البيهقي (٢٨/٤).

أتحزن على امرأة وقد أُصبت بابن عمك، وقد اهتز له العرش[١].

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري، قال: كان سعد رجلاً بادنًا، فلما حمله الناس وجدوا له خفة، فقال رجال من المنافقين والله إن كان لبادنا وما حملنا من جنازة أخف منه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: إن له حملة غيركم والذي نفسي بيده، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش[٢].

قال ابن إسحاق: وحدثني معاذ بن رفاعة، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح. عن جابر بن عبد الله، قال: لما دفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ سبح رسول الله ﷺ فسبح الناس معه، ثم كبر فكبر الناس معه، فقالوا: يا رسول الله، مم سبحت؟ قال: لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه [٣].

قال ابن إسحاق: ولسعد يقول رجل من الأنصار:

ومـــا اهتز عرش الله من موت هالك ... سمعـــنا بـــه إلا لسعد أبي عمرو

وقالت أم سعد، حين احتمل نعشه وهي تبكيه:

ويـــل أم سعد سعـــدا ... صرامة وجـــــــدا

وســـوددا ومجـــــدا ... وفارســـا معـــــدا

ســـد بـــه مســـدا ... يقد هاما قـــــدا[٤]

---

(١) إسناده صحيح، وأخرجه أحمد (٤/٣٥٢)، وابن سعد (٣/٣٣٤) والحاكم (٣/٢٠٧)، وأورده الذهبي في السير (١/٢٨٥).

(٢) حديث صحيح، وإسناده ضعيف، وأورده الذهبي في السير (١/٢٨٤) نقلاً عن ابن إسحاق وأخرجه ابن سعد (٣/٤٣٠) وعبد الرزاق (٤/٢٠٤) والترمذي (٣٨٤٨)، والحاكم (٣/٢٠٧) ، وأخرجه الطبراني (٥٣٤٥)، وابن الأثير في (أسد الغابة) (٤/ ٣٧٦)، والبغوي (١٤/١٨٢) في شرح السنة مرسلاً.

(٣) حديث صحيح، وإسناده ضعيف، وأخرجه أحمد (٣/٣٢٧، ٣٦٠، ٣٧٧) والبيهقي (٤/٢٩، ٣٠) (١٤٠٧)، وابن سعد (٣/٤٣٠، ٤٣٣) والنسائي (٤/١٠٠) والحاكم (٣/١٦٠) والبيهقي (٤/٢٨) وابن أبي شيبة (٨/٤٨٩).

(٤) انظر: السير (١/٢٩٤) والبداية (٤/١٣٠).

يقول ﷺ: **«كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ»**[1].

الشهداء يوم الخندق

قال ابن إسحاق: ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر.

من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو، وعبد الله بن سهل، ثلاثة نفر.

ومن بني جشم بن الخزرج، ثم من بني سلمة: الطفيل بن النعمان، وثعلبة ابن غنيمة، رجلان.

ومن بني النجار، ثم من بني دينار: كعب بن زيد، أصابه سهم غرب، فقتله.

قتلى المشركين:

وقتل من المشركين ثلاثة نفر:

من بني عبد الدار بن قصي: منبة بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار، أصابه سهم، فمات منه بمكة [2].

قال ابن إسحاق: ومن بني مخزوم بن يقظة: نوفل بن عبد الله بن المغيرة، سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جسده، وكان اقتحم الخندق، فتورط فيه فقتل، فغلب المسلمون على جسده فقال رسول الله ﷺ: لا حاجة لنا في جسده ولا بثمنه، فخلى بينهم وبينه[3].

قال ابن إسحاق: ومن بني عامر بن لؤي، ثم من بني مالك بن حسل: عمرو بن عبد ود قتله علي بن أبي طالب رضوان الله عليه.

---

(١) حديث صحيح. أخرجه ابن سعد (٣/٤٢٧، ٤٢٨) أخرجه الطبراني (٥٣٢٩) في الكبير، وفي البداية (٤/١٣٠). وفي المجمع (٣/١٥)، وأخرجه ابن أبي شيبة (٨/٤٩٦) في مصنفه.

(٢) انظر: الدرر (ص/٢٠٨) تاريخ الطبري (٢/٥٩٣)، والبداية (٤/١٢٦).

(٣) إسناده مرسل والحديث ضعيف، وأخرجه الطبري (٢/٥٧٤) في تاريخه وأخرجه أحمد (١/٢٤٨) والترمذي (١٧٦٨) والبيهقي (٣/٤٤٠) وانظر: البداية (٤/١٠٧).

الشهداء يوم بني قريظة

قال ابن إسحاق: واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين ثم من بني الحارث بن الخزرج، خلاد بن سويد ثعلبة بن عمرو، طرحت عليه رحى، فشدخته شدخًا شديدًا، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: إن له لأجر شهيدين.

ومات أبو سنان بن محصن بن حرثان، أخو بني أسد بن خزيمة، ورسول الله ﷺ محاصر بني قريظة، فدفن في مقبرة بني قريظة التي يدفنون فيها اليوم وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام [(١)].

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق، قال رسول الله ﷺ فيما بلغني: لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزونهم فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو الذي يغزوها "حتى فتح الله عليه مكة"[(٢)].

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

شعر كعب بن مالك:

مـــن ســـره ضرب يمعمع بعضه ... بعضـــا كمعمعـــة الأباء المحرق

فلـــتأت مأســـدة تسن سيوفها ... بـــين المذاد وبين جزع الخندق

دربـــوا بضرب المعلمين وأسلموا ... مهجات أنفسهم لرب المشرق

في عصـــبة نصـــر الإله نبـــيه ... بهـــم وكـــان بعبده ذا مرفق

في كـــل سابغة تخط فضولهـــا ... كالنهي هبت ريحه المترقرق[(٣)]

بيضـــاء محكمة كأن قتيرهـــا ... حلق الجاذب ذات شـــك موثق[(٤)]

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) حديث صحيح، وأخرجه البخاري (٤١٠٩)، (٤١١٠) وأحمد (٢٦٢/٤) والطبراني (٦٤٨٤) (٦٤٨٥) وأبو نعيم (٣٥/٤)، (١٣٣/٧) والبيهقي (٤٥٧/٣، ٤٥٨).

(٣) المترقرق: الذي تصفقه الريح فيجئ ويذهب ويهتز.

(٤) قتيرها: مسامير حلق الدروع.

جـــدلاء يحفـــزها نجـــاد مهند ... صافي الحديدة صارم ذي رونق
تلكـــم مع التقوى تكون لباسنا ... يوم الهياج وكل ساعة مصدق
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا ... قدمـــا ونـــلحقها إذا لم نلحق
فـــترى الجماجم ضاحيا هاماتها ... بلـــه الأكـــف كأنها لم تخلق
نلقـــى العـــدو بفخمة ململومة ... تنفي الجموع كفصد رأس المشرق
ونعـــد للأعـــداء كـــل مقلـــص ... ورد ومحجـــول القوائـــم أبلق
تـــردى بفرســـان كأن كماتهم ... عـــند الهـــياج أسود طل ملثق
صـــدق يعاطون الكماة حتوفهم ... تحـــت العماية بالوشيج المزهق

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق أيضًا:

لقـــد علم الأحزاب حين تألبوا ... عليـــنا ورامـــوا ديننا ما نوادع
أضـــاميم مـــن قيس بن عيلان ... وخـــندق لم يـــدروا بما هو واقع
يزودونـــنا عـــن ديننا ونزودهم ... عـــن الكفر والرحمن راء وسامع
إذا غايظونـــا في مقـــام أعانـــنا ... عـــلى غيظهم نصر من الله واسع
وذلـــك حفـــظ الله فينا وفضله ... عليـــنا ومـــن لم يحفظ الله ضائع
هدانـــا لديـــن الحق واختاره لنا ... ولله فـــوق الصانعين صنـــائع

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق أيضًا:

ألا أبلـــغ قريشـــا أن سلـــما ... وما بين العريض إلى الصمـــاد
نواضـــح في الحـــروب مدربـــات ... وخوض ثقبت من عهد عـــاد
رواكـــد يزخـــر المرّار فيهـــا ... فليســـت بالجمام ولا الثمـــاد[1]
كأن الغاب والبردي فيـــها ... أجـــش إذا تبقع للحصـــاد
ولم نجعل تجارتنا اشتراء الـــ ... حمـــير لأرض دوس أو مـــراد

(١) المرار: الذي يمر من خلالها الماء يزخر: يكثر ماؤها ويرتفع، الجمام: وهي التي تراجع ماؤها و لم يمر. الثماد: قليلة الماء.

بلاد لم تثر إلا لكيما نجالد إن نشطتم للجلاد
أثرنا سكة الأنباط فيها فلم تر مثلها جلهات واد[1]
قصرنا كل ذي حضر وطول على الغايات مقتدر جواد[2]
أجيبونا إلى ما نجتديكم من القول المبين والسداد
وإلا فاصبروا لجلاد يوم لكم منا إلى شطر المذاذ
نصبحكم بكل أخي حروب وكل مطهم سلس القيادة
وكل طمرة خفق حشاها تدف دفيف صفراء الجراد
وكل مقلص الآراب نهد تميم الخلق من أخر وهادى
خيول لا تضاع إذا أضيعت خيول الناس في السنة الجماد
ينازعن الأعنة مصغيات إذا نادى إلى الفزع المنادى
إذا قالت لنا النذر استعدوا توكلنا على رب العباد
وقلنا لن يفرج ما لقينا سوى ضرب القوانس والجهاد
فلم تر عصبة فيمن لقينا من الأقوام من قار وبادى
أشد بسالة منا إذا ما أردناه وألين في الوداد
إذا ما نحن أشرجنا عليها جياد الجدل في الأرب الشداد
قذفنا في السوابغ كل صقر كريم غير معتلث الزناد
أشم كأنه أسد عبوس غداة بدا ببطن الجزع غادى
يغشى هامة البطل المذكى صبى السيف مسترخى النجاد
لنظهر دينك اللهم إنا بكفك فاهدنا سبل الرشاد

---

(١) سكة: الطريق المستوي. الأنباط: قوم من العجم.

(٢) الحضر: العدو ومقصود هنا الخيل السريعة في عدوها، الغايات: وهي المكان الذي ينتهي إليه الفرس من جريه وعدوه.

رثاء مسافع عمرو بن عبد ود:

قال ابن إسحاق: وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح، يبكي عمرو بن عبد ود، ويذكر قتل علي بن أبي طالب إياه:

عمـــرو بن عبد كان أول فارس ... جـــزع المذاد وكان فارس يليل
سمـــح الخلائـــق مـــاجد ذو مرة ... يـــبغي القتال بشكة لم ينكـــل
ولقد علمتم حين ولوا عنكـــــم ... أن ابن عبد فيهم لم يعجـــــل
حـــتى تكنفه الكماة، وكلهـــم ... يـــبغي مقاتله وليس بمؤتلـــي
ولقـــد تكنفت الأسنة فارســـًا ... بجنوب سلع، غير نكس أميـــل
تسل النزال على فارس غالـــب ... بجـــنوب سلع، ليته لم يـــنزل
فاذهـــب على فما ظفرت بمثله ... فخرًا، ولا لاقيت مثل المعضل
نفسي الفداء لفارس من غالـــب ... لاقى حمام الموت لم يتحلحـــل
أعـــنى الـــذي جزع المذاد بمهره ... طلـــبًا لثأر معاشـــــر لم يخذل

هبيرة يرثى عمرو بن عبد ود:

قال ابن إسحاق: وقال هبيرة بن أبي وهب يعتذر عن فراره، ويبكي عمرًا ويذكر قتل على إياه:

لعمـــرى ما وليت ظهري محمدًا ... وأصـــحابه جبـــنا ولا خيفة القتل
ولكـــنني قلبـــت أمري فلم أجد ... لســـيفي غناء إن ضربت ولا نبلى
وقفـــت فـــلما أجـــد لي مقدمًا ... صـــدرت كضرغام هزبر أبي شبل
ثـــنى عطفه عن قرنه حين لم يجد ... مكـــرًا وقدمًا كان ذلك من فعلى
فـــلا تبعدن يا عمرو حيًا وهالكًا ... وحق لحسن المدح مثلك من مثلي
ولا تـــبعدن يا عمرو حيًا وهالكًا ... فقد بنت محمود الثنا ماجد الأصلي
فمن لطرا الخيل تقدع بالقنـــــ ... وللفخـــر يومًا عند قرقرة البزل(١)

---

(١) تقدع: تمنع وتكف وترد على أعقابها. القرقرة: صوت من أصوات فحول الإبل.

هـــنالك لو كان ابن عبد لزارها وفـــرجها حقـــا فتى غير ما وغل
فعـــنك علي لا أرى مثل موقف وقفـــت على نجد المقدم كالفحل
فمـــا ظفـــرت كفاك فخرًا بمثله أمنت به ما عشت من زلة النعل

فخر حسان بن ثابت بقتل عمرو:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضًا في شأن عمرو بن عبد ود:

أمسى الفتى عمرو بن عبد يبتغي بجـــنوب يـــثرب ثـــاره لم ينظر
فلقـــد وجدت سيوفنا مشهورة ولقـــد وجـــدت جيادنا لم تقصر
ولقـــد لقيـــت غداة بدر عصبة ضربوك ضربًا غير ضرب الحسر
أصـــبحت لا تدعى ليوم عظيمة يـــا عمـــرو أو لجسيم أمر منكر

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

ألا أبلـــغ أبـــا هدم رسولاً مغلغلـــة تخب بها المطـــى
أكنـــت وليكم في كل كره وغـــيري في الرخاء هو الولي
ومـــنكم شـــاهد ولقد رآني رفعت له كما احتمل الصبي

حسان يبكي سعد بن معاذ:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت في يوم بني قريظة يبكي سعد بن معاذ ويذكر حكمه فيهم:

لقـــد سجمت من دمع عيني عبرة وحـــق لعـــيني أن تفيض على سعد
قتـــيل ثوى في معرك فجعت بـــه عـــيون ذواري الدمـــع دائمة الوجد
عـــلى ملة الرحمن وارث جنـــة مـــع الشـــهداء، وفدها أكرم الوفد
فـــإن تـــك قـــد ودعتـــنا وتركتنا وأمســـيت في غـــبراء مظلمة اللحد
فأنـــت الـــذي يا سعد أبت بمشهد كـــريم وأثـــواب المكارم والحمـــد
بحكمـــك في حـــيي قـــريظة بالذي قضى الله فيهم ما قضيت علـــى عمد

فوافــق حكم الله حكمك فيهــم ولم تعــف إذ ذكرت ما كان من عهد
فــإن كــان ريب الدهر أمضاك في شــروا هذه الدنيا بجنالها الخلــد
فــنعم مصير الصادقين إذا دعــوا إلى الله يــوما للوجاهة والقصــد

مقتل سلام بن أبي الحقيق

قال ابن إسحاق: ولما انقضى شأن الخندق، وأمر بني قريظة، وكان سلام بن أبي الحقيق، وهو أبو رافع فيمن حزَّب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أحد قتلت كعب بن الأشرف، في عداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق، وهو بخيبر فأذن لهم [(١)].

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عبد الله بن كعب بن مالك قال: وكان مما صنع الله به لرسول الله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار: الأوس والخزرج، كان يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله ﷺ غناء إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام. قال: فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك [(٢)].

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ، قالت الخزرج: والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبدًا، قال: فتذكروا: من رجل لرسول

---

(١) انظر: الدلائل للبيهقي (٤/٣٣) والبداية (٤/١٣٧) عن ابن إسحاق.

(٢) حديث صحيح، وإسناده مرسل، أخرجه عبد الرزاق (٥٣٨٢) (٩٧٤٧) والبيهقي في الدلائل (٤/٣٣، ٣٤)، وابن سعد (٢/٩١) وأورده ابن عبد البر (ص/٢٠٩ – ٢١١)، وابن كثير في البداية (٤/١٣٧) وأخرجه البيهقي (٣/٢٥٦)، وأخرجه أبو يعلى (٤٣٥٠) والطبري في تاريخه (٢/ ٤٩٨،٤٩٧)، وأخرجه البخــاري (٤٠٣٨) (٤٠٣٩) (٤٠٤٠) والبيهقي (٤/٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨)، وانظــر: أسد الغابــة (٣/٣٠٧) والاستيعاب (٣/٩٤٦).

الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحقيق، وهو بخيبر فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله، فأذن لهم.

الذين قتلوا ابن أبي الحقيق:

فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر: عبد الله بن عتيك، ومسعود بن سنان وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، والحارث بن ربعي، وخزاعى ابن أسود، حليف لهم من أسلم. فخرجوا وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله ابن عتيك، ونهاهم عن أن يقتلوا وليدًا أو امرأة، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر، أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً، فلم يدعوا بيتا في الدار إلا أغلقوه على أهله، قال: وكان في علية له إليها عجلة قال: فأسندوا فيها، حتى قاموا على بابه فأستاذنوا عليه، فخرجت إليهم امرأته، فقالت: من أنتم؟ قالوا: ناس من العرب نلتمس الميرة. قالت: ذاكم صاحبكم، فادخلوا عليه، قال: فلما دخلنا عليه، أغلقنا علينا وعليها الحجرة، تخوفا أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه، قالت: فصاحت امرأته فنوهت بنا وابتدرناه، وهو على فراشه بأسيافنا، فوالله ما يدلنا عليهن في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية ملقاة. قال: ولما صاحت بنا امرأته، جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه، ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ فيكف يده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل. قال: فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه، وهو يقول: قطني قطني: أي حسبي حسبي، قال: وخرجنا، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيئ البصر قال: فوقع من الدرجة فوثئت يده وثئا شديدًا، وحملناه حتى نأتي به منهرًا من عيونهم، فندخل فيه. قال: فأوقدوا النيران، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا قال: حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضي بينهم. قال فقلنا: كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات؟ قال: فقال رجل منا: أنا أذهب فأنظر لكم فانطلق حتى دخل في الناس، قال: فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه، وتحدثهم وتقول أما والله فلقد سمعت صوت ابن عتيك، ثم أكذبت

نفسي وقلت: أنى ابن عتيك بهذه البلاد ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت، فاظ وإله يهود، فما سمعت من كلمة كانت ألذ إلى نفسي منها، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله، واختلفنا عنده في قتله، كلنا يدعيه. قال: فقال رسول الله ﷺ هاتوا أسيافكم، قال: فجئناه بها، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس، هذا قتله، أرى فيه أثر الطعان.

شعر حسان في قتل ابن الأشرف وابن أبي الحقيق:

قال ابن إسحاق: فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبي الحقيق:

لله در عصابة لاقيتهم ... يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف

يسرون بالبيض الخفاف إليكم ... مرحًا كأسد في عرين معرف[١]

حتى أتوكم في محل بلادكم ... فسقوكم حتفًا ببيض ذفف[٢]

مستبشرين لنصر دين نبيهم ... مستصغرين لكل أمر مجحف[٣]

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي، قال حدثني عمرو بن العاص من فيه، قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش، كانوا يرون رأيي، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكرًا، وإني قد رأيت أمرًا، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي

---

(١) معرف: الشجر الذي التفت أغصانه.

(٢) ذفف: سريعة القتل.

(٣) مجحف: الذي يذهب بالنفوس والأموال.

محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأي. قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له، وكان أحب ما يُهدى إليه من أرضنا الأدم، فجمعنا له أدمًا كثيرًا، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه.

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال فقلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، فقال: مرحبًا بصديقي، أهديت إلى من بلادك شيئًا؟ قال: قلت نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدما كثيرًا، قال: ثم قربته إليه، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له: أيها الملك، إني قد رأيت رجلا خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقا منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله! قال: قلت: أيها الملك، إنه كذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده، فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي.

اتفاق عمرو وخالد على الإسلام:

ثم خرجت عامدًا إلى رسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان. قال: والله لقد استقام المنسم وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم فحتى متى، قال: قلت

والله ما جئت إلا لأسلم قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ فتقدم خالد ابن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر، قال: فقال رسول الله ﷺ يا عمرو بايع، فإن الإسلام يجب ما كان قبله، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها، فبايعته، ثم انصرفت[1].

إسلام عثمان بن طلحة:

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم: أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، كان معهما، أسلم حين أسلما [2].

قال ابن إسحاق: فقال ابن الزبعري السهمي:

أنشد عثمان بن طلحة حلفنا ... وملقى نعال القوم عند المقبل

وما عقد الآباء من كل حلفه ... وما خالد من مثلها بمحلل

أمفتاح بيت غير بيتك تبتغي ... وما يبتغي من مجد بيت مؤثل

فلا تأمنن خالدًا بعد هذه ... وعثمان جاء بالدهيم المعضل

وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة، وولى تلك الحجة المشركون[3].

غزوة بني لحيان

خروج النبي ﷺ إلى بني لحيان:

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا

---

(١) خبر صحيح، وإسناده حسن، أخرجه أحمد (٤/١٩٨، ١٩٩) والبيهقي (٩/١٢٣) وفي الدلائل (٤/٣٢٦)، وأورده الذهبي في السير (٣/٥٩، ٦٠)، وابن كثير في البداية (٤/١٤١، ١٤٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/٣٥١)، وأخرجه أحمد (٤/ ٢٠٤)، وأخرجه مسلم (١٢١) وأخرجه البيهقي (٤/٣٤٣).

(٢) إسناده ضعيف، وفي البداية عن ابن كثير (٤/١٤٢) عن ابن إسحاق.

(٣) انظر: البداية والنهاية (٤/١٤٢) نقلاً عن إبن إسحاق.

وشهري ربيع، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: خبيب بن عدي وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام، ليصيب من القوم غرة.

قال ابن إسحاق: فسلك على غراب، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام، ثم على محيص، ثم على البتراء، ثم صفق ذات اليسار، فخرج على بين، ثم على صحيرات اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأغذ السير سريعًا، حتى نزل على غران، وهي منازل بني لحيان، وغران واد بين أمج وعسفان، إلى بلد يقال له: ساية، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رءوس الجبال، فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطأه من غرتهم ما أراد. قال: لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنَّا قد جئنا مكة، فخرج في مئتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم، ثم كر وراح رسول الله ﷺ قافلاً [١].

فكان جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجه راجعًا: آيبون تائبون إن شاء لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال.

والحديث في غزوة بني لحيان، عن عاصم بن عمرو بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن كعب بن مالك، **فقال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان:**

لــو أن بني لحيان كانوا تناظروا ... لقوا عصبا في دارهم ذات مصدق

لقــوا سرعانا يملأ السرب روعه ... أمــام طاحــون كالمجرة فيلق[٢]

ولكنهم كانوا وبارًا تتبعــــت ... شــعاب حجاز غير ذي متنفق[٣]

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/٢٩٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٣/٣٦٤).

(٢) سرعانا: مقدمة القوم والمراد بها أول الجيش. السرب: الطريق، طاحون: الكتيبة التي تطحن كل ما مرت به لكثرة عدوها.

(٣) الوبار: دواب في حجم الهرة، غبراء أو بيضاء، شديدة الحياء، متنفق: الباب الذي

غزوة ذي قرد

سبب الغزوة:

ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلم يقم بها إلا ليالي قلائل، حتى أغار عيينة ابن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، في خيل من غطفان على لقاح لرسول الله ﷺ بالغابة، وفيها رجل من بني غفار وامرأة له، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح[١].

ما حدث لابن الأكوع:

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك، كل قد حدث عن غزوة ذي قرد بعض الحديث: أنه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، غدا يريد الغابة متوشحًا قوسه ونبله، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم، فأشرف في ناحية سلع، ثم خرج يشتد في آثار القوم، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم، فجعل يردهم بالنبل، ويقول إذا رمى: خذها وأنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع، فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربًا، ثم عارضهم، فإذا أمكنه الرمي رمى ثم قال: خذها وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم الرضع، قال: فيقول قائلهم: أو يكعنا هو أول النهار[٢].

تسابق الفرسان:

قال وقد بلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع، فصرخ بالمدينة الفزع فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ.

وكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان المقداد بن عمرو،

=

يخرج منه.

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٤/١٨٦، ١٨٧).

(٢) رواه البيهقي في الدلائل (٤/١٨٦) عن ابن إسحاق. ورواه البخاري (٤١٩٤)، ومسلم (١٨٠٧)، وأحمد في المسند (٤/٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٢).

وهو الذي يقال له: المقداد بن الأسود، حليف بني زهرة ثم كان أول فارس وقف على رسول الله ﷺ بعد المقداد من الأنصار، عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء أحد بني الأشهل وسعد بن زيد أحد بني كعب بن عبد الأشهل وأسيد بن ظهير، أخو بني حارثة بن الحارث، يشك فيه، وعكاشة بن محصن أخو بني أسد بن خزيمة، ومحرز بن نضلة أخو بني أسد بن خزيمة، وأبو قتادة الحارث بن ربعى، أخو بني سلمة، وأبو عياش، وهو عبيد بن زيد بن الصامت أخو بني زريق، فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمر عليهم سعد بن زيد فيما بلغني، ثم قال: اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس.

نصيحة الرسول لأبي عياش:

وقد قال رسول الله ﷺ فيما بلغني عن رجال من بني زريق، لأبي عياش: يا أبا عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك فلحق بالقوم؟ قال أبو عياش: فقلت يا رسول الله، أنا أفرس الناس ثم ضربت الفرس، فوالله ما جرى لي خمسين ذراعًا حتى طرحني، فعجبت أن رسول الله ﷺ يقول: لو أعطيته أفرس منك، وأنا أقول أنا أفرس الناس، فزعم رجال من بني زريق أن رسول الله ﷺ أعطى فرس أبي عياش معاذ بن ماعص. أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة، وكان ثامنا، وبعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية، ويطرح أسيد بن ظهير، أخا بني حارثة والله أعلم أي ذلك كان. ولم يكن سلمة يومئذ فارسا، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجليه. فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا [1].

محرز بن نضلة ومقتله:

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة: أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة، أخو بني أسد بن خزيمة -وكان يقال لمحرز: الأخرم، ويقال له قمير، وأن الفزع لما كان. جال فرس لمحمود بن مسلمة في الحائط،

---

(١) رواه الطبري (٢/٦٠١، ٦٠٢)، والطبراني (٦٢٧٨).

حين سمع صاهلة الخيل، وكان فرسا صنيعا جاما، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل، حين رأين الفرس يجول في الحائط بجذع نخل هو مربوط فيه: يا قمير، هل لك في أن تركب هذا الفرس؟ فإنه كما ترى، ثم تلحق برسول الله ﷺ وبالمسلمين؟ قال: نعم، فأعطينه إياه.. فخرج عليه، فلم يلبث أن بذ الخيل بجمامه، حتى أدرك القوم، فوقف لهم بين أيديهم، ثم قال: قفوا يا معشر بني اللكيعة حتى يلحق بكم من ورائكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار. قال: وحمل عليه رجل منهم فقتله، وجال الفرس، فلم يقدر عليه حتى وقف على آرية من بني عبد الأشهل فلم يقتل من المسلمين غيره (١).

أفراس المسلمين:

قال ابن إسحاق: وكان اسم فرس محمود: ذا اللمة.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أن محرزًا إنما كان على فرس لعكاشة بن محصن، يقال له الجناح، فقتل محرز واستلب الجناح.

قتلى المشركين:

قال ابن إسحاق: فإذا حبيب مسجى ببرد أبي قتادة، فاسترجع الناس وقالوا قتل أبو قتادة، فقال رسول الله ﷺ ليس بأبي قتادة، ولكنه قتيل أبي قتادة وضع عليه برده، لتعرفوا أنه صاحبه (٢).

ما قيل من شعر يوم ذي قرد:

قال ابن إسحاق: وقال شداد بن عارض الجشمي، في يوم ذي قرد: لعيينة ابن حصن، وكان عيينة بن حصن يكنى بأبي مالك:

---

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢/٦٠٢)، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٤/١٥٠، ١٥١)، عن ابن إسحاق.

(٢) رواه الطبري (٢/٦٠١، ٦٠٢)، وإسناده مرسل، ضعيف.

فهــلا كررت أبا مالـــك وخيـــلك مدبرة تقتـــل
ذكرت الإياب إلى عسجـر وهــيهات قد بعد المقفـــل
وطمنت نفسك ذا ميعـــة مســح الفضاء إذا يرســل[1]
إذا قبضــته إليك الشـــما ل جاش كما اضطرم المرجل
فلما عرفتم عباد الإلـــــ ـــه لم ينظر الآخـــر الأول
عرفــتم فــوارس قد عودوا طراد الكماة إذا أسهلـــوا
إذا طردوا الخيل تشقى بهــم فضاحًا وإن يطردوا ينزلـــوا
فيعتصموا في سواء المقـــا م بالبيض أخلصها الصيــقل

غزوة بني المصطلق
في شعبان سنة ست

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا ثم غزا بني المصطلق من خزاعة، في شعبان سنة ست.

سببها: قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حبان، كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق، وقالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث، زوج رسول الله ﷺ . فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرج إليهم، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: المريسيع، من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق، وقتل من قتل منهم، ونقل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفاءهم عليه.

إصابة ابن صبابة خطأ: وقد أصيب رجل من المسلمين من كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر، يقال له: هشام بن صبابة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ.

---

(١) ذا ميعة: المراد فرسًا ذا نشاط وقوة.

الفتنة بين المهاجرين والأنصار: فبينا رسول الله ﷺ على ذلك الماء، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار، يقال له: جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني، حليف ابن عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين: فغضب عبد الله بن أبي ابن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم: زيد بن أرقم، غلام حدث، فقال: أو قد فعلوها، قد نافرونا وكثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله ﷺ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال: مر به عباد ابن بشر فليقتله، فقال له رسول الله ﷺ: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه! لا ولكن أذن بالرحيل، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، فارتحل الناس.

نفاق ابن أُبي: وقد مشى عبد الله بن أُبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، فحلف بالله: ما قال، ولا تكلمت به. وكان في قومه شريفا عظيما، فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه و لم يحفظ ما قال الرجل، حدبا على ابن أبي ابن سلول ودفعًا عنه[1].

---

(١) إسناده مرسل وأخرجه الطبري (٢/٦٠٤، ٦٠٥) والبيهقي في «الدلائل (٤/٤٦، ٥٢، ٥٣) وفي المجمع (٦/١٤٢) وفي البداية (٤/١٥٦) وأخرجه البخاري (٤٩٠٧) ومسلم (٢٥٨٤) وأحمد (٣/٣٩٣) وعبد الرزاق (١٨٠٤١) في مصنفه والبيهقي في

لقاء أسيد بن حضر برسول الله ﷺ:

قال ابن إسحاق: فلما استقل رسول الله ﷺ وسار، لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رحت في ساعة مبكرة، ما كنت تروح في مثلها، فقال له رسول الله ﷺ: أو ما بلغك ما قال صاحبكم، قال: وأي صاحب يا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أُبي، قال: وما قال؟ قال زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. قال: فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت، وهو الله الذليل وأنت العزيز ثم قال: يا رسول الله أرفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه يرى أنك قد أسلبته ملكًا ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما وإنما فعل رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أُبي[1].

ما فعله عبد الله بن عبد الله بن أُبي:

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة، أن عبد الله أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لابد فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر، بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله، فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا[2].

=

سننه الكبرى وفي الدلائل (٤/٥٣، ٥٤).

(١) إسناده مرسل، وتقدم تخريجه.

(٢) إسناده مرسل، وأخرجه الطبري (٢/٦٠٨) في تاريخه وفي تفسيره (٢٨/٧٦)، والبيهقي

=

مخادعة مقيس:

قال ابن إسحاق: وقدم مقيس بن صبابة من مكة مسلما، فيما يظهر فقال: يا رسول الله، جئتك مسلمًا، وجئتك أطلب دية أخي، قتل خطأ. فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن صبابة، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله، ثم خرج إلى مكة مرتدًا، فقال في شعر يقوله:

شفى النفس أن مات بالقاع تضرج ثوبيه دماء الأخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله تلم فتحميني وطاء المضاجع
حللت به وترى وأدركت ثؤرتي وكنت إلى الأوثان أول راجع
ثأرت به فهرًا وحملت عقله سراة بني النجار أرباب فارع[1]

وقال مقيس بن صبابة أيضا:

جللته ضربة بات لها وشل من نافع الجوف يعلوه وينصرم
فقلت والموت تغشاه أسرته لا تأمنن بني بكر إذا ظلموا[2]

قتلى بني المصطلق: قال ابن إسحاق: وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس، وقتل علي بن أبي طالب منهم رجلين، مالكا وابنه، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلا من فرسانهم، يقال له: أحمر، أو أحيمر.

جويرية بنت الحارث رضي الله عنها: وكان رسول ﷺ قد أصاب منهم سبيا كثيرًا، فشا قسمه في المسلمين، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، زوج رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير،

في الدلائل (٤/٦٢) وابن كثير في البداية والنهاية (٤/١٥٨) كلهم عن ابن إسحاق.

(١) انظر: تاريخ الطبري في «تاريخه» (٢/٦٠٩)، والبداية والنهاية (٤/١٥٦، ١٥٧) عن ابن إسحاق، وانظر: الدرر (ص٢١).

(٢) تقدم تخريجه.

عن عائشة، قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابها، قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ﷺ ما رأيت. فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء، ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي، قال: **فهل لك في خير من ذلك؟** قالت: وما هو يا رسول الله قال: **أقضي عنك كتابتك وأتزوجك**، قالت: نعم يا رسول الله، قال: قد فعلت.

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ وأرسلوا ما بأيديهم قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها[1].

وجوب التأكد من الأخبار:

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان: أن رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد إسلامهم: الوليد بن عقبة بن أبي معيط فلما سمعوا به ركبوا إليه، فلما سمع بهم هابهم فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أن القوم قد هموا بقتله، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم حتى هم رسول الله ﷺ بأن يغزوهم فبينا هم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله:

---

(١) إسناده صحيح، وأخرجه أحمد (٦/٢٧٦، ٢٧٧)، وابن سعد (٨/١١٦، ١١٧)، وأبو داود (٣٩١٢)، والحاكم (٤/٢٦، ٢٧) والطبري (٢/٦١٠) والبيهقي (٤/٥١)، والطبراني (٢٤/٦١)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/٥٦، ٥٧).

سمعنا برسولك حين بعثته إلينا: فخرجنا إليه لنكرمه، ونؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة، فانشمر راجعًا، فبلغنا أنه زعم لرسول الله ﷺ أنا خرجنا إليه لنقتله، والله ما جئنا لذلك، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ [١] إلى آخر الآية.

وقد أقبل رسول الله ﷺ من سفره ذلك، كما حدثني من لا أتهم عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها، حتى إذا كان قريبًا من المدينة، وكانت معه عائشة في سفره ذلك، قال فيها أهل الإفك ما قالوا [٢].

خبر الإفك في غزوة بني المصطلق

إقراع النبي ﷺ بين نسائه عند السفر:

قال ابن إسحاق: حدثنا الزهري عن علقمة بن وقاص، وعن سعيد بن جبير عن عروة بن الزبير، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: كل قد حدثني بعض هذا الحديث، وبعض القوم كان أوعى له من بعض، وقد جمعت لك الذي حدثني القوم.

قال محمد بن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة وعبد الله بن أبي بكر، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة، عن نفسها، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعا يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه، وكل كان عنها ثقة، فكلهم حدث عنها ما سمع، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه،

---

(١) سورة الحجرات أية (٦ – ٧).

(٢) إسناده مرسل، والحديث ضعيف، وأخرجه أحمد (٤/٢٧٩)، والطبراني في الكبير (٣٣٩٥)، وفي الدر المنثور (٦/٨٧).

فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه، كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهن معه، فخرج بي رسول الله ﷺ.

قالت: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق لم يهجهن اللحم فيثقلن، وكنت إذا رحل لي بعيري جلست في هودجي، ثم يأتي القوم الذين يرحلون لي ويحملونني، فيأخذون بأسفل الهودج، فيرفعونه، فيضعونه عن ظهر البعير، فيشدونه بحباله، ثم يأخذون برأس البعير، فينطلقون به. قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك، وجه قافلا، حتى إذا كان قريبا من المدينة فنزل منزلا، فبات به بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس، وخرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقد لي، فيه جزع ظفار، فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي، فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه، فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج، وهم يظنون أني فيه، ثم أخذوا برأس البعير، فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب. قد انطلق الناس.

صفوان يحمل عائشة على بعيره:

قالت: فتلففت بجلبابي، ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلي قالت: فوالله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس فرأى سوادي، فأقبل حتى وقف علي، وقد كان يراني. قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة رسول الله ﷺ.

وأنا متلففة في ثيابي: قال: ما خلفك يرحمك الله؟ قالت: فما كلمته، ثم قرب البعير، فقال: اركبي، واستأخر عني. قالت: فركبت، وأخذ برأس البعير. فانطلق سريعا، يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس، وما افتقدت حتى أصبحت، ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الإفك ما

قالوا، فارتعج العسكر، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك.

الرسول يهجر عائشة:

ثم قدمنا المدينة، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة، ولا يبلغني من ذلك شيء، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ، وإلى أبوي لا يذكرون لي منه قليلا ولا كثيرا، إلا أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي، كنت إذا اشتكيت رحمني، ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك: فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل علي وعندي أمي تمرضني قال: كيف تيكم، لا يزيد على ذلك[1].

عائشة تغادر بيت الرسول ﷺ إلى بيت أبيها:

قال ابن إسحاق: قالت: حتى وجدت في نفسي، فقلت: يا رسول الله، حين رأيت ما رأيت من جفائه لي: لو أذنت لي، فانتقلت إلى أمي، فمرضتني؟ قال: لا عليك. قالت: فانتقلت إلى أمي، ولا علم لي بشيء مما كان، حتى نقهت من وجعي بعض بضع وعشرين ليلة، وكنا قوما عربا لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، إنما كنا نذهب في فسح المدينة، إنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعي أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب بن تيم، خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه : قالت: فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها، فقالت: تعس مسطح! ومسطح لقب واسمه عوف، قالت: قلت: بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٥٠) ومسلم (٢٧٧٠) وعبد الرزاق (٩٧٤٨)، وأحمد (٦/ ١٩٤، ١٩٧) وأبو داود (٥٢١٩)، والترمذي (٣٣٩٣)، والطبراني (٢٣/١٥٠ – ١٥١) والطبري (١٨/٧٣ – ٧٦) وفي تفسيره (٢/٦١١ – ٦١٦) والبيهقي (٤/ ٦٤،٧٢) وابن كثير في البداية (٤/١٦٠ – ١٦٢) عن بن إسحاق، وكذا الطبري (١٨/٨١ – ٨٣).

شهد بدرًا، قالت: أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت وما الخبر؟

فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك، قالت: قلت: أو قد كان هذا؟ قالت نعم والله فقد كان. قالت: فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي، ورجعت فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي: قالت: وقلت لأمي: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به، ولا تذكرين لي من ذلك شيئًا! قالت: أي بنية، خفضي عليك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء، عند رجل يحبها، لها ضرائر، إلا كثرن وكثر الناس عليها.

خطبة الرسول في الناس:

قالت: وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ولا يقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت منهم إلا خيرا، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرًا، وما يدخل بيتًا من بيوتي إلا وهو معي.

من تزعم نشر حديث الإفك:

قالت: وكان كبر ذلك عند عبد الله بن أُبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصبني في المترلة عنده غيرها، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرًا وأما حمنة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت، تضادني لأختها، فشقيت بذلك.

أثر الخطبة:

فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أسيد بن حضير: يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج، فمرنا بأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم، قالت: فقال سعد بن عبادة، وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحًا فقال: كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما

قلت هذا، فقال أسيد: كذبت لعمر الله، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين، قالت: وتثاور الناس، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر، ونزل رسول الله ﷺ، فدخل علي.

الرسول عليه الصلاة والسلام يستشير الصحابة:

قالت فدعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأسامة بن زيد، فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى علي خيرًا، ثم قال يا رسول الله، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرًا، وهذا الكذب والباطل، وأما علي فإنه قال: يا رسول الله إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية، فإنها ستصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة ليسألها، قالت: فقام إليها علي بن أبي طالب، فضربها ضربًا شديدًا، ويقول: اصدقي رسول الله ﷺ فتقول والله ما أعلم إلا خيرًا، وما كنت أعيب على عائشة شيئًا، إلا أني كنت أعجن عجيني، فآمرها أن تحفظه، فتنام عنه، فتأتي الشاة فتأكله[1].

براءة عائشة من فوق سبع سماوات:

قالت: ثم دخل رسول الله، وعندي أبواي، وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي، وهي تبكي معي، فجلس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: يا عائشة إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس، فاتقي الله، وإن كنت قد قارفت سوءًا مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده، فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك، فقلص دمعي حتى ما أحس منه شيئًا، وانتظرت أبواي أن يجيبا عني رسول الله ﷺ، فلم يتكلما، قالت: وايم الله؟ لأنا كنت أحقر في نفسي، وأصغر شأنا من أن يترل الله في قرآنا يقرأ به في المساجد ويصلى به، ولكني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في نومه شيئا يكذب به الله عني، لما يعلم من براءتي، أو يخبر خبرًا، فأما قرآن يترل في، فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من

(١) تقدم تخريجه.

ذلك. قالت: فلما لم أر أبواي يتكلمان، قالت: قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله ﷺ؟ قالت: فقالا: والله ما ندري بماذا نجيبه، قالت: والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام، قالت: فلما أن استعجبا علي استعبرت فبكيت، ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبدا. والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، والله يعلم أني منه بريئة، لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقونني. قالت: ثم التمست اسم يعقوب ﷺ فما أذكره، فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[1] قالت: فوالله ما برح[2] رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسجى بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت، فوالله ما فزعت ولا باليت فقد عرفت أني بريئة، وأن الله ﷻ غير ظالمي، وأما أبواي، فوالذي نفس عائشة بيده، ما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما، فرقا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس، قالت: ثم سرى عن رسول الله ﷺ، فجلس، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان في يوم شات، فجعل يمسح العرق عن جبينه، ويقول: أبشري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك، قالت قلت: بحمد الله، ثم خرج إلى الناس، فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، فضربوا حدهم.

قصة أبي أيوب مع زوجته:

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النجار: أن أبا أيوب خالد بن زيد، قالت له امرأته أم أيوب يا أبا أيوب ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى وذلك الكذب، أكنت يا أم أيوب

---

(١) سورة يوسف: آية ١٨.

(٢) ما برح: ما ترك.

فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك [١].

ما نزل من القرآن في حديث الإفك:

قالت: فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [٢] وذلك حسان بن ثابت[٣] وأصحابه الذين قالوا ما قالوا.

ثم قال تعالى: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا﴾ [٤] أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته، ثم قال: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ﴾ [٥].

موقف أبي بكر من مسطح:

فلما نزل هذا في عائشة، وفيمن قال لها ما قال، قال: أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته. والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا، ولا أنفعه بنفع أبدًا بعد الذي قال لعائشة، وأدخل علينا، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [٦].

---

(١) إسناده ضعيف وأخرجه الطبري (٢/٦١٧)، وكذا أخرجه في تفسيره (١٨/٧٧).
(٢) سورة النور: الآية (١١)، وانظر: تفسير الطبري (١٨/٧٧) نقلاً عن ابن إسحاق.
(٣) والصواب أن هذا الوعيد خُصَّ به رأس به رأس النفاق «عبد الله بن أبي بن سلول» عليه من الله ما يستحق و الله تعالى أعلم.
(٤) سورة النور: آية (١٢).
(٥) سورة النور: آية (١٥).
(٦) سورة النور: آية (٢٢)، وانظر: تفسير الطبري (١٨/٧٧).

قال ابن إسحاق: قالت: فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح نفقته التي كانت ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا[1].

قال ابن إسحاق: ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف، حين بلغه ما كان يقول فيه، وقد كان حسان قال شعرًا مع ذلك يعرض بابن المعطل فيه، وبمن أسلم من العرب من مضر، فقال:

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد ... وابن الفريعة أمسى بيضة البلد
قد ثكلت أمه من كنت صاحبه ... أو كان منتشبا في برثن الأسد
ما لقتيلي الذي أغدوا فآخذه ... من دية فيه يعطاها ولا قود
ما البحر حين تهب الريح شامية ... فيغطئل ويرمى العبر بالزبد
يوما بأغلب مني حين تبصرني ... ملغيظ أفرى كفري العارض البرد
أما قريش فإني لن أسالمهم ... حتى ينيبوا من الغيات للرشد
ويتركوا اللات والعزى بمعزلة ... ويسجدوا كلهم للواحد الصمد
ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم ... حق ويوفوا بعهد الله والوكد

فاعترضه صفوان بن المعطل، فضربه بالسيف، ثم قال: كما حدثني يعقوب ابن عتبة:

تلق ذباب السيف عني فإنني ... غلام إذا هوجيت لست بشاعر[2]

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: أن ثابت ابن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل، حين ضرب حسان، فجمع يديه إلى عنقه بحبل، ثم انطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج، فلقيه عبد الله

---

(١) إسناده صحيح، وأخرجه الطبري (١٨/٨١) عن ابن إسحاق وفي تاريخه (٢/٦١٨).

(٢) إسناده مرسل: أخرجه البيهقي (٤/٧٤)، وأخرجه الطبري (٢/٦١٨) وابن كثير في البداية (٤/١٦٣).

ابن رواحة، فقال، ما هذا؟ قال: أما أعجبك ضرب حسان بالسيف! والله ما أراه إلا قد قتله، قال له عبد الله بن رواحة: هل علم رسول الله بشيء مما صنعت؟ قال: لا والله، قال: لقد اجترأت، أطلق الرجل، فأطلقه، ثم أتوا رسول الله ﷺ، فذكروا ذلك له، فدعا حسان، وصفوان بن المعطل، فقال ابن المعطل: يا رسول الله: آذاني وهجاني، فاحتملني الغضب، فضربته، فقال رسول الله ﷺ لحسان: أحسن يا حسان، أتشوهت على قومي أن هداهم الله للإسلام، ثم قال: أحسن يا حسان في الذي أصابك، قال: هي لك يا رسول الله [(١)].

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن إبراهيم، أن رسول الله ﷺ أعطاه عوضًا منها بيرحاء، وهي قصر بني حديلة اليوم بالمدينة، وكانت مالاً لأبي طلحة ابن سهل تصدق بها على آل رسول الله ﷺ، فأعطاها رسول الله ﷺ حسان في ضربته وأعطاه سيرين، أمة قبطية، فولدت له عبد الرحمن بن حسان، وكانت عائشة تقول: لقد سئل عن ابن المعطل، فوجدوه رجلاً حصورًا، ما يأتي النساء، ثم قتل بعد ذلك شهيدًا [(٢)].

اعتذار حسان عن اشتراكه في حديث الإفك:

قال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان قاله في شأن عائشة رضي الله عنها:

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

عقيلة حي من لؤى بن غالب ... وكرام المساعي مجدهم غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل سوء وباطل

فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم ... فلا رفعت سوطي إلى أناملي

وكيف ودى ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل

---

(١) إسناده مرسل، وأخرجه الطبري (٦١٩/٢) في تاريخه، والبيهقي (٧٥/٤)، وابن كثير في البداية (٦٣/٤) كلهم عن ابن إسحاق مرسلاً.

(٢) إسناده مرسل وهو من أنواع الضعيف.

له رتب عال على الناس كلهـــتم   تقاصر عنه ســــورة المتطــــاول
فإن الذي قد قيل ليس بلائـــــط   ولكنه قول امرئ بي ماحـــــل(١)

وقالت جارية من العرب لأمها:

يـــا أمتا أبصرني راكــــب   يســـير في مســـحنفر لاحب
جعلت أحثى التراب في وجهه   حصـــنًا وأحمى حوزة الغائب

فقالت لها أمها:

الحصن أدنى لو تآبيتـــــه   من حثيك الترب على الراكب

ذكر هذه الأبيات أحمد بن أبي سعيد في شرح أبيات الإيضاح، والرزان والثقال بمعنى واحد، وهي القليلة الحركة.

وقوله: وتصبح غرثى من لحوم الغوافل، أي خميصة البطن من لحوم الناس، أي اغتيابهم وضرب الغرث مثلا، وهو عدم الطعم وخلو الجـــوف وفي التنزيل: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾(٢) ضرب المثل لأخذه في العرض بأكل اللحم، لأن اللحم ستر على العظم، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستره.

وقال: ميتا، لأن الميت لا يحس، وكذا الغائب لا يسمع ما يقول فيه المغتاب، ثم هو في التحريم كأكل لحم الميت.

وقوله: من لحوم الغوافل، يريد: العفائف قلوبهن عن الشر، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾(٣).

جعلهن غافلات، لأن الذي رمين به من الشر لم يهممن به قط ولا خطر على قلوبهن، فهن في غفلة عنه، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف.

---

(١) خبر صحيح، أخرجه البخاري (٤٧٥٥)، ومسلم (٢٤٨٨) والبيهقي (٤/٧٥، ٧٦).
(٢) سورة الحجرات: آية (١٢).
(٣) سورة النور: آية (٢٣).

أمر الحديبية في آخر سنة ست وذكر بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً، وخرج في ذي القعدة معتمرًا، لا يريد حربًا [(١)].

الرسول يستنفر الناس للخروج:

قال ابن إسحاق: واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذي صنعوا، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب، وساق معه الهدي، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربة، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائرًا لهذا البيت ومعظمًا له [(٢)].

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عروة ابن الزبير عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت، لا يريد قتالا، وساق معه الهدي سبعين بدنة، وكان الناس سبعمائة رجل، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر.

وكان جابر بن عبد الله، فيما بلغني، يقول: كنا أصحاب الحديبية أربع عشر مئة.

ما فعلته قريش:

وخرج رسول الله حتى إذا كان بعفسان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال: يا رسول الله هذه قريش، قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل، قد

---

(١) انظر: الدرر (ص/٢٢٢) تاريخ الطبري (٦١٩/٢) دلائل النبوة (٩١/٤) للبيهقي والبداية والنهاية (١٦٤/٤).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٦٢٠/٢)، الدرر (ص/٢٢٢) والبداية (١٦٤/٤).

لبسوا جلود النمور، وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدًا، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم قال فقال رسول الله ﷺ : يا ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة، ثم قال: من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها [(١)]؟

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رجلاً من أسلم قال: أنا يا رسول الله، قال: فسلك بهم طريقًا وعرًا أجرل، بين شعاب، فلما خرجوا منه، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عن منقطع الوادي، قال رسول الله ﷺ للناس: قولوا نستغفر الله ونتوب إليه، فقالوا ذلك، فقال: والله إنها اللحظة التي عرضت على بني إسرائيل، فلم يقولوها[(٢)].

فأمر رسول الله الناس ﷺ فقال: اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض، في طريق تخرجهم على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة، قال فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم، رجعوا راكضين إلى قريش، وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا سلك في ثنية المرار بركت ناقته، فقالت الناس: خلأت الناقة، قال: ما خلأت وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة. لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها، ثم قال للناس: انزلوا، قيل له: يا رسول الله،

---

(١) إسناده صحيح، وأخرجه البخاري (٢٧٣١)، (٢٧٣٢) (٤١٨٢) (٤٨٩١) وعبد الرزاق (٩٧٢٠) (٢٧٤٩) وأحمد (٣٢٩/٤، ٣٣١) وأبو داود (٢٧٤٩) (٢٧٥٠) والطبراني (٩/٢٠ – ١٦) والطبري في تاريخه (٦٢٣/٢) والبيهقي (٩٩/٤).

(٢) إسناده مرسل، أخرجه الطبري في «تاريخه» (٦٢٣/٢) وفي البداية والنهاية (١٦٥/٤) نقلاً عن ابن إسحاق.

ما بالوادي ماء نتزل عليه، فأخرج سهمًا من كنانته فأعطاه رجلاً من الصحابة، فنزل به في قليب من تلك القلب: فغرزه في جوفه، فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن[١].

قال ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم: أن الذي نزل في القليب بسهم رسول الله ﷺ ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمر بن وائلة بن سهم بن مازن بن أسلم بن أفصى بن أبي حارثة، وهو سائق بدن رسول الله ﷺ [٢].

قال ابن إسحاق: وقد زعم لي بعض أهل العلم: أن البراء بن عازب كان يقول: أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ ، فالله أعلم أي ذلك كان[٣].

وقد أنشدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجية، قد ظننا أنه هو الذي نزل بالسهم، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها، وناجية في القليب يميح على الناس، فقالت:

يا أيها المائح دلوى دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا
يثنون خيرًا ويمجدونكا [٤]

قال ابن إسحاق: فقال ناجية، وهو في القليب يميح على الناس:

قد علمت جارية يمانية أنى أنا المائح واسمي ناجية

---

(١) إسناده صحيح، وأخرجه البخاري (٢٧٣١)، (٢٧٣٢)، (٤١٨٢) (٤٨٩١)، وعبد الرزاق (٩٧٢٠)، (٢٧٤٩)، وأحمد (٣٢٩/٤، ٣٣١) وأبو داود (٢٧٤٩)، (٢٧٥٠)، والطبراني (٩/٢٠ – ١٦) والطبري (٦٢٣/٢) والبيهقي في دلائل النبوة (٩٩/٤).

(٢) إسناده ضعيف، وأخرجه الطبري (٦٢٤/٢) وأورده ابن كثير في البداية (١٦٥/٤) كلاهما عن ابن إسحاق.

(٣) إسناده ضعيف، وتقدم تخريجه.

(٤) انظر تاريخ الطبري (٢٦٥/٢) والبداية (١٦٥/٤) عن ابن إسحاق.

وطعنة ذات رشاش واهيـــــة طعنتها عند صدور العاديـــــة[١]

فقال الزهري في حديثه: فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بديل بن ورقاء الخزاعي، في رجال من خزاعة، فكلموه وسألوه: ما الذي جاء به؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا، وإنما جاء زائرًا للبيت، ومعظما لحرمته، وقد كان قد قال ذلك لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد، إن محمدًا لم يأت لقتال، وإنما جاء زائرًا هذا البيت، فاتهموهم وجبهوهم وقالوا: وإن كان جاء ولا يريد قتالا، فوالله لا يدخلها علينا عنوة، ولا تحدث بذلك عنا العرب[٢].

قال الزهري: وكان خزاعة نصح رسول الله ﷺ ، مسلمها ومشركها، لا يخفون عنه شيئًا كان بمكة.

رسل قريش إلى رسول الله ﷺ:

قال: ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف، أخا بني عامر بن لؤي، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا قال: هذا رجل غادر، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلمه، قال له رسول الله ﷺ نحوًا مما قال لبديل وأصحابه، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ.

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان، وكان يومئذ سيد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: إن هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، ثم رجع إلى قريش، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظامًا لما رأى، فقال لهم ذلك، قال فقالوا له: اجلس، فإنما أنت أعرابي لا علم لك[٣].

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) حديث صحيح تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه وهو حديث صحيح.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: بأن الحليس غضب عند ذلك وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أيصد عن بيت الله من جاء معظمًا له! والذي نفس الحليس بيده، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد، قال فقالوا له: مه كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به [(١)].

قال الزهري في حديثه: ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي، فقال: يا معشر قريش، إني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد وإني ولد -وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس- وقد سمعت بالذي نابكم، فجمعت من أطاعني من قومي، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسي، قالوا صدقت، ما أنت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ ، فجلس بين يديه ثم قال: يا محمد، أجمعت أوباش الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم إنهم قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل. قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدًا. وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدًا. قال: وأبو بكر الصديق خلف رسول الله ﷺ قاعد، فقال: امصص بظر اللات، أنحن ننكشف عنه؟ قال: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أبي قحافة، قال: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بها، قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه. قال: والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد قال: فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ، ويقول: اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك قال فيقول عروة: ويحك! ما أفظعك وأغلظك! قال: فتبسم رسول الله ﷺ، فقال له عروة من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، قال: أي غدر وهل غسلت سوأتك إلا

---

(١) إسناده مرسل، وأخرجه الطبري (٦٢٨/٢) وابن كثير في البداية (١٦٦٤) عن ابن إسحاق.

بالأمس[١].

قال ابن إسحاق: قال الزهري، فكلمه رسول الله ﷺ بنحو مما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حربا.

فقام من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، فرجع إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشي أبدا، فروا رأيكم.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ دعا خراش ابن أمية الخزاعي، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على بعير له يقال له الثعلب، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ، وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش، فخلوا سبيله، حتى أتى رسول الله ﷺ [٢].

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس: أن قريشًا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحدًا، فأخذوا أخذًا فأتى بهم رسول الله ﷺ، فعفا عنهم، وخلى سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل.

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشا على نفسي، وليس بمكة من عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان،

---

(١) حديث صحيح.

(٢) إسناده معضل، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/٦٣١) وأورده ابن كثير في البداية (٤/١٦٧) عن ابن إسحاق.

فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنه إنما جاء زائرا لهذا البيت، ومعظما لحرمته [(١)].

قال ابن إسحاق: فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم إن شئت أن تطوف بالبيت فطف، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان ابن عفان[(٢)]، قد قُتل.

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه أن عثمان قد قتل: لا نبرح حتى نناجز القوم، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعنا على الموت، ولكن بايعنا على أن لا نفر.

تخلف الجد بن قيس عن المبايعة:

فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها، إلا الجد بن قيس، أخو بني سلمة، فكان جابر بن عبد الله يقول: والله لكأني أنظر إليه لاصقًا بإبط ناقته. قد ضبأ إليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل [(٣)].

الهدنة:

قال ابن إسحاق: قال الزهري: ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو، أخا بني

---

(١) إسناده ضعيف، وأخرجه الطبري (٢/٦٣١) وفي البداية (٤/١٦٧) عن ابن إسحاق.
(٢) تقدم تخريجه في السابق.
(٣) إسناده مرسل، وأخرجه الطبري (٢/٦٣٢) وفي البداية (٤/١٦٧) نقلاً عن ابن إسحاق.

عامر بن لؤي، إلى رسول الله ﷺ، وقالوا له: ائت محمدًا فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدًا، فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً، قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل، فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح.

موقف عمر من الهدنة:

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب، فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر؛ الزم غرزه، فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني! قال: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق، من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيرًا [١].

شروط الصلح: قال: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال، اكتب: **بسم الله الرحمن الرحيم**، قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله ﷺ: **اكتب باسمك اللهم**، فكتبها، ثم قال: اكتب: **هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو**، قال، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، قال: فقال: رسول الله ﷺ: اكتب: **هذا ما صالح عليه محمد**

(١) حديث صحيح.

ابن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع محمد لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبة مكفوفة، وإنه لا إسلال ولا إغلال، وإنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وأنك ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وإنه إذا كان عام قابل، خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثا، معك سلاح الراكب السيوف في القرب، لا تدخلها بغيرها[1].

قصة أبي جندل بن سهيل:

فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح؛ لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمل عليه رسول الله ﷺ في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتلبيبه، ثم قال: يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال صدقت، فجعل ينتره بتلبيبه، ويجره ليرده إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا جندل، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم، قال: فوثب عمر بن الخطاب مع أبي

---

(١) تقدم تخريجه.

جندل يمشي إلى جنبه. ويقول: اصبر يا أبا جندل! فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب، قال: ويدني قائم السيف منه قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، قال: فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية.

من شهدوا على الصلح

فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجلاً من المشركين، أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود ابن مسلمة ومكرز بن حفص، وهو يومئذ مشرك، وعلي بن أبي طالب، وكتب وكان هو كاتب الصحيفة.

الإحلال:

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ مضطربًا في الحل وكان يصلي في الحرم فلما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره، ثم جلس فحلق رأسه، وكان الذي حلقه فيما بلغني في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي، فلما رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون [١].

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: حلق رجال يوم الحديبية، وقصر آخرون. فقال رسول الله ﷺ: يرحم الله المحلقين، قالوا والمقصرين يا رسول الله؟ قال: يرحم الله المحلقين. قالوا والمقصرين يا رسول الله؟ قال: والمقصرين، فقالوا: يا رسول الله: فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين؟ قال: لم يشكوا [٢].

وقال عبد بن أبي نجيح: حدثني مجاهد، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية في هداياه جملا لأبي جهل، في رأسه برة من فضة، يغيظ بذلك

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) إسناده صحيح، وأخرجه أحمد (١/٣٥٣)، وابن أبي شيبة (٨/٥١٧)، وابن ماجه (٣٠٤٥)، والبيهقي (٤/٢٤٠)، وتاريخ الطبري (٢/٦٣٧).

المشركين [١].

نزول سورة الفتح: قال الزهري في حديثه: ثم انصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلا، حتى إذا كان بين مكة والمدينة، نزلت سورة الفتح: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [٢].

ثم كانت فيه وفي أصحابه، حتى انتهى من ذكر البيعة، فقال جل ثناؤه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٣].

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب، ثم قال: حين استفزهم للخروج معه فتباطأوا عليه: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ [٤] ثم القصة عن خبرهم، حتى انتهى إلى قوله: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ [٥].. ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولي البأس الشديد [٦].

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: فارس.

---

(١) إسناده صحيح، وأخرجه أحمد (١/٢٦٠ - ٢٦٩، ٢٧٣) وأبو داود (١٧٣٢)، وابن ماجه (٣٠٧٦)، (٣١٠٠) والطبري (٢/٦٣٨)، والطبراني (١١١٤٥)، (١١١٤٨) (١٢٠٥٧) والبيهقي (٤/١٥٢).

(٢) سورة الفتح: آية (١، ٢).

(٣) سورة الفتح: الآية (١٠).

(٤) سورة الفتح: الآية (١١).

(٥) سورة الفتح: الآية (١٥).

(٦) حديث صحيح.

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن الزُّهري أنه قال: أولو البأس الشديد: حنيفة مع الكذاب.

ثم قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾[١].

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال، بعد الظفر منه بهم، يعني النفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه، ثم قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ﴾[٢].

قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ والمعرة: الغرم، أي: أن تصيبوا منهم معرة بغير علم فتخرجوا ديته، فأما إثم فلم يخشه عليهم[٣].

قال ابن إسحاق: ثم قال تبارك وتعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ يعني سهيل بن عمرو حين حمى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، وأن محمدًا رسول الله، ثم قال تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾[٤] أي

---

(١) سورة الفتح: الآية (١٨-٢١)، وإسناده ضعيف، وأخرجه الطبري (٥٢/٢٦)، والدر المنثور (٧٣/٦).

(٢) سورة الفتح: الآية (٢٤- ٢٥)، انظر: تفسير الطبري (٥٣/٢٦، ٦٥) عن ابن إسحاق.

(٣) سورة الفتح: الآية (٢٥)، تقدم تخريجه.

(٤) سورة الفتح: الآية (٢٦).

التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله.

ثم قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ ﴾ (١) أي لرؤيا رسول الله ﷺ التي رأى، أنه سيدخل مكة آمنًا لا يخاف، ويقول: ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ معه: ﴿ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ ﴾ من ذلك ﴿ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (٢) صلح الحديبية.

يقول الزُّهري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضًا والتقوا فتفاوضوا في الحديث و المنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئًا إلا دخل فيه ولقد دخل تلك السنتين مثل من كان والإسلام قبل ذلك أو أكثر (٣).

أمر المستضعفين بمكة بعد الصلح

قصة أبي بصير: قال ابن إسحاق: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية، وكان ممن حبس بمكة، فلما قدم رسول الله ﷺ كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله ﷺ، وبعثا رجلا من بني عامر بن لؤى ومعه مولى لهم، فقدما على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر والأخنس، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا،

---

(١) سورة الفتح: الآية (٢٧).

(٢) سورة الفتح: الآية (٢٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥٣/٢٦، ٥٦) عن ابن إسحاق.

فانطلق إلى قومك، قال: يا رسول الله، أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟! قال: يا أبا بصير، انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا.

فانطلق معهما، حتى إذا كان بذي الحليفة، جلس إلى جدار، وجلس معه صاحباه، فقال أبو بصير: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟ فقال: نعم، قال: انظر إليه؟ قال انظر، إن شئت. قال: فاستله أبو بصير، ثم علاه به حتى قتله، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، فلما رآه رسول الله ﷺ طالعا، قال: إن هذا الرجل قد رأى فزعًا، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، قال ويحك! مالك؟ قال: قتل صاحبكم صاحبي. فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحًا بالسيف حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال: يا رسول الله، وفت ذمتك، وأدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أن أفتن فيه، أو يعبث بي. قال: فقال رسول الله ﷺ: ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال.

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص، من ناحية ذي المروة، على ساحل البحر، بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام، وبلغ المسلمين الذين كانوا حبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير: ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلاً وكانوا قد ضيقوا على قريش. لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأل بأرحامهم إلا آواهم فلا حاجة لهم بهم، فآواهم رسول الله ﷺ، فقدموا عليه بالمدينة [1].

قال ابن إسحاق: فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبي بصير صاحبهم العامري، أسند ظهره إلى الكعبة، ثم قال: والله لا أؤخر ظهري عن الكعبة حتى

(١) حديث صحيح.

يودي هذا الرجل فقال أبو سفيان بن حرب: والله إن هذا لهو السفه والله لا يودي[١].

أمر المهاجرات بعد الهدنة

هجرة أم كلثوم بنت عقبة:

قال ابن إسحاق: وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في تلك المدة، فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة، حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذي بينه وبين قريش في الحديبية فلم يفعل، أبى الله ذلك[٢].

قال ابن إسحاق: فحدثني الزهري، عن عروة بن الزبير، قال: دخلت عليه وهو يكتب كتابا إلى ابن أبي هنيدة، صاحب الوليد بن عبد الملك، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾[٣] ﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

قال: فكتب إليه عروة بن الزبير: أن رسول الله ﷺ كان صالح قريشًا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه، فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام، أبى الله أن يرددن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة في الإسلام، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/٦٣٩) عن ابن إسحاق.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/٦٤٠) نقلاً عن ابن إسحاق.

(٣) سورة الممتحنة الآية (١٠)، حديث صحيح، وإسناده مرسل، في الدر المنثور (٦/٢٠٦).

احتبس عنهم إن هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم، ﴿ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) فأمسك رسول الله ﷺ النساء ورد الرجال، وسأل الذي أمره به أن يسأل من صدقات نساء من حبسوا منهن، وأن يردوا عليهم، مثل الذين يردون عليهم، إن هم فعلوا ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله ﷺ النساء كما رد الرجال، ولولا الهدنة والعهد الذي بينه وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء، ولم يردد لهن صداقا، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد (٢).

قال ابن إسحاق: وسألت الزهري عن هذه الآية، وقول الله عز وجل فيها: ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) فقال: يقول: إن فات أحدًا منكم أهله إلى الكفار، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذي يأخذون منكم، فعوضوهم من فيء إن أصبتموه فلما نزلت هذه الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ ﴾ إلى قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ (٤)، كان ممن طلق عمر بن الخطاب، طلق امرأته قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وهما على شركهما بمكة، وأم كلثوم بنت جرول أم عبيد الله بن عمر الخزاعية، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم، رجل من قومه وهما على شركهما (٥).

---

(١) سورة الممتحنة الآية (١٠).
(٢) خبر صحيح، أخرجه ابن جرير (٢٨/٥٠) في تفسيره.
(٣) سورة الممتحنة: آية (١١).
(٤) سورة الممتحنة: آية (١٠).
(٥) إسناده مرسل، وأخرجه عبد الرزاق (٣٢٠٥) في تفسيره، وابن جرير (٢٨/٤٧) في الدر المنثور (٦/٢٠٧).

ذكر المسير إلى خيبر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم، وولي تلك الحجة المشركون، ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر[(١)].

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي الهيثم ابن نصر بن دهر الأسلمي أن أباه حدثه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، وكان اسم الأكوع سنان: انزل يا بن الأكوع، فخذ لنا من هناتك، قال: فترل يرتجز برسول الله ﷺ ، فقال:

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلّينا

إنّا إذا قوم بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنةً أبينا

فأنزِلَنْ سكينةً علينا ... وثبِّتِ الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله ﷺ: **يرحمك الله**، فقال عمر بن الخطاب: وجبت والله يا رسول الله، لو أمتعتنا به! فقتل يوم خيبر شهيدًا، وكان قتله فيما بلغني، أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل، فكلمه كلما شديدًا، فمات منه، فكان المسلمون قد شكوا فيه، وقالوا: إنما قتله سلاحه، حتى سأل ابن أخيه سلمة بن عمرو الأكوع رسول الله ﷺ عن ذلك وأخبره بقول الناس، فقال رسول الله ﷺ: **إنه شهيد وصلى عليه فصلى عليه المسلمون**[(٢)].

---

(١) انظر: الدرر (٢٢٨)، شرح السنة (١٤/١٩)، والبداية (٤/١٨١) الفتح (٧/٤٦٤).

(٢) حديث صحيح، وإسناده حسن، وأخرجه البخاري (٤١٩٦)، ومسلم (١٨٠٢)، وأحمد (٤/٤٧، ٤٨) والبغوي (١٤/٢٠، ٢٢) والبيهقي (٤/٢٠١، ٢٠٢) والطبراني (٦٢٩٤)، (٦٢٩٥) في الكبير.

دعاء الرسول عند دخول خيبر:

قال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي عن أبيه، عن أبي معتب بن عمرو. أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر قال لأصحابه، وأنا فيهم: **قفوا**، ثم قال: **اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا بسم الله، قال: وكان يقولها عليها الصلاة والسلام لكل قرية دخلها** [١].

فرار أهل خيبر:

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قومًا لم يغر عليهم حتى يصبح، فإن سمع أذانًا أمسك، وإن لم يسمع أذانًا أغار، فترلنا خيبر ليلاً، فبات رسول الله ﷺ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذانًا، فركب وركبنا معه، فركبت خلف أبي طلحة، وإن قدمي لتمس قدم رسول الله ﷺ، واستقبلنا عمال خيبر غادين، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم. فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش: قالوا: محمد والخميس معه فأدبروا هرابًا فقال رسول الله ﷺ: **الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين** [٢].

قال ابن إسحاق: حدثنا هارون عن حميد، عن أنس بمثله.

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر

---

(١) أخرجه النسائي (٥٤٦)، والدولابي (١/٥٥) والطبراني (٢٢/٣٥٩) في الكبير، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٦/٢٩٣) وأخرجه البيهقي (٤/٢٠٣ – ٢٠٤).

(٢) حديث صحيح، وأخرجه البخاري (١/١٥٨)، (٤/٥٨)، رقم (٤١٩٧) ومسلم (١٨٠٢)، وأحمد (٣/١٥٩)، والبغوي (١١/٥٨، ٥٩) في شرح السنة، والطحاوي (٣/٢٠٨) والبيهقي (٩/١٠٨) في سننه الكبرى.

سلك على عصر، فبنى فيها مسجدا، ثم على الصهباء، ثم أقبل رسول الله ﷺ بجيشه، حتى نزل بواد يقال له الرجيع، فترل بينهم وبين غطفان، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ.

غطفان تحاول مساعدة خيبر:

فبلغني أن غطفان لما سمعت بمترل رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا له، ثم خرجوا ليظاهروا اليهود عليه، حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسا، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم، فأقاموا في أهليهم وأموالهم وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر [(١)].

وتدنى رسول الله ﷺ الأموال يأخذها مالا مالا، ويفتحها حصنا حصنا، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن مسلمة، ألقيت عليه منه رحا فقتلته، ثم القموص، حصن بني أبي الحقيق، وأصاب رسول الله ﷺ منهم سبايا، منهن صفية بنت حُيي بن أخطب، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وبنتي عم لها، فاصطفى رسول الله ﷺ صفية لنفسه.

وكان دحية بن خليفة الكلبي قد سأل رسول الله ﷺ صفية فلما أصفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها، وفشت السبايا من خيبر في المسلمين.

أشياء نهى عنها الرسول يوم خيبر: وأكل المسلمون لحوم الحمر الأهلية من حمرها فقام رسول الله ﷺ ، فنهى الناس عن أمور سماها لهم.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن عمرو بن ضمرة الفزاري عن عبدالله ابن أبي سليط عن أبيه ، قال: أتانا نهي رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الحمر الإنسية، والقدور تفور بها، فكفأناها على وجوهها [(٢)].

---

(١) أورده بلاغًا انظر: تاريخ الطبري (٣/٩)، الدرر (٢٣٠) البداية (٤/١٨٦) (٤/٩٢).

(٢) حديث صحيح، وأخرجه أحمد (٣/٤١٩) وابن عبد البر (٤/١٦٨٣) وابن الأثير في أسد الغابة (٦/١٥)، وابن سعد (٢/١١٣)، وأخرجه البخاري (٢٥٢٨) ومسلم (١٩٤٠) وابن ماجه (٣١٩٤).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مكحول: أن رسول الله ﷺ نهاهم يومئذ عن إتيان الحبالى من السبايا، وعن أكل الحمار الأهلي، وعن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتى تقسم(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني سلام بن كركرة، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، ولم يشهد جابر خيبر: أن رسول الله ﷺ حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر، أذن لهم في أكل لحوم الخيل(٢).

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي مرزوق مولى نجيب عن حنش الصنعاني، قال: غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصاري المغرب فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة، فقام فينا خطيبًا، فقال: يا أيها الناس، إني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ يقوله فينا يوم خيبر قام فينا رسول الله فقال: **لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماؤه زرع غيره -يعني إتيان الحبالى من السبايا- حتى يستبرئها ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرأها، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنمًا حتى يقسم، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبًا من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه**(٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط، أنه حدث عن عبادة بن الصامت قال: نهانا رسول الله ﷺ يوم خيبر عن أن نبيع أو نبتاع تبر

---

(١) إسناده مرسل، وأخرجه ابن أبي شيبة (٥٢٤/٨)، وابن كثير (١٩٢/٤) في البداية عن ابن إسحاق.

(٢) حديث صحيح، أخرجه البخاري (٥٥٢٠) ومسلم (١٩٤١)، وأحمد (٣٨٥/٣)، وأبو داود (٣٨٠٨)، والنسائي (٢٠٥/٧) والبغوي (٢٨١٠).

(٣) إسناده صحيح، أخرجه أحمد (١٠٨/٤، ١٠٩) وأبو داود (٢١٤٤)، (٢١٤٥)، والترمذي (١١٤٠).

الذهب بالذهب العين، وتبر الفضة بالورق العين، وقال: **ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين، وتبر الفضة بالذهب العين** (١).

قال ابن إسحاق: ثم جعل رسول الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال.

حال بني سهم:

فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض أسلم: أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: والله يا رسول الله ﷺ لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه، فقال: اللهم إنك قد عرفت حالهم، وأن ليست بهم قوة، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء، وأكثرها طعاماً وودكاً، فغدا الناس، ففتح الله عز وجل عليهم حصن الصعب بن معاذ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه.

مقتل مرحب اليهودي:

قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح وحاز من الأموال ما حاز، انتهوا إلى حصنيهم: الوطيح، والسلالم، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة (٢).

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل، أخو بني حارثة عن جابر بن عبد الله قال: خرج مرحب اليهودي من حصنهم قد جمع سلاحه يرتجز وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

أطعن أحيانًا وحينًا أضرب ... إذا الليوث أقبلت تحرّت

إن حماي للحمى لا يقرب

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٨٧)، وأحمد (٥/٣١٤، ٣١٩)، وأبو داود (٣٣٤٩) (٣٣٥٠) والنسائي (٧/٢٧٤ – ٢٧٧).

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري (٣/١٠)، والبيهقي (٤/٢٢٣)، وابن كثير في البداية (٤/١٩٤) عن ابن إسحاق.

وهو يقول: من يبارز؟ فأجابه كعب بن مالك فقال:

قد علمت خيبر أني كعب مفرج الغمى جريء صلب

إذ شبت الحرب تلتها الحرب معي حسام كالعقيق عضب

تطؤكم حتى يذل الصعب نعطي الجزاء أو يفيء النهب

بكف ماض ليس فيه عتب(١)

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن سهل، عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

قال: فقال رسول الله ﷺ : **من لهذا؟** قال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله، الموتور الثائر، قتل أخي بالأمس، فقال: **فقم إليه، اللهم أعنه عليه** قال: فلما دنا أحدهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عمرية من شجر العشر، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فنن، ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة، فضربه، فاتقاه بالدرقة، فوقع سيفه، فعضت به فأمسكته، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله.

مقتل ياسر أخي مرحب:

قال ابن إسحاق: ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر، وهو يقول، من يبارز؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: يقتل ابني يا رسول؟! قال: **بل ابنك يقتله إن شاء الله.** فخرج الزبير فالتقيا، فقتله الزبير(٢).

---

(١) إسناده صحيح وأخرجه أحمد (٣/٣٨٥) والطبرى (٣/١٠، ١١) والبيهقي (٩/١٣١) وفي الدلائل (٤/٢١٥، ٢١٦) وابن كثير (٤/١٨٨، ١٨٩) عن ابن إسحاق.

(٢) حديث صحيح.

قال ابن إسحاق: فحدثني هشام بن عروة: أن الزبير كان إذا قيل له: والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً عضباً، قال: والله ما كان صارماً، ولكني أكرهته[١].

علي يفتح خيبر:

قال ابن إسحاق: وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن أبيه سفيان عن سلمة بن عمرو بن الأكوع، قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق ﷺ برايته، إلى بعض حصون خيبر فقاتل، فرجع ولم يك فتح، وقد جهد، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب خيبر. فقاتل، فرجع ولم يك فتح، وقد جهد، فقال رسول الله ﷺ : **لأعطينّ الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه ليس بفرار. قال: يقول سلمة، فدعا رسول الله ﷺ علياً رضوان الله عليه، وهو أرمد، فتفل في عينه، ثم قال: خذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك**[٢].

قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يأنح، يهرول هرولة، وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن، فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال: يقول اليهودي علوتم، وما أنزل على موسى أو كما قال. قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه، وقد ضربه رجل من يهود فطاح ترسه من يده، فتناول علي ﷺ باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه[٣].

---

(١) إسناده مرسل، وأورده ابن كثير في البداية (١٨٩/٤) عن ابن إسحاق.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الطبراني (٦٣٠٣) والبيهقي (٢٠٩/٤-٢١٠) والبغوى (١٤/ ١١١).

(٣) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري (١٣/٣) ، والبيهقي (٢١٢/٤).

حديث أبي اليسر:

قال ابن إسحاق: وحدثني بريدة بن سفيان الأسلمي عن بعض رجال بني سلمة عن أبي اليسر -كعب بن عمرو- قال: والله إنا لمع رسول الله ﷺ بخيبر ذات عشية إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم، ونحن محاصروهم، فقال رسول الله ﷺ: **من رجل يطعمنا من هذا الغنم؟ قال أبو اليسر: فقلت أنا يا رسول الله، قال: فافعل، قال: فخرجت أشتد مثل الظليم، فلما نظر إليّ رسول الله ﷺ موليا وقال: اللهم أمتعنا به، وقال: فأدركت الغنم، وقد دخلت أولاها الحصن، فأخذت شاتين من أخراها، فاحتضنتهما تحت يدي، ثم أقبلت بهما أشتد، كأنه ليس معي شيء، حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ، فذبحوهما فأكلوهما، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله ﷺ هلاكا، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى، ثم قال: أمتعوا بي، لعمري، حتى كنت من آخرهم هلكا** [١].

قصة صفية رضى الله عنها: قال ابن إسحاق: ولما افتتح رسول الله ﷺ القموص، حصن بني أبي الحقيق، أتى رسول الله ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب، وبأخرى معها، فمر بهما على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت، وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: أعزبوا عني هذه الشيطانة، وأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد اصطفاها لنفسه: فقال رسول الله، لبلال، فيما بلغني، حين رأى بتلك اليهودية ما رأى: **أنزعت منك الرحمة يا بلال، حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما؟** وكانت صفية قد رأت في المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، أن قمرا وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً، فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها. فأتي بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه، فسألها ما

---

(١) إسناده ضعيف، وأخرجه أحمد (٣/٤٢٧) والطبراني (٦/١٤٩)، والبداية (٤/١٩٤، ١٩٥).

هو؟ فأخبرته هذا الخبر [(١)].

جزاء كنانة بن الربيع:

وأتى رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع، وكان عنده كنز بني النضير، فسأله عنه، فجحد أن يكون يعرف مكانه، فأتى رسول الله ﷺ رجل من يهود. فقال لرسول الله ﷺ: إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة، فقال رسول الله ﷺ لكنانة: أرأيت إن وجدناه عندك، أأقتلك؟ قال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقي، فأبى أن يؤديه، فأمر به رسول الله ﷺ الزبير بن العوام، فقال: عذبه حتى تستأصل ما عنده، فكان الزبير يقدح بزند في صدره، حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة[(٢)].

صلح خيبر: وحاصر رسول الله ﷺ، أهل خيبر في حصنيهم الوطيح والسلالم، حتى إذا أيقنوا بالهلكة، سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم، ففعل. وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها: الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك الحصن، فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم، وأن يحقن دماءهم، ويخلوا له الأموال ففعل. وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود أخو بني حارثة فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم، وأعمر لها، فصالحهم رسول الله ﷺ على النصف، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين، وكانت فدك

---

(١) إسناده معضل، وأخرجه ابن جرير (٣/١٣، ١٤) وابن الأثير (٧/١٦٩) والبداية (٤/ ١٩٧)، والإصابة (٨/١٢٦).

(٢) إسناده معضل، وأخرجه الطبري (٣/١٤) والبغوي (٦/٢٠٠)، وابن كثير (٤/١٩٧) عن ابن إسحاق.

خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب(١).

قصة الشاة المسمومة:

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية، وقد سألت أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ ، تناول الذراع، فلاك منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ ، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: **إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟** قالت: أبلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر، قال: فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر من أكلته التي أكل(٢).

وقال ابن إسحاق: وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى، قال: كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه. ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده: يا أم بشر، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر. قال: فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً، مع ما أكرمه الله به من النبوة(٣).

جزاء الغال من الغنيمة: قال ابن إسحاق: فحدثني ثور بن زيد، عن سالم، مولى عبد الله بن مطيع، عن أبي هريرة، قال: فلما انصرفنا مع رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادي القرى نزلن بها أصيلا مع مغرب الشمس. ومع رسول

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) حديث صحيح، وإسناده ضعيف، وأخرجه الطبري (٣/١٥)، ابن كثير (٤/٢١١) وابن حجر في الفتح (٧/٤٩٧) عن ابن إسحاق وأخرجه البخاري (٣١٦٩) و (٤٢٤٩) وأبو داود (٤٥٠٩) ومسلم (٢١٩٠).

(٣) إسناده ضعيف، وابن كثير في البداية (٤/٢١١) والطبري (٣/١٥، ١٦) عن ابن إسحاق.

الله ﷺ غلام له، أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي، ثم الضبيني.

قال: فوالله إنه ليضع رحل رسول الله ﷺ إذ أتاه سهم غرب فأصابه فقتله، فقلنا: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ : **كلا، والذي نفس محمد بيده، إن شملته الآن لتحترق عليه في النار، كان غلها من فئ المسلمين يوم خيبر. قال: فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فأتاه فقال: يا رسول الله، أصبت شراكين لنعلين لي، قال: فقال: يقد لك مثلهما في النار** (١).

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن عبد الله بن مغفل المزني، قال: أصبت من فئ خيبر جراب شحم، فاحتملته على عاتقي إلى رحلي وأصحابي. قال: فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها، فأخذ بناحيته وقال: هلم هذا نقسمه بين المسلمين، قال: قلت: لا والله لا أعطيكه، قال: فجعل يجابذني الجراب: قال: فرآنا رسول الله ﷺ ونحن نصنع ذلك. قال: فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكا، ثم قال لصاحب المغانم: **لا أبا لك، خل بينه**، قال: فأرسله، فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي، فأكلناه (٢) .

زواج الرسول بالسيدة صفية وحراسة أبي أيوب له:

قال ابن إسحاق: ولما أعرس رسول الله ﷺ بصفية، بخيبر أو ببعض الطريق، وكانت التي جملتها لرسول الله ﷺ ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان، وأم أنس بن مالك. فبات بها رسول الله ﷺ في قبة له، وبات أبو أيوب خالد بن زيد، أخو بني النجار متوشحا سيفه، يحرس رسول الله ﷺ ، ويطيف بالقبة، حتى أصبح رسول الله ﷺ ، فلما رأى مكانه قال: **مالك يا أبا أيوب؟ قال: يا رسول الله، خفت عليك من هذه المرأة**، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر، فخفتها عليك. فزعموا

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه مالك (٢/٤٥٩) والبخاري (٤٢٣٤) ومسلم (١١٥).

(٢) حديث صحيح، وإسناده ضعيف، وأخرجه البخـــاري (٣١٥٣)، (٤٢١٤) ومسلم (١٧٧٢) وأحمد (٥/٥٥) والبيهقي (٤/٢٤١).

أن رسول الله ﷺ ، قال: اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني [١].

بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر:

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري، عن سعيد بن المسيب، قال: لما انصرف رسول الله من خيبر، فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل: من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام؟ قال بلال: أنا يا رسول الله أحفظه عليك. فنزل رسول الله ﷺ ، ونزل الناس فناموا، وقام بلال يصلي، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلي، ثم استند إلى بعيره، واستقبل الفجر يرمقه، فغلبته عينه، فنام فلم يوقظه إلا مس الشمس، وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه هب، فقال: ماذا صنعت بنا يا بلال؟ قال: يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، قال: صدقت ثم اقتاد رسول الله ﷺ بعيره غير كثير، ثم أناخ فتوضأ، وتوضأ الناس ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة فصلى رسول الله بالناس، فلما سلم أقبل على الناس فقال: إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها، فإن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [٢].

شعر ابن لقيم في فتح خيبر:

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ ، فيما بلغني قد أعطى ابن لقيم العبسي، حين افتتح خيبر، ما بها من دجاجة أو داجن وكان فتح خيبر في صفر فقال ابن لقيم العبسي في خيبر:

رميت نطاة من الرسول بفيلق ... شهباء ذات مناكب وفقار

واستيقنت بالذل لما شيعت ... ورجال أسلم وسطها وغفار

صبحت بنى عمرو بن زرعة غدوة ... والشق أظلم أهله بنهار

---

(١) حديث حسن، إسناده معضل، وأورده ابن كثير (٢١٢/٤) عن ابن إسحاق، وابن سعد (١١٦/٢) والذهبي (٤٠٨/٢) والحاكم (٢٨/٤، ٢٩).

(٢) حديث صحيح، وإسناده مرسل، أخرجه مالك (١٨٤) وعبد الرزاق (٢٢٣٧)، والبغوى (٤٣٧) ومسلم (٦٨٠)، وأبو داود (٤٣٥) وابن ماجه (٦٩٧).

جـــرت بأبطحها الذيول فلم تدع ... إلا الدجـــاج تصيح في الأسحار
ولكل حصن شاغل من خيلهـــــم ... من عبد أشهل أو بنى النجـــــار
ومهاجرين وقد أعلموا سيماهـــم ... فـــوق المغافر لم ينوا لفـــــرار
ولقـــد علمـــت ليغلبن محـــــمد ... وليـــثوين بهـــا إلى أصـــفـــار
فرت يهود يوم ذلك في الوغـــــى ... تحت العجاج غمائم الأبصار[1]

حديث المرأة الغفارية:

قال ابن إسحاق: وشهد خيبر مع رسول الله ﷺ نساء من المسلمين فرضخ لهن رسول الله ﷺ من الفئ، ولم يضرب لهن بسهم[2].

قال ابن إسحاق: حدثني سليمان بن سحيم، عن أمية بنت أبي الصلت، عن امرأة من بنى غفار، قد سماها لي، قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بنى غفار، فقلنا يا رسول الله، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا، وهو يسير إلى خيبر فنداوى الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا فقال على بركة الله. قالت: فخرجنا معه، وكنت جارية حدثة، فأردفني رسول الله على حقيبة رحلة، قالت: فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح وأناخ، ونزلت عن حقيبة رحله وإذا بها دم مني، وكانت أول حيضة حضتها، قالت: فتقبضت إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي ورأى الدم، قال: مالك؟ لعلك نفست، قالت: قلت: نعم، قال: فأصلحي من نفسك، ثم خذي إناء من ماء، فاطرحي فيه ملحاً، ثم اغسلي به ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي لمركبك.

قالت: فلما فتح رسول الله ﷺ خيبر، رضخ لنا من الفيء، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها، وعلقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني أبداً.

قالت: فكانت في عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تدفن معها قالت: وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت في طهورها ملحاً، وأوصت به أن يجعل

(١) أورده بلاغاً، وهو من أنواع الضعيف، وأورده ابن كثير (٤/٢١٤) عن ابن إسحاق.
(٢) انظر: تاريخ الطبرى (٣/١٧) والبداية (٤/٢٠٤).

في غسلها حين ماتت[١].

شهداء خيبر:

قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين، من قريش. ثم من بنى أمية بن عبد شمس، ثم من حلفائهم: ربيعة بن أكثم بن سخبرة ابن عمرو بن بكير بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد، وثقيف بن عمرو، ورفاعة بن مسروح[٢].

من بنى أسد:

ومن بني أسد بن عبد العزى: عبد الله الهبيب بن أهيب بن سحيم بن غيرة، من بنى سعد بن ليث، حليف لبني أسد، وابن أختهم.

من بني سلمة:

ومن الأنصار ثم من بني سلمة: بشر بن البراء بن معرور، مات من الشاة التي سم فيها رسول الله ﷺ، وفضيل بن النعمان، رجلان.

من بني زريق والأوس:

ومن بني زريق: مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة بن عامر بن زريق،

ومن الأوس ثم من بني عبد الأشهل: محمود بن مسلمة بن خالد بن عدي ابن مجدعة بن حارثة بن الحارث، حليف لهم من بني حارثة.

من بني عمرو بن عوف:

ومن بني عمرو بن عوف: أبو ضياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف، والحارث بن حاطب، وعروة بن مرة ابن سراقة، وأوس بن القائد، وأنيف بن حبيب، وثابت بن أثلة، وطلحة بن يحيى ابن مليل بن ضمرة.

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه أحمد (٣٨٠/٦)، وأبو داود (٣/٣) وابن سعد (٢٩٣/٨) والبيهقي (٤٠٧/٢).

(٢) انظر الدرر (ص/٢٣٩، ٢٤٠) والبداية (٢١/٤) ومجمع الزوائد (١٥٥/٦).

من بني غفار وأسلم:

ومن بني غفار: عمارة بن عقبة، رمى بسهم.

ومن أسلم: عامر بن الأكوع، والأسود الراعي، وكان اسمه أسلم.

وممن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهرى، من بني زهرة: مسعود ابن ربيعة، حليف لهم من القارة.

ومن الأنصار بنى عمرو بن عوف: أوس بن قتادة.

قصة الأسود الراعي وإسلامه ثم استشهاده:

قال ابن إسحاق: وكان من حديث الأسود الراعي فيما بلغني: أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم له، كان فيها أجيراً لرجل من يهود فقال: يا رسول الله، اعرض عليَّ الإسلام، فعرضه عليه، فأسلم، وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحداً أن يدعوه إلى الإسلام، ويعرضه عليه، فلما أسلم قال: يا رسول الله، إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها؟ قال: **اضرب في وجوهها، فإنها سترجع إلى ربها**- أو كما قال- فقال الأسود: فأخذ حفنة من الحصى فرمى بها في وجوهها، وقال: ارجعي إلى صاحبك فوالله لا أصحبك أبداً، فخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها حتى دخلت الحصن، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى لله صلاة قط فأتى به رسول الله ﷺ فوضعه خلفه وسجى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه فقالوا: يا رسول الله لم أعرضت عنه؟ قال: **إن معه الآن زوجتيه من الحور العين.**

قال ابن إسحاق: وأخبرني عبد الله بن أبي نجيح أنه ذكر له: أن الشهيد إذا ما أصيب تدلت له زوجتاه من الحور العين: عليه تنفضان التراب عن وجهه وتقولان: ترب الله وجه من تربك وقتل من قتلك[١].

---

(١) حديث صحيح، وأخرجه البيهقي (٤/٢٢١) وعبد الرزاق (٦٦٥١) (٩٥٩٧) والنسائي (٤/٦١).

حديث الحجاج بن علاط السلمي:

قال ابن إسحاق: ولما فتحت خيبر، كلم رسول الله ﷺ ، الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى، فقال يا رسول الله، إن لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة بنت أبي طلحة- وكانت عنده، له منها معرض ابن الحجاج، ومال متفرق في مجاز أهل مكة، فأذن لي يا رسول الله، فأذن له، قال: إنه لابد لي يا رسول الله من أن أقول قال: **قل**. قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يتسمعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز، ريفا ومنعة ورجالا، فهم يتحسسون الأخبار، ويسألون الركبان، فلما رأوني قالوا: الحجاج ابن علاط قال: ولم يكونوا علموا بإسلامي- عنده والله الخبر، أخبرنا يا أبا محمد، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر، وهى بلد يهود وريف الحجاز، قال قلت: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم. قال فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون: إيه يا حجاج، قال: قلت: هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمد أسراً، وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم. قال: فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: قد جاءكم الخبر، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم، فيقتل بين أظهركم. قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي، فإني أريد أن أقدم خيبر، فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك [1].

قال ابن إسحاق: قال: فقاموا فجمعوا لي مالي كأحث جمع سمعت به قال: وجئت صاحبتي فقلت: ما لي، وقد كان لي عندها مال موضوع، لعلى ألحق بخيبر، فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار، قال فلما سمع العباس

---

(١) أخرجه الطبري (٣/١٧، ١٨) وعبد الرزاق (١٩٧٧١) والبيهقي (٤/٢٦٦).

ابن عبد المطلب الخبر، وجاءه عني، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار، فقال: يا حجاج، ما هذا الخبر الذي جئت به؟ قال: فقلت: وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال: نعم. قال: قلت فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء، فإني في جمع كما ترى، فانصرف عني حتى أفرغ، قال: حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة وأجمعت الخروج لقيت العباس، فقلت: أحفظ على حديثي يا أبا الفضل. فإني أخشى الطلب ثلاثاً، ثم قل ما شئت، قال: أفعل قلت فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم. يعني صفية بنت حيي ولقد افتتح خيبر وانتثل ما فيها وصارت له ولأصحابه فقال: ما تقول يا حجاج؟ قال: قلت: أي والله فاكتم عني ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالي فرقاً من أن أغلب عليه فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك فهو والله على ما تحب قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلق وأخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة، قال: كلا، والله الذي حلفتم به، لقد افتتح محمد خيبر وترك عروساً على بنت ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه، قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلماً، فأخذ ما له، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه، فيكون معه، قالوا: يا لعباد الله، انفلت عدو الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن، قال: ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك.

شعر حسان في فتح خيبر:

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل من الشعر في يوم خيبر قول حسان بن ثابت:

بئسما قاتلت خيابر عما ... جمعوا من مزارع ونخيل

كرهوا الموت فاستبيح حماهم ... وأقروا فعل اللئيم الذليل

أمن الموت هربوا فإن المو ... ت موت الهزال غير جميل[1]

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٤/٢١٧، ٢١٨).

قال ابن إسحاق: وقال ناجية بن جنوب الأسلمي:

يا لعباد الله فيم يرغب ما هو إلا مأكل ومشرب

وجنة فيها نعيم معجب

تقسيم أموال خيبر:

قال ابن إسحاق: وكانت المقاسم على أموال خيبر، على الشق ونطاة والكتيبة فكانت الشق ونطاة في سهمان المسلمين، وكانت الكتيبة خمس الله، وسهم النبي ﷺ ، وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين، وطعم أزواج النبي ﷺ وطعم رجال مشوا بين رسول الله ﷺ وبين أهل فدك بالصلح، ومنهم محيصة بن مسعود، أعطاه رسول الله ﷺ ثلاثين وسقا، من شعير، وثلاثين وسقا من تمر، وقسمت خيبر على أهل الحديبية، من شهد خيبر، ومن غاب عنها، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضرها، وكان وادياها وادي السريرة، ووادي خاص، وهما اللذان قسمت عليهما خيبر، وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهماً، نطاة من ذلك خمسة أسهم، والشق ثلاثة عشر سهماً، وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم، وثمانمائة سهم.

وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله ﷺ ألف سهم وثمانمائة سهم، برجالهم وخيلهم. الرجال أربع عشرة مائة، والخيل مئتا فرس فكان لكل فرس سهمان، ولفارسه سهم، وكان لكل راجل سهم، فكان لكل سهم رأس جمع إليه مائة رجل، فكانت ثمانية عشر سهماً جمع.

قال ابن إسحاق: فكان على بن أبي طالب رأساً، والزبير بن العوام، وطلحة ابن عبيد الله وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عدى أخو بني العجلان، وأسيد بن حضير، وسهم الحارث بن الخزرج، وسهم ناعم، وسهم بني بياضة، وسهم بني عبيدة، وسهم بني حرام من بني سلمة، وعبيد السهام.

قال ابن إسحاق: وسهم ساعدة، وسهم غفار وأسلم، وسهم النجار وسهم حارثة، وسهم أوس، فكان أول سهم خرج من خيبر بنطاة سهم الزبير ابن العوام وهو الخزع وتابعه السرير، ثم كان الثاني سهم بياضة، ثم كان الثالث سهم أسيد ثم كان الرابع سهم بني الحارث بن الخزرج ثم كان الخامس سهم ناعم لبني عوف بن الخزرج ومزينة وشركائهم، وفيه قتل محمود بن مسلمة فهذه نطاة.

ثم هبطوا إلى الشق، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدي، أخي بني العجلان، ومعه كان سهم رسول الله ﷺ ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف، ثم سهم ساعدة ثم سهم النجار، ثم سهم على بن أبي طالب رضوان الله عليه، ثم سهم طلحة بن عبيد الله، ثم سهم غفار وأسلم، ثم سهم عمر بن الخطاب، ثم سهم سلمة بن عبيدة وبني حرام، ثم سهم حارثة، ثم سهم عبيد السهام، ثم سهم أوس، وهو سهم اللفيف، جمعت إليه جهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب، وكان حذوه سهم رسول الله ﷺ ، الذي كان أصابه في سهم عاصم بن عدي.

ثم قسم رسول الله ﷺ الكتيبة، وهي وادي خاص، بين قرابته وبين نسائه وبين رجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها، فقسم رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته مئتي وسق، ولعلي بن أبي طالب مئة وسق، ولأسامة بن زيد مئتي وسق وخمسين وسقاً من نوى، ولعائشة أم المؤمنين مئتي وسق، ولأبي بكر بن أبي قحافة مئة وسق، ولعقيل بن أبي طالب مئة وسق وأربعين وسقا، ولبني جعفر خمسين وسقا، ولربيعة بن الحارث مئة وسق وللصلت بن مخرمة وابنيه مئة وسق للصلت منها أربعون وسقا، ولأبي نبقة خمسين وسقا ولركانة بن عبد يزيد خمسين وسقاً، ولقيس بن مخرمة ثلاثين وسقا، ولأبي القاسم بن مخرمة أربعين وسقاً، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنة الحصين بن الحارث مئة وسق ولبني عبيد ابن عبد يزيد ستين وسقا ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقا، ولمسطح بن أثاثة

وابن إلياس خمسين وسقا، ولأم رميئة أربعين وسقا، ولنعيم بن هند ثلاثين وسقا، ولبحينة بنت الحارث ثلاثين وسقا، ولعجير بن عبد يزيد ثلاثين وسقا، ولأم الحكم بنت الزبير بن عبد المطلب ثلاثين وسقا، ولجماعة بنت أبي طالب ثلاثين وسقا، ولابن الأرقم خمسين وسقا، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقا، ولحمنة بنت جحش ثلاثين وسقا، ولأم الزبير أربعين وسقا، ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقا ولابن أبي خنيس ثلاثين وسقا ولأم طالب أربعين وسقا، ولأبي بصرة عشرين وسقا، ولنميلة الكلبي خمسين وسقا، ولعبد الله بن وهب وابنيه تسعين وسقا لابنيه منها أربعين وسقا، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقا، ولملكوم بن عبدة ثلاثين وسقا، ولنسائه ﷺ سبع مئة وسق.

ذكر ما أعطى محمد رسول الله ﷺ نساءه من قمح خيبر

نصيب أمهات المؤمنين وفاطمة:

قسم لهن مئة وسق وثمانين وسقا، ولفاطمة بنت رسول الله ﷺ خمسة وثمانين وسقا، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقا ولأم رميئة خمسة أوسق. شهد عثمان بن عفان، وعباس وكتب [١].

وصية الرسول عند موته:

قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كيسان، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: لم يوص رسول الله ﷺ عند موته إلا بثلاث، أوصى للرهاويين بجاد مئة وسق من خيبر، والداريين بجاد مئة وسق، من خيبر، وللسبائيين، وللأشعريين بجاد مئة وسق من خيبر، وأوصى بتنفيذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة، وألا يترك بجزيرة العرب دينان [٢].

خبر فدك: قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر قذف الله

---

(١) انظر: البداية (٤/ ٢٠٤).

(٢) إسناده مرسل، وأخرجه الطبري (٣/ ٢٠) عن ابن إسحاق.

الرعب في قلوب أهل فدك، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر، أو بالطائف أو بعد ما قدم المدينة، فقبل ذلك منهم، فكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

تسمية النفر الداريين الذين أوصي لهم رسول الله ﷺ من خيبر:

وهم بنو الدار بن حبيب بن نمارة بن لخم، الذين ساروا إلى رسول الله ﷺ من الشام: تميم بن أوس ونعيم بن أوس أخوه، ويزيد بن قيس، وعرفة بن مالك، سماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن.

قال ابن إسحاق: وفاكه بن نعمان، وجبلة بن مالك، وأبو هند بن بر، وأخوه الطيب بن بر، فسماه رسول الله ﷺ عبد الله.

فكان رسول الله ﷺ، كما حدثني عبد الله بن أبي بكر، يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصا بين المسلمين ويهود، فيخرص عليهم، فإذا قالوا: تعديت علينا، قال: إن شئتم فلنا، فتقول يهود: بهذا قامت السموات والأرض.

وإنما خرص عليهم عبد الله بن رواحة عاماً واحداً، ثم أصيب بمؤتة يرحمه الله، فكان جبار بن صخر بن أمية بن خنساء، أخو بنى سلمة، هو الذي يخرص عليهم بعد عبد الله بن رواحة.

فأقامت يهود على ذلك، لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم، حتى عدوا في عهد رسول الله ﷺ على عبد الله بن سهل، أخي بني حارثة، فقتلوه، فاتهمهم رسول الله ﷺ والمسلمون عليه[1].

قال ابن إسحاق: حدثني الزهري عن سهل بن أبي حثمة، وحدثني أيضاً بشير بن يسار مولى بني حارثة، عن سهل بن أبي حثمة، قال: أصيب عبد الله بن

(١) إسناده مرسل، وأخرجه الطبري (٣/ ٢٠) عن ابن إسحاق .

سهل بخيبر، وكان خرج إليها في أصحاب له يمتار منها تمراً، فوجد في عين قد كسرت عنقه، ثم طرح فيها، قال فأخذوه فغيبوه، ثم قدموا على رسول الله ﷺ، فذكروا له شأنه، فتقدم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل، ومعه ابنا عمه حويصة ومحيصة ابنا مسعود، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنا، وكان صاحب الدم، وكان ذا قدم في القوم، فلما تكلم قبل ابني عمه قال رسول الله ﷺ: **الكبر الكبر**[١].

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن عبد الرحمن بن بجيد بن قيظي: أخي بني حارثة، قال محمد بن إبراهيم، وايم الله، ما كان سهل بأكثر علماً منه. ولكنه كان أسن منه، إنه قال له: والله ما هكذا كان الشأن! ولكن سهلا أوهم، ما قال رسول الله ﷺ : احلفوا على ما لا علم لكم به، ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار أنه قد وجد قتيل بين أبياتكم فدوه، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه. ولا يعلمون له قاتلاً فوداه رسول الله ﷺ من عنده [٢].

إجلاء اليهود عن خيبر:

قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بجيد إلا أنه قال في حديثه: فدوه أو ائذنوا بحرب، فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلاً، فوداه رسول الله ﷺ من عنده [٣].

قال ابن إسحاق: وسألت ابن شهاب الزهري: كيف كان إعطاء رسول الله ﷺ يهود خيبر نخلهم، حين أعطاهم النخل على خرجها، أبت ذلك لهم حين

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه أحمد (٤/٢، ٣، ١٤٢) والبخاري (٢٧٠٢)، (٣١٧) ومسلم (١٦٦٩) ومالك (٨٧٧) وعبد الرزاق (١٨٢٥٩) وأبو داود (٤٤٩٧) (٤٤٩٨) والترمذي (١٤٤١).

(٢) إسناده مرسل، وأخرجه أبو داود (٤٥٢٥) وفي الفتح (١٢/٢٣٧، ٢٣٨).

(٣) إسناده مرسل، انظر: السابق.

قبض أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك؟

فأخبرني ابن شهاب: أن رسول الله ﷺ افتتح خيبر عنوة بعد القتال، وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل على رسول الله ﷺ ، خمسها رسول الله ﷺ ، وقسمها بين المسلمين، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال، فدعاهم رسول الله ﷺ ، فقال: إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها، وتكون ثمارها بيننا وبينكم، وأقركم ما أقركم الله، فقبلوا، فكانوا يعملونها، وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة، فيقسم ثمرها، ويعدل عليهم في الخرص، فلما توفي الله نبيه ﷺ ، أقرها أبو بكر ﷺ ، بعد رسول الله ﷺ بأيديهم، على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله ﷺ ، حتى توفي، ثم أقرها عمر ﷺ صدرا من إمارته. ثم بلغ عمر أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان، ففحص عمر ذلك، حتى بلغه الثبت، فأرسل إلى يهود، فقال إن الله عز وجل قد أذن في جلائكم، قد بلغني أن رسول الله، قال: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود به، أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله من اليهود، فليتجهز للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ منهم[(١)].

عمر يجلي اليهود من خيبر:

قال ابن إسحاق: وحدثني نافع، مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر قال: خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا، قال: فعدى عليَّ تحت الليل، وأنا نائم على فراشي، ففدعت يداي من مرفقي، فلما أصبحت استصرخ عليَّ صاحباي، فأتياني فسألاني: من صنع هذا بك؟ فقلت: لا أدري، قال: فأصلحا من يدي، ثم قدما بي على عمر ﷺ، فقال: هذا عمل يهود، ثم قام في الناس خطيباً فقال: أيها

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الطبري (٣/٢٠-٢١) ابن كثير في البداية (٤/٢١٩) عن ابن إسحاق.

الناس، إن رسول الله ﷺ كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه، كما قد بلغكم، مع عدوهم على الأنصاري قبله، لا نشك أنهم أصحابه، ليس لنا هناك عدو غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به، فإني مخرج يهود فأخرجهم [١].

عمر يقسم وادي القرى:

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن مكنف، أخي بني حارثة، قال: لما أخرج عمر يهود من خيبر ركب في المهاجرين والأنصار، وخرج معه جبار بن صخر بن أمية بن خنساء، أخو بني مسلمة، وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم- ويزيد بن ثابت، وهما قسما خيبر بين أهلها، على أصل جماعة السهمان، التي كانت عليها.

وكان ما قسم عمر بن الخطاب من وادي القرى، لعثمان بن عفان خطر. ولعبد الرحمن بن عوف خطر، ولعمر بن أبي سلمة خطر، ولعامر بن أبي ربيعة خطر، ولعمر بن سراقة خطر.

قال ابن إسحاق: ولجبر بن عتيك نصف خطر، ولابن الحارث بن قيس نصف خطر، ولابن حزمة والضحاك خطر، فهذا ما بلغنا من أمر خيبر ووادي القرى ومقاسمهما [٢].

---

(١) إسناده صحيح، أخرجه البخاري (٢٣٣٨)، (٢٧٣٠) ، (٣١٥٢).

(٢) إسناده ضعيف.

قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة وحديث المهاجرين معه

قال ابن إسحاق: وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ حتى بعث فيهم رسول الله ﷺ إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري فحملهم في سفينتين، فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية.

من بني هاشم بن عبد مناف: جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب، معه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية، وابنه عبد الله بن جعفر، وكانت ولدته بأرض الحبشة، قتل جعفر بمؤته من أرض الشام أميراً لرسول الله ﷺ، رجل.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد، وابناه سعيد بن خالد، وأمة بنت خالد، ولدهما بأرض الحبشة قتل خالد بمرج الصفر في خلافة أبي بكر الصديق بأرض الشام، وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانى، هلكت بأرض الحبشة. قتل عمرو بأجنادين من أرض الشام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه .

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أمية أبو أحيحة:

ألا ليت شعرى عنك يا عمرو إذا شب واشتدت يداه وسلحا
أنترك أمر القوم فيه بلابل تكشف غيظاً كان في الصدر موجحا

ولعمر وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص، حين أسلما، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظريبة، من ناحية الطائف، هلك في مال له بها:

ألا ليت ميتاً بالظريبة شاهد لما يفترى في الدين عمرو وخالد
أطاعا بنا أمر النساء فأصبحا يعينان من أعدائنا من نكابد

فأجابه خالد بن سعيد، فقال:

أخي ما أخي لا شاتم أنا عرضه ولا هو من سوء المقالة مقصر
يقول إذا اشتدت عليه أموره ألا ليت ميتا بالظريبة ينشر

فدع عنك ميتا قد مشى لسبيله وأقبل على الأدنى الذي هو أفقر

ومعيقيب بن أبي فاطمة، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان إلى آل سعيد بن العاص، وأبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس، حليف آل عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس، أربعة نفر.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الأسود بن نوفل بن خويلد. رجل.

ومن بني عبد الدار بن قصي: جهم بن قيس بن عبد شرحبيل، معه أبناه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة، وابناه لها، رجل.

ومن بني زهرة بن كلاب: عامر بن أبي وقاص، وعتبة بن مسعود، حليف لهم من هذيل. رجلان.

ومن بني تيم بن مرة بن كعب: الحارث بن خالد بن صخر، وقد كانت معه امرأته ريطة بنت الحارث بن جبيلة، هلكت بأرض الحبشة رجل.

ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب: عثمان بن ربيعة بن أهبان. رجل.

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب: محمية بن الجزء، حليف لهم من زبيد، كان رسول الله ﷺ، جعله على خمس المسلمين رجل.

ومن بني عدي بن كعب بن لؤي: معمر بن عبد الله بن نضلة رجل.

ومن بني عامر بن لؤي بن غالب: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس، معه امرأته عمرة بنت السعدي بن وقدان ابن عبد شمس، رجلان.

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك: الحارث بن عبد قيس بن لقيط. رجل.

وقد كان حمل النجاشي معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك

هنالك من المسلمين.

فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمر بن أمية الضمري في السفينتين، فجميع من قدم في السفينتين إلى رسول الله ﷺ ستة عشر رجلاً.

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة، ولم يقدم إلا بعد بدر، ولم يحمل النجاشي في السفينتين إلى رسول الله ﷺ، ومن قدم بعد ذلك، ومن هلك بأرض الحبشة، من مهاجرة الحبشة:

من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدي أسد خزيمة، حليف بني أمية بن عبد شمس، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان، وابنته حبيبة بنت عبيد الله، وبها كانت تكني أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكان اسمها رملة خرج مع المسلمين مهاجرا، فلما قدم أرض الحبشة تنصر بها وفارق الإسلام، ومات هنالك نصرانيا، فخلف رسول الله ﷺ على امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة، قال: خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلما، فلما قدم أرض الحبشة تنصر، قال: فكان إذا مر بالمسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ قال: فتحنا وصأصأتم، أي قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر، ولم تبصروا بعد. وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك فضرب ذلك له ولهم مثلاً: أي أنّا قد فتحنا أعيننا فلأبصرنا، ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا وأنتم تلتمسون ذلك.

قال ابن إسحاق: وقيس بن عبد الله، رجل من بني أسد بن خزيمة، وهو أبو أمية بنت قيس التي كانت مع أم حبيبة، وامرأته بركة بنت يسار، مولاة أبي سفيان ابن حرب، كانتا ظئري عبيد الله بن جحش، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، فخرجا بهما معهما حين هاجروا إلى أرض الحبشة. رجلان.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي: يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، قتل يوم حنين مع رسول الله ﷺ شهيداً، وعمر بن أمية بن

الحارث بن أسد هلك بأرض الحبشة. رجلان.

ومن بني عبد الدار بن قصي: أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار، وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف ابن عبد الدار. رجلان.

ومـــن بني زهرة بن كلاب بن مرة: المطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عـــبد بن الحارث بن زهرة، معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة بن سعيد ابـــن ســـعد ابن سهم هلك بأرض الحبشة، ولدت له هنالك عبد الله بن عبد المطلب، فكان يقال: إن كان لأول رجل ورث أباه في الإسلام. رجل.

ومـــن بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي: عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، قتل بالقادسية مع سعد بن أبي وقاص رجل.

مـــن بـــنى مخـــزوم بن يقظة بن مرة بن كعب: هبار بن سفيان بن عبد الأسد، قتل بأجنادين من أرض الشام في خلافة أبي بكر ﷺ، وأخوه عبد الله بن سفيان قتل عام اليرموك بالشام في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ يشك فيه أقتل أم لا: وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة، ثلاثة نفر.

ومـــن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب: حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، وابناه محمد والحارث، معه امرأته فاطمة بنت المحلل. هلك حاطب هناك مسلما. فقدمت امرأته وابناه وهى أمهما في إحـــدى السفينتين وأخوه حطاب بن الحارث معه امرأته فكيهة بنت يسار هلك هـــناك مسلما فقدمت امرأته فكيهة في إحدى السفينتين وسفيان بن معمر بن حبيب وابـــناه جنادة وجابر وأمهما حسنة وأخوهما لأمهما شرحبيل ابن حسنة وهلك سفيان وهلك ابناه جنادة وجابر في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، ستة نفر.

ومـــن بني سهم بن هصيص بن كعب: عبد الله بن الحارث بن قيس بن عـــدي بن سعد بن سهم الشاعر هلك بأرض الحبشة وقيس بن حذافة بن قيس ابـــن عدي بن سعيد بن سهم وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد

ابن سهم قتل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم وهو (رسول) رسول الله ﷺ إلى كسرى، والحارث بن الحارث بن قيس بن عدي ومعمر بن الحارث بن قيس بن عدي وبشر بن الحارث بن قيس بن عدى وأخ له من أمه من بني تميم يقال له سعيد ابن عمرو وقتل بأجنادين في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وسعيد بن الحارث بن قيس قتل عام اليرموك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والسائب بن الحارث بن قيس، جرح بالطائف مع رسول الله ﷺ، وقتل يوم فحل في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ويقال: قتل يوم خيبر، يشك فيه، وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم، قتل بعين التمر مع خالد بن الوليد منصرفه من اليمامة، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، أحد عشر رجلاً.

ومن بني عدي بن كعب بن لؤي: عروة بن عبد العزي بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب، هلك بأرض الحبشة، وعدي بن نضلة بن عبد العزي بن حرثان، هلك بأرض الحبشة رجلان.

وكان مع عدي ابنه النعمان بن عدي، فقدم النعمان مع من قدم من المسلمين من أرض الحبشة، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب، فاستعمله على ميسان، من أرض البصرة فقال أبياتا من شعر، وهي:

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها ... بميسان يسقى في زجاج وحنتم

إذا شئت غنتني دهاقين قرية ... ورقاصة تجثو على كل منسم

فإن كنت ندماني فبالأكبر أسقني ... ولا تسقني بالأصغر المتثلم

لعل أمير المؤمنين يسوؤه ... تنادمنا في الجوسق المتهدم

فلما بلغت أبياته عمر، قال: نعم والله، إن ذلك ليسوؤني، فمن لقيه فليخبره أني قد عزلته، وعزله فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال: والله يا أمير المؤمنين، ما صنعت شيئاً مما بلغك أني قلته قط، ولكني كنت امرءاً شاعراً، وجدت فضلا من قول، فقلت فيما تقول الشعراء، فقال له عمر: وايم الله، لا

تعمل لي على عمل ما بقيت، وقد قلت ما قلت.

ومن بني عامر بن لؤي بن غالب بن فهر: سليط بن عمرو بن عبد شمس ابن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر. وكان رسول رسول الله ﷺ إلى هوذة بن على الحنفي باليمامة. رجل.

ومن بني الحارث بن فهر بن مالك: عثمان بن غنم بن زهير بن أبي شداد، وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الحارث بن فهر، وعياض بن زهير ابن أبي شداد ثلاثة نفر.

فجميع من تخلف عن بدر، ولم يقدم على رسول الله ﷺ مكة، ومن قدم بعد ذلك، ومن لم يحمل النجاشي في السفينتين، أربعة وثلاثون رجلاً.

الهالكون منهم: وهذه تسمية من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة:

مـــن بني عبد شمس بن عبد مناف: عبيد الله بن جحش بن رئاب حليف بني أمية، مات بها نصرانيا.

ومن بني أسد بن عبد العزي بن قصي: عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد.

ومن بني جمح: حاطب بن الحارث، وأخوه حطاب بن الحارث.

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب: عبد الله بن الحارث بن قيس.

ومـــن بني عدي بن كعب بن لؤي: عروة بن عبد العزي بن حرثان بن عوف، وعدي بن نضلة سبعة نفر.

ومـــن أبنائهم من بني تيم بن مرة: موسى بن الحارث بن خالد بن صخر ابن عامر رجل.

مهاجرات الحبشة

وجمـــيع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء، من قدم منهن ومن هلك هنالك ست عشرة امرأة، سوى بناهن اللاتي ولدن هنالك، من قدم منهن ومن هلك هنالك ومن خرج به معهن حين خرجن:

من قريش: من بني هاشم رقية: بنت رسول الله ﷺ .

ومن بني أمية: أم حبيبة بنت أبي سفيان، مع ابنتها حبيبة، خرجت بها من مكة ورجعت بها معها.

ومـــن بني مخزوم: أم سلمة بنت أمية، قدمت معها بزينب ابنتها من أبي سلمة ولدتها هنالك.

ومن بني تيم بن مرة: ريطة بنت الحارث بن جبيلة هلكت بالطريق وبنتان لها كانت ولدتهما هنالك عائشة بنت الحارث وزينب بنت الحارث هلكن جميعاً وأخوهـــن موسى بن الحارث من ماء شربوه في الطريق وقدمت بنت لها ولدتها هنالك فلم يبق من ولدها غيرها يقال لها فاطمة.

ومن بني سهم بن عمرو، رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة.

ومن بني عدي بن كعب: ليلى بنت أبي حثمة بن غانم.

ومـــن بني عامر بن لؤي: سودة بنت زمعة بن قيس، وسهلة بنت سهيل ابن عمرو، وابنة المحلل، وعمرة بنت السعدي بن وقدان، وأم كلثوم بنت سهيل ابن عمرو.

ومـــن غرائب العرب: أسماء بنت عميس بن النعمان الخثعمية، وفاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانية، وفكيهة بنت يسار، وبركة بنت يسار، وحسنة، أم شرحبيل ابن حسنة.

مـــن ولد من أبنائهم بالحبشة: وهذه تسمية من ولد من أبنائهم بأرض الحبشة:

مـــن بـــني عبد شمس: محمد بن أبي حذيفة، وسعيد بن خالد بن سعيد، وأخته أمة بنت خالد.

ومن بني مخزوم: زينب بنت أبي سلمة بن الأسد.

ومن بني زهرة: عبد الله بن المطلب بن أزهر.

ومن بني تيم: موسى بن الحارث بن خالد، وأخواته عائشة بنت الحارث، وفاطمة بنت الحارث، وزينب بنت الحارث.

الرجال منهم خمسة: عبد الله بن جعفر، ومحمد بن أبي حذيفة، وسعيد بن خالد، وعبد الله بن عبد المطلب، وموسى بن الحارث.

ومن النساء خمس: أمة بنت خالد، وزينب بنت أبي سلمة، وعائشة وزينب وفاطمة، بنات الحارث بن خالد بن صخر.

بسم الله الرحمن الرحيم

عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق: فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر أقام بها شهري ربيع وجماديين ورجبا وشعبان وشهر رمضان وشوال، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ﷺ، ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء، مكان عمرته التي صدوه عنها [1].

سبب التسمية: ويقال لها عمرة القصاص؛ لأنهم صدوا رسول الله ﷺ في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست، فاقتص رسول الله ﷺ، منهم، فدخل مكة في ذي القعدة في الشهر الحرام الذي صدوه فيه، من سنة سبع.

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال: فأنزل الله في ذلك: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾[2].

قال ابن إسحاق: وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه في عمرته تلك، هي سنة سبع، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهد وشدة [3].

قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم، عن ابن عباس، قال: صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه؛ فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى، ثم قال: **رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة**، ثم استلم الركن، وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه، حتى إذا واراه البيت منهم، واستلم الركن اليماني، مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف، ومشى سائرها، فكان ابن عباس يقول: كان الناس يظنون أنها ليست عليهم، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم، حتى إذا حج حجة الوداع فلزمها، فمضت السنة بها.

---

(١) انظر: البداية (٤/٢٢٧).

(٢) سورة البقرة: آية ١٩٤.

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٣/٢٣) البداية (٤/٢٢٧).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله	**خلوا فكل الخير في رسوله**
يا رب إني مؤمن بقيله	**أعرف حق الله في قبوله**
نحن قتلناكم على تأويله	**كما قتلناكم على تنزيله**
ضربا يزيل الهام عن مقيله	**ويذهل الخليل عن خليله**

زواج الرسول ﷺ بميمونة:

قال ابن إسحاق: وحدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح عن عطاء ابن أبي رباح ومجاهد أبي الحجاج، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره وهو حرام، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب.

فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس، فزوجها رسول الله ﷺ بمكة، وأصدقها عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثا، فأتاه حويطب بن عبد العزي بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل، في نفر من قريش، في اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة؛ فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك، فاخرج عنا؛ فقال النبي ﷺ : **وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه** قالوا: لا حاجة لنا في طعامك، فاخرج عنا. فخرج رسول الله ﷺ، وخلف أبا رافع، مولاه على ميمونة، حتى أتاه بها بسرف، فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذي الحجة.

ذكر غزوة مؤتة

في جمادى الأولى سنة ثمان، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة

قال ابن إسحاق: فأقام بها بقية ذي الحجة، وولي تلك الحجة المشركون، والمحرم وصفرا وشهري ربيع، وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة (١).

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: **إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس.**

بكاء عبد الله بن رواحة وشعره للرسول:

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا عليهم فلما ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله ﷺ بكى، فقالوا: ما يبكيك يا بن رواحة؟ فقال: ما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله عز وجل، يذكر فيها النار ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾(٢)، فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود، فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين. فقال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنة بيدى حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

---

(١) انظر تاريخ الطبري (٣/٣٦) والدلائل (٤/٣٥٨، ٣٥٩).

(٢) سورة مريم: آية ٧١.

حـــتى يقال إذا مروا على أرشده الله من غاز وقد رشدا

قـــال ابن إسحاق: ثم إن القوم تهيئوا للخروج، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله ﷺ فودعه، ثم قال:

فثبـــت الله ما أتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

إني تفرســـت فيك الخير نافلة الله يعـــلم أني ثابـــت البصـــــر

أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجـــه مـــنه فقد أزرى به القدر

قال ابن إسحاق: ثم خرج القوم، وخرج رسول الله ﷺ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم، قال عبد الله بن رواحة:

خلف السلام على امرئ ودعته في الـــنخل خير مشيع وخليل

ثم مضـــوا حتى نزلوا معان، من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مـــآب، من أرض البلقاء، في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مئة ألف منهم، عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشة يقال له: مـــالك بـــن زافلة، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمـــرهم وقـــالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ، فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره، فنمضي له.

قـــال: فشـــجع الـــناس عبد الله بن رواحة، وقال: يا قوم، والله إن التى تكـــرهون، للتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة، ولا كـــثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة. قال: فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة. فمضى الناس؛ فقال عبد الله بن رواحة في محبسهم ذلك:

جلبـــنا الخيل من أجإ وفرع تغر من الحشيش لها العكوم

حذوناهـــا من الصوان سبتا أزل كأن صفحته أديـــــم

أقامت ليلتين على معان فأعقب بعد فترتها جموم
فرحنا والجياد مسمومات تنفس في مناخرها السموم
فلا وأبي مآب لنأتينها وإن كانت بها عرب وروم
فعبأنا أعنتها فجاءت عوابس والغبار لها بريم
بذي لجب كأن البيض فيه إذا برزت قوانسها النجوم
فراضية المعيشة طلقتها أسنتها فتنكح أو تئيم

قال ابن إسحاق: ثم مضى الناس. فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم، قال: كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه:

إذا أديتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك نعم وخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مشتهى الثواء
وردك كل ذي نسب قريب إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعتهن منه بكيت قال: فخفقني بالدرة. وقال: ما عليك يا لكع أن يرزقني الله شهادة وترجع بين شعبتي الرحل!

قال: ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز:

يا زيد زيد اليعملات الذبل تطاول الليل هديت فانزل

لقاء الروم وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: فمضى الناس، حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل، من الروم والعرب، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس عندها، فتعبأ لهم

المسلمون فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة، يقال له: قطبة بن قتادة، وعلى ميسرهم رجلاً من الأنصار يقال له عباية بن مالك.

استشهاد زيد بن حارثة:

قال ابن إسحاق: ثم التقى الناس واقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم.

استشهاد جعفر:

ثم أخذها جعفر فقاتل بها، حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل. فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام (١).

وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مرة بن عوف، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة.

قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبة وبارداً شرابها

والروم روم قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة أنسابها

عليَّ إذا لاقيتها ضرابها

استشهاد عبد الله بن رواحة:

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مرة بن عوف، قال: فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية، ثم تقدم بها، وهو على فرسه، فجعل يستترل نفسه، ويتردد بعض التردد، ثم قال:

---

(١) إسناده منقطع، وهو من أنواع الضعيف، أخرجه الطبري (٣/٣٨، ٣٩) ابن كثير (٤/٢٤٣) عن ابن إسحاق.

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... لتنزلن أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنه ... مالي أراك تكرهين الجنة
قد طال ما قد كنت مطمئنة ... هل أنت إلا نطفة في شنه

وقال أيضاً:

يا نفس إلا تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه: زيداً وجعفراً: ثم نزل. فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال: شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس، فقال وأنت في الدنيا؟! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم، فقاتل حتى قتل.

إمارة خالد: ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية دافع القوم، وخاشى بهم، ثم انحاز وانحيز عنه، حتى انصرف بالناس.

الرسول يتنبأ بما حدث قال ابن إسحاق: ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ، فيما بلغني: **أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً**؛ قال: ثم صمت رسول الله ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: **ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً**؛ ثم قال: **لقد رفعوا إلي في الجنة، فيما يرى النائم، على سرر من ذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه، فقلت: عم هذا؟ فقيل لي: مضيا وتردد عبد الله بعض التردد، ثم مضى.**

حزن الرسول على جعفر: قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن أم عيسى الخزاعية، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب،

عن جدتها أسماء بنت عميس، قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله ﷺ وقد طحنت أربعين منا وعجنت عجيني، وغسلت بني ودهنتهم ونظفتهم. قالت: فقال لي رسول الله ﷺ: ائتيني ببني جعفر؛ قالت: فأتيته بهم، فتشممهم وذرفت عيناه، فقلت يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم، أصيبوا هذا اليوم. قالت: فقمت أصيح، واجتمعت إليّ النساء، وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم.

وحدثني عبد الرحمن بن القاسم بن محمد عن أبيه، عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: لما أتى نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله ﷺ الحزن. قالت: فدخل عليه رجل فقال: يا رسول الله، إن النساء عنيننا وفتننا، قال فارجع إليهن فأسكتهن قالت: فذهب ثم رجع، فقال له مثل ذلك- قال: تقول وربما ضر التكلف أهله قالت: قال فاذهب فسكتهن، فإن أبين فاحث في أفواههن التراب، قالت: وقلت في نفسي: أبعدك الله! فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله ﷺ قالت وعرفت أنه لا يقدر على أن يحثي في أفواههن التراب.

قال ابن إسحاق: وقد كان قطبة بن قتادة العذري، الذي كان على ميمنة المسلمين قد حمل على مالك بن زافلة فقتله، فقال قطبة بن قتادة:

طعنت ابن زافلة بن الأرا ... ش برمح مضى فيه ثم انحطم

ضربت على جيده ضربة ... فمال كما مال غصن السلم

وسقنا نساء بني عمه ... غداة رقوقين سوق النعم

كاهنة حدس ومقالتها:

قال ابن إسحاق: وقد كانت كاهنة من حدس حين سمعت بجيش رسول الله ﷺ مقبلاً، قد قالت لقومها من حدس، وقومها بطن يقال لهم بنو غنم- أنذركم قوماً خزرا، ينظرون شزرا ويقودون الخيل تترى، ويهرقون دماً عكراً. فأخذوا بقولها، واعتزلوا من بين لخم، فلم تزل بعد أثرى حدس، وكان الذين

صلوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة، بطن من حدس، فلم يزالوا قليلاً بعد. فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلاً.

عودة الجيش والتقاء النبي بهم:

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: فلما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون. قال: ولقيهم الصبيان يشتدون، ورسول الله ﷺ مقبل مع القوم على دابة. فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر، فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه. قال: وجعل الناس يحثون على الجيش التراب، ويقولون يا فرار، فررتم في سبيل الله! قال: فيقول رسول الله ﷺ ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى[1].

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض آل الحارث بن هشام: وهم أخواله عن أم سلمة زوج النبي ﷺ، قال: قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة: ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس يا فرار، فررتم في سبيل الله، حتى قعد في بيته فما يخرج.

ما قيل من الشعر في غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق: وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم، قيس بن المسحر اليعمري، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس:

فوالله لا تنفك نفسي تلومني ... على موقفي والخيل قابعة قبل

وقفت بها لا مستجيراً فنافذاً ... ولا مانعاً من كان حم له القتل

---

(١) إسناده مرسل، أخرجه الطبري (٣/٤٢) في تاريخه، والبيهقي (٤/٣٧٤) والبداية (٤/ ٢٤٨، ٢٥٣) كلهم عن أبي إسحاق.

علـى أنني آسيت نفسي بخالـد ... ألا خالد في القوم ليس له مثـل
وجاشت إلى النفس من نحو جعفـر ... بمؤتـة إذ لا ينفع النابل النبـل
وضـم إلينا حجزتيهم كليهمـا ... مهاجر لا مشركون ولا عـزل[1]

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت، وحقق انحياز خالد بمن معه.

قال ابن إسحاق: وكان مما بكى به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله ﷺ قول حسان بن ثابت.

شعر حسان في غزوة مؤتة:

تأوبني ليل بيثرب أعسر ... وهم إذا ما نوم الناس مسهر
لذكري حبيب هيجت لي عبرة ... سفوحاً وأسباب البكاء التذكرُ
بلى إن فقدان الحبيب بلية ... وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا ... شعوب وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعاً وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبي إذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير موسد ... بمعترك فيه قنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد ... وفاء وأمراً حازماً حين يأمر
وما زال في الإسلام من آل هاشم ... دعائم عزلا لم يزلن ومفخر
هم جبل الإسلام والناس حولهم ... رضام إلى طود يروق ويبهر

---

(١) انظر البداية (٤/٢٥٠) نقلاً عن ابن إسحاق.

بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... عليٌّ ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم ... عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء في كل مأزق ... عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه ... عليهم، وفيهم ذا الكتاب المطهر

شعر حسان في رثاء جعفر:

وقال حسان بن ثابت يبكي جعفر بن أبي طالب ﵁:

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر ... حب النبي على البرية كلها
ولقد جزعت وقلت حين نعيت ... من للجلاد لدى العقاب وظلها
أو البيض حين تسل من أغمادها ... ضربا وانهال الرماح وعلها
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر ... خير البرية كلها وأجلها
رزءاً وأكرمها جميعاً محتدا ... وأعزها متظلماً وأذلها
للحق حين ينوب غير تنحل ... كذباً، وأنداها يداً، وأقلها
فحشا، وأكثرها إذا ما يجتدى ... فضلاً، وأبذلها ندى، وأبلها
بالعرف غير محمد لا مثله ... حي من أحياء البرية كلها

أسماء شهداء مؤتة:

من قريش ثم من بني هاشم: جعفر بن أبي طالب ﵁ وزيد بن حارثة ﵁.

من بني عدي: ومن بني عدي بن كعب: مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة.

من بني مالك: ومن بني مالك بن حسل وهب بن سعد بن أبي سرح.

من الأنصار: ومن الأنصار ثم من بني الحارث بن الخزرج: عبد الله بن رواحة وعبادة بن قيس.

من بني غنم بن مالك بن النجار: الحارث بن النعمان بن إساف بن نضلة ابن عبد بن عوف بن غنم.

ومن بني مازن بن النجار: سراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء. قال ابن هشام وممن استشهد يوم مؤتة فيما ذكر ابن شهاب.

من بني مازن بن النجار: أبو كليب وجابر، ابنا عمرو بن زيد بن عوف ابن مبذول وهما لأب وأم.

من بني مالك بن أفصي: عمرو وعامر، ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى.

ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكة، وذكر فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بعد بعثه إلى مؤتة جمادي الآخرة ورجبا.

ما وقع بين بني بكر وخزاعة: ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له: الوتير، وكان الذي هاج ما بين بني بكر وخزاعة أن رجلاً من بنى الحضرمي، واسمه مالك ابن عباد- وحلف الحضرمي يومئذ إلى الأسود بن رزن- خرج تاجراً، فلما توسط أرض خزاعة، عدوا عليه فقتلوه، وأخذوا ماله، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رزق الديلي- وهم مفخر بني كنانة وأشرافهم- سلمى وكلثوم وذؤيب- فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني رجل من بني الديل، قال: كان بنو الأسود بن رزن يودون في الجاهلية ديتين ديتين، ونودى دية دية، لفضلهم فينا (٢).

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣١٨) عن ابن إسحاق.

(٢) إسناده ضعيف معضل، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣١٨) عن ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام، وتشاغل الناس به. فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وبين قريش، كان فيما شرطوا لرسول الله ﷺ وشرط لهم، كما حدثني الزهري، عن عروة بن الزبير: عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، وغيرهم من علمائنا: أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده[1].

قال ابن إسحاق: فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بني بكر من خزاعة، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأرا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببني الأسود ابن رزن، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل، وهو يومئذ قائدهم، وليس كل بني بكر تابعه حتى بيت خزاعة وهم على الوتير، ماء لهم، فأصابوا منهم رجلاً، وتجاوزوا واقتتلوا، ورفدت بني بكر قريش بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه، قالت بنو بكر: يا نوفل، إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك، فقال: كلمة عظيمة، لا إله له اليوم، يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه؟! وقد أصابوا منهم ليلة بيتوهم بالوتير رجلاً يقال له منبه وكان منبه رجلاً مفئودا[2] خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد، وقال له منبه: يا تميم، انج بنفسك فأما أنا فوالله إني لميت، قتلوني أو تركوني، لقد أنبت فؤادي، وانطلق تميم فأفلت، وأدركوا منبها فقتلوه، فلما دخلت خزاعة

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) مفئود: هو الذي أصابه ألم في فؤاده أي قلبه.

مكة، لجئوا إلى دار بديل بن ورقاء، ودار مولى لهم يقال له رافع، فقال تميم ابن أسد يعتذر من فراره عن منبه:

لما رأيت بني نفاثة أقبلوا ... يغشون كل وتيرة وحجاب[1]
صخراً ورزناً لا عريب سواهم ... يزجون كل مقلص خناب[2]
وذكرت ذحلا عندنا متقادماً ... فيما مضى من سالف الأحقاب[3]
ونشيت ريح الموت من تلقائهم ... ورهبت وقع مهند قضاب[4]
وعرفت أن من يثقفوه يتركوا ... لحماً لمجرية وشلو غراب
قومت رجلاً لا أخاف عثارها ... وطرحت بالمتن العراء ثيابي
ونجوت لا ينجو نجائي أحقب ... علج أقب مشمر الأقراب
تلحى ولو شهدت لكان نكيرها ... بولا يبل مشافر القبقاب
القوم أعلم ما تركت منبها ... عن طيب نفس فاسألى أصحابي[5]

قال ابن إسحاق: وقال الأخزر بن لعط الديلي، فيما كان بين كنانة وذكرت ذحلاً عندنا متقادماً عن أبي عبيدة، وقوله «خناب» و «علج أقب مشمر الأقراب» عنه أيضاً.

شعر الأخزر:

قال ابن إسحاق: وقال الأخزر بن لعط الديلي، فيما كان بين كنانة وخزاعة في تلك الحرب:

---

(١) كل وتيرة: الأرض الممتدة.
(٢) خناب: الواسع المنخرين.
(٣) الأحقاب: السنون.
(٤) قضاب: قاطع.
(٥) انظر تاريخ الطبري (٣/٤٣-٤٤) والدرر في اختصار المغازي والسير (ص٢٤٠٩) والبداية والنهاية (٤/٣١٨).

ألا هـــل أتـــى قصوى الأحابيش أننا ... رددنـــا بـــني كعب بأفوق ناصل[١]
حبســـناهم في دارة العبد رافـــع ... وعـــند بديـــل محبســـا غير طائـــل
بدار الدليل الآخذ الضيم بعدمـــا ... شـــقينا الـــنفوس منهم بالمناصل[٢]
حبســـناهم حتى إذا طال يومهـــم ... نفحـــنا لهم من كل شعب بوابل[٣]
نذبحهـــم ذبـــح التـــيوس كأننـــا ... أســـود تـــبارى فيهم بالقواصـــل
هم ظلمونا واعتدوا في مسيرهـــم ... وكـــانوا لدى الأنصاب أول قاتـــل
كأهم بالجـــزع إذ يطردونهـــم ... بفـــاثور حفـــان النعام الجوافـــل[٤]

خـــزاعة تســـتنجد بالرســـول: قال ابن إسحاق: فلما تظاهرت بنو بكر وقـــريش عـــلى خزاعة وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رســـول الله ﷺ مـــن العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة، وكانوا في عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعي ثم أحد بني كعب، حتى قدم على رسول الله ﷺ المديـــنة، وكـــان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني الناس، فقال:

يـــا رب إني ناشد محمـــدا ... حلـــف أبينا وأبيه الأتلدا[٥]
قد كنتم ولداً وكنا والـــداً ... ثمت أسلمنا فلم ننزع يـــدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا ... وادع عباد الله يأتوا مـــددا
فـــيهم رسول الله قد تجـــردا ... إن سيم خسفاً وجهه تربـــدا
في فيلق كالبحر يجري مزبـــدا ... إن قريشاً أخلفوك الموعدا[٦]

---

(١) ناصل: خائباً.
(٢) المناصل: جمع منصل، وهو السيف.
(٣) بوابل: المطر الشديد.
(٤) الجوافل: الذاهبة المسرعة.
(٥) الأتلدا: القديم.
(٦) الفيلق : العسكر الكثير.

ونقضوا ميثاقك المؤكــــدا وجعلوا لي في كداء رصـــدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا وهــــم أذل وأقل عـــــددا
هــــم بيتونا بالوتير هجــــدا وقتلونا ركعا وسجــــدا[١]

يقول: قُتلنا وقد أسلمنا.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «نُصرت يا عمرو بن سالم». ثم عـــرض لرسول الله ﷺ عنان من السماء، فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب[٢].

ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فأخبروه بما أصيب منهم، وبمظاهرة[٣] قريش بني بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعـــين إلى مكـــة، وقد قال رسول الله ﷺ للناس: **«كأنكم بأبي سفيان قد جـــاءكم ليشد العقد، ويزيد في المدة»**. ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقـــوا أبـــا سفيان بن حرب بعسفان، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ، ليشد العقـــد، ويزيد في المدة، وقد رهبوا الذي صنعوا، فلما لقى أبو سفيان بديل بن ورقـــاء، قـــال: من أين أقبلت يا بديل؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ﷺ، قال: تســـيرت في خزاعة في هذا الساحل، وفي بطن هذا الوادي، قال: أو ما جئت محمداً؟ قال: لا، فلما راح بديل إلى مكة، قال أبو سفيان: لئن جاء بديل المدينة لقد علف بها النوى، فأتى مبرك راحلته، فأخذ من بعرها ففته، فرأى فيه النوى، فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً.

أبو سفيان يطلب الصلح: ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله

---

(١) الوتير: اسم الماء وقد تقدم.
(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٣/٤٤-٤٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٧) وفي السنن الكبرى (٩/٢٣٣-٢٣٤)، كتاب الجزية، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/٣١٦) وابن الأثير في « أسد الغابة» (٤/٢١٢-٢١٣)، والبداية والنهاية (٤/ ٣١٧-٣١٨).
(٣) المظاهرة : المعاونة.

ﷺ المدينة، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه، فقال: يا بنية، ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس، و لم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ، قال: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر. ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلمه، فلم يرد عليه شيئاً. ثم ذهب إلى أبي بكر، فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه، فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به. ثم خرج فدخل على عليٍّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضى عنها. وعندها حسن بن علي، غلام يدب بين يديها، فقال: يا علي، إنك أمس القوم بي رحما، وإني قد جئت في حاجة، فلا أرجعن كما جئت خائبا، فاشفع لي إلى رسول الله، فقال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزم رسول الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه، فالتفت إلى فاطمة فقال: يا ابنة محمد، هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بُني ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله ﷺ قال: يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد اشتدت على، فانصحني قال: والله ما أعلم لك شيئاً، ولكنك سيد بني كنانة، فقم فأجر بين الناس، ثم ألحق بأرضك قال: أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله ما أظنه، ولكني لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان إلى المسجد، فقال: أيها الناس، إني أجرت بين الناس. ثم ركب بعيره فانطلق، فلما قدم على قريش، قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلمته، فوالله ما رد على شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو.

قال ابن إسحاق: ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم، وقد أشار على بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئاً أم لا؟ قالوا: وبم أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس، ففعلت، قالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: ويلك! والله عن زاد الرجل على أن لعب بك فما يغني عنك ما قلت. قال: لا

والله ما وجدت غير ذلك [١].

الاستعداد لفتح مكة:

وأمر رسول الله ﷺ بالجهاد، وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها، وهي تحرك بعض جهازي ﷺ، فقال: أى بنية: أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه؟ قالت: نعم، فتجهز. قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدري[٢] ثم إن رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها. فتجهز الناس.

فقال حسان بن ثابت يحرض الناس، ويذكر مصاب رجال خزاعة:

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة ... رجال بني كعب تحز رقابها

بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم ... وقتلي كثير لم تجن ثيابها

ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي ... سهيل بن عمرو وخزها وعقابها

وصفوان عود حز من شفر استه ... فهذا أوان الحرب شد عصابها

فلا تأمننا يا ابن أم مجالد ... إذا احتلبت صرفا وأعصل نابها

ولا تجزعوا منا فإن سيوفنا ... لها وقعة بالموت يفتح بابها[٣]

حاطب يحذر أهل مكة: قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا، قالوا: لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/٧-٩) والطبري في تاريخه (٣/٤٦) كلاهما من طريق ابن إسحاق. وذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤/٣١٩-٣٢٠).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/١٢) من طريق ابن إسحاق. أخرجه أيضاً الطبري في تاريخه (٣/٤٧) حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة عن ابن إسحاق به، وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣٢٢-٣٢٣).

(٣) انظر تاريخ الطبري (٣/٤٨) والبداية والنهاية (٤/٣٢٣) عن طريق ابن إسحاق.

عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة، وزعم لي غيره أنها سارة، مولاة لبعض بني عبد المطلب، وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشا، فجعلته في رأسها، ثم فتلت عليه قرونها، ثم خرجت به. وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث على ابن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما، فقال: **أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبي بلتعة بكتاب إلى قريش، يحذرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم،** فخرجا حتى أدركاها بالخليقة، خليقة بني أبي أحمد، فاستنزلاها، فالتمساه في رحلها، فلم يجدا شيئاً، فقال لها على بن أبي طالب: إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك فلما رأت الجد منه، قالت: أعرض، فأعرض، فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه، فأتى به رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ حاطباً، فقال: **يا حاطب، ما حملك على هذا؟** فقال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت ولا بدلت، ولكني كنت امرءاً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعني فلأضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم فأنزل الله تعالى في حاطب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [1] إلى قوله: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[2]

---

(١) سورة الممتحنة: آية ١.

(٢) سورة الممتحنة: آية ٤.

إلى آخر القصة(١).

خروج الرسول إلى مكة:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عبيدالله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة أبا رهم، كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى، وخرج لعشر مضين من رمضان، فصام رسول الله ﷺ، وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكديد، بين عسفان وأمج أفطر(٢).

قال ابن إسحاق: ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين فسبعت سليم وبعضهم يقول ألفت سليم، وألفت مزينة، وفي كل القبائل عدد وإسلام، وأوعب مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار، فلم يتخلف عنه منهم أحد، فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران وقد عميت الأخبار عن قريش فلم يأتهم خبر عن رسول الله ﷺ، و لم يدرون ما هو فاعل، وخرج في تلك الليالي أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، يتحسسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به، وقد كان العباس ابن عبد المطلب لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق.

---

(١) إسناده مرسل، وأخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) (١٦/٥) والطبري في تاريخه (٤٨/٣) كلاهما من طريق محمد بن إسحاق وفي البداية والنهاية (٣٢٣/٤) عن طريق ابن إسحاق أيضاً وأخرجه البخاري (٣٦/٨) كتاب المغازي حديث (٣٩٨٣) ومسلم (١٩٤١/٤) كتاب فضائل الصحابة حديث (٢٤٩٤/١٦١) وأبو داود (٤٧/٣-٤٨) كتاب الجهاد حديث (٢٦٥٠) والترمذي (٤٠٩/٥-٤١٠) كتاب التفسير: باب ومن سورة الممتحنة حديث (٣٣٠٥) والنسائي في در التفسير (٢٦٠٥) وأحمد (٧٩/١).

(٢) إسناده حسن وصرح ابن إسحاق بالتحديث وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٥/٥-١٦) وأحمد (٢٦٦/١) والطبري في (تاريخه) (٤٩/٣-٥٠) من طريق ابن إسحاق به.
وأخرجه البخاري (١٨٠/٤): كتاب الصوم حديث (١٩٤٤) ومسلم (٧٨٤/٢) كتاب الصيام حديث (١١١٣/٨٨).

إســلام أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية: قال ابن إسحاق: وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قـد لقـيا رسـول الله ﷺ أيضاً بنيق العقاب، فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخـول عليه، فكلمته أم سلمة فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصهرك، **قال: لا حاجة لي بهما،** أما ابن عمي، فهتك عرضي، وأما ابن عمـتي وصـهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال. قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بني له. فقال: والله ليأذن لي أو لآخذن بيدي بني هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما، ثم أذن لهما، فدخلا عليه، فأسلما.

وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله في إسلامه، واعتذر إليه مما كان مضى منه، فقال:

لعمـرك إني يوم أحمل رايـة ... لتغلـب خيل اللات خيل محـمد
لكالمدلج[1] الحيران أظلم ليـله ... فهذا أواني حين أهدى وأهتـدي
هداني هاد غير نفسي ونالـني ... مـع الله من طردت كل مطـرد
أصـد وأنـأى[2] جاهداً عن محـمد ... وأدعى وإن لم انتسب من محـمد
هـم ما هم من لم يقل بهواهـم ... وإن كان ذا رأي يلم ويفنـد[3]
أريد لأرضيهم ولست بلائـط[4] ... مع القوم ما لم أهد في كل مقعـد
فقـل لثقـيف لا أريد قتـالها ... وقل لثقيف تلك: غيري أوعدي[5]

---

(١) المدلج: الذي يسير بالليل.

(٢) أناى: أبعد.

(٣) يفند: يلام ويكذب.

(٤) بلائط: لصق به.

(٥) اوعدي: هددي.

فما كنت في الجيش الذي نـــال ومــا كان جراً لساني ولا يـــدي
قبالــئ جاءت من بلاد بعيـــدة نزائع جاءت من سهام وســـردد(١)

قصة إسلام أبي سفيان:

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قوله: «**ونالني مع الله مـــن طـــردت كـــل مطرد**» ضرب رسول الله ﷺ في صدره، وقال: أنت طردتني كل مطرد(٢).

فلما نزل رسول الله ﷺ من الظهران، قال العباس بن عبد المطلب. فقلت: واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يأتوا فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر. قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء. فخرجـــت عليها. قال: حتى جئت الأراك، فقلت: لعلي أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة، قال: فوالله إني لأسير عليها، والتمس ما خرجـــت له، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء: وهما يتراجعان، وأبو ســـفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً، قال. يقول بديل: هذه والله خزاعة حمشتها (٣) الحرب. قال: يقول أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكـــون هذه نيرانها وعسكرها، قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: أبو الفضل؟ قال: قلت: نعم، قال: ما لك؟ فداك أبي وأمي، قال: قلـــت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش والله. قال: فما الحيلة؟ فداك أبي وأمي، قال قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك،

---

(١) سردد: واديان، وهما في اليمن. انظر البداية والنهاية (٤/٣٢٩).

(٢) أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) (٥/٢٧-٢٨) والطبري في تاريخه (٣/٥٠) والطبراني في الكبير (٨/١٠-١٥) كلاهما عن طريق ابن إسحاق. وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٦/١٧٠) وفي البداية والنهاية (٤/٣٢٦-٣٢٧).

(٣) حمشتها: أحرقتها وهيجتها.

فركب خلفي ورجع صاحباه، قال: فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها، قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ﷺ، فقال: من هذا؟ وقام إليَّ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة، قال: أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ. وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء، قال: فاقتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني فلأضرب عنقه، قال: قلت: يا رسول الله، إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ، فأخذت برأسه، فقلت: والله لا يناجيه الليلة دوني رجل، فلما أكثر عمر في شأنه، قال: قلت: مهلاً يا عمر، فوالله أن لو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال:مهلا يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله ﷺ : **اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به**. قال: فذهبت به إلى رحلي فبات عندي فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ **قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟** قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله قد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد، **قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟** قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً. فقال له العباس: ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك. قال: فشهد شهادة الحق، فأسلم، قال العباس: قلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئا. قال: نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد

فهـــو آمن، فلما ذهب لينصرف **قال رسول الله ﷺ: يا عباس، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل**(١)**، حتى تمر به جنود الله فيراها.** قال: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي، حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه.

عـــرض الجيش على أبي سفيان: قال: ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس، من هذه؟ فأقول: سليم، فيقول: ما لي ولسليم، ثم تمر القبـــيلة فيقول يا عباس، من هؤلاء؟ فأقول: مزينة، فيقول: ما لي ولمزينة، حتى نفدت القبائل، ما تمر به قبيلة إلا يسألني عنها، فإذا أخبرته بهم، قال: ما لي ولبني فلان، حتى مر رسول الله ﷺ وسلم في كتيبته الخضراء.

قال ابن إسحاق: فيها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم لا يرى منهم إلا الحـــدق من الحديد، فقال: سبحان الله يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً، قال: قلت يا أبا سفيان، إنها النبوة قال: فنعم إذن (٢).

تحذير أبي سفيان أهل مكة:

قـــال: قلت: النجاء إلى قومك، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشـــر قريش هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهـــو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة، فأخذت بشاربه، فقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأحمس قبح من طليعة قوم قال: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، قالوا: قاتلك الله، وما تغنى عنا دارك، قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد

(١) الخطم: أنف الجبل، وهو شيء يخرج منه يضيق معه الطريق.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٣٢-٣٥) والطبري في تاريخه (٣/٥٢-٥٤) كلاهما من طريق محمد ابن إسحاق انظر البداية والنهاية (٤/٣٢٩) وأخرجه أبو داود (٣/١٦٢-١٦٣) كتاب الخراج والفيء والإمارة حديث (٣٠٢٢).

فهو آمن، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء وأن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى أن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل [(١)].

إسلام أبي قحافة:

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر، قالت: لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أي بنية اظهري بي على أبي قبيس قالت: وقد كف بصره.

قالت: فأشرفت به عليه، فقال: أي بنية، ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك مقبلاً ومدبراً، قال: أي بنية، ذلك الوازع يعني الذي يأمر الخيل، ويتقدم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد، قالت: فقال: قد والله إذن دفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي، فانحطت به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، قالت: وفي عنق الجارية طوق من ورق، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها، قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه، يقوده فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «**هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟**» قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت. قال: قالت: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: أسلم، فأسلم، قالت: فدخل به أبو بكر، وكأن رأسه ثغامة، فقال رسول الله ﷺ: «**غيروا هذا من شعره**»، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته،

---

(١) إسناده مرسل، أخرجه البيهقي (الدلائل) (٥/٦٨) من طريق ابن إسحاق، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣٣٥)، وأخرجه الحاكم (٣/٤٧) والبيهيقي في الدلائل (٥/٨٦) من حديث أنس.

وقـــال: أنشـــد الله والإســـلام طوق أختي، فلم يجبه أحد، قالت: فقال: أي أخية احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل[١].

دخول مكة:

قـــال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله ﷺ حين فـــرق جيشه من ذي طوى، أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كدى، وكان الزبير على المجنبة اليسرى، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء[٢].

تخوف المهاجرين على قريش من سعد:

قال ابن إسحاق: فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلاً، قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة، فسمعها رجل من المهاجرين.

فقال: يا رسول الله: اسمع ما قال سعد بن عبادة، ما نأمن أن يكون له في قريش صولة، فقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: **أدركه، فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها**[٣].

قال ابن إسحاق: وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح في حديثه، أن رسول الله ﷺ أمـــر خـــالد بن الوليد، فدخل من الليط، أسفل مكة، في بعض الناس.

---

(١) إسناده حسن، أخرجه أحمد (٦٠/٣٤٩-٣٥٠) وابن حبان (١٧٠٠- موارد). والطبراني في الكبير (٢٤/٨٨-٨٩) رقم (٢٣٦) والحاكم (٣/٤٦-٤٧) والبيهقي في دلائل النبوة (٥/٩٥-٩٦) وفي السنن الكبرى (٩/١٢١) كلهم من طريق محمد ابن إسحاق به، وصححه ابن حبان. وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٦/١٧٦). وأخرجه الحاكم (٣/٢٤٤) وأبو يعلى (٥/٢١٦-٢١٧) رقم (٢٨٣١) وابن حبـــان (١٤٧٦- موارد).

(٢) إسناده مرسل. وأخرجه الطبري في تاريخه (٣/٥٦) من طريق ابن إسحاق. وذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤/٣٣٧) من طريق ابن إسحاق.

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤/٣٣٧) من طريق ابن إسحاق، انظر (الدرر في اختصار المغازي والسير) (ص٢٥٨).

وكان خالد على المجنبة اليمني، وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر، حتى نزل بأعلى مكة، وضربت له هنالك قبته (١).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر: أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا، وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر، يعد سلاحا قبل دخول رسول الله ﷺ، ويصلح منه، فقالت له امرأته: لماذا تعد ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال: والله أني لأرجو أن أخدمك بعضهم، ثم قال:

إن يقبلوا اليوم فما لي عله ... هذا سلاح كامل وإله

وذو غرارين سريع السله

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئاً من قتال، فقتل كرز بن جابر، أحد بني محارب ابن فهر، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم، حليف بني منقذ، وكانا في خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعاً، قتل خنيس بن خالد قبل كرز بن جابر، فجعله كرز بن جابر بين رجليه، ثم قاتل عنه حتى قتل، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت صفراء من بني فهر ... نقية الوجه نقية الصدر

لابن اليوم عن أبي صخر (٢)

---

(١) إسناده مرسل، وذكره ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤/٣٣٨) من طريق ابن إسحاق.

(٢) إسناده مرسل، وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣٣٩) من طريق ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر، قالا: وأصيب من جهينة سلنة بن الميلاء، من خيل خالد بن الوليد، وأصيب من المشركين ناس قريب من أثني عشر رجلاً، أو ثلاثة عشر رجلاً، ثم انهزموا، فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته، ثم قال لامرأته: أغلقي على بابي قالت: فأين كنت تقول؟ فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمه ... إذ فر صفوان وفر عكرمه

وأبو يزيد قائم كالمؤتمه ... واستقبلتهم بالسيوف المسلمه

يقطعن كل ساعد وجمجمه ... ضربا فلا يسمع إلا غمغمه

لهم نهيت خلفنا وهمهمه ... لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه

شعار المسلمين يوم فتح مكة:

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحنين والطائف، شعار المهاجرين: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عبيد الله [(١)].

الذين أمر النبي ﷺ بقتلهم:

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد عهد إلى أمرائه من المسلمين، حين أمرهم أن يدخلوا مكة، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد في نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم عبد الله بن سعد أخو بني عامر بن لؤي.

السبب الذي دعا الرسول إلى الأمر بقتل عبد الله بن سعد:

وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله لأنه قد كان أسلم، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فارتد مشركاً راجعاً إلى قريش، ففر إلى عثمان بن عفان، وكان أخاه للرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن الناس وأهل

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤/٣٣٩-٣٤٠).

مكة، فاستأمن له، فزعموا أن رسول الله ﷺ صمت طويلاً، ثم قال: نعم، فلما انصرف عنه عثمان، قال رسول الله ﷺ لمن حوله من أصحابه: لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه. فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلي يا رسول الله؟ قال: **إن النبي لا يقتل بالإشارة** (١).

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن خطل رجل من بني تميم بن غالب، إنما أمر بقتله لأنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه، وكان مسلماً، فترل مترلاً، وأمر المولى أن يذبح له تيساً، فيصنع له طعاماً، فنام، فاستيقظ ولم يصنع شيئاً، فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً.

أسماء من أمر النبي ﷺ بقتلهم:

وكانت له قينتان: فرتني وصاحبتها، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه.

والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قُصَيّ، وكان ممن يؤذيه بمكة (٢).

قال ابن إسحاق ومقيس بن صبابة: وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله، لقتل الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مشركاً، وسارة، مولاة لبعض بني عبد المطلب، وعكرمة بن أبي جهل، وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ فأمنه، فخرجت في طلبه إلى اليمن، حتى أتت به رسول الله ﷺ، فأسلم، وأما عبد الله بن خطل، فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي، اشتركا في دمه، وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة ابن عبد الله، رجل من قومه، فقالت أخت مقيس في قتله:

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣٤٠) عن طريق ابن إسحاق.

(٢) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣٤٠-٣٤١) عن ابن إسحاق به.

لعمـــري لقد أخزى نميلة رهطه وفجع أضياف الشتاء بمقيـــس
فلله عيناً من رأى مثل مقيـــس إذا النفساء أصبحت لم تخـــرس(١)

ما قاله عليه السلام على باب الكعبة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة ودم أو مال يدعى، فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل أربعون منها في بطونها أولادها. يا معشر قريش: إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(٢) الآية كلها. ثم قال: «يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم»، قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «اذهبـــوا فأنتم الطلقاء».

ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه على بن أبي طالب ومفتاح الكعـــبة في يـــده، فقال: يا رسول الله: اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله علـــيك، **فقال رسول الله ﷺ : أين عثمان بن طلحة؟ فدعي له، فقال: هاك مفتاحك يا عثمان: اليوم يوم بر ووفاء** (٣).

قصة خراش مع قاتل أحمر:

قـــال ابـــن إسحاق: حدثني سعيد بن أبي سندر الأسلمي، عن رجل من قومه قال: كان معنا رجل يقال له أحمر بأسا (٤)، وكان رجلاً شجاعاً، وكان

---

(١) تخرس: لم يصنع لها طعام عند ولادتها.
(٢) سورة الحجرات: آية (١٣).
(٣) ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣٤٤) عن ابن إسحاق. وأخرجه الطبري في تاريخه (٣/٦٠-٦١) عن طريق ابن إسحاق. وذكره ابن أبي حاتم في العلل (١/٢٨٨) رقم (٨٥٩) ونقل عن أبيه أنه عن كلام ابن إسحاق.
(٤) أحمر بأسا: جعله مركبا كحضر موت ونحوه.

إذا نام غط غطيطاً [1] منكراً لا يخفي مكانه، فكان إذا بات في حيه بات معتزا، فإذا بيت الحي صرخوا يا أحمر، فيثور مثل الأسد لا يقوم لسبيله شيء، فأقبل غزى من هذيل يريدون حاضره حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثوع الهذلي: لا تعجلوا حتى أنظر، فإن كان في الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم، فإن له غطيطاً لا يخفى، قال فاستمع، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف في صدره، ثم تحامل عليه حتى قتله، ثم أغاروا على الحاضر، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم، فلما كان عام الفتح، وكان الغد من يوم الفتح، أتى ابن الأثوع الهذلي حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس، وهو على شركه، فرأته خزاعة، فعرفوه، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدر مكة، يقولون: أأنت قاتل أحمر؟ قال: نعم، أنا قاتل أحمر فمه؟ قال: إذا أقبل خراش بن أمية مشتملاً على السيف، فقال: هكذا عن الرجل والله ما نظن إلا أنه يريد أن يفرج الناس عنه، فلما انفرجنا عنه حمل عليه فطعنه بالسيف في بطنه، فوالله لكأني أنظر إليه وحشوته[2] تسيل من بطنه، وإن عينيه لترنقان في رأسه، وهو يقول: أقد فعلتموها يا معشر خزاعة؟ حتى انجعف فوقع. **فقال رسول الله ﷺ: يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتال، فقد كثر القتل إن نفع، لقد قتلتم قتيلاً لأدينه**[3].

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي، عن سعيد بن المسيب.

قال: لما بلغ رسول الله ﷺ ما صنع خراش بن أمية قال: **إن خراشاً لقتال، يعيبه لذلك**[4].

---

(١) غطيطاً: ما يسمع من صوت الآدميين، إذا ناموا وهو صوت في الحلق.

(٢) وحشوته: ما اشتمل عليه البطن من الأمعاء وغيرها.

(٣) إسناده ضعيف. وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣٥٠).

(٤) مرسل، وأخرجه الطبري في تاريخه (٣/٦٣) من طريق ابن إسحاق به، وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣٤٩-٣٥٠) عن طريق ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي شريح الخزاعي، قال: لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير، جئته، فقلت له: يا هذا، إنا كنا مع رسول الله ﷺ، حين افتتح مكة، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبا، فقال: **يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يسفك فيها دما، ولا يعضد فيها شجراً لم تحلل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد يكون بعدي، ولم تحلل لي إلا هذه الساعة، غضبا على أهلها ألا، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فمن قال لكم: إن رسول الله ﷺ قاتل فيها، فقولوا: إن الله قد أحلها لرسوله، ولم يحللها لكم، يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل، فلقد كثر القتل إن نفع. لقد قتلتم قتيلا لأدينه، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين. إن شاءوا فدم قاتله، وإن شاءوا فعقله، ثم ودي رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة، فقال عمرو لأبي شريح: انصرف أيها الشيخ، فنحن أعلم بحرمتها منك، إنها لا تمنع سافك دم، ولا خالع طاعة، ولا مانع جزية، فقال أبو شريح: إني كنت شاهداً وكنت غائباً، ولقد أمرنا رسول الله ﷺ أن يبلغ شاهدنا غائبنا، وقد أبلغتك، فأنت وشأنك**[1].

وأما قينتا ابن خطل فقُتلت إحداهما، وهربت الأخرى، حتى استؤمن لها رسول الله ﷺ بعد، فأمنها، وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها، ثم بقيت حتى أوطأها

---

(١) إسناده حسن، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وأخرجه أحمد (٣٢/٤) من طريق ابن إسحاق وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣٤٩/٤-٣٥٠) من طريق ابن إسحاق وأخرجه البخاري (٣٣٤/٨) كتاب المغازي: باب (٥٢) حديث (٤٢٩٥) ومسلم (٩٨٧/٢-٩٨٨) كتاب الحج حديث (١٣٥٤/٤٤٦) والترمذي (١٦٤/٣) وقال الترمذي: حسن صحيح.

رجل من الناس فرساً في زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها. وأما الحويرث ابن نقيذ فقتله على بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي هند، عن أبي مرة، مولى عقيل بن أبي طالب، أن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة، فر إلى رجلان من أحمائي، من بني مخزوم، وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخل عليَّ علي بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم انصرف إليّ، فقال: مرحبا وأهلاً يا أم هانئ، ما جاء بك؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي، فقال: قد أجرنا من أجرت، وأمنا من أمنت، فلا يقتلهما.

الرسول يدخل الحرم: قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبد الله بن عبد الله بن ثور، عن صفية بنت شيبة، أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة، واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعا على راحلته، يستلم الركن بمحجن في يده، فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيده ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة، وقد استكف له الناس في المسجد.

قال ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة، فقال: « **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعي فهو تحت قدميَّ هاتين إلا سدانة البيت**» .

الرسول ﷺ يُعطي الأمان لصفوان:

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن جعفر، عن عروة بن الزبير قال: خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يا نبي الله

إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هارباً منك، ليقذف نفسه في البحر فأمنه صلى الله عليك، **قال: هو آمن**، قال: يا رسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل بها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه، وهو يريد أن يركب في البحر، فقال: يا صفوان فداك أبي وأمي، الله الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئتك به، قال: ويحك! أغرب عني فلا تكلمني، قال: أي صفوان، فداك أبي وأمي أفضل الناس، وأبر الناس وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك، عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذاك وأكرم. فرجع معه، حتى وقف به على رسول الله ﷺ فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أمنتني **قال: صدق، قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين، قال: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر**[1].

إسلام رءوس أهل مكة: قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري: أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام، وفاختة بنت الوليد- وكانت فاختة عند صفوان ابن أمية، وأم حكيم عند عكرمة بن أبي جهل – أسلمتا، فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله ﷺ لعكرمة، فأمنه فلحقت به باليمن، فجاءت به، فلما أسلم عكرمة وصفوان أقرهما رسول الله ﷺ عندهما على النكاح الأول[2].

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت: قال: رمى حسان، ابن الزبعري وهو بنجران ببيت واحد ما زاده عليه:

لا تعدمن رجلاً أحلك بغضه ... نجران في عيش أحذ لئيم[3]

((١) إسناده مرسل، وأخرجه الطبري في تاريخه (٦٣/٣) عن طريق ابن إسحاق ووقع في البداية والنهاية (٣٥٢/٤-٣٥٣). عن عروة عن عائشة موصولاً، وأخرجه مالك (٢/ ٧٥) عن الزهري وانظر (الدلائل) (٤٦/٥) و الدرر في اختصار المغازي والسير (ص ٢٦٤) والإصابة (٣٥٠/٣).

(٢) إسناده ضعيف، لجهالة شيخ ابن هشام، وانقطاعه أيضاً.

(٣) انظر: تاريخ (٦٤/٣) والبداية والنهاية (٣٥٣/٤) و« سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٢٥٠-٢٥١).

فلما بلغ ذلك ابن الزبعري خرج إلى رسول الله ﷺ فأسلم، فقال حين أسلم:

يا رسول المليك إن لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بور[١]
إذ أباري الشيطان في سنن الغي ... ومن مال ميله مثبور
آمن اللحم والعظام لربي ... ثم قلبي الشهيد أنت النذير
إنني عنك زاجر ثم حيا ... من لؤي وكلهم معرور[٢]

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزبعري أيضاً حين أسلم:

منع الرقاد بلابل وهموم ... والليل معتلج الرواق بهيم[٣]
مما أتاني أن أحمد لامني ... فيه فبت كأنني محموم
يا خير من حملت على أوصالها ... عيرانة سرح اليدين غشوم
إني لمعتذر إليك من الذي ... أسديت إذا أنا في الضلال أهيم
أيام تأمرني بأغوى خطة ... سهم وتأمرني بها مخزوم
وأمد أسباب الردى[٤] ويقودني ... أمر الغواة وأمرهم مشئوم
فاليوم آمن بالنبي محمد ... قلبي ومخطئ هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها ... ودعت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر- فدى لك والداي كلاهما ... زللي، فإنك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة ... نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه ... شرفاً وبرهان الإله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق ... حق وإنك في العباد جسيم
والله يشهد أن أحمد مصطفى ... مستقبل في الصالحين كريم
قرم علا بنيانه من هاشم ... فرع تمكن في الذرا وأروم[٥]

بقاء هبيرة على كفره:

---

(١) البور: الهلاك.
(٢) انظر البداية والنهاية (٤/٣٥٣)، سبل الهدى والرشاد (٥/٢٥١).
(٣) البلابل: الوساوس المختلطة والأحزان.
(٤) الردى: الهلاك.
(٥) الأروم: الأصول.

قال ابن إسحاق: وأما هبيرة بن أبي وهب المخزومي فأقام بها حتى مات كافراً، وكانت عنده أم هانئ بنت أبي طالب، واسمها هند، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانئ:

أشـــاقتك هند أم أتاك سؤالها	كذاك النوى أسبابها وانفتالها[١]
وقد أرقت في رأس حصن ممنع	بنجران يسرى بعد ليل خيالها[٢]
وعاذلـــة هبـــت بلـــيل تلومني	وتعذلـــني بالليل ضل ضلالها[٣]
وتـــزعم أني إن أطعت عشيرتي	ســـأردى وهل يردين إلا زيالها
فـــإني لمـــن قوم إذا جد جدهم	على أي حال أصبح اليوم حالها
وإني لحـــام مـــن وراء عشيرتي	إذا كـــان ممن تحت العوالي مجالها
وصارت بأيديها السيوف كأنها	مخـــاريق ولـــدان ومنها ظلالها
وإني لأقـــلي الحاسدين وفعلهم	عـــلى الله رزقي نفسها وعيالها
وإن كـــلام المرء في غير كنهه	لكالنـــبل تهوى ليس فيها نصالها
فإن كنت قد تابعت دين محمد	وعطفت الأرحام منك حبالهـــا
فكوني على أعلى سحيق بهضبة	ململـــمة غبراء يبس بلالـــــها

قال ابن إسحاق: ويروى: «وقطعت الأرحام منك حبالها»[٤].

عدة من فتح مكة: قال ابن إسحاق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف. من بنى سليم سبعمائة. ويقول بعضهم: ألف، ومن بني غفار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد [٥].

---

(١) انفتالها: أي تقلبها.
(٢) أرقت: أزالت النوم، ونجران: بلد.
(٣) هبت: استيقظت.
(٤) ذكره الطبري في تاريخه (٣/٦٤) من طريق ابن إسحاق مختصراً.
(٥) ينظر: تاريخ الطبري (٣/٦٤-٦٥)، البداية والنهاية (٤/٣٥٤).

مــا قيل من الشعر في فتح مكة: وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصاري:

عفــت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عــذراء منزلهــا خــلاء[(١)]
ديــار من بني الحسحاس قفر ... تعفــيها الــروامس والسماء[(٢)]
وكانــت لا يــزال بها أنيس ... خــلال مــروجها نعــم وشاء
فدع هذا، ولكن من لطيف ... يؤرقــني إذا ذهــب العشاء[(٣)]
لشــعثاء الــتي قــد تيمــته ... فلــيس لقلــبه مــنها شفاء[(٤)]
كــأن خبيــئه من بيت رأس ... يكــون مــزاجها عســل وماء
إذا مــا الأشربات ذكرن يوماً ... فهــن لطيــب الــراح الفداء
نولــيها الملامــة إن المــنا ... إذا مــا كــان مغــث أو لحاء
ونشــربها فتتركــنا ملوكــاً ... وأســداً مــا ينهنهــنا اللقــاء
عدمــنا خيلــنا إن لم تــروها ... تــثير الــنقع موعدهــا كداء
يــنازعن الأعــنة مصــغيات ... عــلى أكتافها الأسل الظماء[(٥)]
تظــل جــيادنا مــتمطرات ... يلطمهــن بالخمــر النســاء
فإمــا تعرضــوا عنا اعتمرنا ... وكــان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصــبروا لجــلاد يــوم ... يعــين الله فــيه مــن يشــاء
وجــبريل رســول الله فيــنا ... وروح القــدس لــيس له كفاء
وقــال الله قــد أرسلت عبدا ... يقــول الحــق إن نفــع البلاء

---

(١) عفت: درست وتغيرت.
(٢) تعفيها: أى تغيرها. والروامس: الرياح التى ترمس الآثار أى تغطيها، والسماء هنا المطر.
(٣) الطيف: الخيال الذي يرى في النوم.
(٤) شعثاء: هو اسم امرأة حسان.
(٥) مصغيات: مستمعات. والأسل: الرماح والظماء: العطاش.

شــهدت بــه فقوموا صدقوه ... فقلــتم لا نقــوم ولا نشــاء
وقــال الله قــد سيرت جندا ... هــم الأنصــار عرضتها اللقاء
لــنا في كــل يــوم من معد ... ســباب أو قــتال أو هجــاء
فــنحكم بــالقوافي من هجانا ... ونضــرب حــين تختلط الدماء
ألا أبلــغ أبــا ســفيان عني ... مغلغلــة فقــد بــرح الخفــاء
بــأن ســيوفنا تركتك عبداً ... وعــبد الــدار ســادتها الإماء
هجــوت محمداً وأجبت عنه ... وعــند الله في ذاك الجــزاء
أتهجــوه ولســت له بكفء ... فشــركما لخيركمــا الفــداء
هجــوت مــباركاً براً حنيفاً ... أمــين الله شــيمته الوفــاء[1]
أمــن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحــه وينصــره ســواء؟!
فــإن أبي ووالــده وعرضي ... لعــرض محمــد مــنكم وقاء
لســاني صــارم لا عيب فيه ... وبحــري لا تكــدره الدلاء[2]

قال ابن إسحاق: وقال أنس بن زنيم الديلي يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما كان فيهم عمرو بن سالم الخزاعي:

أنــت الــذي تهدي معد بأمره ... بــل الله يهديهــم وقــال لك أشهد
ومــا حملت من ناقة فوق رحلها ... أبــر وأوفى ذمــة من محــــمد[3]
أحــث عــلى خير وأسبغ نائلاً ... إذا راح كالســيف الصقيل المهند[4]
وأكســى لبرد الخال قبل ابتذاله ... وأعطــى لرأس السابق المتجــرد
تعــلم رســول الله أنك مدركي ... وأن وعــيداً منك كالأخذ باليــد

---

(١) الحنيف: المسلم وسمى حنيفاً.
(٢) صارم، سيف قاطع . وينظر: ديوانه ص(٧١-٧٧) والبداية والنهــاية (٤/٣٥٤، ٣٥٥).
(٣) الذمة: العهد.
(٤) أسبغ: أكمل. والنائل: العطاء.

تعلم رسول الله أنك قادر ... على كل صرم متهمين ومنجد

تعلم بأن الركب ركب عويمر ... هم الكاذبون المخلفو كل موعد

ونبوا رسول الله أني هجوته ... فلا حملت سوطي إلى إذن يدي

سوى أنني قد قلت ويل أم فتية ... أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعد[1]

أصابهم من لم يكن لدمائهم ... كفاء فعزت عبرتي وتبلدي[2]

فإنك قد أخفرت إن كنت ساعيا ... بعبد بن عبد الله وابنة مهود

ذويب وكلثوم وسلمى تتابعوا ... جميعاً فإلا تدمع العين أكمد

وسلمى، وسلمى ليس حي كمثله ... وإخواته وهل ملوك كأعبد؟!

فإني لا دينا فتقت ولا دما ... هرقت تبين عالم الحق واقصد[3]

فأجابه بديل بن عبد مناف بن أم أصرم، فقال:

بكى أنس رزنا فأعول البكا ... فألا عديا إذ تطل وتبعد

بكيت أبا عبس لقرب دمائها ... فتعذر إذ لا يوقد الحرب موقد

أصابهم يوم الخنادم فتية ... كرام فسل منهم نفيل ومعبد

هنالك إن تسفح دموعك لا تلم ... عليهم وإن لم تدمع العين فاكمدوا

قال ابن إسحاق: وقال بُجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم الفتح[4]:

نفى أهل الحبلق كل فج ... مزينة غدوة وبنو خفاف

ضربناهم بمكة يوم فتح ... النبي الخير بالبيض الخفاف

صبحناهم بسبع من سليم ... وألف من بني عثمان واف

---

(١) الطلق: الأيام السعيدة.

(٢) عزت: اشتدت، والعبرة: الدمعة، وتبلدي: تحيري.

(٣) ينظر: البداية والنهاية (٤/٣٥٦) والإصابة (١/٢٧٢) وسبل الهدى والرشاد (٥/٢٦٣-٢٦٤).

(٤) ذكره الحافظ في «الإصابة» (١/٤٠٦).

نطا أكتافهم ضرباً وطعنـــــا ورشقا- بالمريشة اللطـــــاف
ترى بين الصفوف لها حفيفـــاً كما انصاع الفواق من الرصاف
فرحـــنا والجياد تجول فيهـــم بأرماح مقومة الثقـــــاف
فأبـــنا غـــانمين بما اشتهينـــا وآبوا نادمين على الخـــلاف
وأعطينا رسول الله منـــــا مواثقنا على حسن التصافـــي
وقد سمعوا مقالتنا فهمـــــوا غداة الروع منا بانصـــراف(١)

مَسِيرُ خالدَ بن الوليدِ بعدَ الفتح إلى بني جُذيمةَ مِن كنانةَ
ومسيرُ عليٍّ لتلافي خطأ خالد

قال ابن إسحاق: وقد بعث رسول الله ﷺ فيماً حول مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل، ولم يأمرنا بقتال، وكان ممن بعث خالد بن الوليد، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعيا، ولم يبعثه مقاتلا، فوطئ بني جذيمة، فأصاب منهم(٢).

قـــال ابن إسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف، عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعـــيا، ولم يبعثه مقاتلا، ومعه قبائل من العرب: سليم بن منصور، ومدلج ابن مـــرة، فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح، فإن الناس قد أسلموا (٣).

قـــال ابن إسحاق: فحدثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة، قال: لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم: ويلكم يا بني

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/٣٥٧) عن ابن إسحاق.
(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/١١٣)، والطبري في تاريخه (٣/٦٦) عن محمد ابن إسحاق، وينظر (البداية والنهاية) (٤/٣٩٤).
(٣) إسناده ضعيف لإرساله، وأخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) (٥/١١٤) والطبري في تاريخه (٣/٦٦-٦٧) عن ابن إسحاق وذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤/٣٥٨) عن طريق ابن إسحاق.

جذيمة! إنه خالد والله! ما بعد وضع السلاح إلا الإسار، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. قال: فأخذه رجال من قومه، فقالوا: يا جحدم، أتريد أن تسفك دماءنا؟ إن الناس أسلموا ووضعوا السلاح، ووضعت الحرب، وأمن الناس. فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه، ووضع القوم السلاح لقول خالد (١).

قال ابن إسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم، عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك، فكتفوا، ثم عرضهم على السيف، فقتل من قتل منهم فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ، رفع يديه إلى السماء، ثم قال: **اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد** (٢).

قال ابن إسحاق: فحدثني حكيم بن حكيم، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: يا عليّ، أخرج إلى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك، فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ، فودي لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليدي لهم مَيْلغة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه، بقيت معه بقية من المال، فقال لهم عليّ رضوان الله عليه حين فرغ منهم: هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم؟ قالوا: لا. قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال، احتياطا لرسول الله ﷺ، مما يعلم ولا

---

(١) إسناده ضعيف، لجهالة شيوخ ابن إسحاق.

(٢) إسناده ضعيف لإرساله، وقد تقدم هذا الإسناد، وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١١٤/٥) من طريق ابن إسحاق وذكره أيضاً ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٥٨) عن ابن إسحاق به. وأخرجه البخاري (٣٨٠/٨) كتاب المغازي حديث (٤٣٣٩)، والنسائي (٢٣٧/٨) حديث (٥٤٠٥) وأحمد (١٥١/٢) والبيهقي في «دلائل النبوة (١١٣/٥-١١٤) كلهم من طريق الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعاً. وينظر: «البداية والنهاية» (٣٥٨/٤).

تعـــلمون، ففعل، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فقال: أصبت وأحسنت قـــال ثم قـــام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه، حتى ليرى مما تحت منكبيه، يقول: **اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد، ثلاث مرات**(١).

قال ابن إسحاق: وقد قال بعض من يعذر خالداً إنه قال: ما قاتلت حتى أمـــرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي، وقال: إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام (٢).

قـــال ابن إسحاق: وقد كان جحدم قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد ببني جذيمة: يا بني جذيمة، ضاع الضرب، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه. قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف، فيما بلغني، كلام في ذلـــك، فقال له عبد الرحمن بن عوف: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام. فقال: إنما ثأرت بأبيك. فقال عبد الرحمن: كذبت، قد قتلت قاتل أبي، ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شر.فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: **مهـــلا يا خالد، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته.**

ما كان بين قريش وبني جذيمة في الجاهلية:

وكـــان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وعوف بن عبد عـــوف ابن عبد الحارث بن زهرة، وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تجاراً إلى اليمن. ومع عفان ابنه عثمان، ومع عوف ابنه عبد الرحمن فـــلما أقـــبلوا حملوا مال رجل من بني جذيمة بن عامر، كان هلك باليمن، إلى ورثته، فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام، ولقيهم بأرض بني جذيمة قبل أن يصـــلوا إلى أهـــل الميـــت، فأبوا عليه، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه، وقاتلوه، فقتل عوف والفاكه بن المغيرة ونجا عفان بن أبي العاص وابنه

(١) إسناده مرسل. وقد تقدم تخريجه والكلام عليه وشواهده.
(٢) ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٥٨/٤) عن ابن إسحاق.

عثمان، وأصابوا مال الفاكه ابن المغيرة، ومال عوف بن عبد عوف، فانطلقوا به، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه، فهمت قريش بغزو بني جذيمة، فقالت بنو جذيمة: ما كان مصاب أصحابكم عن ملأمنا، إنما عدا عليهم قوم بجهالة، فأصابوهم ولم نعلم، فنحن نعقل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال فقبلت قريش ذلك، ووضعوا الحرب[1].

وقد قال قائل من بني جذيمة، وبعضهم يقول: امرأة يقال لها سلمى:

ولولا مقال القوم للقوم أسلموا ... للاقت سليم يوم ذلك ناطحا

لما صعهم بسر وأصحاب جحدم ... ومرة حتى يتركوا البرك ضابحا[2]

فكائن ترى يوم الغميصاء من فتى ... أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا

ألظت بخطاب الأيامى وطلقت ... غداتئذ منهن من كان ناكحا[3]

قال ابن إسحاق: فأجابه عباس بن مرداس، ويقال بل الجحاف بن حكيم السلمي:

دعي عنك تقوال الضلال كفى ... لكبش الوغى في اليوم والأمس ناطحا

فخالد أولى بالتعذر منكم ... غداة علا نهجا من الأمر واضحا

معانا بأمر الله يزجى إليكم ... سوانح لا تكبو له وبوارحا

نعوا مالكا بالسهل لما هبطنه ... عوابس في كابي الغبار كوالحا[4]

فإن نك أثكلناك سلمى فما لك ... تركتم عليه نائحات ونائحا

خبر ابن أبي حرد مع بني جذيمة: قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة ابن المغيرة بن الأخنس، عن الزهري، عن ابن أبي حرد الأسلمي، قال: كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد، فقال لي فتى من بني جذيمة، وهو في سني،

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٣/٦٨) بسنده عن ابن إسحاق وذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤/٣٥٩) عن ابن إسحاق به.

(٢) المماصعة: المضاربة بالسيوف، والبرك: الإبل الباركة، وضابحا: صائحاً.

(٣) ألظت: لزمت وألحت، والأيامى: وهى التي لا زوج لها.

(٤) الكوالح: العوابس التي انقبضت شفاها فظهرت أسنانها.

وقـــد جمعت يداه إلى عنقه برمة، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه: يا فتى، فقلت: ما تشاء؟ قال: هل أنت آخذ بهذه الرمة، فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أقضي إليهن حاجة، ثم تردني بعد، فتصنعوا بي ما بدا لكم؟ قال: قلت: والله ليسير ما طلبت، فأخذت برمته فقدته بها، حتى وقف عليهن، فقال: أسلمي حبيش، على نفد من العيش:

أريـــتك إذ طالبـــتكم فوجدتكم	**بحـــيلة أو ألقيـــتكم بالخوانـــق**(١)
ألم يـــك أهـــلا أن ينول عاشق	**تكلـــف إدلاج السرى والودائق**(٢)
فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلنا معا	**أثيـــبي بود قبل إحدى الصفائق**(٣)
أثيـــبي بود قبل أن تشحط النوى	**ويـــنأى الأمـــير بالحبيب المفارق**
فـــإني لا ضـــيعت ســـر أمانـــة	**ولا راق عـــيني عـــنك بعدك رائق**
ســـوى أن ما نال العشيرة شاغل	**عـــن الود إلا أن يكون النوامق**(٤)

قـــال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، عن الزهـــري عن ابن أبي حرد الأسلمي قال: قالت: وأنت فحييت سبعا وعشرا، وترا وثمانيا تترى قال: ثم انصرفت به. فضربت عنقه(٥).

قـــال ابن إسحاق: فحدثني أبو فراس بن أبي سنبلة الأسلمي، عن أشياخ منهم، عمن كان حضرها منهم، قالوا: فقامت إليه حين ضربت عنقه، فأكبت عليه، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده(٦).

---

(١) حيلة: اسم موضع، الخوانق: اسم موضع أيضاً.
(٢) الإدلاج: سير الليل، الودائق: وهى شدة الحَرِّ.
(٣) الصفائق: الحالات.
(٤) النوامق: الحب، وينظر: البداية والنهاية (٤/٣٦٠). إسناده حسن، وأخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) (٥/١١٥) والطبري في تاريخه (٣/٦٨-٦٩) عن ابن إسحاق. وذكره أيضاً الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) ٤/٣٦٠) عن ابن إسحاق.
(٥) إسناده حسن، وينظر: الحديث السابق.
(٦) إسناده ضعيف. أخرجه الطبري في تاريخه (٣/٦٩) والبيهقي في (دلائل النبوة) (٥/ ١١٦) من طريق ابن إسحاق.

=

شعر أحد بني جذيمة:

قال ابن إسحاق: وقال رجل من بني جذيمة:

جزى الله عنا مدلجا حيث أصبحت جـــزاءة بؤس حيث سارت وحلت

أقـــاموا عـــلى أقضاضنا يقسموهٔا وقـــد نهلت فينا الرماح وعلت[(١)]

فـــوالله لـــولا ديـــن آل محمـــد لقـــد هربت منهم خيول فشلت[(٢)]

ومـــا ضـــرهم أن لا يعينوا كتيبة كـــرجل جراد أرسلت فاشمعلت[(٣)]

فإمـــا ينيـــبوا أو يـــثوبوا لأمرهم فـــلا نحن نجزيهم بما قد أضلت[(٤)]

رد ابن وهب عليه:

فأجابه ابن وهب -رجل من بني ليث- فقال:

دعونا إلى الإسلام وألحق عامرا فما ذنبنا في عامر إذ تولت

وما ذنبنا في عامر لا أبا لهـــم لأن سفهت أحلامهم ثم ضلت

وقال رجل من بني جذيمة:

ليهنئ بني كعب مقدم خالـــــد وأصحابه إذ صبحتنا الكتائـــب

فلا ترة[(٥)] تسعى بها ابن خويلـــد وقد كنت مكفيا لو أنك غائـــب

فلا قومنا ينهون عنا غواهـــم[(٦)] ولا الداء من يوم الغميصاء ذاهب

خـــالد يهـــدم العزى: ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العزى

=

وذكره ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤/٣٦٠) من طريق ابن إسحاق.

(١) وعلت: من العلل وهو الشرب الثاني.

(٢) فشلت: أي طردت.

(٣) فأشمعلت: تفرقت.

(٤) يثوبوا: يرجعوا.

(٥) الترة: العداوة وطلب الثأر.

(٦) غواهم: سفهاؤهم.

وكانت بنخلة[١] وكانت بيتا يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومضر كلها، وكانت سدنتها[٢] وحجابها بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم، فلما سمع صاحبها السلمي بمسير خالد إليها، علق عليها سيفه، وأسند في الجبل[٣] الذي هي فيه وهو يقول:

أيا عز شدى شدة لا شوى لها ... على خالد ألقي القناع وشمري[٤]

يا عز إن لم تقتلي المرء خالداً ... فبوئي بإثم عاجل أو تنصري

فلما انتهى إليها خالد هدمها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ[٥].

قال ابن إسحاق: وحدثني ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة[٦].

قال ابن إسحاق: وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان.

غزوة حنين في سنة ثمان ـ بعد الفتح

قال ابن إسحاق: ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ وما فتح الله عليه من مكة، جمعها مالك بن عوف النصري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، واجتمعت نصر وجشم كلها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل،

---

(١) بنخلة: اسم موضع.
(٢) سدنتها: خُدَّامُها.
(٣) وأسند في الجبل: ارتفع فيه،
(٤) لا شوى فيها: لا بُقْيا لها.
(٥) أخرجه الطبري في تاريخه (٣/٦٥) عن طريق محمد بن إسحاق به.
وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣٦١) عن ابن إسحاق. وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/٧٧) عن طريق الوليد بن جميع عن أبي الطفيل به مرسلاً.
(٦) إسناده مرسل، الزهري لم يدرك ابن مسعود. وأخرجه الطبري في (تاريخه) (٣/٦٩) من طريق ابن إسحاق به، وأخرجه أبو داود (١٢٣١) من طريق محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس.

ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب، ولم يشهدها منهم أحد له اسم، وفي بني جشم، دريد بن الصمة شيخ كبير، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً مجربا، وفي ثقيف سيدان لهم، في الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب، وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث بن مالك، وأخوه أحمر بن الحارث، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصري. فلما أجمع السير إلى رسول الله ﷺ حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فلما نزل بأوطاس[1] اجتمع إليه الناس، وفيهم دريد بن الصمة في شجار[2] له يقاد به، فلما نزل قال: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل! لا حزن ضرس [3]، ولا سهل دهس، مالي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟[4] قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم. قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك، ودعي له، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولم ذاك؟ قال أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله، ليقاتل عنهم، قال: فانقض به. ثم قال: راعى ضأن والله! وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك، ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد، قال: غاب الحد والجد، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب

(١) بأوطاس: هو اسم موضع.
(٢) شجار : شبه الهودج إلا أنه مكشوف الأعلى.
(٣) الحزن: المرتفع من الأرض، والضرس: الذي فيه حجارة محددة.
(٤) يعار الشاء: صوتها.

عـــنه كعـــب ولا كلاب، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب، فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر. قال: ذانك الجذعان من عامـــر، لا يـــنفعان، ولا يضران، يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هـــوازن إلى نحـــور الخيل شيئاً، ارفعهم إلى متمنع بلادهم وعليا قومهم، ثم ألق الصباء على متون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك ألفـــاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك. قال: والله لا أفعل ذلك، إنك كبرت وكـــبر عقلك. والله لتطيعنني، يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري. وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكر أو رأي، فقالوا: أطعناك، فقال دريد بن الصمة: هذا يوم لم أشهده، ولم يفتني:

يـــا ليتني فيها جذع ... أخـــب فـــيها وأضع[1]

أقـــود وطفاء الزمع ... كأنهـــا شـــاة صدع[2]

قصة الملائكة وعيون مالك بن عوف:

قـــال ابـــن إسحاق: ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم شدوا شدة رجل واحد[3] قال: وحدثني أمية بن عبد الله بن عثمان أنـــه حـــدث: أن مـــالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله، فأتوه وقد تفرقت أوصـــالهم، فقال: ويلكم! ما شأنكم؟ فقالوا: رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فوالله مارده ذلك عن وجهه أن مضى على

---

(١) يا ليتني فيها جذع: يا ليتني شاب، والخبب والوضع: ضربان من السير.

(٢) الوطفاء: الطويلة الشعر، والزمع: الشعر الذي فوق مربط قيد الدابة، والشاة هنا: الوعل. وصدع: وعل بين الوعلين ليس بالعظيم ولا بالحقير.

(٣) ذكره بطوله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤/٣٦٩-٣٧٠).

عن ابن إسحاق به. وينظر: تاريخ الطبري (٣/٧٠-٧٢) و (دلائل النبوة) (٥/١٢١-١٢٢) و الدرر في اختصار المغازي والسير (ص٢٦٦-٢٦٧) و سبل الهدى والرشاد (٥/٣١٠-٣١١).

ما يريد[١].

قال ابن إسحاق: ولما سمع بهم نبي الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبي حدرد، فدخل فيهم، فأقام فيهم، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وسمع من مالك وأمر هوازن ما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، فأخبره الخبر فقال عمر: كذب ابن أبي حدرد. فقال ابن أبي حدرد: إن كذبتني فربما كذبت بالحق يا عمر، فقد كذبت من هو خير مني، فقال عمر: يا رسول الله، ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد؟ فقال رسول الله ﷺ: **قد كنت ضالا فهداك الله يا عمر.**

الرسول ﷺ يستعير أدرع صفوان:

فلما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى هوازن ليلقاهم ذكر له أن عند صفوان ابن أمية أدرعاً وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال: يا أبا أمية، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غداً، فقال صفوان: أغصبا يا محمد؟ **قال: بل عارية ومضمونة حتى نؤديها إليك،** قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيهم حملها، ففعل[٢].

(١) أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) (١٢٣/٥) والطبري في (تاريخه) (٧٢/٣) من طريق ابن إسحاق وذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٣٧٠/٤) عن طريق ابن إسحاق.

(٢) ذكره عن ابن إسحاق الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٣٧٠/٤)، وأخرجه البيهقي في (الدلائل) (١٢٠/٥-١٢١) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبدالله وعمرو بن شعيب، والزهري وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وعبد الله بن المكدم بن عبد الرحمن الثقفي عن حديث حنين حين سار إليهم رسول الله ﷺ، وساروا إليه فبعضهم يحدث ما لا يحدث به بعض، وأخرجه أبو داود (٨٢٤/٣) =

خروج الرسول ﷺ إلى هوازن:

قال: ثم خرج رسول الله ﷺ ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه، ففتح الله بهم مكة، فكانوا اثنى عشر ألفاً، واستعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميراً على من تخلف عنه من الناس، ثم مضى رسول الله ﷺ على وجهه يريد لقاء هوازن [١].

قصيدة ابن مرداس: فقال عباس بن مرداس السلمي:

أصــابت العام رعلاً غول قومهم ... وسط البيوت ولون الغول ألوان[٢]

يــا لهــف أم كــلاب إذ تبيتهم ... خيل ابن هوذة لا تنهى وإنسان[٣]

لا تلفظوهــا وشدوا عقد ذمتكم ... إن ابــن عمكــم سعد ودهمان[٤]

لــن ترجعوها وإن كانت مجللة ... مــا دام في الــنعم المأخوذ ألبان[٥]

شــنعاء جلــل مــن سوآتها حضن ... وســال ذو شــوغر منها وسلوان

=

كتاب البيــوع والإجــارات حديــث (٤٥٦٥)، والترمذي (٥٦٥/٣) كتاب البيوع – حديث (١٢٦٥) وابن ماجه (٨٠٤/٢) كتاب الصدقات- حديث (٢٤٠٥) وأحمد (٢٦٧/٥) والطيالسي (١١٢٦) وعبد الرزاق (١٧٣/٨) رقم (١٤٧٦٧) وابن أبي شيبة (٢٠٠/٧) وابن الجارود في (المنتقي) (١٠٢٣) والدارقطني (٤١/٣) كتاب البيوع – حديث (١٦٦)، وأبو نعيم في (تاريخ أصبهان) (٢٨١/٢). والبيهقي (٨٨/٦) وكتاب العارية في (مسند الشهاب) (٦٤/١) وقال الترمذي: حديث حسن.

(١) أخرجه الطبري في (تاريخه) (٨٦/٣-٨٩) من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر، فذكره مرسلاً.

(٢) رعل: اسم قبيلة، والغول: ساحرة الجن.

(٣) إنسان هنا: اسم قبيلة في هوازن.

(٤) سعد ودهمان: قبيلتان من هوازن.

(٥) مجللة أي: غطية، وحصن جبل بنجد.

ليست بأطيب مما يشتوى حذف — إذ قال: كل شواء العير جوفان
وفي هوازن قوم غير أن بهم — داء اليماني فإن لم يغدروا خانوا
فيهم أخ وفوا أو بر عهدهم — ولو نهكناكم بالطعن قد لانوا [(١)]
أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها — مني رسالة نصح فيه تبيان
أني أظن رسول الله صابحكم — جيشاً له في فضاء الأرض أركان
فيهم أخوكم سليم غير تارككم — والمسلمون عباد الله غسان
وفي عضادته اليمنى بنو أسد — والأجربان بنو عبس وذبيان
تكاد ترجف منه الأرض رهبته — وفي مقدمه أوس وعثمان[(٢)]

قال ابن إسحاق: أوس وعثمان: قبيلاً مزينة[(٣)]:

قصة الشجرة ذات أنواط:

قال ابن إسحاق: فحدثني ابن شهاب الزهري، عن سنان بن أبي سنان الدؤلي عن أبي واقد الليثي، أن الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، قال: فسرنا معه إلى حنين قال: وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء، يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة، فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوماً. قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرة خضراء عظيمة، قال فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. قال رسول الله ﷺ : **الله أكبر، قلتم، والذي نفس محمد بيده، كما قال قوم موسى لموسى:** ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ

---

(١) نهكناهم: أذللناهم.
(٢) ينظر: البداية والنهاية (٤/٣٧١، ٣٧٢).
(٣) ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/٣٧١-٣٧٢) من طريق ابن إسحاق وينظر: (سبل الهدى والرشاد) (٥/٣١٥).

تَجْهَلُونَ ﴾[١] إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم[٢].

لقاء هوازن وثبات الرسول ﷺ :

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف خطوط[٣]، إنما تنحدر فيه انحداراً، قال: وكان في عماية الصبح[٤]، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد وانشمر[٥] الناس راجعين لا يلوى أحد على أحد. وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال: **أين أيها الناس؟ هلموا إليّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله**، قال: فلا شيء، حملت الإبل بعضها على بعض، فانطلق الناس، إلا أنه قد بقى مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته.

من ثبت مع الرسول ﷺ :

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته عليّ بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، وابنه، والفضل بن

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٣٨.

(٢) إسناده حسن، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وأخرجه الترمذي (٤/٤٧٥) كتاب الفتن- حديث (٢١٨٠) وأحمد (٥/٢١٨) وعبد الرزاق (٢٠٧٦٣) وابن أبي شيبة (١٥/١٠١) والحميدي (٨٤٨)، وأبو يعلى (١٤٤١)، وابن أبي عاصم (٧٦) وابن حبان (٦٧٠٣)، والطبراني في «الكبير» (٣٢٩٠، ٣٢٩١، ٣٢٩٢، ٣٢٩٣، ٣٢٩٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/١٢٥) كلهم من طريق الزهري به. وقال الترمذي حديث صحيح حسن.

(٣) أجوف: متسع. خطوط: منحدرة.

(٤) عماية الصبح: ضلامه قبل أن يتبين

(٥) وانشمر الناس: أى انفضوا وانهزموا.

العباس، وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد، وأيمن ابن أم أيمن بن عبيد قتل يومئذ[١].

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل، أمام هوازن، وهوازن خلفه، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه.

قال ابن إسحاق: فلما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإن الأزلام لمعه في كنانته. وصرخ جبلة بن الحنبل، وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله ﷺ : ألا بطل السحر اليوم! فقال له صفوان: اسكت فض الله فاك فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إليَّ من أن يربني رجل من هوازن.

شيبة بن طلحة يحاول قتل الرسول ﷺ :

قال ابن إسحاق: وقال شيبة ابن عثمان بن أبي طلحة، أخو بني عبد الدار: قلت: اليوم أدرك ثأري، وكان أبوه قتل يوم أحد، اليوم أقتل محمداً. قال: فأدرت برسول الله لأقتله، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي، فلم أطق ذاك، وعلمت أنه ممنوع مني[٢].

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل مكة أن رسول الله ﷺ قال حين فصل من مكة إلى حنين ورأى كثرة من معه من جنود الله: لن نغلب اليوم من قلة.

قال ابن إسحاق: وزعم بعض الناس أن رجلاً من بني بكر قالها[٣].

---

(١) إسناده حسن، وأخرجه أحمد (٣/٣٧٦) والبيهقي في «الدلائل» (٥/١٢٠، ١٢٦) والطبري في تاريخه (٣/٤٧) كلهم من طريق ابن إسحاق به.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ورد هذا الحديث عن أنس بن مالك، أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد (٦/١٨١)، وقال الهيثمي: وفيه علي بن عاصم بن صهيب وهو ضعيف، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/١٢٣-١٢٤) وأخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور (٣/٢٢٤)، وأخرجه ابن سعد =

النصر بعد الهزيمة:

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري، عن كثير بن العباس، عن أبيه العباس ابن عبد المطلب، قال: إني لمع رسول الله ﷺ آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها قال: وكنت امرءاً جسيماً شديد الصوت، قال: ورسول الله يقول حين رأى ما رأى من الناس: «**أين أيها الناس؟ فلم أر الناس يلوون على شيء. فقال: يا عباس اصرخ، يا معشر الأنصار: يا معشر أصحاب السمرة**» قال: فأجابوا لبيك! لبيك! قال: فيذهب الرجل ليثني بعيره، فلا يقدر على ذلك فيأخذ درعه، فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره! ويخلي سبيله فيؤم الصوت، حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ . حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة، استقبلوا الناس، فاقتتلوا وكانت الدعوى أول ما كانت يا للأنصار، ثم خلصت أخيراً: يا للخزرج. وكانوا صبراً عند الحرب، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه. فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون. فقال: «**الآن حمي الوطيس**» [(١)].

شجاعة الإمام علي:

قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع إذ هوى له عليٌّ بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه، قال: فيأتيه علي بن أبي طالب من خلفه، فضرب عرقوبي الجمل، فوقع على عجزه، ووثب الأنصاري على الرجل، فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساق، فانجعف عن رحله، قال: واجتلد الناس، فوالله ما رجعت

=

في الطبقات الكبرى (٢/١٥٠) وفي إسناده محمد بن عمر الواقدي متروك.

(١) إسناده حسن، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث والحديث أخرجه مسلم (٣/١٣٩٨-١٣٩٩) كتاب الجهاد حديث (١٧٧٥/٧٦) وأحمد (١/٢٠٧)، وعبد الرزاق (٩٧٤١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/١٣٧-١٣٨) كلهم من طريق الزهري به.

راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ.

قال: والتفت رسول الله ﷺ إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ﷺ، وكان حسن الإسلام حين أسلم، وهو آخذ بثفر بغلته، فقال: من هذا؟ قال: أنا ابن أمك يا رسول الله[١].

أم سليم في المعركة:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ التفت فرأى أم سليم بنت ملحان وكانت مع زوجها أبي طلحة وهي حازمة وسطها ببرد لها، وإنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة، ومعها جمل أبي طلحة وقد خشيت أن يعزها الجمل[٢]، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خزامته[٣] مع الخطام، فقال لها رسول الله ﷺ: «**أم سليم**»؟ قلت: نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل، فقال رسول الله ﷺ: **أو يكفي الله يا أم سليم**؟ قال: ومعها خنجر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك يا أم سليم؟ قالت: خنجر أخذته، إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به قال: يقول أبو طلحة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم الرميصاء[٤].

قال ابن إسحاق[٥]: وقد كان رسول الله ﷺ، حين وجه إلى حنين، قد ضم بني سليم الضحاك بن سفيان الكلابي، فكانوا إليه ومعه، ولما انهزم الناس

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) يعزها: أن يغلبها.

(٣) خزامته: حلقة تصنع من شعر وتجعل في أنف البعير.

(٤) الرميصاء: تصغير الرمصاء وهى التي يخرج القذى من عينها.

(٥) إسناده مرسل. وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/٧٦-٧٧) من طريق ابن إسحاق به، وأخرجه مسلم (٣/١٤٤٢-١٤٤٣) كتاب الجهاد حديث (١٨٠٩/١٣٤) وأحمد (٣/١٠٨، ٢٨٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٢/٦٠) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/٣٠٧) وفي «الدلائل» (٥/١٥٠).

قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه:

أقــدم محاج إنه يوم نكــــر ... مثلي على مثلك يحمي ويكــر[١]

إذا أضيع الصف يوما والدبــر ... ثم احزألــت زمر بعد زمــر[٢]

كتائــب يكــل فيهن البصــر ... قد أطعن الطعنة تقذي بالسبر[٣]

حــين يذم المستكين المنجحــر ... وأطعن النجلاء تعوى وتــهر[٤]

لها من الجوف رشاش منهمــر ... تفهق تارات وحينا تنفجـــر[٥]

وثعلــب العامل فيها منكســر ... يا زيد يابن همهم أين تفـــر[٦]

قد نفد الضرب وقد طال العمر ... قد علم البيض الطويلات الخمر

إني في أمــثالها غــير غمـــر ... إذ تخرج الحاصن من تحت الستر

قصة أبي قتادة وسلبه [٧] :

قـــال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، أنه حدث عن أبي قتادة الأنصـــاري قال: وحدثني من لا أتهم من أصحابنا، عن نافع مولى بني غفار أبي محمد بن أبي قتادة، قال: قال أبو قتادة: رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان، مسلماً ومشـــركاً، قـــال: وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المســـلم. قـــال: فأتيته، فضربت يده فقطعتها، واعتنقني بيده الأخرى، فوالله ما أرسلني حتى وجدت ريح الدم وكاد يقتلني فلولا أن الدم نزفه[٨] لقتلني، فسقط،

(١) محاج: اسم فرس مالك بن عوف.
(٢) احزألت: ارتفعت.
(٣) السبر: يختبر.
(٤) النجلاء: الطعنة المتسعة.
(٥) منهمر: منصب، وتفهق: تنفتح.
(٦) الثعلب: ما دخل من عصا الرمح في السنان. العامل: أعلى الرمح.
(٧) ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣٨٢/٤) من طريق ابن إسحاق، وأخرجه الطبراني (١٩/٣٠١-٣٠٢) رقم (٦٧٢) عن محمد بن سلام الجمحي فذكره.
(٨) فلولا أن الدم نزفه: نزفه الدم إذا سال منه حتى يضعفه فيشرف على الموت أو يموت.

فضربته فقتلته، وأجهضني[١] عنه القتال، ومر به رجل من أهل مكة فسلبه، فلما وضعت الحرب أوزارها[٢] وفرغنا من القوم، قال رسول الله ﷺ: من قتل قتيلا فلـــه سلبه. فقلت: يا رسول الله، والله لقد قتلت قتيلا ذا سلب، فأجهضني عنه القـــتال، فما أدري من استلبه فقال رجل من أهل مكة: صدق يا رسول الله، وسلب ذلك القتيل عندي، فأرضه عني من سلبه، فقال أبو بكر الصديق ﷺ: لا والله، لا يرضـــيه مـــنه، تعمـــد إلى أسد من أسد الله. يقاتل عن دين الله، تقاسمه سلبه؟! اردد عليه سلب قتيله، فقال رسول الله ﷺ: صدق فاردد عليه سلبه فقال أبو قتادة: فأخذته منه، فبعته، فاشتريت بثمنه مخرفا فإنه لأول مال اعتقدته[٣].

قـــال ابن إسحاق: وحدثني من لا أهم، عن أبي سلمة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك، قال: لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلا [٤].

الملائكة تحضر القتال: قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، أنـــه حدث عن جبير بن مطعم، قال: رأيت- قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون- مـــثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرت، فإذا نمل أسود مبثوث، قد ملأ الوادي لم أشك أنها الملائكة، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم[٥].

---

(١) أجهضني: شغلني وضيق علي.

(٢) أوزارها: أثقالها وهى استعارة.

(٣) إسناده ضعيف. الإسناد الأول للانقطاع بين عبد الله بن أبي بكر وأبي قتادة الأنصاري، والإسناد الثاني لجهالة شيوخ ابن إسحاق لكن قوله ﷺ من قتل قتيلا فله سلبه. أخرجه مالك (٢/٤٥٤-٤٥٥) كتاب الجهاد- حديث (١٨) وأحمد (٥/ ٢٩٥، ٣٠٦) والبخاري (٦/٢٤٧) كتاب فرض الخمس حديث (٣١٤٢) ومسلم (٣/١٣٧٠) كتاب الجهاد والسير حديث (٤١/١٧٥١)، وأبو داود (٣/١٥٩) كتاب الجهاد حديث (٢٧١٧) وابن ماجه (٢/٩٤٦) كتاب الجهاد حديث (٢٨٣٧)، والترمذي (٤/١١١). كتاب السير حديث (١٥٦٢).

(٤) إسناده ضعيف لجهالة شيوخ ابن إسحاق وقد تقدم تخريج هذا الحديث.

(٥) إسناده ضعيف لجهالة شيخ إسحاق بن يسار وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥ =

قال ابن إسحاق: ولما هزم الله المشركين من أهل حنين، وأمكن رسوله ﷺ منهم، قالت امرأة من المسلمين:

قد غلبت خيل الله خيل اللات والله أحق بالثبات[١]

قال ابن إسحاق: فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف في بني مالك، فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة ابن الحارث بن حبيب، وكانت رايتهم مع ذي الخمار، فلما قتل أخذها عثمان ابن عبد الله، فقاتل بها حتى قتل[٢].

قال ابن إسحاق: وأخبرني عامر بن وهب بن الأسود، قال: لما بلغ رسول الله ﷺ قتله، قال: أبعده الله، فإنه كان يبغض قريشا [٣].

قصة الغلام الأغرل:

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس: أنه قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصراني أغرل، قال: فبينا رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف، إذ كشف العبد يسلبه، فوجده أغرل. قال: فصاح بأعلى صوته: يا معشر العرب: يعلم الله أن ثقيفا غرل. قال المغيرة بن شعبة: فأخذت بيده، وخشيت أن تذهب عنا في العرب، فقلت: لا تقل ذاك، فداك أبي وأمي، إنما هو غلام لنا نصراني. قال ثم جعلت أكشف له عن القتلى، وأقول له: ألا تراهم مختتنين كما ترى.

فرار قارب وقومه:

قال ابن إسحاق: وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود، فلما انهزم

=

/١٤٦)، والطبري في «تاريخه» (٣/٧٧) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/٣٨٣) عن ابن إسحاق وابن هشام.

(٢) ينظر «تاريخ الطبري» (٣/٧٧) والبداية والنهاية (٤/٣٨٣).

(٣) إسناده ضعيف. وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/٧٧) وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/٣٨٣) عن طريق ابن إسحاق.

الناس أسند رايته إلى شجرة، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف، فلم يقتل من الأحلاف غير رجلين: رجل من غيرة، يقال له: وهب، وآخر من بني كبة، يقال له: الجلاح، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتل الجلاح: قتل اليوم سيد شباب ثقيف، إلا ما كان من ابن هنيدة، يعني بابن هنيدة الحارث بن أويس.

شعر ابن مرداس:

فقال عباس بن مرداس السلمي يذكر قارب بن الأسود وفراره من بني أبيه، وذا الخمار وحبسه قومه للموت:

ألا من مبلغ غيلان عني ... وسوف إخال يأتيه الخبير
وعروة إنما أهدى جواباً ... وقولاً غير قولكما يسير
بأن محمداً عبد رسول ... لرب لا يضل ولا يجور
وجدناه نبياً مثل موسى ... فكل فتى يخايره مخير[1]
وبئس الأمر أمر بني قسي ... بوج إذ تقسمت الأمور[2]
أضاعوا أمرهم ولكل قوم ... أمير والدوائر قد تدور
فجئنا أسد غابات إليهم ... جنود الله ضاحية تسير[3]
تؤم الجمع جمع بني قسي ... على حنق نكاد له نطير
وأقسم لو هم مكثوا لسرنا ... إليهم بالجنود ولم يغوروا[4]
فكنا أسد لية ثم حتى ... أبحناها وأسلمت النصور
ويوم كان قبل لدى حنين ... فأقلع والدماء به تمور[5]

---

(١) مخير: يغلبه في الخير.
(٢) اسم ثقيف، ووج: موضع بالطائف.
(٣) ضاحية: بارزة لا تختفي
(٤) ولم يغوروا: لم يذهبوا.
(٥) تمور: تسيل.

مـــن الأيام لم تسمع كيوم ... ولم يسمع به قوم ذكور

قتلنا في الغبار بني حطيط ... على راياتها والخيل زور(١)

ولم يك ذو الخمار رئيس قوم ... لهم عقل يعاقب أو مكير

أقام بهم على سنن المنايا ... وقد بانت لمبصرها الأمور

فأفلت من نجا منهم جريضاً ... وقتل منهم بشر كثير(٢)

ولا يغني الأمور أخو التواني ... ولا الغلق الصريرة الحصور(٣)

أحاهم وحان وملكوه ... أمورهم وأفلتت الصقور

بنو عوف تميح بهم جياد ... أهين لها الفصافص والشعير

فلولا قارب وبنو أبيه ... تقسمت المزارع والقصور

ولكن الرياسة عمموها ... على يمن أشار به المشير

أطاعوا قاربا ولهم جدود ... وأحلام إلى عز تصير

فإن يهدوا إلى الإسلام يلفوا ... أنوف الناس ما سمر السمير

وإن لم يسلموا فهم أذان ... بحرب الله ليس لهم نصير

كما حكت بني سعد وحرب ... برهط بني غزية عنقفير

كأن بني معاوية بن بكر ... إلى الإسلام ضائنة تخور(٤)

فقلنا أسلموا إنا أخوكم ... وقد برأت من الإحن الصدور(٥)

كأن القوم إذ جاءوا إلينا ... من البغضاء بعد السلم عور(٦)

---

(١) الخيل زور: مائلة.

(٢) الجريض: المختنق بريقه.

(٣) التواني: الفتور، والإبطاء، الغلق: الكثير الحرج، الصريرة: تصغير صرورة وهو الذي لا يأتي النساء وهو في الإسلام، الحصور: العمي هنا.

(٤) تخور: تصيح.

(٥) الإحن: وهى الحقد والعداوة والبغضاء.

(٦) عور: جمع أعور. وينظر البداية والنهاية (٣٨٤/٤، ٣٨٥)، سبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٤١، ٣٤٢).

مقتل دريد: قال ابن إسحاق: ولما انهزم المشركون، أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف، وتبعت خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا.

فأدرك ربيعة بن رفيع بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمَّال بن عوف ابن امرئ القيس، وكان يقال له ابن الدغنة وهي أمه، فغلبت على اسمه أدرك دريد بن الصمة، فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه في شجار له، فإذا برجل فأناخ به فإذا شيخ كبير، وإذا هو دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام، فقال له دريد: ماذا تريد بي؟ قال: أقتلك، قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رفيع السلمي، ثم ضربه بسيفه، فلم يغن فيه شيئاً، فقال: بئس ما سلَّحتك أمك! خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل، وكان الرحل في الشجار، ثم اضرب به، وارفع عن العظام. واخفض عن الدماغ، فإني كنت كذلك أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك، فزعم بنو سليم أن ربيعة قال لما ضربه فوقع تكشف، فإذا عجانه وبطون فخذيه مثل القرطاس، من ركوب الخيل أعراء، فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً[1].

شعر عمرة:

فقالت عمرة بنت دريد في قتل ربيعة دريداً:

لعمرك ما خشيت على دريد ... ببطن سميرة جيش العناق[2]

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/١٥٣-١٥٤) عن طريق ابن إسحاق.

(٢) العناق: الخيبة.

جـــزى عنا الإله بني سليـــــم وعقتهم بما فعلوا عقـــــاق[1]
وأســقانا إذا قدنا إليهـــــم دماء خيارهم عند التـــــلاقي
فرب عظيمة دافعت عنهـــم وقد بلغت نفوسهم التراقــي[2]
ورب كريمة أعتقت منهـــم وأخرى قد فككت من الوثــاق
ورب منوه بك من سليـــم أجبت وقد دعاك بلا رمــاق[3]
فكان جزاؤنا منهم عقوقـــاً وهمـــا ماع منه مخ ســـاقي
عفت آثار خيلك بعد أيـــن بـــذي بقر إلى فيف النهــاق[4]

استشهاد أبي عامر الأشعري:

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري، فأدرك من الناس بعض من انهزم، فناوشوه القتال فرمي أبو عامر بسهم فقتل، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري، وهو ابن عمه فقاتلهم، ففتح الله عـــلى يديــه وهـــزمهم، فيزعمون أن سلمة بن دريد هو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم، فأصاب ركبته، فقتله، فقال:

إن تســألوا عني فإني سلمه ابن سمادير لمن توسمه
أضرب بالسيف رءوس المسلمه[5]

وسمادير أمه

واســـتحر القتل من بني نصر في بني رئاب، فزعموا أن عبد الله بن قيس- وهو الذي يقال له ابن العوراء، وهو أحد بني وهب بن رئاب- قال: يا رسول

---

(١) عقاق: فعال من لفظ العقوق.
(٢) التراقي: جمع ترقوة وهي عظام الصدر.
(٣) الرماق: بقية الحياة.
(٤) عفت: درست وتغيرت، فيف: القَفْرُ، النهاق: موضع.
(٥) أخرجه الطبري في تاريخه (٣/٨٠) من طريق ابن إسحاق وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/٣٨٧) وينظر «الدرر في اختصار المغازي والسير ص٢٧١»

الله هلكت بنو رئاب، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم أجبر مصيبتهم**».

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة، فوقف في فوارس من قومه، على ثنية من الطريق، وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم، وتلحق أخراكم. فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس، فقال مالك بن عوف في ذلك:

ولولا كرتان على محاج … لضاق على العضاريط الطريق[1]

ولولا كر دهمان بن نصر … لدى النخلات مندفع الشديق[2]

لآبت جعفر وبنو هلال … خزايا محقبين على شقوق[3]

شعر سلمة:

قال ابن إسحاق: وقال سلمة بن دريد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم:

نسيتني ما كنت غير مصابة … وقد عرفت غداة نعف الأطرب[4]

أني منعتك والركوب محبب … ومشيت خلفك مثل مشى الأنكب[5]

إذ فر كل مهذب ذي لمة … عن أمه وخليله لم يعقب

المنهي عن قتلهم: قال ابن إسحاق: وحدثني أصحابنا: أن رسول الله ﷺ مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد، والناس متقصفون عليها فقال: ما هذا فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد: فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: «**أدرك خالداً، فقل له: إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفا**»[6].

---

(١) محاج: اسم فرسه، الغضاريط: الأتباع.

(٢) الشذيق: اسم موضع.

(٣) شقوق: مشقة.

(٤) الأطرب: موضع، وهو الجبل الصغير.

(٥) الأنكب: المائل إلى جهة.

(٦) النهي عن قتل النساء والولدان ثابت في غير حديث أنه ﷺ قال في امرأة مقتولة: ما =

الشـــيماء أخت الرسول: قال ابن إسحاق: وحدثني بعض بني سعد بن بكر: أن رسول الله ﷺ قال يومئذ: إن قدرتم على بجاد، (رجل من بني سعد بن بكـــر، فـــلا يفلتنكم، وكان قد أحدث حدثاً)، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهلـــه، وساقوا معه الشيماء، بنت الحارث بن عبد العزي أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فعنفوا عليها في السياق: فقالت للمسلمين: تعلموا والله أني لأخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله ﷺ[1].

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن عبيد السعدي، قال: فلما انتهى بها إلى رسول الله ﷺ، قالت: يا رسول الله، إني أختك من الرضاعة، قال: **وما علامة ذلك؟** قالت عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك قال: فعرف رسول الله ﷺ العلامة فبسط لها رداءه. فأجلسها عليه، وخيرها، وقال: **إن أحببت فعندي محـــبة مكرمة، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلت، فقالت بل**

=

كانت هذه لتقاتل).

وأخرجه أحمد (٣/٤٨٨) وأبو داود (٣/١٢١-١٢٢) كتاب الجهاد حديث (٢٦٦٩) وابن ماجه (٢/٩٤٨) كتاب الجهاد حديث (٢٨٤٢) والحاكم (٢/١٢٢) كتاب الجهاد. والبيهقي (٩/٨٢) كتاب السير والطحاوي في معاني الآثار (٣/٢٢٠). وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان وأخرجه ابن ماجه (٢/٩٤٨) كتاب الجهاد – حديث (٢٨٤٢) وأحمد (٤/١٧٨) وأبو عبيد في الأموال (ص٤١) رقم ٩٥ وابن حبان (١٦٥٥-موارد) وعبد الـــرزاق (٥/٢٠١) رقـــم (٩٣٨٢) وابن أبي شيبة (١٢/٣٨٢) رقم (١٤٠٦٣). والطحاوي في شـــرح معاني الآثار (٣/٢٢٢) والطبراني في الكبير (٤/١٠-١١) رقم (٣٤٨٩)، وصححه ابن حبان. وذكره البوصيري في الزوائد (٢/٤١٨)، وأخرجه مالك (١/٤٤٧) كتاب الجهاد والبخاري (٦/١٤٨) وكتاب الجهاد حديث (٣٠١٤، ٣٠١٥) ومسلم (٣/١٣٦٤) وكتاب الجهاد والسير- حديث (٢٤، ٥/ ١٧٤٤).

(١) إسناده ضعيف، لجهالة شيخ ابن إسحاق، ثم هو معضل، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/٨٠) من طريق ابن إسحاق.

تمتعني وتردني إلى قومي. فمتعها رسول الله ﷺ، وردها إلى قومها.

فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية، فزوجت أحدهما الأخرى، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية[1].

شهداء يوم حنين:

قال ابن إسحاق: وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين.

من قريش ثم من بني هاشم: أيمن بن عبيد.

ومن بني أسد بن عبد العزى: يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد؛ جمح به فرس له يقال له الجناح، فقتل.

ومن الأنصار: شراقة بن الحارث بن عدي، من بني العجلان.

ومن الأشعريين: أبو عامر الأشعري [2].

سبايا حنين وأموالها:

ثم جمعت إلى رسول الله ﷺ سبايا حنين وأموالها، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفاري، وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال إلى الجعرانة فحبست بها.

شعر عباس بن مرداس:

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس في يوم حنين:

إني والسوابح يوم جمع ... وما يتلو الرسول من الكتاب[3]

لقد أحببت ما لقيت ثقيف ... بجنب الشعب أمس من العذاب

هم رأس العدو من أهل نجد ... فقتلهم ألذ من الشراب

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٨١/٣) من طريق ابن إسحاق. والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٩٩/٥) من طريق عمرو بن حماد عن الحكم بن عبد الله عن قتادة مرسلاً.

(٢) ينظر: «تاريخ الطبري» (٨١/٣) و (دلائل النبوة) (١٠٤/٥-١٥٥) والدرر (ص ٢٧٢)، والبداية والنهاية (٣٨٩/٤) وسبل الهدى والرشاد) (٣٣٤/٥).

(٣) جمع: هى المزدلفة، وهى المشعر الحرام أيضاً.

هزمـنا الجمـع جمـع بـني قسى وحكـت بـركها بـبني رئاب[1]
وصـرما مـن هـلال غـادرهم بأوطـاس تعفـر بالـتراب[2]
ولـو لاقـين جمـع بـني كلاب لقـام نسـاؤهم والـنقع كـابي
ركضـنا الخـيل فـيهم بين بس إلى الأورال تـنحط بالـنهاب[3]
بـذي لجـب رسـول الله فـيهم كتيبـته تعـرض للضـراب[4]

رد ابن العفيف:

فأجابه عطية بن عفيف النصري فقال:

أفاخـرة رفاعـة في حـنين وعـباس بـن راضعة اللجاب[5]
فـإنك والفخـار كـذات مرط لربـتها وتـرفل في الإهـاب

قـال ابن إسحاق: قال عطية بن عفيف هذين البيتين لما أكثر عباس على هوازن في يوم حنين. ورفاعة من جهينة.

شعر عباس بن مرداس:

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضاً:

يـا خـتم النـباء إنك مرسل بـالحق كل هدى السبيل هداكا
إن الإلـه بـنى علـيك محبة في خلقـه ومحمـداً سماكـا
ثم الذيـن وفـوا بما عاهدتهم جـند بعثـت عليهم الضحاكا
رجـلاً به ذرب السلاح كأنه لمـا تكـنفه العـدو يـراكا[6]

---

(١) البرك: الصدر، يعني الحرب.
(٢) الصرم: جماعة بيوت انقطعت عن الحي الكبير.
(٣) النهاب: وهو ما ينتهب ويغنم.
(٤) ينظر: البداية والنهاية (٣٩٠/٤) و «سبل الهدى والرشاد» (٣٤٢/٥-٣٤٣).
(٥) اللجاب: جمع لجبة، وهى الشاة التي قَلَّ لبنها.
(٦) ذرب: صار حاداً.

يغشى به هام الكماة ولو ترى ... منه الذي عاينت كان شفاكا
وبنو سليم معنقون أمامه ... ضربا وطعنا في العدو دراكا
يمشون تحت لوائه وكأنهم ... أسد العرين أردن ثم عراكا
ما يرتجون من القريب قرابة ... إلا لطاعة ربهم وهواكا
هذي مشاهدنا التي كانت لنا ... معروفة ووليـنا مولاكا[1]

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضاً:

نصرنا رسول الله من غضب له ... بألف كمي لا تعد حواسره
حملنا له في عامل الرمح راية ... يذود بها في حومة الموت ناصره
ونحن خضبناها دماً فهو لونها ... غداة حنين يوم صفوان شاجرة[2]
وكنا على الإسلام ميمنة له ... وكان لنا عقد اللواء وشاهره
وكنا له دون الجنود بطانة ... يشاورنا في أمره ونشاوره
دعانا فسمانا الشعار مقدماً ... وكنا له عوناً على من يناكره[3]
جزى الله خيراً من نبي محمداً ... وأيده بالنصر والله ناصره[4]

شعر ضمضم:

قال ابن إسحاق: وقال ضمضم بن الحارث بن جشم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عصية السلمي في يوم حنين: وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكم بن خالد بن الشريد، فقتل به محجنا وابن عم له، وهما من ثقيف:

---

(١) ينظر: (البداية والنهاية) (٤/٣٩٠-٣٩١) و «سبل الهدى والرشاد» (٥/٣٤٣).
(٢) شاجرة: مخاصمة ومخالفة.
(٣) الشعار: ما ولي جسد الإنسان من الثياب.
(٤) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٥/٣٤٥). ينظر: «البداية والنهاية» (٤/٣٩٣-٣٩٤).

نحـــن جلبنا الخيل من غير مجلب إلى جـــرش من أهل زيان والفم(١)
نقـــتل أشـــبال الأســـود ونبتغي طواغـــي كانـــت قبلـــنا لم تهدم
فـــإن تفخروا بابن الشريد فإنني تركـــت بـــوج مأتمـــا بعـــد مأتم
أباتهمـــا بـــابن الشـــريد وغره جواركـــم وكـــان غـــير مذمم
تصـــيب رجالاً من ثقيف رماحنا وأســـيافنا يكلمنهم كل مكلم(٢)

شعر مالك بن عوف:

قال ابن إسحاق: وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره:

مـــنع الرقاد فما أغمض ساعة نعـــم بأجزاع الطريق مخضرم(٣)
ســـائل هوازن هل أضر عدوها وأعـــين غارمهـــا إذا مـــا يغرم
وكتيـــبة لبســـتها بكتيـــبة فئـــتين مـــنها حاســـر ومـــلأم
ومقـــدم تعـــيا النفوس لضيقه قدمـــته وشهود قومي أعلم(٤)
فوردتـــه وتركت إخواناً لـــه يـــردون غمـــرته وغمرته الدم
فـــإذا انجلـــت غمراته أورثني مجـــد الحياة ومجد غنم يقسم(٥)
كلفـــتموني ذنـــب آل محمـــد والله أعـــلم مـــن أعـــق وأظلم
وخذلـــتموني إذ أقـــاتل واحداً وخذلـــتموني إذ تقـــاتل خثعم
وإذا بنيـــت المجد يهدم بعضكم لا يســـتوي بـــان وآخر يهدم
وأقـــب مخماص الشتاء مسارع في المجـــد ينمي للعلا متكرم(٦)

(١) حرش: اسم موضع، وزيان: جبل- والفم. هنا — موضع.
(٢) مكلم: يجرحنهم.
(٣) النعم: الإبل ومخضرم: هنا- صفه لنعم وهو الذي قطع من أذنه ليكون ذلك علامة له.
(٤) مقدم: موضعاً لا يتقدم فيه إلا الشجعان.
(٥) المجد: الشرف.
(٦) أقب: ضامر الخصر. ومخماص: ضامر البطن.

أكرهت فيه ألة يزنية ... سحماء يقدمها سنان سلجم

وتركت حنته ترد وليه ... وتقول ليس على فلانة مقدم

ونصبت نفسي للرماح مدججاً ... مثل الدربة تستحل وتشرم

شعر رجل من هوازن:

قال ابن إسحاق: وقال قائل في هوازن أيضاً، يذكر مسيرهم إلى رسول الله ﷺ مع مالك بن عوف بعد إسلامه:

أذكر مسيرهم للناس إذ جمعوا ... ومالك فوقه الرايات تختفق

ومالك مالك ما فوقه أحداً ... يوم حنين عليه التاج يأتلق[1]

حتى لقوا اليأس حين البأس ... عليهم البيض والأبدان والدرق

فضاربوا الناس حتى لم يروا أحداً ... حول النبي وحتى جنه الغسق

ثمت نزل جبريل ينصرهم ... من السماء فمهزوم ومعتنق[2]

منا ولو غير جبريل يقاتلنا ... لمنعتنا إذا أسيافنا العتق[3]

وفاتنا عمر الفاروق إذ هزموا ... بطعنة بل منها سرجه العلق[4]

شعر ابن وهب في الرد على ابن ثواب:

قال ابن إسحاق: فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بني تميم، ثم من بني أسيد، فقال:

بشرط الله نضرب من لقينا ... كأفضل ما رأيت من الشروط

وكنا يا هوازن حين نلقى ... نيل الهام من علق عبيط

بجمعكم وجمع بني قسي ... نحك البرك كالورق الخبيط[5]

---

(١) يأتلق: يلمع.
(٢) معتنق: مأخوذ ليؤسر.
(٣) العتق: القديمة.
(٤) ذكره البيهقي في «دلائل النبوة» (١٤٧/٥).
(٥) الخبيط: هو الذي يخبط أي يضرب بالعصي ليسقط فتأكله الماشية.

أصـــبنا مـــن ســـراتكم وملنا ... نقـــتل في المـــباين والخلـــيط
بـــه الملـــتاث مفـــترش يديـــه ... يمـــج المـــوت كالـــبكر النحيط
فـــإنك تلك قيس عيلان غضابا ... فـــلا يـــنفك يرغمهم سعوطي

شعر خديج بن العوجاء النصري:

وقال خديج بن العوجاء النصري:

لمـــا دنونـــا مـــن حنين ومائه ... رأيـــنا ســـواداً منكر اللون أخصفا(١)
بمـــلمومة شـــهباء لو قذفوا بها ... شماريخ من عزوى إذن عاد صفصفا(٢)
ولو أن قومي طاوعتني سراهم ... إذن مـــا لقيـــنا للعـــارض المتكشفا
إذا مـــا لقيـــنا جند آل محمد ... ثمـــانين ألفـــا واســـتمدوا بخـــندفا

ذكر غزوة الطائف بعد حنين في سنة ثمان

ولما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها، وصنعوا الصنائع للقـــتال. ولم يشهد حنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود، ولا غيدن بن سلمة، كانا بجرش، يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور(٣).

مـــا قيل من الشعر في غزوة الطائف: ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حـــين فـــرغ من حنين، فقال كعب بن مالك، حين أجمع رسول الله ﷺ السير إلى الطائف:

شعر كعب بن مالك:

قضـــينا مـــن تهامة كل ريب ... وخيـــبر ثم أجممـــنا الســـيوفا(٤)

---

(١) سواداً: أشخاصاً على البعد، الأخصف: الذي فيه ألوان.
(٢) مـــلمومة: كتيبة مجتمعة، وشهبا من السلاح، والشماريخ: أعالي الجبال. الصفصف: المستوى من الأرض.
(٣) الضبور: شيء يشبه رءوس الأسفاط أو نحوه.
(٤) تهامة: ما انخفض من أرض الحجاز. الريب: الشك وأجممنا: أرحنا.

نخيرها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن: قو دوساً أو ثقيفا
فلست لحاضن إن لم تروها ... بساحة داركم منا ألوفا[١]
وننتزع العروش ببطن وج ... وتصبح دوركم منكم خلوفا
ويأتيكم لنا سرعان خيل ... يغادر خلفه جمعا كثيفا
إذا نزلوا بساحتكم سمعتم ... لها مما أناخ بها رجيفا[٢]
بأيديهم قواضب مرهفات ... يزرن المصطلين بها الحتوفا
كأمثال العقائق أخلصتها ... قيون الهند لم تضرب كتيفا
تخال جدية الأبطال فيهم ... غداة الزحف جاديا مدوفا
أجدهم أليس لهم نصيح ... من الأقوام كان بنا عريفا[٣]
يخبرهم بأنا قد جمعنا ... عتاق الخيل والنجب الطروفا
وأنا قد أتيناهم بزحف ... يحيط بسور حصنهم صفوصا
رئيسهم النبي وكان صلباً ... نقى القلب مصطبراً عزوفا
رشيد الأمر ذو حكم وعلم ... وحلم لم يكن نزقاً خفيفا
نطيع نبينا ونطيع ربا ... هو الرحمن كان بنا رءوفا
فإن تلقوا إلينا السلم نقبل ... ونجعلكم لنا عضداً وريفا
وإن تابوا نجاهدكم ونصبر ... ولا يك أمرنا رعشاً ضعيفا
نجالد ما بقينا أو تنيبوا ... إلى الإسلام إذعاناً مضيفا
نجاهد لا نبالي من لقينا ... أأهلكنا التلاد أم الطريفا
وكم من معشر ألبوا علينا ... صميم الجذم منهم والحليفا[٤]

---

(١) الحاضن: المرأة التي تحضن ولدها، ساحة الدار وسطها.
(٢) رجيفاً: الصوت الشديد مع زلزال.
(٣) عريفاً: عارف.
(٤) ألبوا علينا: أي جمعوا علينا. والجذم: الأصل.

أتونـــا لا يـــرون لهـــم كفاء فجدعـــنا المســـامع والأنوفـــا
بكـــل مهـــند لـــين صـــقيل نســـوقهم بهـــا ســـوقاً عنـــيفا
لأمـــر الله والإســـلام حـــتى يقـــوم الديـــن معـــتدلاً حنـــيفا
وتنســـى اللات والعزى وود ونســـلبها القلائـــد والشـــنوفا[1]
فأمســـوا قـــد أقروا واطمأنوا ومـــن لا يمتنع يقبل خسوفاً[2][3]

كنانة يرد على كعب:

فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير، فقال:

مـــن كـــان يبغيـــنا يريد قتالنا فإنـــا بـــدار معـــلم لا نريمها[4]
وجدنا بها الآباء من قبل ما ترى وكانت لنا أطواؤها وكرومها[5]
وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر فأخـــبرها ذو رأيهـــا وحليمها
وقد علمت أن قالت الحق أننا إذا ما أبت صعر الخدود نقيمها
نقومهـــا حـــتى يلين شريسها ويعـــرف لـــلحق المبين ظلومها
علينـــا دلاص من تراث محرق كلـــون الســـماء زينتها نجومها
نـــرفعها عـــنا ببـــيض صوارم إذا جرت في غمرة لا نشيمها[6]

شعر شداد بن عارض:

قال ابن إسحاق: وقال شداد بن عارض الجشمي في مسير رسول الله ﷺ

---

(١) الشنوف: وهو القرط الذي يكون في الأذن.
(٢) الخسوف: الذل.
(٣) ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/٣٩٥-٣٩٦) عن ابن إسحاق.
(٤) لا نريمها: لا نبرح منها ولا نزول.
(٥) أطواؤها: وهى البئر.
(٦) لا نشيمها: لا نغمدها، ينظر «البداية والنهاية» لابن كثير (٤/٣٩٦) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٥/٤٩٦).

إلى الطائف:

لا تنصـــروا اللات إن الله مهلكها وكـــيف ينصر من هو ليس ينتصر
إن الـــتي حرقت بالسد فاشتعلت ولم يقـــاتل لـــدى أحجارها هدر
إن الرســـول مـــتى يترل بلادكم يظعـــن وليس بها من أهلها بشر[١]

الطـــريق إلى الطائف: قال ابن إسحاق: فسلك رسول الله ﷺ على نخلة السـمانية، ثم على قرن، ثم على المليح، ثم على بحرة الرغياء من لية، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه[٢].

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب: أنه أقاد يومئذ ببحرة الرغاء، حـين نزلها، بدم وهو أول دم أقيد به في الإسلام، رجل من بني ليث قتل رجلاً مـن هذيـل، فقتله به، وأمر رسول الله ﷺ، وهو بلية، بحصن مالك بن عوف فهدم[٣]، ثم سلك في طريق يقال له الضيقة، فلما توجه فيها رسول الله ﷺ سأل عن اسمها، فقال: ما اسم هذه الطريق؟ فقيل له الضيقة، فقال: **بل هي اليسرى**، ثم خـرج منها على نخب، حتى نزل تحت سدرة، يقال لها الصادرة، قريبا: من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله ﷺ : **إما أن تخرج، وإما أن نخرب عليك حائطك**، فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله ﷺ بإخراجه.

ثم مضـى رسول الله ﷺ حتى نزل قريبا من الطائف، فضرب به عسكره، فقتل به ناس من أصحابه بالنبل، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف،

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤/٣٩٦-٣٩٧).

(٢) أخـرجه الطـبري في تاريخـه (٣/٨٣) من طريق ابن إسحاق. وذكره ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤/٣٩٧).

(٣) إسـناده ضعيف لإرساله. وأخرجه الطبري في تاريخه (٣/٨٣) من طريق ابن إسحاق بـه، وذكـره الحـافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤/٣٩٧) عن ابن إسحاق، وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/١٥٦-١٥٧) من طريق موسى بن عقبة عن الزهري به مرسلاً نحوه وأخرجه أيضاً عن عروة مرسلاً.

فكانت النبل تناهم، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم، أغلقوه دونهم، فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم، فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة.

قال ابن إسحاق: ومعه امرأتان من نسائه، إحداهما أم سلمة بنت أبي أمية، فضرب لهما قبتين، ثم صلى بين القبتين. ثم أقام، فلما أسلمت ثقيف بني على مصلى رسول الله ﷺ عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك مسجداً، وكانت في ذلك المسجد سارية، فيما يزعمون، لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سمع لها نقيض فحاصرهم رسول الله ﷺ وقاتلهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل[1].

يوم الشدخة:

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبابة، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار، فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنبل، فقتلوا منهم رجالاً، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف، فوقع الناس فيها يقطعون.

أبو سفيان بن حرب والمغيرة يتفاوضان مع ثقيف:

وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف، فناديا ثقيفا: أن أمنونا حتى نكلمكم فأمنوهما، فدعوا نساء من نساء قريش وبني كنانة ليخرجن إليهما، وهما يخافان عليهن السباء، فأبين، منهن آمنة بنت أبي سفيان كانت عند عروة بن مسعود، له منها داود بن عروة[2].

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/٨٣-٨٤). والبيهقي في (دلائل النبوة) (٥/١٥٨) من طريق محمد بن إسحاق، وذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤/٣٩٧)، وينظر «سبل الهدى والرشاد» (٥/٣٨٢-٣٨٣)، ومغازي الواقدي (٣/٩٢٥).

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٣/٨٤). عن ابن إسحاق وانظر رواية ابن إسحاق عن عمر بن شعيب، وقد تقدم تخريجها.

قال ابن إسحاق: الفراسية بنت سويد بن عمرو بن ثعلبة، لها عبد الرحمن ابن قارب، والفقيمية أميمة بنت الناسئ أمية بن قلع، فلما أبين عليهما، قال لهما ابن الأسود بن مسعود: يا أبا سفيان ويا مغيرة، ألا أدلكما على خير مما جئتما له؟ إن مال بني الأسود بن مسعود حيث قد علمتما، وكان رسول الله ﷺ بينه وبين الطائف، نازلاً بواد يقال له العقيق، إنه ليس بالطائف مال أبعد رشاء، ولا أشد مؤونة، ولا أبعد عمارة من مال بني الأسود، وأن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً فكلماه فليأخذه لنفسه أو ليدعه لله والرحم، فإن بيننا وبينه من القرابة ما لا يجهل، فزعموا أن رسول ﷺ تركه لهم.

أبو بكر يفسر رؤيا الرسول ﷺ : وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا: **يا أبا بكر، إني رأيت أني أهديت لي قبعة مملوءة زبداً، فنقرها ديك فهراق ما فيها.** فقال أبو بكر: ما أظن أن ندرك منهم يومك هذا ما نريد. فقال رسول الله ﷺ : **وأنا لا أرى ذلك** (١).

ارتحال المسلمين عن الطائف: ثم إن خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة ابن الأوقص السلمية، وهى امرأة عثمان، قالت يا رسول الله، أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلي بادية بنت غيلان بن مظعون بن سلمة، أو حلي الفارعة بنت عقيل، وكانتا من أحلى نساء ثقيف.

فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها: **وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة؟** فخرجت خويلة، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب، فدخل على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: ما حديث حدثتنيه خويلة، زعمت أنك قلته؟ قال: قد قلته، قال أوما أذن لك فيهم يا رسول الله؟ **قال: لا**، قال: أفلا أوذن

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٦٩/٥) والطبري في (تاريخه) (٨٤/٣-٨٥) كلاهما من طريق محمد بن إسحاق. وذكره ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤٠١/٤) والصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٣٨٧/٥).

بالرحيل؟ **قال: بلى.** قال: فأذن عمر بالرحيل.

فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن علاج: ألا إن الحي مقيم. قال: يقول عيينة بن حصن: أجل، والله مجدة كراما، فقال له رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله ﷺ، وقد جئت تنصر رسول الله ﷺ! فقال: إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفا معكم، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف، فأصيب من ثقيف جارية أطؤها، لعلها تلد لي رجلا، فإن ثقيفا قوم مناكير.

عبيد الطائف يترلون إلى المسلمين: قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن عبد الله بن مكدم، عن رجال من ثقيف قالوا: لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم في أولئك العبيد، فقال رسول الله ﷺ: **لا، أولئك عتقاء الله،** وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كلدة(١).

شعر الضحاك في إطلاق أبي بن مالك من يد مروان:

قال ابن إسحاق: وقد كانت ثقيف أصابت أهلاً لمروان بن قيس الدوسي وكان قد أسلم، وظاهر رسول الله ﷺ على ثقيف، فزعمت ثقيف، وهو الذي تزعم به ثقيف أنها من قيس(٢)، أن رسول الله ﷺ قال لمروان بن قيس: خذ يا مروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه، فلقى أبي بن مالك القشيري فأخذه حتى يؤدوا إليه أهله فقام في ذلك الضحاك بن سفيان الكلابي، فكلم ثقيفاً حتى أرسلوا أهل مروان، وأطلق لهم أبي بن مالك، فقال الضحاك بن سفيان في شيء كان بينه وبين أبي مالك:

أتنسى بلائي يا أبي بن مالك ... غداة الرسول معرض عنك أشوس

يقودك مروان بن قيس بحبله ... ذليلاً كما قيد الذلول المخيس

---

(١) إسناده ضعيف وأخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) (٥/١٥٨-١٥٩) من طريق ابن إسحاق.

(٢) ينظر الإصابة (٦/٦٦-٦٧).

فعـادت عليك من ثقيف عصابة ... مـتى يـأهم مستقبس الشر يقبسوا
فكانوا هم المولى فعادت حلومهم ... عليك وقد كادت بك النفس تيأس[١]

الشهداء يوم الطائف:

قـال ابن إسحاق: وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله ﷺ يوم الطائف:

مـن قـريش، ثم من بني أمية بن عبد شمس: سعيد بن العاص ابن أمية، وعرفطة بن جناب، حليف لهم، من الأسد بن الغوث.

قـال ابن إسحاق: ومن بني تيم بن مرة. عبد الله بن أبي بكر الصديق، رمى بسهم، فمات منه بالمدينة بعد وفاة ﷺ.

ومن بني مخزوم: عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، من رمية رميها يومئذ.

ومن بني عدي بن كعب: عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم.

ومن بني سهم بن عمرو: السائب بن الحارث بن قيس بن عدي، وأخوه عبد الله بن الحارث.

ومن بني سعد بن ليث: جليحة بن عبد الله.

واستشهد من الأنصار: من بني سلمة: ثابت بن الجذع.

ومن بني مازن بن النجار: الحارث بن سهل بن أبي صعصعة.

ومن بني ساعدة: المنذر بن عبد الله.

ومن الأوس: رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوزان بن معاوية.

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله ﷺ اثنا عشر رجلاً سبعة من قريش، وأربعة من الأنصار، ورجل من بني ليث [٢].

قصيدة بجير بن زهير في حنين والطائف: فلما انصرف رسول الله ﷺ عن

---

(١) ينظر الإصابة (٦/٦٦-٦٧).

(٢) ينظر: «تاريخ الطبري» (٣/٨٥) (البداية والنهاية) (٤/٤٠٢).

الطائف بعد القتال والحصار، قال بجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنينا والطائف:

كانـــت علالـــة يوم بطن حنين ... وغداة أوطاس ويوم الأبرق

جمعـــت بـــإغواء هوازن جمعها ... فتـــبددوا كالطائـــر المتمزق

لم يمـــنعوا مـــنا مقامـــاً واحداً ... إلا جدارهـــم وبطن الخندق

ولقـــد تعرضـــنا لكيما يخرجوا ... فتحصـــنوا مـــنا بباب مغلق

تـــرتد حســـرانا إلى رجـــراجة ... شـــهباء تـــلمع بالمنايا فيلق

مـــلمومة خضـــراء لو قذفوا بها ... حضـــنا لظـــل كأنه لم يخلق

مشى الضراء على الهراس كأننا ... قـــدر تفرق في القياد وتلتقي

في كل سابغة إذا ما استحصنت ... كالـــنهى هبت ريحه المترقرق

جـــدل تمـــس فضـــولهن نعالنا ... من نسج داود وآل محرق[1]

---

(١) ينظر (البداية والنهاية) (٤٠٣/٤). وأسد الغابة (٣٥٢/١) «والاستيعاب» (١٤٩/١) وقال ابن الأثير: أخرجه الثلاثة. وينظر «سبل الهدى والرشاد» (٤٠٧/٥).

أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها وإنعام رسول الله ﷺ فيها

ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس، ومعه من هوازن سبي كثير، وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله ادع عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم**»[1].

ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة، وكان مع رسول الله ﷺ من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاة ما لا يدري ما عدته[2].

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله ابن عمرو، أن وفد هوازن أتوا رسول الله ﷺ وقد أسلموا فقالوا: يا رسول الله، إنا أهل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا، من الله عليك. قال: وقام رجل من هوازن ثم أحد بني سعد بن بكر، يقال له زهير، يكني أبا صرد، فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا للحارث بن أبي شمر، أو للنعمان ابن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به. رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين.

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله ابن عمرو، قال: فقال رسول الله ﷺ : **أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم**

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/٧٢٩) كتاب المناقب- حديث (٣٩٤٢) وأحمد (٣/٣٤٣) وابن عدي (١/٣١٨) وابن أبي شيبة (٧٠/٥٦٠) من حديث جابر، وأخرجه البيهقي (٥/١٦٩) عن عروة بن الزبير مرسلاً، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/٤٠٤).

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/١٧١) والطبري في «تاريخه» (٣/٨٦) من طريق ابن إسحاق.

أموالكم ؟ فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحب إلينا، فقال لهم: **أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس، فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك، وأسأل لكم**، فلما صلى رسول الله ﷺ بالناس الظهر قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به، فقال رسول الله ﷺ : **أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم**.

فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ. وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال عباس بن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا. فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ.

قال: يقول عباس بن مرداس لبني سليم: وهنتموني.

فقال رسول الله ﷺ: **أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض، من أول سبي أصيبه، فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم**[(١)].

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي: أن رسول الله ﷺ أعطى علي بن أبي طالب رضي الله عنه جارية، يقال لها ريطة بنت هلال بن حيان ابن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد بن بكر، وأعطى عثمان بن عفان جارية. يقال لها زينب بنت حيان بن عمر بن حيان، وأعطى عمر بن الخطاب جارية، فوهبها لعبد الله بن عمر ابنه [(٢)].

---

(١) إسناده حسن، أخرجه أبو داود (٣/٦٣) كتاب الجهاد حديث (٢٦٩٤)، والنسائي (٦/٢٦٣-٢٦٤) كتاب الهبة -حديث (٣٦٩٠)، وأحمد (٢/١٨٤، ٢١٨) والطبراني في الكبير (٥/٢٧٠-٢٧٢) رقم (٥٣٠٤) والطبري في تاريخه (٣/٨٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/١٩٥) كلهم من طريق محمد بن إسحاق.

(٢) إسناده ضعيف لإعضاله. وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/١٩٦) والطبري في تاريخه (٣/٨٧) من طريق ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: فحدثني نافع مولي عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، قال: بعثت بها إلى أخوالي من بني جمح، ليصلحوا لي منها، ويهيئوها، حتى أطوف بالبيت، ثم آتيهم وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها. قال فخرجت من المسجد حين فرغت، فإذا الناس يشتدون، فقلت: ما شأنكم؟ قالوا: رد علينا رسول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا، فقلت: تلكم صاحبتكم في بني جمح، فاذهبوا إليها فخذوها. فذهبوا إليها، فأخذوها(١).

قال ابن إسحاق: وأما عيينة بن حصن، فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن، وقال حين أخذها: أرى عجوزاً إني لأحسب لها في الحي نسبا، وعسى أن يعظم فداؤها. فلما رد رسول الله ﷺ السبايا بست فرائض، أبي أن يردها، فقال له زهير أبو صرد: خذها عنك، فوالله ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد، ولا درها بماكد. فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال، فزعموا أن عيينة لقى الأقرع بن حابس فشكا إليه ذلك، فقال: إنك والله ما أخذتها بيضاء غريرة، ولا نصفاً وثيرة (٢).

إسلام مالك بن عوف:

وقال رسول الله ﷺ لوفد هوازن، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف، فقال رسول الله ﷺ : **أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل، فأتى مالك بذلك، فخرج إليه من الطائف. وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال له ما قال: فيحبسوه، فأمر براحلته فهيئت له، وأمر بفرس**

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٨٨/٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٩٦/٥-١٩٧) من طريق ابن إسحاق.

وذكره ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤٠٦/٤) من طريق ابن إسحاق.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري (٨٨/٣)، والبداية والنهاية (٤٠٧/٤) وأخرجه البيهقي (٥/ ١٩٣).

لـــه، فأتى به إلى الطائف، فخرج ليلاً، فجلس على فرسه، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس، فركبها، فلحق برسول ﷺ، فأدركه بالجعرانة أو بمكة، فرد عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسن إسلامه، فقال مالك بن عوف حين أسلم:

مـــا إن رأيـــت ولا سمعت بمثله — في الـــناس كـــلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى — ومـــتى تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيـــبة عـــردت أنـــيابها — بالسمهرى وضرب كل مهند
فكأنـــه ليـــث عـــلى أشـــباله — وســـط الهباءة خادر في مرصد

فاســـتعمله رســـول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وتلك القبائل: ثمالة وسلمة وفهم فكان يقاتل بهم ثقيفاً، لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه، حتى ضيق عليهم فقال أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي:

هابـــت الأعداء جانبنا — ثم تغـــزونا بنو سلمه
وأتانـــا مـــالك بهـــم — ناقضـــا للعهد والحرمه
أتونـــا في منازلـــنا — ولقد كنا أولى نقمه[1]

تقسيم الفئ:

قـــال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من رد سبايا حنين إلى أهلها ركـــب، واتبعه الناس يقولون: يا رسول الله، اقسم علينا فيئنا من الإبل والغنم، حتى ألجئوه إلى شجرة، فاختطفت عنه رداءه، فقال: أدوا عليَّ ردائي أيها الناس، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً، ثم قام إلى جنب بعير، فأخذ وبرة من سنامه، فجعلها بين

---

(١) أخـــرجه الطبري في تاريخه (٣/٨٨-٨٩) والطبراني في الكبير (١٩/٣٠٢) رقم (٦٧٣)، والبـــيهقي في «دلائل النبوة» (٥/١٩٨-١٩٩) كلهم من طريق ابن إسحاق. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٨٩).

أصبعيه، ثم رفعها، ثم قال: **أيها الناس، والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدوا الخياط والمخيط، فإن الغلول يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً يوم القيامة** قال: فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لي دبر. فقال: أما نصيبي منها فلك قال: **أما إذا بلغت هذا فلا حاجة لي بها، ثم طرحها من يده** (١).

قال ابن إسحاق: وأعطى رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس، يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة، أخا بني عبد الدار مائة بعير (٢).

قال ابن إسحاق: وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير، وأعطى سهيل بن عمرة مائة بعير، وأعطى حويطب بن عبد العزي بن أبي قيس مائة بعير، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي، حليف بني زهرة مائة بعير، وأعطى عيينة بن حصن بن

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣١٨) والنسائي (٧/١٣١) كتاب قسم الفيء وابن حبان (١٦٩٣ -موارد)، وأخرجه أحمد (٥/٣١٦) من طريق إسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن عبد الله عن أبي سلام عن المقدام بن معد يكرب الكندي. وأخرجه أحمد (٤/١٢٧، ١٢٨) والبزار في كشف الأستار (٢/٢٩١) كتاب الجهاد حديث (١٧٣٤) والطبراني في الكبير (١٨) رقم (٦٤٩) وأخرجه الطبراني في الأوسط كما في المجمع (٥/٣٤٢)، وأخرجه أبو داود (٢/٦٩-٧٠) كتاب الجهاد حديث (٢٦٩٤) والنسائي (٦/٢٦٢-٢٦٣). وأحمد (٢/١٨٤) والبيهقي (٢/٢٣٦-٢٣٧) وفي «دلائل النبوة» (٥/١٩٤-١٩٥) وأخرجه مالك (٢/٤٥٧-٤٥٨) كتاب الجهاد- حديث (٢٢) من طريق عبد الرحمن بن سعيد عن عمرو بن شعيب مرسلاً.

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/٩٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/١٨٢-١٨٣) كلاهما من طريق ابن إسحاق، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/١٢/٤) من طريق ابن إسحاق.

حذيفة بن بدر مائة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير. وأعطى مالك بن عوف النضري مائة بعير، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير، فهؤلاء أصحاب المئين.

وأعطى دون المائة رجالاً من قريش، منهم مخرمة بن نوفل الزهري، وعمير ابن وهب الجمحي، وهشام بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي، لا أحفظ ما أعطاهم وقد عرفت أنها دون المائة، وأعطى سعيد بن يربوع بن عنكشة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل، وأعطى السهمي خمسين من الإبل [(١)].

شعر ابن مرداس:

قال ابن إسحاق: وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها، فعاتب فيها رسول الله ﷺ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله ﷺ:

كانت نهابا تلافيتها	**بكري على المهر في الأجرع** [(٢)]
وإيقاظي القوم أن يرقدوا	**إذا هجع الناس لم أهجع** [(٣)]
فأصبح نهبي ونهب العبيـ	**ـد بين عيينة والأقرع**
وقد كنت في الحرب ذا تدرإ	**فلم أعط شيئاً ولم أمنع**
إلا أفائل أعطيتها	**عديد قوائمها الأربع**
وما كان حصن ولا حابس	**يفوقان شيخي في المجمع**
وما كنت دون امرئ منهما	**ومن تضع اليوم لا يرفع**

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: **اذهبوا به، فاقطعوا عني لسانه،** فأعطوه حتى رضي، فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله ﷺ [(٤)].

---

(١) ينظر: المصادر السابقة.

(٢) الأجرع: المكان السهل.

(٣) هجع: نام.

(٤) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/٩٠-٩١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/١٨٣) من طريق ابن إسحاق.

=

لماذا لم يعط النبي ﷺ جعيلاً:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: أن قائلاً قال لرسول الله ﷺ من أصحابه: يا رسول الله، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة، وتركت جعيل بن سراقة الضمري؟! فقال رسول الله ﷺ: **«أما والذي نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض، كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، ولكني تألفتهما، ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه»** (١).

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن مقسم أبي القسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو يطوف بالبيت، معلقاً نعله بيده، فقلنا له: هل حضرت رسول الله ﷺ حين كلمه التميمي يوم حنين؟ قال: نعم، جاء رجل من بني تميم، يقال له ذو الخويصرة، فوقف عليه وهو يعطي الناس، فقال: يا محمد، قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم: فقال رسول الله ﷺ : **أجل. فكيف رأيت؟** فقال: لم أرك عدلت، قال فغضب النبي ﷺ، ثم قال: **ويحك! إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟!** فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ألا أقتله؟ فقال: **لا، دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ينظر في النصل، فلا يوجد شيء، ثم في القدح، فلا يوجد شيء، ثم في الفوق، فلا يوجد شيء، سبق الفرث، والدم** (٢).

=

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/٤١٢-٤١٣) من طريق ابن إسحاق، وينظر: «الدرر» (ص٢٧٩)، و(سبل الهدى والرشاد) (٥/٣٩٩).

(١) إسناده ضعيف، لإرساله، وأخرجه الطبري في «التفسير » (٣/٩١)، والبيهقي (٥/ ١٨٣) من طريق ابن إسحاق وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/٤١٤) والصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٥/٤٠) من طريق ابن إسحاق.

(٢) ينظر: التقريب (٢/٤٤٨) و (٢/٢٧٣).

=

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن على بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبي عبيدة، وسماه ذا الخويصرة [(١)].

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن أبيه بمثل ذلك [(٢)].

مقالة رسول الله ﷺ في الأنصار:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخدري، قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم: لقد لقي والله رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم. لما صنعت في هذا الفيء، الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة. فجاء رجال من المهاجرين فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: **يا معشر الأنصار: مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها**

=

وأخرجه الطبري في تاريخه (٩٢/٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٨٦/٥) كلاهما من طريق ابن إسحاق به . وأخرجه البخاري (٣٢٤/٧-٣٢٥) كتاب المناقب- حديث (٣٦١٠) ومسلم (٧٤١/٢) كتاب الزكاة — حديث (١٤٣-١٠٦٤) وابن حبان (٦٧٤١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤٢٧/٦-٤٢٨).

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٩٢/٣) والبيهقي في «دلائل النبوة » (١٨٧/٥) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

(٢) ينظر: الحديث السابق.

علـى في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل. ثم قال: **ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المن والفضل. قال ﷺ: أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذبا فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلا فآسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم، في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار. اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.**

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ، وتفرقوا [(١)].

عمرة الرسول من الجعرانة

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً، وأمر ببقايا الفيء فحبس بمجنة، بناحية من الظهران، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة، وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين، ويعلمهم القرآن، واتبع رسول الله ﷺ ببقايا الفيء[(٢)].

---

(١) إسناده حسن. أخرجه أحمد (٧٦/٣) والطبري في تاريخه (٩٣/٣-٩٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٧٦/٥-١٧٧) من طريق ابن إسحاق.

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٩٤/٣-٩٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٠٢/٥-٢٠٣) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

قـــال ابـــن إسحاق: وكانت عمرة رسول الله ﷺ في ذي القعدة، فقدم رسول الله ﷺ المدينة في بقية ذي القعدة أو ذي الحجة [١].

قـــال ابـــن إسحاق: وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليـــه، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد، وهى سنة ثمان، وأقام أهل الطائـــف علـــى شركهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة إذا انصرف رسول الله ﷺ إلى شهر رمضان من سنة تسع [٢].

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله ﷺ من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبي سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله ﷺ قتل رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأن من بقى من شعراء قريش، ابن الزبعري، وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة، فطر إلى رسول الله ﷺ،فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجاتك من الأرض، وكان كعب بن زهير قد قال:

ألا أبلغـــا عـــني بجـــيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا؟

فـــبين لنا إن كنت لست بفاعل ... علـــى أى شـــيء غير ذلك دلكا

علـــى خلـــق لم ألف يوماً أبا له ... علـــيه ومـــا تلفـــى علـــيه أبا لكا

فـــإن أنـــت لم تفعل فلست ... ولا قائـــل أمـــا عثـــرت لعالكـــا

ســـقاك بهـــا المأمون كاساً روية ... فأنهلـــك المأمـــون منها وعلكا [٣]

قـــال: وبعـــث بها إلى بجير، فلما أتت بجيراً كره أن يكتمها رسول الله ﷺ فأنشده إياها، فقال رسول الله ﷺ لما سمع : «سقاك بها المأمون» **صدق**

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤٢٢/٤٠) عن ابن هشام.

(٢) ينظر المصدر السابق.

(٣) أخرجه الحاكم (٥٨٣/٣) والطبراني في «الكبير (١٧٦/١٩-١٧٨) والبيهقي في (دلائل النبوة) (٢١١/٥) كلهم من طريق ابن إسحاق.

وإنه لكذوب، أنا المأمون. ولما سمع: «على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه» **قال: أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه.**

شعر بجير لكعب:

مـــن مبلغ كعباً فهل لك في التي ... تلـــوم علـــيها باطلاً وهي أحزم

إلى الله لا العزى ولا اللات وحده ... فتـــنجو إذا كـــان النجاء وتسلم

لـــدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من الناس إلا طاهر القلب مسلم

فديـــن زهـــير وهو لا شيء دينه ... وديـــن أبي ســـلمى عـــلي محرم

قال ابن إسحاق: وإنما يقول كعب «المأمون»،لقول قريش الذي كانت تقوله لرسول الله ﷺ[1].

كعب بن زهير وقصيدته بانت سعاد: قال ابن إسحاق: «فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه، فقالوا: هو مقتول، فلما لم يجد من شيء بدا، قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه، ثم خرج حتى قدم المدينة فترل على رجل كانت بينه وبينه معرفة، من جهينة، كما ذكر لي، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح، فصلى مع رسول الله ﷺ، ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ، فقال: هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه فذكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ، حتى جلس إليه، فوضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله ﷺ: نعم، قال أنا يا رسول الله كعب بن زهير[2].

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنه وثب عليه رجل

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤٢٣/٤) عن ابن هشام.

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤٢٤/٤).

من الأنصار، فقال يا رسول الله، دعني وعدو الله أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: دعه عنك فإنه قد جاء تائبا، نازعا عما كان عليه. قال فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار، لما صنع به صاحبهم، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير، فقال: في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول[1]

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغن غضيض الطرف مكحول[2]

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ... لا يشتكي قصر منها ولا طول[3]

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول[4]

شجت بذي شيم من ماء محنية ... صاف بأبطح أضحى وهو مشمول[5]

تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه ... من صوب غادية بيض يعاليل[6]

فيا لها خلة لو أنها صدقت ... بوعدها أو لو أن النصح مقبول[7]

لكنها خلة قد سيط من دمها ... فجع وولع وإخلاف وتبديل[8]

فما تدوم على حال تكون بها ... كما تكون في أثوابها الغول[9]

وما تمسك بالعهد الذي زعمت ... إلا كما يمسك الماء الغرابيل

فلا يغرنك ما منت وما وعدت ... إن الأماني والأحلام تضليل

---

(١) بانت: ذهبت وفارقت. متبول: هالك. متيم: معبد مذلل.
(٢) غداة البين: صبيحة الفراق. أغن: يعني ظبي أغن حسن الصوت.
(٣) العجزاء: ضخمة العجز.
(٤) الراح : الخمر.
(٥) شجت: مزجت، محنية: منعطف الوادي.
(٦) القذى: كل غريب يقع في الماء فيعكره ويغيره.
(٧) الخلة: الصديقة.
(٨) سيط: خلط، يعني أن هذه الصفات خلطت بدمها.
(٩) الغول: ساحرة الجن.

كانـــت مواعـــيد عرقوب لها مثلاً ... ومـــا مواعـــيدها إلا الأباطـــيل

أرجـــو وآمـــل أن تدنـــو مودتها ... ومـــا إخـــال لديـــنا مـــنك تنويل

أمســـت ســـعاد بأرض لا يبلغها ... إلا العـــتاق الجيـــبات المراسيل[1]

ولـــن يـــبلغها إلا عذافـــرة ... لهـــا عـــلى الأيـــن إرقال وتبغيل

من كل نضاخة الذفري إذا عرقت ... عرضـــتها طـــامس الأعلام مجهول

تـــرمى الغـــيوب بعيني مفرد لهق ... إذا توقـــدت الحـــزان والمـــيل[2]

ضـــخم مقلدهـــا فهـــم مقـــيدها ... في خلقها عن بنات الفحل تفضيل

غلـــباء وجـــناء علكـــوم مذكرة ... في دفهـــا ســـعة قدامهـــا مـــيل

وجلدهـــا مـــن أطـــوم ما يؤيسه ... طـــلح بضـــاحية المتـــنين مهزول

حـــرف، أخوهـــا أبوها من مهجنة ... وعمهـــا خالهـــا قـــوداء شملـــيل

يمشـــي القـــراد علـــيها ثم يزلقه ... مـــنها لـــبان وأقـــراب زهاليل[3]

عيرانـــة قذفت بالنحض عن عرض ... مـــرفقها عـــن بنات الزور مفتول

كأنمـــا فـــات عينـــيها ومذبحهـــا ... مـــن خطمهـــا ومن اللحيين برطيل

تمـــر مثل عسيب النخل ذا خصل ... في غـــارز لم تخونـــه الأحالـــيل[4]

قـــرناء في حرتـــيها للبصـــير بها ... عـــتق مـــبين وفي الخديـــن تسهيل

تخـــدى على يسرات وهي لاحقة ... ذوابـــل مســـهن الأرض تحلـــيل

سمـــر العجايات يتركن الحصى زيما ... لم يقهـــن رءوس الأكـــم تنعـــيل

كـــأن أوب ذراعـــيها وقد عرقت ... وقـــد تلفـــع بـــالقور العســـاقيل

---

(١) المراسيل: السريعة.

(٢) الغيوب: جمع غائب. الميل: العَلَمُ الذي يبنى على الطريق.

(٣) زهاليل: ملس.

(٤) ينظر: حاشية بانت سعاد (٢/٥٠٩-٥١٠).

يومــاً يظــل به الحرباء مصطخداً كــأن ضــاحية بالشــمس مملول
وقال للقوم حاديهم- وقد جعلت ورق الجنادب يركضن الحصا قيلوا
شــد الــنهار ذراعاً عيطل نصف قامــت فجاوبها نكــد مثاكــيل
نواحــة رخــوة الضبعين ليس لها لمــا نعــى بكرها الناعون معقول
تفــري اللــبان بكفيها ومدرعها مشــقق عــن تراقــيها رعابــيل
تســعى الغــواة جنابــيها وقولهم إنــك يــابن أبي ســلمى لمقــتول
وقــال كــل صــديق كنت آمله لا ألهيّــنك إني عــنك مشــغول
فقلــت خلــوا سبيلي لا أبا لكم فكــل مــا قــدر الرحمن مفعول
كــل ابن أنثى وإن طالت سلامته يومــاً عــلى آلة حدباء محمول[1]
نبئــت أن رســول الله أوعــدني والعفــو عــند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الــ قــرآن فــيها مواعيظ وتفصيل[2]
لا تــأخذني بــأقوال الوشــاة ولم أذنــب ولــو كثرت في الأقاويل
لقــد أقــوم مقامــاً لــو يقوم به يــرى ويســمع ما قد أسمع الفيل
لظــل يــرعد إلا أن يكــون له مــن الرســول بــإذن الله تنويل
حــتى وضــعت يمــيني ما أنازعه في كــف ذي نقمــات قيله القيل
فــلهو أخــوف عندي إذ أكلمه وقــيل إنــك منســوب ومسئول
مــن ضيغم بضراء الأرض مخدره في بطــن عــثر غــيل دونه غيل
يغــدو فيــلحم ضرغامين عيشهما لحــم من الناس معفور خراديل[3]
إذا يســاور قــرنا لا يحــل له أن يــترك القــرن إلا وهو مفلول

(١) المحمول هنا: النعش، وقيل هي الداهية أي لا يستقر عليها.
(٢) حاشية: بانت عليها (٢/٧١٩-٧٢٠).
(٣) يلحم: يطعمهم اللحم. ضرغامين: يعني أسدين وأراد بهما شبليه.

منه تظل سباع الجو نافرة ... ولا تمشي بواديه الأراجيل
ولا يزال بواديه أخو ثقة ... مضرج البز والدرسان مأكول
إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف ... عند اللقاء ولا ميل معازيل
شم العرانين أبطال لبوسهم ... من نسج داود في الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق ... كأنها حلق القفعاء مجدول
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم ... قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
يمشون مشى الجمال الزهر ... ضرب إذا عرد السود التنابيل
لا يقع الطعن إلا في نحورهم ... وما لهم عن حياض الموت تهليل[1]

كعب يسترضي الأنصار بمدحهم:

قال ابن إسحاق: وقال عاصم بن عمر بن قتادة: فلما قال كعب: إذا عرد السود التنابيل، وإنما يريدنا معشر الأنصار، لما كان صاحبنا صنع به ما صنع وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بمدحته غضبت عليه الأنصار، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار، ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ، وموضعهم من اليمن:

من سره كرم الحياة فلا يزل ... في مقنب من صالحي الأنصار
ورثوا المكارم كابراً عن كابر ... عن الخيار هم بنو الأخيار
المكرهين السمهري بأذرع ... كسوالف الهندى غير قصار
والناظرين بأعين محمرة ... كالجمر غير كليلة الأبصار

---

(١) إسناده ضعيف لإرساله، وأخرجه الحاكم (٣٠/٥٨٣-٥٨٤) والطبراني في الكبير (١٩/١٧٧-١٧٨) وقال الهيثمي: رجاله ثقات، وذكره الحافظ ابن كثير بطوله في «البداية والنهاية» (٤/٤٢٤-٤٢٧).

والـــبائعين نفوســـهم لنبيهم ... لـــلموت يـــوم تعانق وكرار
والذائديـــن الناس عن أديانهم ... بالمشـــرفي وبالقـــنا الخطـــار
يـــتطهرون يـــرونه نسكا لهم ... بدمـــاء من علقوا من الكفار
دربوا كما دربت ببطن خفية ... غلـــب الـــرقاب من الأسود
وإذا حللـــت ليمنعوك إليهم ... أصـــبحت عند معاقل الأعفار
ضـــربوا عليا يوم بدر ضربة ... دانـــت لوقعـــتها جميع نزار
لـــو يعلم الأقوام علمي كله ... فـــيهم لصدقني الذين أماري
قـــوم إذا خوت النجوم فإنهم ... للطـــارقين الـــبازلين مقاري
في الغر من غسان من جرثومة ... أعيـــت محافرها على المنقار(١)

غزوة تبوك في سنة تسع

أمر الرسول ﷺ بالاستعداد لتبوك:

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم، وقد ذكر لنا الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة، وغيرهم من علمائنا، كل حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدث ما لا يحدث بعض. أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمن من عسرة الناس، وشدة من الحر، وجدب من البلاء وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد له، إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس، لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد له، ليتأهب الناس لذلك أهبته،

---

(١) إسناده مرسل أخرجه الحاكم (٣/٥٨٤-٥٨٦) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ١٧٨-١٧٩) من طريق ابن إسحاق.

فأمر الناس بالجهاز، وأخبرهم أنه يريد الروم.

تخلف الجد بن قيس:

قال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بني سلمة يا جد: هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرفت قومي أنه ما من رجل بأشد عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: قد أذنت لك، ففي الجد بن قيس نزلت هذه الآية ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[(١)].

أي إن كان إنما خشي الفتنة من نساء بني الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله ﷺ، والرغبة بنفسه عن نفسه يقول تعالى: «وإن جهنم لمن ورائه».

شأن المنافقين: وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد وشكا في الحق، وإرجافا برسول الله ﷺ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[(٢)].

حض الأغنياء على النفقة: قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله جد في سفره، وأمر الناس بالجهاز والانكماش، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا، وأنفق عثمان بن عفان في

---

(١) سورة التوبة: آية (٤٩).

(٢) سورة التوبة: آية (٨١، ٨٢).

أخرجه الطبري في «تفسيره» (٣٨٧/٦) رقم (١٦٨٠٣) وفي «تاريخه» (١٠١/٣) والبيهقي «دلائل النبوة» (٢١٢/٥-٢١٤) كلهم من طريق ابن إسحاق به وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/٥-٧) من طريق ابن إسحاق أيضاً.

ذلك نفقة عظيمة، لم ينفق أحد مثلها [(١)].

البكاءون والمعذرون والمتخلفون: قال ابن إسحاق: ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله، وهم البكاءون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير، وعلبة بن زيد، أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، أخو بني مازن بن النجار، وعمرو بن حمام بن الجموح، أخو بني سلمة، وعبد الله بن المغفل المزني، وبعض الناس يقول: بل هو عبد الله ابن عمرو المزني، وهرمى بن عبد الله، أخو بني واقف، وعرباض بن سارية الفزارى، فاستحملوا رسول الله ﷺ،وكانوا أهل حاجة، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون.

قال ابن إسحاق: فبلغني أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضري لقى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان، فقال لهما: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس لنا ما نتقوى به على الخروج معه فأعطاهما ناضحاً له، فارتحلاه، وزودهما شيئاً من تمر فخرجا مع رسول الله ﷺ.

شأن المعذرين:

قال ابن إسحاق: وجاءه المعذرون من الأعراب، فاعتذروا إليه فلم يعذرهم الله تعالى. وقد ذكر لي أنهم نفر من بني غفار.

ثم استتب برسول الله ﷺ سفره، وأجمع السير، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله ﷺ،حتى تخلفوا عنه، عن غير شك ولا ارتياب منهم: كعب بن مالك بن أبي كعب، أخو بني سلمة، ومرارة بن الربيع، أخو بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية، أخو بني واقف، وأبو خيثمة، أخو بني

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (١٠٢/٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٠٢/٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢١٤/٥) من طريق ابن إسحاق وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/٥) من طريق ابن إسحاق.

سالم بن عوف وكانوا نفر صدق، لا يتهمون في إسلامهم.

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع [(١)].

قال ابن إسحاق: وضرب عبد الله بن أبي معه على حدة عسكره أسفل منه، نحو ذباب وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي، فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب.

المنافقون يرجفون بعلي: وخلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه، إلى أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلفه إلى استثقالا له، وتخففا منه، فلما قال: ذلك المنافقون، أخذ علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف، فقال: يا نبي الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت مني، فقال: **كذبوا، ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه** لا نبي بعدي، فرجع علي إلى المدينة ومضى رسول الله ﷺ على سفره[(٢)].

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، عن إبراهيم ابن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه سعد: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعلي هذه المقالة[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبري في (تاريخه) (١٠٢/٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢١٨/٥-٢٢٠) كلاهما من طريق ابن إسحاق وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨/٥-٩) من طريق ابن إسحاق، وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٦٥/٢) بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» (١٠٣/٣) عن ابن إسحاق، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٠/٥-١١).

(٣) إسناده حسن والحديث صحيح. وأخرجه البخاري (٤٣٤/٧) كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - حديث (٣٧٠٦) ومسلم (١٨٧٠/٤-١٨٧١) كتاب فضائل =

قال ابن إسحاق: ثم رجع علي إلى المدينة، ومضى رسول الله ﷺ على سفره.

أبو خيثمة وعمير بن وهب يلحقان بالرسول: ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء وهيأت له فيه طعاما، فلما دخل، قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضح والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مهيأ، وامرأة حسناء، في ماله مقيم، ما هذا بالنصف! ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ،فهيئا لي زادا، ففعلتا، ثم قدم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل بتبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق، يطلب رسول الله ﷺ،فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك. قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنبا، فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله ﷺ : **كن أبا خيثمة**: فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة. فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير[1].

=

الصحابة- حديث (٣٠، ٤٢٠٤/٣١) وأحمد (١٧٩/١، ١٨٥) والنسائي في «الكبرى» (١٩/٥-١٢٥) كتاب الخصائص، وابن ماجه (٤٢/١-٤٣) المقدمة- حديث (١١٥) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢٤/٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤٤/٧) والبيهقي في «الدلائل» (٢٢٠/٥) كلهم من حديث سعد بن أبي وقاص.

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (١٠٤/٣-١٠٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٢٢/٥-٢٢٣) كلاهما من طريق ابن إسحاق. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/٥-١٢) عن طريق ابن إسحاق أيضاً.

ما قاله النبي وهو بالحجر:

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ: **لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضئوا منه للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فأعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له، ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ،إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعير له، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح، حتى طرحته بجبلي طيئ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه، ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أصيب على مذهبه فشفي، وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيئ، فإن طيئاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة.**

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبي بكر، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي، وقد حدثني عبد الله بن أبي بكر أن قد سمى له العباس الرجلين، ولكنه استودعه إياهما، فأبى عبد الله أن يسميهما لي[1].

قال ابن إسحاق: فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء[2].

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل، قال: قلت لمحمود: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم والله، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (١٠٥/٣)،والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٤٠/٥) كلاهما من طريق ابن إسحاق. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤/٥) عن ابن إسحاق.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠٥/٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٣١/٥) من طريق ابن إسحاق.

وفي عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضا على ذلك، ثم قال محمود: لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السحابة، فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا: أقبلنا عليه نقول: ويحك، هل بعد هذا شيء؟! قال: سحابة مارة[1].

تقول ابن اللصيت: قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه، يقال له عمارة بن حزم، وكان عقبياً بدرياً، وهو عم بني عمرو بن حزم، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي، وكان منافقاً.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل، قالوا: فقال زيد بن اللصيت، وهو في رحل عمارة وعمارة عند رسول الله ﷺ : أليس محمد يزعم أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده: «**إن رجلاً قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها**»، فذهبوا، فجاءوا بها، فرجع عمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله ﷺ آنفا، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، كالذي قال زيد بن اللصيت، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي، فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه ويقول إلي عباد الله، إن في رحلي لداهية وما أشعر! اخرج أي عدو الله من رحلي، فلا تصحبني.

---

(١) إسناده حسن، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٠٥-١٠٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٢٣٢) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

قصة أبي ذر:

قال ابن إسحاق: فزعم بعض الناس أن زيداً تاب بعد ذلك، وقال بعض الناس لم يزل متهماً بشر حتى هلك [١] ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً، فجعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، **فيقول دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه،** حتى قيل: يا رسول الله، قد تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره، فقال: **دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه،** وتلوم أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً، ونزل رسول الله في بعض منازله فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسول الله ﷺ: **كن أبا ذر** فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: **رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده**[٢].

قال ابن إسحاق: فحدثني بريدة بن سفيان الأسلمي، عن محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله بن مسعود، قال: لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة وأصابه بها قدره، لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه، فأوصاهما أن أغسلاني وكفناني، ثم ضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمر بكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ، فأعينونا على دفنه، فلما مات فعلا ذلك به، ثم وضعاه على قارعة الطريق، وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمار، فلم

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (١٠٦/٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٣١/٥-٢٣٢) كلاهما من طريق ابن إسحاق. وينظر «الإصابة» (٥١١/٢).

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الحاكم (٥٠/٣) والطبري في «تاريخه» (١٠٧/٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٢١/٥) وابن الأثير في (أسد الغابة) (٩٧/٦-٩٨) كلهم من طريق ابن إسحاق ينظر: (التهذيب) (٤٢٠/٩-٤٢٢)، وذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (١١٦/٤) رقم (٤١٠٩) لابن إسحاق وينظر: البداية والنهاية (٥/ ١٢-١٣).

يرعهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق، قد كادت الإبل تطؤها. وقام إليهم الغلام، فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه. قال: فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله ﷺ، تمشي وحدك، وتموت وحدك وتبعث وحدك، ثم نزل هو وأصحابه فواروه، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه، وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك(١).

تخويف المنافقين المسلمين وما نزل فيهم:

قال ابن إسحاق: وقد كان رهط من المنافقين، منهم وديعة بن ثابت، أخو بني عمرو بن عوف، ومنهم رجل من أشجع، حليف لبني سلمة، يقال له: مخشن بن حمير يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا؟! والله لكأنا بكم غدا مقرنين في الحبال، إرجافا وترهيباً للمؤمنين، فقال مخشن بن حمير: والله لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة، وإنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه.

وقال رسول الله ﷺ -فيما بلغني- لعمار بن ياسر: «**أدرك القوم، فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا: فإن أنكروا فقل: بلى قلتم كذا وكذا**»، فانطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم: فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت، ورسول الله ﷺ واقف على ناقته، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾(٢) وقال مخشن بن حمير: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي، وكأن الذي عفي عنه في هذه الآية مخشن ابن حمير، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر(٣).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سورة التوبة: آية (٦٥).

(٣) أخرجه الطبري في (تفسيره) (٦/٤٠٨-٤٠٩) رقم (١٦٩٢٦) عن ابن إسحاق به.
=

الصلح مع صاحب أيلة: ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك، أتاه يحنة بن رؤبة، صاحب أيلة، فصالح رسول الله ﷺ،وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح، فأعطوه الجزية، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتابا، فهو عندهم. فكتب ليحنة بن رؤبة:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة ابن رؤبة وأهل أيلة، سفنهم وسيارتهم في البر والبحر: لهم ذمة الله، وذمة محمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا، فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقا يريدونه، من بر أو بحر[١].

خالد وأكيدر دومة:

ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دومة، وهو أكيدر بن عبد الملك، رجل من كندة كان ملكا عليها، وكان نصرانيا، فقال رسول الله ﷺ لخالد: **إنك ستجده يصيد البقر**. فخرج خالد، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له، ومعه امرأته، فبانت البقر تحك بقروها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله! قالت: فمن يترك هذه؟ قال: لا أحد. فترل فأمر بفرسه، فأسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ له يقال له حسان، فركب، وخرجوا معه بمطارهم، فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ، فأخذته، وقتلوا أخاه، وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب، فاستلبه خالد، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه به عليه[٢].

=

وذكره السيوطي في (الدر المنثور) (٣/٢٥٤).

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٢٤٧) من طريق ابن إسحاق به، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٢١) عن ابن إسحاق.

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٥/١٨-١٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٢٥٠)

=

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة. عن أنس بن مالك: رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله ﷺ. فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم، ويتعجبون منه، فقال رسول الله ﷺ: «**أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا**»(١).

قال ابن إسحاق: ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ،فحقن له دمه، وصالحه على الجزية، ثم خلى سبيله، فرجع إلى قريته، فقال رجل من طيء: يقال له بجير بن بجرة، يذكر قول رسول الله ﷺ لخالد: إنك ستجده يصيد البقر، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته، لتصديق قول رسول الله ﷺ:

تبارك سائق البقرات إني ... رأيت الله يهدي كل هاد
فمن يك حائداً عن ذي تبوك ... فإنا قد أمرنا بالجهاد(٢)

فأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة، لم يجاوزها، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة.

وادي المشقق وماؤه والمعجزة:

وكان في الطريق ماء يخرج من وشل، وما يروي الراكب والراكبين والثلاثة، بواد يقال له وادي المشقق، فقال رسول الله ﷺ : «**من سبقنا إلى ذلك**

=

كلاهما من طريق ابن إسحاق وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٢١-٢٢) عن ابن إسحاق، أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٥/٢٥١-٢٥٣).

(١) إسناده حسن، أخرجه البخاري (٧/١٥٣-١٥٤) كتاب (مناقب الأنصار)- حديث (٣٨٠٢) ومسلم (٤/١٩١٦) كتاب (فضائل الصحابة) حديث (١٢٩/٢٤٦٨) والترمذي (٥/٦٤٦) كتاب المناقب- حديث (٣٨٤٧) وابن ماجه (١/٥٦-٥٧) المقدمة- حديث (١٥٧) وابن سعد في (الطبقات الكبرى) (٣/٤٣٥) وأحمد (٤/ ٢٨٩، ٣٠١، ٣٠٢) وأبو يعلي (٣/٢٧٣) رقم (١٧٣٠) والبغوي في (شرح السنة) (٧/٢٤٨).

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٢٥٠-٢٥١) من طريق ابن إسحاق.

الوادي فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه»، قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين، فاستقوا ما فيه، فلما أتاه رسول الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئاً فقال: من سبقنا إلى هذا الماء؟ فقيل له يا رسول الله. فلان وفلان، فقال: أو لم أنههم أن يسقوا منه شيئاً حتى آتيه ثم لعنهم رسول الله ﷺ، ودعا عليهم ثم نزل فوضع يده تحت الوشل، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب، ثم نضحه به، ومسحه بيده، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعو به، فانخرق من الماء- كما يقول من سمعه- ما إن له حسا كحس الصواعق، فشرب الناس، واستقوا حاجتهم منه. فقال رسول الله ﷺ: «**لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعن بهذا الوادي، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه**»[1].

ذو البجادين ودفنه وتسميته: قال: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث، قال: قمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال: فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، قال: فاتبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرته، وأبو بكر وعمر يدنيانه إليه، وهو يقول: **أدنيا إلى أخاكما**، فدلياه إليه، فلما هيأه لشقه قال: **اللهم إني أمسيت راضيا عنه، فارض عنه**. قال: يقول عبد الله ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة [2].

حديث أبي رهم في تبوك: قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري،

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٥/٢٣) عن ابن إسحاق، وأخرجه مسلم (٤/١٧٨٤، ١٧٨٥) كتاب الفضائل حديث (١٠/٧٠٦) وأحمد (٥/٢٣٨)، وابن خزيمة (١٨) وابن حبان (٣/٦٢) والبيهقي في (الدلائل) (٥/٢٣٦-٢٣٧).

(٢) إسناده ضعيف، وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/١٢٢) من طريق ابن إسحاق، وقال الحافظ في «الإصابة» (٤/١٣٩) وذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٥/٢٣-٢٤) من طريق ابن إسحاق.

عن ابن أكيمة الليثي، عن ابن أخي أبي رهم الغفاري، أنه سمع أبا رهم كلثوم ابن الحصين، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوا تحت الشجرة، يقول: غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبا من رسول الله ﷺ وألقى الله علينا النعاس فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتي من راحلة رسول الله ﷺ،فيفزعني دنوها منه، مخافة أن أصيب رجله في الغرز، فطفقت أحوز راحلتي عنه، حتى غلبتني عيني في بعض الطريق، ونحن في بعض الليل، فزاحمت راحلتي راحلة رسول الله ﷺ ورجله في الغرز، فما استيقظت إلا بقوله حس، فقلت: يا رسول الله، استغفر لي. فقال: سر فجعل رسول الله ﷺ يسألني عمن تخلف من بني غفار، فأخبره به فقال وهو يسألني: ما فعل النفر الحمر الطوال الثطاط فحدثته بتخلفهم. قال: فما فعل النفر السود الجعاد القصار؟ قال: قلت: والله ما أعرف هؤلاء منا. قال بلى، الذين لهم نعم بشبكة شدخ فتذكرهم في بني غفار، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا، فقلت: يا رسول الله، أولئك رهط من أسلم، حلفاء فينا، فقال رسول الله ﷺ : «**ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرءاً نشيطاً في سبيل الله؟ إن أعز أهلي على أن يتخلف عني المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأسلم**»[1].

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد (٣٤٩/٤-٣٥٠)، والطبراني في «الكبير» (١٨٥/١٩) رقم (٤١٨) من طريق ابن إسحاق. وأخرجه أحمد (٣٤٩/٤) والحاكم (٥٩٣/٣-٥٩٤) وعبد الرزاق (١٩٨٨٢) والبخاري في (الأدب المفرد) رقم (٧٥٤)، والطبراني في (الكبير) (١٨٣/١٩) رقم (٤١٥)، (٤١٦)، (٤١٧) وابن حبان (٧٢٥٧) والخطيب في (الكفاية) (ص٤٠-٤١)، والبزار (١٨٤٢-كشف) كلهم من طريق الزهري به، والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٩٤/٦)، والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٢٤/٥) من طريق ابن إسحاق.

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

دعوة أهله الرسول للصلاة فيه:

قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذي أوان بلد، بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك. فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال: إني على جناح سفر، وحال شغل أو كما قال ﷺ : ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى لأتيناكم، فصلينا لكم فيه.

أمر الرسول ﷺ بهدمه:

فلما نزل بذي أوان، أتاه خبر المسجد، فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم، أخا بني سالم بن عوف، ومعن بن عدى، أو أخاه عاصم بن عدي، أخا بني العجلان، فقال: **انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله، فاهدماه وحرقاه** فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنار من أهلي. فدخل إلى أهله، فأخذ سعفاً من النخل، فأشعل فيه ناراً، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله، فحرقاه وهدماه، وتفرقوا عنه، ونزل فيهم من القرآن ما نزل: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدًا ضِرَارًا وَكُفۡرًا وَتَفۡرِيقًۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [1] إلى آخر القصة.

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلاً: خذام بن خالد، من بني عبيد بن زيد. أحد بني عمرو بن عوف، ومن داره أخرج مسجد الشقاق، وثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد، ومعتب بن قشير، من بني ضبيعة بن زيد، وأبو حبيبة بن الأزهر، من بني ضبيعة بن زيد، وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف، من بني

---

(١) سورة التوبة: آية (١٠٧).

عمرو بن عوف، وجارية بن عامر، وابناه مجمع بن جارية. وزيد بن جارية، ونبتل بن الحارث، من بني ضبيعة، وبخرج، من بني ضبيعة، وبجاد بن عثمان من بني ضبيعة، ووديعة بن ثابت، وهو من بني أمية بن زيد رهط أبي لبابة بن عبد المنذر[1].

مساجد الرسول: وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة إلى تبوك. معلومة مسماة: مسجد بتبوك، ومسجد بثنية مدران، ومسجد بذات الزراب، ومسجد بالأخضر، ومسجد بذات الخطمى، ومسجد بألاء، ومسجد بطرف البتراء، من ذنب كواكب، ومسجد بالشق، شق تارا، ومسجد بذي الجيفة، ومسجد بصدر حوضى، ومسجد بالحجر، ومسجد بالصعيد، ومسجد بالوادي، اليوم، وادي القرى، ومسجد بالرقعة من الشقة، شقة بني عذرة، ومسجد بذي المروة، مسجد بالفيفاء، ومسجد بذي خشب.

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين في غزوة تبوك

وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: **لا تكلمن أحداً من هؤلاء الثلاثة**، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون، فصفح عنهم رسول الله ﷺ،ولم يعذرهم الله ورسوله، واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة.

حديث كعب عن تخلفه:

قال ابن إسحاق: فذكر الزهري محمد بن مسلم بن شهاب، عن عبد

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/٤٦٩-٤٧٠) رقم (١٧٢٠٠) من طريق محمد ابن إسحاق. وقال البيهقي في «الدلائل» (٥/٢٦٠)، وينظر: في (البداية والنهاية) (٥/٢٦-٢٧) و (سبل الهدى والرشاد) (٥/٤٧٠-٤٧١).

الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن أباه عبد الله، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره قال: سمعت أبي كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وحديث صاحبيه، قال: ما تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط، غير أني كنت قد تخلفت عنه في غزوة بدر، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحداً تخلف عنها، وذلك أن رسول الله ﷺ إنما خرج يريد عير قريش، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ العقبة، حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت غزوة بدر هى أذكر عند الناس منها. قال: كان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعت لي راحلتان قط حتى اجتمعتا في تلك الغزوة، وكان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، فغزاها رسول الله في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً، واستقبل غزو عدو كثير، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبته وأخبرهم خبره بوجهه الذي يريد، والمسلمون من تبع رسول الله ﷺ كثير. لا يجمعهم كتاب حافظ، يعني بذلك الديوان، يقول لا يجمعهم ديوان مكتوب.

قال كعب: فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفي له ذلك، ما لم ينزل فيه وحى من الله وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار وأحبت الظلال، فالناس إليها صعر فتجهز رسول الله ﷺ،وتجهز المسلمون معه. وجعلت أغدو لأتجهز معهم فأرجع ولم أقض حاجة، فأقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى شمر الناس بالجد، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً، والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئا، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحق بهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئاً ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا، وتفرط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت، فلم أفعل،

وجعلت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم يحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: **ما فعل كعب بن مالك؟** فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه، والنظر في عطفيه، فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا منه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ.

فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلا من تبوك، حضرني بثي فجعلت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطة رسول الله ﷺ غداً وأستعين على ذلك كل ذي رأى من أهلى، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عني الباطل، وعرفت أني لا أنجو منه إلا بالصدق، فأجمعت أن أصدقه، وصبح رسول الله ﷺ المدينة، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك، جاءه المخلفون، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فيقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وإيمانهم، ويستغفر لهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، حتى جئت فسلمت عليه، فتبسم تبسم المغضب، ثم قال لي: تعاله فجئت أمشي، حتى جلست بين يديه، فقال لي: **ما خلفك؟ ألم تكن ابتعت ظهرك؟** قال: قلت: إني يا رسول الله، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، لكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثاً كذباً لترضين عني وليوشكن الله أن يسخطك علي، لئن حدثتك حديثا صدقا تجد علي فيه، إني لأرجو لله عقباي من الله فيه، ولا والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: «**أما هذا فقد صدقت فيه فقم حتى يقضى الله فيك**» فقمت، وثار معي رجال من بني سلمة، فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه

المخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا بي حتى أردت أن أراجع إلى رسول الله ﷺ،فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقى هذا أحد غيرى؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل مقالتك، وقيل لهما مثل ما قيل لك، قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمرى، من بني عمرو بن عوف، وهلال بن أبي أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين، فيهما أسوة فصمت حين ذكروهما لي ونهي رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تنكرت لي نفسي والأرض، فما هي بالأرض التي كنت أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا، وقعدا في بيوهما، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج، وأشهد الصلوات مع المسلمين، وأطوف بالأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتى رسول الله ﷺ، فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي، هل حرك شفتيه برد السلام عليَّ أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليَّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال ذلك على من جفوة المسلمين، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي، فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام، فقلت يا أبا قتادة، أنشدك الله، هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت فعدت فناشدته، فسكت عني، فعدت فناشدته، فسكت عني، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، ووثبت فتسورت الحائط. ثم غدوت إلى السوق فبينا أنا أمشى بالسوق وإذا نبطى يسأل عني من نبط الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ قال: فجعل الناس يشيرون له إلي، حتى جاءني، فدفع إلى كتاباً من ملك غسان، وكتب كتابا في سرقة من حرير، فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة. فالحق بنا نواسك. قال: قلت حين قرأها: وهذا من البلاء أيضاً، قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع في رجل من أهل الشرك. قال: فعمدت بها إلى

تنور، فسجرته بها، فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، قال: قلت أطلقها أم ماذا؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: ألحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض. قال: وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ، فقالت له: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له، أفتكره أن أخدمه؟ قال: **لا، ولكن لا يقربنك**، قالت: والله يا رسول الله، ما به من حركة إلي، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا، ولقد تخوفت على بصره، قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله لامرأتك، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، قال: فقلت: والله لا أستأذنه فيها ما أدري ما يقول رسول الله ﷺ لي في ذلك إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب. قال: فلبثنا بعد ذلك عشر ليال، فكمل لنا خمسون ليلة، من حين نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا، ثم صليت الصبح، صبح خمسين ليلة، على ظهر بيت من بيوتنا، على الحال التي ذكر الله منا، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وضاقت علي نفسي، وقد كنت ابتنيت خيمة في ظهر سلع، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على ظهر سلع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر، قال: فخررت ساجدًا، وعرفت أن قد جاء الفرج.

قال: وآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب نحو صاحبي مبشرون، وركض رجل إلى فرسًا، وسعى ساع من أسلم، حتى أوفى على الجبل، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت ثوبي، فكسوتهما إياه بشارة، والله ما أملك يومئذ غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما، ثم انطلقت أتيمم رسول الله ﷺ وتلقاني الناس يبشرونني بالتوبة، يقولون: ليهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، ورسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إلى طلحة بن عبيد الله،

فحياني وهنأني، ووالله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب ابن مالك لا ينساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال لي، ووجهه يبرق من السرور: «**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**»، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «**بل من عند الله**». قال: وكان رسول الله ﷺ إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر. قال: وكنا نعرف ذلك منه. قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالي، صدقة إلى الله ورسوله، قال رسول الله ﷺ: «**أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك**» قال قلت: إني ممسك سهمي الذي بخيبر، وقلت: يا رسول الله، إن الله قد نجاني بالصدق، وإن من توبتي إلى الله أن لا أحدث إلا صدقا ما حييت، والله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ذلك أفضل مما أبلاني الله، والله ما تعمدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

وأنزل الله تعالى ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾... إلى قوله ﴿ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١).

قال كعب: فوالله ما أنعم الله علي نعمة قط بعد أن هداني للإسلام كانت أعظم في نفسي من صدق رسول الله ﷺ يومئذ، أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوه، فإن الله تبارك وتعالى قال في الذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، قال: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ

---

(١) سورة التوبة: آية (١١٧، ١١٩).

لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٌۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[1].

قال: وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فعذرهم، واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا، حتى قضى الله فيه ما قضى، فبذلك قال الله: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾[2].

وليس الذي ذكر الله من تخليفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا وإرجائه أمرنا عمن حلف له، واعتذر إليه، فقبل منه[3].

أمر وفد ثقيف وإسلامها في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق: وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف.

وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم، اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفي، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله ﷺ -كما يتحدث قومه- «**إنهم قاتلوك**»، وعرف رسول الله أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم، فقال عروة: يا

(١) سورة التوبة: آية (٩٥، ٩٦).

(٢) سورة التوبة: آية (١١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦/٤١) كتاب الوصايا - حديث (٢٧٥٧) وأطرافه في (٢٩٤٧، ٢٩٤٨، ٢٩٤٩، ٢٩٥٠، ٣٠٨٨، ٣٥٥٦، ٣٨٨٩، ٣٩٥١، ٤٤١٨، ٤٦٧٣، ٤٦٧٦، ٤٦٧٧، ٤٦٧٨، ٦٢٥٥، ٦٦٩٠، ٧٢٢٥) ومسلم (٤/٢١٢٠ - ٢١٢٩) كتاب التوبة - حديث (٥٣/٢٧٦٩) وأبو داود (٢/٢٦٢) (٢٢٠٢) والترمذي (٥/٢٨١ - ٢٨٣) والنسائي (٦/١٥٢ - ١٥٤) وعبد الرزاق (٩٧٤٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٢٧٣ - ٢٧٩).

رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم.

قال ابن إسحاق: وكان فيهم كذلك محببًا مطاعا: فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه، لمنزلته فيهم، فلما أشرف لهم على علية له، وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله. فتزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم يقال له أوس بن عوف، أخو بني سالم بن مالك، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم، من بني عتاب بن مالك، يقال له وهب بن جابر، فقيل لعروة: ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إلي، فليس في إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرحل عنكم، فادفنوني معهم، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: «**إن مثله في قومه لكمثل صاحب ياسين في قومه**».

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرًا، ثم إنهم ائتمروا بينهم، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا [(١)].

حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس: أن عمرو بن أمية، أخا بني علاج كان مهاجرًا لعبد ياليل بن عمرو، الذي بينهما شيء، وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب، فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل داره.

ثم أرسل إليه إن عمرو بن أمية يقول لك: اخرج إلي قال: فقال عبد ياليل للرسول: ويلك! أعمرو أرسلك إلي؟ قال: نعم، وها هو ذا واقفا في دارك، فقال: إن هذا لشيء ما كنت أظنه لعمرو كان أمنع في نفسه من ذلك، فخرج إليه، فلما رآه رحب به فقال له عمرو: إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت، فقد أسلمت العرب كلها وليست لكم بحربهم طاقة، فانظروا في أمركم فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها، وقال

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/٦٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٣٠٤) كلاهما من طريق ابن إسحاق، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٣٥ – ٣٦) وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٧/١٤٨) عن الزهري مرسلا.

بعضهم لبعض: أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع فأتمروا بينهم وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً كما أرسلوا عروة، فكلموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير، وكان سن عروة بن مسعود، وعرضوا ذلك عليه، فأبى أن يفعل، وخشي أن يصنع به إذا رجع كما صنع بعروة. فقال: لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجالاً، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك فيكونوا ستة، فبعثوا مع عبد ياليل: الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب، ومن بني مالك عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان، أخا بني يسار، وأوس بني عوف، أخا بني سالم ونمير بن خرشة بن ربيعة، أخا بني الحارث فخرج بهم عبد ياليل، وهو ناب القوم وصاحب أمرهم، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صنع بعروة بن مسعود، لكي يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه.

فلما دنوا من المدينة، نزلوا قناة، فألفوا بها المغيرة بن شعبة، يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ وكانت رعيته عند الثقفيين، وضبر يشتد ليبشر رسول الله ﷺ، بقدومهم عليه فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام بأن يشرط لهم رسول الله ﷺ شروطا، ويكتتبوا من رسول الله ﷺ كتابًا في قومهم وبلادهم وأموالهم فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ، حتى أكون أنا أحدثه، ففعل المغيرة فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ، فأخبره بقدومهم عليه، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه، فروح الظهر معهم، وعلمهم كيف يحبون رسول الله ﷺ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية، ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده، كما يزعمون، فكان خالد بن سعيد بن العاص، هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ، حتى اكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده، وكانوا لا

يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم، وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية، وهي اللات، لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة، ويأبى عليهم حتى سألوا شهرًا واحدًا بعد مقدمهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يتسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله ﷺ : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة، فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه، فقالوا: يا محمد، فسنؤتيكها، وإن كانت دناءة.

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم، أمر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سنا، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن، فقال أبو بكر لرسول الله ﷺ يا رسول الله: إني قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن [1].

قصة بلال مع ثقيف:

قال ابن إسحاق: وحدثني عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفي، عن بعض وفدهم، قال: كان بلال يأتينا -حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله ﷺ ما بقي من رمضان- بفطرنا وسحورنا من عند رسول الله ﷺ، فيأتينا بالسحور، وإنا لنقول إنا لنرى الفجر قد طلع، فيقول: قد تركت رسول الله ﷺ، يتسحر لتأخير السحور، ويأتينا بفطرنا، وإنا لنقول: ما نرى الشمس

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه (٣/٩٧ – ٩٨) من طريق ابن إسحاق وذكره الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية» (٥/٣٧ – ٣٨) عن ابن إسحاق.

كلها ذهبت بعد فيقول: ما جئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ، ثم يضع يده في الجفنة، فيلتقم منها [(١)].

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن أبي هند، عن مُطرف بن عبد الله بن الشخير، عن عثمان بن أبي العاص، قال: كان من آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ حين بعثني على ثقيف أن قال: «**يا عثمان، تجاوز في الصلاة، وأقدر الناس بأضعفهم، فإن فيهم الكبير، والصغير، والضعيف وذا الحاجة**»[(٢)].

هدم اللات:

قال ابن إسحاق: فلما فرغوا من أمرهم، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة، في هدم الطاغية، فخرجنا مع القوم، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان، فأبى ذلك أبو سفيان عليه، وقال: ادخل أنت على قومك، وأقام أبو سفيان بما له بذي الهدم، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول، وقام قومه دونه بنو معتب، خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة، وخرج نساء ثقيف حسرًا يبكين عليها ويقلن:

لتبكين دفاع أسلمها الرضاع ... لم يحسنوا المصاع[(٣)]

قال ابن إسحاق: يقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس: واهًا لك، أهًا

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية ٣٩/٥) وأخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٦٩) رقم (٤٤٨) وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٣١/٢).

(٢) إسناده حسن أخرجه أحمد (٢١/٤) وابن ماجه (٣١٦/١) (٩٨٧) والحميدي (٩٠٥)، وابن خزيمة (١٦٠٨) وأخرجه أبو داود (٥٣١) والنسائي (٢٣/٢) وأحمد (٢١/٤، ٢١٧).

(٣) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٩٩/٣ – ١٠٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٠٤ – ٣-٠٥)، وذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٤٠/٥) من طريق ابن إسحاق.

لك، فلما هدمها المغيرة، وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبي سفيان وحليها مجموع، ومالها من الذهب والجزع.

إسلام أبي مليح وقارب:

وقد كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف، حين قتل عروة يريدان فراق ثقيف، وأن لا يجامعهم على شيء أبدا فأسلما فقال لهما رسول الله ﷺ: «**توليا من شئتما**»، فقالا: نتولى الله ورسوله فقال رسول الله ﷺ : «**وخالكما أبا سفيان بن حرب؟**» فقالا: وخالنا أبا سفيان بن حرب.

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأل رسول الله ﷺ أبو مليح بن عروة أن يقضي عن أبيه عروة دينا كان عليه من مال الطاغية، فقال له رسول الله ﷺ: **نعم**، فقال له قارب بن الأسود، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه، وعروة والأسود أخوان لأب وأم، فقال رسول الله ﷺ: **إن الأسود مات مشركا** فقال قارب لرسول الله ﷺ يا رسول الله، لكن تصل مسلما ذا قربة، يعني نفسه إنما الدين علي، وإنما أنا الذي أطلب به، فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضي دين عروة والأسود من مال الطاغية، فلما جمع المغيرة مالها قال لأبي سفيان: إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضي عن عروة والأسود دينهما، فقضى عنهما.

كتابه عليه السلام لثقيف: وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد النبي، رسول الله، إلى المؤمنين: إن عضاه وج وصيده لا يعضد، من وجد يفعل شيئا من ذلك، فإنه يجلد وتنزع ثيابه، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به إلى النبي محمد، وإن هـــذا أمر النبي ﷺ.

وكتب خالد بن سعيد: بأمر الرسول محمد بن عبد الله، فلا يتعده أحد، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ [1].

---

(١) ينظر: الكامل لابن الأثير (٦/٢٩٩)، و(الدرر) في (اختصار المغازي والسير) (ص =

حج أبي بكر بالناس سنة تسع
واختصاص النبي ﷺ علي بن أبي طالب
رضوان الله عليه
بتأدية أول براءة عنه

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوال وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميرا على الحج من سنة تسع، ليقيم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم. فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين.

ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد، الذي كانوا عليه فيما بينه وبينهم: أن لا يصد عن البيت أحد جاءه، ولا يخاف أحد في الشهر الحرام، وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل الشرك، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله ﷺ وبين قبائل العرب خصائص، إلى آجال مسماة، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه في تبوك، وفي قول من قال منهم، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون منهم من سمي لنا ومنهم من لم يسم لنا، فقال عز وجل: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [1] أي لأهل العهد العام من أهل الشرك: ﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾ أي بعد هذه الحجة: ﴿ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [2]

=

٣٠٢) والبداية والنهاية (٥/٤٠- ٤١).

(١) سورة التوبة: آية (١).

(٢) سورة براءة: آية (٣، ٤).

أي العهد الخاص إلى الأجل المسمى: ﴿ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾[١] يعني الأربعة التي ضرب لهم أجلا،: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٢] أي من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم: ﴿ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[٣].

ثم قال تعالى: ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾[٤]. الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا تخيفوهم في الحرمة، ولا في الشهر الحرام ﴿ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[٥]. وهي قبائل من بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية إلى المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش، فلم يكن نقضها إلا هذا الحي من قريش، وهم بنو الديل من بني بكر بن وائل الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بني بكر إلى مدته ﴿ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٦].

ثم قال تعالى: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ ﴾[٧] أي المشركين الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام ﴿ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾[٨].

---

(١) سورة براءة: آية (٤، ٥).
(٢) سورة براءة: آية (٥، ٦).
(٣) سورة براءة: آية (٦).
(٤) سورة براءة: آية (٧).
(٥) سورة براءة آية (٧).
(٦) سورة براءة آية (٧).
(٧) سورة براءة آية (٨).
(٨) سورة براءة آية (٨)، أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٢٩٣) من طريق ابن =

والذمة: العهد. قال الأجذع بن مالك الهمداني، وهو أبو مسروق الأجدع الفقيه:

وكـــان علينـــا ذمـــة أن تجاوزوا ... مـــن الأرض معروفا إلينا ومنكرا

وهذا البيت في ثلاثة أبيات له، وجمعها: ذمم.

﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

اختصاص علي بتأدية براءة:

قال ابن إسحاق: وحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر بن علي رضوان الله عليه، أنه قال: لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج، قيل له: يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال: «**لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي**»، ثم دعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال له: «**اخرج بهذه القصة من صدر براءة. وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته**» فخرج علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء، حتى أدرك أبا بكر بالطريق فلما رآه أبو بكر بالطريق قال: أأمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا، فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج، التي كانوا

=

إسحاق، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية».

(١) سورة براءة آية (٨،١١).

عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر، قام علي بن أبي طالب ﷺ، فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله، فقال: أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته: وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدة، فهو له إلى مدته. فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان. ثم قدما على رسول الله ﷺ [1].

قال ابن إسحاق: فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلى الأجل المسمى.

الأمر بجهاد المشركين:

قال ابن إسحاق: ثم أمر الله رسوله ﷺ بجهاد أهل الشرك، ممن نقض من أهل العهد الخاص، ومن كان من أهل العهد العام، بعد الأربعة أشهر التي ضرب لهم أجلا إلا أن يعدوا فيها عاد منهم فيقتل بعدائه، فقال تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ ﴾[2]: أي من بعد ذلك: ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٤٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٢٩٣ - ٢٩٥) كلاهما من طريق ابن إسحاق، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٤٤ - ٤٥)، وأخرجه مسلم (٤/٢٣٢٠) (٢٥/٣٠٢٨)، وابن جرير الطبري (٨/١١٨ - ١١٩) والبيهقي (٥/٨٨).

(٢) سورة التوبة: آية (١٣- ١٥).

تَعْمَلُونَ ﴾[١].

القرآن يرد على قريش ادعاءهم عمارة البيت:

قال ابن إسحاق: ثم ذكر قول قريش: إنا أهل الحرم، وسقاة الحاج، وعُمار هذا البيت فلا أحد أفضل منا، فقال: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾: أي أن عمارتكم ليست على ذلك، وإنما يعمر مساجد الله أي من يعمرها بحقها: ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾:أي فأولئك عمارها ﴿ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[٢] وعسى من الله: حق[٣].

ثم قال تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[٤]. ثم القصة حتى انتهى إلى ذكر حنين وما كان فيه وتوليهم عن عدوهم وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم، ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾[٥] وذلك أن الناس قالوا: لتنقطعن عنا الأسواق، فتهلكن التجارة، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق، فقال الله عز وجل: ﴿ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[٦].

---

(١) سورة التوبة: آية (١٣- ١٦)، وأخرجه الطبري في (تفسيره) (٦/٣٣١) (١٦٥٥٣).

(٢) سورة التوبة: آية (١٨).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/٣٣٥) (١٦٥٧٠) عن ابن إسحاق.

(٤) سورة التوبة: آية (١٨، ١٩).

(٥) سورة التوبة: آية (٢٨).

(٦) سورة التوبة: آية (٢٩).

أي ففي هذا عوض مما تخوفتم من قطع الأسواق، فعوضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشرك، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب، من الجزية.

ما نزل في أهل الكتابين:

ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه، حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١).

ما نزل في النسيء: ثم ذكر النسيء، وما كانت العرب أحدثت فيه، والنسيء ما كان يُحل مما حرم الله تعالى من الشهور، ويحرم مما أحل الله منها: فقال: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ (٢): أي لا تجعلوا حرامها حلالا، ولا حلالها حراما: أي كما فعل أهل الشرك ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ ﴾ الذي كانوا يصنعون ﴿ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٣).

ما نزل في تبوك:

ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها، وما أعظموا من غزوة الروم، حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى جهادهم، ونفاق من نافق من المنافقين، حين دعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد، ثم ما نعي عليهم من إحداثهم في الإسلام، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟

---

(١) سورة التوبة: آية (٣٤).
(٢) سورة التوبة: آية (٣٦).
(٣) سورة التوبة: آية (٣٧).

فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[١] ثم القصة إلى قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[٢]. إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾[٣].

ما نزل في أهل النفاق: ثم قال تعالى لنبيه ﷺ، يذكر أهل النفاق: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[٤] أي إنهم يستطيعون: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٥] إلى قوله: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾[٦].

قال ابن إسحاق: وكان الذين استأذنوه من ذوي الشرف، فيما بلغني، منهم عبد الله بن أُبي بن سلول، والجد بن قيس، وكانوا أشرافًا في قومهم، فثبطهم الله لعلمه أنهم إن يخرجوا معه، فيفسدوا عليه جنده[٧] وكان في جنده قوم أهل محبة لهم، وطاعة فيما يدعوهم إليه، لشرفهم فيهم، فقال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل أن يستأذنوك: ﴿وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ : أي ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ

(١) سورة التوبة: آية (٣٨).

(٢) سورة التوبة: آية (٣٩).

(٣)سورة التوبة: آية (٤٠).

(٤) سورة التوبة: آية (٤٢).

(٥) سورة التوبة: آية (٤٣).

(٦) سورة التوبة: آية (٤٧).

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/٣٨٢) (١٦٧٨٥) من طريق ابن إسحاق.

كَٰرِهُونَ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ﴾[١]، وكان الذي قال ذلك فيما سمى لنا الجد بن القيس أخو بني سلمة حين دعاه رسول الله ﷺ إلى جهاد الروم ثم كانت القصة إلى قوله تعالى: ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾[٢] أي إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم.

ما نزل في أصحاب الصدقات:

ثم بين الصدقات لمن هي، وسمى أهلها، فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٣].

ما نزل فيمن آذوا الرسول ﷺ:

ثم ذكر غشهم وأذاهم للنبي ﷺ، فقال: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٤].

وكان الذي يقول تلك المقالة فيما بلغني، نبتل بن الحارث أخو بني عمرو بن عوف، وفيه نزلت هذه الآية، وذلك أنه كان يقول: إنما محمد أُذن، من حدثه شيئًا صدَّقه. يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾[٥] أي يسمع الخير ويصدق به.

---

(١) سورة التوبة: آية (٤٧- ٤٩)، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/٣٨٥) (١٦٧٩٧) من طريق ابن إسحاق.

(٢) سورة التوبة: آية (٥٧- ٥٨).

(٣) سورة التوبة: آية (٦٠).

(٤) سورة التوبة: آية (٦١).

(٥) سورة التوبة: آية (٦١).

ثم قال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[1]... إلى قوله تعالى: ﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ ﴾[2]، وكان الذي قال هذه المقالة وديعة بن ثابت، أخو بني أمية بن زيد، من بني عمرو بن عوف، وكان الذي عفي عنه، فيما بلغني، مخشن بن حمير الأشجعي، حليف بني سلمة، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع.

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ ... إلى قوله: ﴿ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[3] وكان الذي قال تلك المقالة الجلاس بن سويد بن صامت، فرفعها عليه رجل كان في حجره، يقال له عمير بن سعد، فأنكرها وحلف بالله ما قالها، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع، وحسنت حاله وتوبته: فيما بلغني[4].

ثم قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[5] وكان الذي عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، وهما من بني عمرو بن عوف[6].

---

(١) سورة التوبة: آية (٦٢).

(٢) سورة التوبة: آية (٦٦).

(٣) سورة التوبة: آية (٧٣- ٧٤)، وأخرج الطبري في «تفسيره» (٦/٤٠٨ - ٤٠٩) (١٦٩٢٦) من طريق ابن إسحاق.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/٤٢١) (١٦٩٨٤) من طريق ابن إسحاق.

(٥) سورة التوبة: آية (٧٥).

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/٤٢٧) (١٧٠٠٥) من طريق ابن إسحاق عن =

ثم قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١] وكان المطوعون من المؤمنين في الصدقات: عبد الرحمن بن عوف، وعاصم بن عدي أخا بني العجلان، وذلك أن رسول الله ﷺ رغب في الصدقة، وحض عليها، فقام عبد الرحمن بن عوف، فتصدق بأربعة آلاف درهم، وقام عاصم بن عدي، فتصدق بمائة وسق من تمر، فلمزوها وقالوا: ما هذا إلا رياء، وكان الذي تصدق بجهده أبو عقيل أخو بني أنيف، أتى بصاع من تمر، فأفرغها في الصدقة، فتضاحكوا به، وقالوا: إن الله لغني عن صاع أبي عقيل[٢].

ثم ذكر قول بعضهم لبعض، حين أمر رسول الله ﷺ بالجهاد، وأمر بالسير إلى تبوك، على شدة الحر وجدب البلاد. فقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡ ﴾[٣].

ما نزل بسبب الصلاة على ابن أُبي:

قال ابن إسحاق: حدثني الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما توفي عبد الله بن أُبي، دعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة، تحولت حتى قمت في صدره فقلت: يا رسول الله أتصلي على عدو الله عبد الله بن أُبي ابن سلول؟ القائل كذا يوم كذا، والقائل كذا يوم كذا أعدد أيامه له، ورسول

=

عمرو بن عبيد عن الحسن به.

(١) سورة التوبة: آية (٧٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/٤٣١) (١٧٠٢٧) من طريق ابن إسحاق.

(٣) سورة التوبة: آية (٨١- ٨٥).

الله ﷺ يتبسم حتى إذا أكثرتُ قال: «**يا عمر، أخر عني، إني قد خيرت فاخترت، قد قيل لي**» : ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴾ (١). «**فلو أعلم أن زدت على السبعين غفر له، لزدت**» قال: ثم صلى عليه رسول الله ﷺ، ومشى معه حتى قام على قبره، حتى فرغ منه، قال: فعجبت لي ولجراءتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم، فوالله ما كان إلا يسيرًا حتى نزلت هاتان الآيتان: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ فما صلى رسول الله بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى (٢).

ما نزل في المستأذنين والمعذرين والبكائين ومنافقي الأعراب:

قال ابن إسحاق: ثم قال: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ ﴾ (٣) وكان ابن أُبي من أولئك، فنعى الله ذلك عليه، وذكره منه، ثم قال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ لِيُؤۡذَنَ لَهُمۡ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ (٤). آخر القصة. وكان المعذرون، فيما بلغني نفرًا من بني غفار، منهم خفاف بن إيماء بن رحضة، ثم كانت القصة لأهل العذر، حتى

---

(١) سورة التوبة: آية (٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣/٥٩٤) (١٣٦٦) وفي (٩/٢٣٢) (٤٦٧١) والترمذي (٥/٢٧٩) (٣٠٩٧)، والنسائي (٤/٦٧ – ٦٨) (١٩٦٦)، وفي «التفسير» (٢٤٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٢٨٨) كلهم من طريق الزهري.

(٣) سورة التوبة: آية (٨٦)، وأخرجه الطبري في (تفسيره) (٦/٤٤١) (١٧٠٧٨) من طريق ابن إسحاق.

(٤) سورة التوبة: آية (٨٨– ٩٠).

انتهى إلى قوله: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾. وهم البكاءون.

ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [1] والخوالف: النساء، ثم ذكر خلفهم للمسلمين واعتذارهم، فقال: ﴿ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ﴾.. إلى قوله تعالى ﴿ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [2].

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصوا برسول الله ﷺ وبالمؤمنين، فقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ ﴾ أي من صدقة أو نفقة في سبيل الله ﴿ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [3].

ما نزل في المخلصين من الأعراب:

ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم، فقال: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ﴾ [4].

ما نزل في السابقين من المهاجرين والأنصار:

ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وفضلهم، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان فقال: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [5] ثم قال تعالى:﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ

(١) سورة التوبة: آية (٩٢- ٩٣).
(٢) سورة التوبة: آية (٩٥- ٩٦).
(٣) سورة التوبة: آية (٩٨).
(٤) سورة التوبة: آية (٩٩).
(٥) سورة التوبة: آية (١٠٠).

مُنَـٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ : أي لجوا فيه، وأبوا غيره ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾[(١)]. والعذاب الذي وعده الله تعالى مرتين، فيما بلغني غمهم بما هم فيه من أمر الإسلام، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة، ثم عذابهم في القبور إذا صاروا إليها، ثم العذاب العظيم الذي يردون إليه، عذاب النار، والخلد فيه [(٢)] ثم قال تعالى: ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(٣)].

ثم قال: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [(٤)] إلى آخر القصة، ثم قال تعالى ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾[(٥)] وهم الثلاثة الذين خلفوا، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرهم حتى أتت من الله توبتهم، ثم قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾[(٦)] إلى آخر القصة ثم قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [(٧)] ثم كان قصة الخبر عن تبوك، وما كان فيها إلى آخر السورة.

وكانت براءة تسمى في زمان النبي ﷺ وبعده المبعثرة، لما كشفت من سرائر الناس، وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة التوبة: آية (١٠١).

(٢) أخرجه الطبري في (تفسيره) (٦/٤٥٨) (١٧١٥٠) عن ابن إسحاق.

(٣) سورة التوبة: آية (١٠٢).

(٤) سورة التوبة: آية (١٠٣).

(٥) سورة التوبة: آية (١٠٦).

(٦) سورة التوبة: آية (١٠٧).

(٧) سورة التوبة: آية (١١١).

حسان يعدد مغازيه ﷺ شعرًا

وقال حسان بن ثابت يذكر أيام الأنصار مع النبي ﷺ، ويذكر مواطنهم معه أيام غزوه:

ألست خير معد كلها نفرا ... ومعشرًا إن هم عموا وإن حصلوا
قوم شهدوا بدرًا بأجمعهم ... مع الرسول فما آلوا وما خذلوا
وبايعوه فلم ينكث به أحدٌ ... منهم ولم يك في إيمانهم دخل
ويوم صبحهم في الشعب من أحد ... ضرب رصين كحر النار مشتعل
ويوم ذي قرد يوم استثار بهم ... على الجياد فما خاموا وما نكلوا
وذا العشيرة جاسوها بخيلهم ... مع الرسول عليها البيض والأسل
ويوم ودان أجلوا أهله رقصًا ... بالخيل حتى نهانا الحزن والجبل
وليلة طلبوا فيها عدوهم ... لله والله يجزيهم بما عملوا
وغزوة يوم نجد ثم كان لهم ... مع الرسول بها الأسلاب والنفل
وليلة بحنين جالدوا معه ... فيها يعلمهم بالحرب إذ نهلوا
وغزوة القاع فرقنا العدو به ... كما تفرق دون المشرب الرسل
ويوم بويع كانوا أهل بيعته ... على الجلاد فآسوه وما عدلوا
وغزوة الفتح كانوا في سريته ... مرابطين فما طاشوا وما عجلوا
ويوم خيبر كانوا في كتيبته ... يمشون كلهم مستبل بطل
بالبيض ترعش في الأيمان عارية ... تعوج في الضرب أحيانا وتعتدل
ويوم سار رسول الله محتسبا ... إلى تبوك وهم راياته الأول
وساسة الحرب إن حرب بدت لهم ... حتى بدا لهم الإقبال والقفل
أولئك القوم أنصار النبي وهم ... قومي أصير إليهم حين أتصل
ماتوا كراما، ولم تنكث عهودهم ... وقتلهم في سبيل الله إذ قتلوا

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

كنا ملوك الناس قبل محمد ... فلما أتى الإسلام كان لنا الفضل

وأكرمنا الله الذي ليس غيره ... إله بأيام مضت ما لها شكل

بنصر الإله والرسول ودينه ... وألبسناه اسمًا مضى ما له مثل

أولئك قومي خير قوم بأسرهم ... فما عد من خير فقومي له أهل

يربون بالمعروف معروف من مضى ... وليس عليهم دون معروفهم قفل

إذا اختبطوا لم يفحشوا في نديهم ... وليس على سؤالهم عندهم بخل

وإن حاربوا أو سالموا لم يشبهوا ... فحربهم حتف وسلمهم سهل

وجارهم موف بعلياء بيته ... له -ما ثوى فينا- الكرامة والبذل

وحاملهم موف بكل حماته ... تحمل لا غرم عليها ولا خذل

وقائلهم بالحق إن قال قائل ... وحلمهم عود وحكمهم عدل

ومنا أمير المسلمين حياته ... ومن غسلته من جنابته الرسل

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

قومي أولئك إن تسأل ... كرام إذا الضيف يومًا ألم

عظام القدور لأيسارهم ... يكبون فيها المسن السنم

يواسون جارهم في الغنى ... ويحمون مولاهم إن ظلم

فكانوا ملوكًا بأرضيهم ... ينادون عضبًا بأمر غشم

ملوكا على الناس، لم يملكوا ... من الدهر يومًا كحل القسم

فأنبوا بعاد وأشياعها ... ثمود وبعض بقايا إرم

بيثرب قد شيدوا في النخيل ... حصونًا ودجن فيها النعم

نواضح قد علمتها اليهو ... د علّ إليك وقولاً هلم

وفيما اشتهوا من عصير القطا ... ف والعيش رخوا على غيرهم

فسرنا إليهم بأثقالنا ... على كل فحل هجان قطم

جنبنا بهن جياد الخيو ... ل قد جللوها جلال الأدم

فلما أناخوا بجنبي صرار ... وشدوا السروج بلى الحزم

فما راعهم غير معد الخيول ... والزحف من خلفهم قد دهم

فطاروا سراعا وقد أفزعوا ... وجئنا إليهم كأسد الأجم

على كل سلهبة في الصيا ... ن لا يشتكين نحول السأم

وكل كميت مطار الفؤاد ... أمين الفصوص كمثل الزلم

عليها فوارس قد عودوا ... قراع الكمان وضرب البهم

ملوك إذا غشموا في البلاد ... لا ينكلون ولكن قدم

فأبنا بساداهم والنساء ... وأولادهم فيهم تقتسم

ورثنا مساكنهم بعدهم ... وكنا ملوكا بها لم نرم

فلما أتانا الرسول الرشيـ ... ـد بالحق والنور بعد الظلم

قلنا صدقت رسول المليك ... هلم إلينا وفينا أقم

فنشهد أنك عبد الإلـ ... ـه أرسلت نورًا بدين قيم

فإنا وأولادنا جنة ... نقيك وفي مالنا فاحتكم

فنحن أولئك إن كذبوك ... فناد نداء ولا تحتشم

وناد بما كنت أخفيته ... نداء جهارًا ولا تكتتم

فصار الغواة بأسيافهم ... إليه يظنون أن يخترم

فقمنا إليهم بأسيافنا ... نجالد عنه بغاة الأمم

بكل صقيل له ميعة ... رقيق الذباب عضوض خذم

إذا ما يصادف صم العظا ... م لم ينب عنها ولم ينثلم

فذلك ما ورثنا القرو ... م مجدًا تليدًا وعزا أشم

إذا مر نسل كفى نسله ... وغادر نسلا إذا ما انفصم

فما إن من الناس إلا لنا ... عليه وإن خاس فضل النعم

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه [(١)].

انقياد العرب وإسلامهم:

قال ابن إسحاق: إنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش وأمر رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشًا كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت الحرام، وضريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتتحت مكة، ودانت له قريش، ودخلها الإسلام وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله، كما قال عز وجل: ﴿ أَفْوَاجًا ﴾ يضربون إليه من كل وجه، ويقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [(٢)].

قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات

رجال الوفد

فقدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب، فقدم عليه عطارد بن حاجب ابن زرارة بن عدس التميمي، في أشراف بني تميم، منهم الأقرع بن حابس التميمي والزبرقان بن بدر التميمي، أحد بني سعد، وعمرو بن الأهتم والحبحاب بن يزيد.

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٣٠٩) من طريق ابن إسحاق، وذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٥/٤٩)، والصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٦/ ٢٥٤) من طريق ابن إسحاق.

(٢) سورة النصر: آية (١- ٣)، ذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٥/٤٩)، والصالحي في «سبل الهدي والرشاد» (٦/٤٥٢) عن ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وفي وفد بني تميم نُعيم بن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم: أخو بني سعد، في وفد عظيم من بني تميم.

قال ابن إسحاق: ومعهم عيينة بن حسن بن حذيفة بن بدر القراري، وقد كان الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحُنينا والطائف.

أصحاب الحجرات: فلما قدم وفد بني تميم كان معهم، فلما دخل وفد بني تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته: أن أخرج إلينا يا محمد، فآذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم، فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد، جئناك نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا. قال: **قد أذنت لخطيبكم فليقل.**

كلمة عُطارد: فقام عطارد بن حاجب، فقال:

الحمد لله الذي له علينا الفضل والمن، وهو أهله، الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا، وأيسره عدة، فمن مثلنا في الناس وأولى فضلهم؟! فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا، ولو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نُعرف بذلك. أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا، ثم جلس.

ثابت بن قيس يرد على عطارد:

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس، أخى بني الحارث بن الخزرج: **قم، فأجب الرجل في خطبته:** فقام ثابت، فقال:

الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يك شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا، واصطفى من خير خلقه رسولا، أكرمه نسبا، وأصدقه حديثا، وأفضله حسبا، وأنزل عليه كتابه وأتمنه على خلقه، فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرم الناس حسبًا، وأحسن الناس وجوهًا وخير الناس فعالاً، ثم كان أول الخلق إجابة، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله

نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبدًا، وكان قتله علينا يسيرا، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم.

شعر الزبرقان في الفخر بقومه:

فقام الزبرقان بن بدر فقال:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيع

وكم قسرنا من الأحياء كلهم ... عند النهاب وفضل العز يتبع

ونحن نطعم عند القحط مطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنس القزع

بما ترى الناس تأتينا سراقم ... من كل أرض هويًا ثم نصطنع

فننحر الكوم عبطا في أرومتنا ... للنازلين إذا ما أُنزلوا شبعوا

فلا ترانا إلى حي نفاخرهم ... إلا استفادوا فكانوا الرأس يقتطع

فمن يفاخرنا في ذاك نعرفه ... فيرجع القوم والأخبار تستمع[1]

إنا أبينا ولا يأبى لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

حسان يرد على الزبرقان:

قال ابن إسحاق: وكان حسان غائبًا، فبعث إليه رسول الله ﷺ ، قال حسان: جاءني رسوله، فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول:

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا ... على أنف راض من معد وراغم

منعناه لما حل بين بيوتنا ... بأسيافنا من كل باغ وظالم

ببيت حريد عزه وثراؤه ... بجابية الجولان وسط الأعاجم

هل المجد إلا السودد العود والندى ... وجاه الملوك واحتمال العظائم

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١١٥ – ١١٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٣١٣ – ٣١٥) كلاهما من طريق ابن إسحاق. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٥٠ – ٥٢) وينظر: «سبل الهدى والرشاد» (٦/٢٨٨ – ٢٩٠).

قال: فما انتهيت إلى رسول الله ﷺ، وقام شاعر القوم، فقال ما قال، عرضت في قوله، وقلت على نحو ما قال، قال: فلما فرغ الزبرقان، قال رسول الله، لحسان بن ثابت: **قم يا حسان، فأجب الرجل فيما** قال. فقام حسان، فقال:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بهم كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وكل الخير يصطنع
قوم إذا حاربوا ضرُّوا عدوهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع
إن كان في الناس سباقون بعدهم ... فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم ... عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن سابقوا الناس يوما فاز سبقهم ... أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم ... لا يطبعون ولا يردِ بهم طمع
لا يبخلون على جار بفضلهم ... ولا يمسهم من مطمع طبع
إذا نصبنا لحي لم ندب لهم ... كما يدب إلى الوحشية الذرع
نسمو إذا الحرب نالتنا مخالبها ... إذا الزعانف من أظفارها خشعوا
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم ... وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع
كأنهم في الوغى والموت مكتنع ... أسد بحلية في أرساغها فدع
خذ منهم ما أتى عفوًا إذا غضبوا ... ولا يكن همك الأمر الذي منعوا
فإن في حربهم فاترك عداوتهم ... شرا يخاض عليه السم والسلع
أكرم بقول رسول الله شيعتهم ... إذا تفاوتت الأهواء والشيع
أهدي لهم مدحتي قلب يؤازره ... فيما أحب لسان حائك صنع
فإنهم أفضل الأحياء كلهم ... إن جد الناس جد القول أو شمعوا[1]

شعر آخر لحسان في الرد على الزبرقان: وقال حسان بن ثابت أيضا:

هل المجد إلا السودد العود ... وجاه الملوك واحتمال العظائم

---

(١) شمعوا: هزلوا، وينظر: ديوانه ص (٢٣٨) والبداية والنهاية (٥/٥٢).

نصـــرنا وآويـــنا الـــنبي محمدًا عـــلى أنف راض من معد وراغم
بحـــي حـــريد أصـــله وثـــراؤه بجابية الجولان وسط الأعاجم[١]
نصـــرناه لمـــا حل وسط ديارنا بأســـيافنا مـــن كـــل باغ وظالم
جعلـــنا بنيـــنا دونـــه وبناتـــنا وطبـــنا له نفسًـــا بفـــيء المغانم
ونحـــن ضربنا الناس حتى تتابعوا عـــلى ديـــنه بالمرهفات الصوارم
ونحـــن ولدنا من قريش عظيمها ولدنـــا نـــبي الخير من آل هاشم
بـــني دارم لا تفخروا إن فخركم يعـــود وبـــالا عند ذكر المكارم
هبلـــتم علينـــا تفخـــرون وأنتم لـــنا خـــول ما بين ظئر وخادم
فـــإن كنـــتم جئتم لحقن دمائكم وأموالكم أن تقسموا في المقاسم
فـــلا تجعلـــوا لله نـــدًا وأسلموا ولا تلبســـوا زيًا كزي الأعاجم

إسلام الوفد: قال ابن إسحاق: فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأبي، إن هذا الرجل لمؤتى له، ولخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا، فلما فرغ القوم أسلموا. وجوزهم رسول الله ﷺ ، فأحسن جوائزهم.

شعر ابن الأهتم في هجاء قيس: وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم في ظهورهم، وكان أصغرهم سنا، فقال قيس بن عاصم، وكان يبغض عمرو بن الأهتم: يا رسول الله، إنه قد كان رجل منا في رحالنا، وهوغلام حدث، وأُزري به، فأعطاه رسول الله ﷺ مثلما أعطى القوم، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيسا قال ذلك يهجوه:

ظللـــت مفـــترش الهلباء تشتمني عند الرسول فلم تصدق ولم تصب
ســـدناكم سؤددا رهوًا وسؤددكم بـــاد نواجذه مقع على الذَّنب[٢]

---

(١) ينظر: البداية والنهاية (٥/٥٣).

(٢) ينظر: «تاريخ الطبري» (٣/١١٧، ١١٩) و «دلائل النبوة» للبيهقي (٥/٣١٦ – ٣١٧)، =

قال ابن إسحاق: وفيهم نزل من القرآن: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[1].

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس في الوفادة عن بني عامر

رؤساء الوفد:

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني عامر، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم.

عامر يدبر الغدر بالرسول ﷺ:

فقدم عامر بن الطفيل عدو الله، على رسول الله ﷺ ، وهو يريد الغدر به، وقد قال له قومه: يا عامر، إنّ الناس قد أسلموا فأسلم، قال: والله لقد كنت آليت أن لا أنتهي حتى تتبع العرب عقبي، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش، ثم قال لأربد: إذا قدمنا على الرجل، فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فعله بالسيف، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ، قال عامر بن الطفيل: يا محمد خالني ، قال: **لا والله حتى تؤمن بالله وحده**، قال: يا محمد خالني — وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به — فجعل أربد لا يحير شيئًا، قال: فلما رأى عامر ما يصنع أربد، قال: يا محمد خالني، قال: **لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له**، فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال: أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا، فلما ولى، قال رسول الله ﷺ: **اللهم اكفني عامر بن الطفيل**، فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ ، قال عامر لأربد: ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي

=

و (البداية والنهاية) (٥/٥٢ — ٥٣)، (وسبل الهدى والرشاد) (٦/٢٨٩ — ٢٩٠).

(١) سورة الحجرات: آية (٤) ، ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٥٥).

منك، وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدًا. قال: لا أبالك، لا تعجل علي، والله ما هممت بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه: وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه، فقتله الله في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يقول: يا بني عامر، أغدة كغدة البكر في بيت امرأة من بني سلول [1] ؟!

موت أربد بصاعقة: قال ابن إسحاق: ثم خرج أصحابه حين واروه، حين قدموا أرض بني عامر شاتين، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا: ما وراك يا أربد؟ قال: لا شيء، والله، لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن، فأرميه بالنبل حتى أقتله، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة، فأحرقتهما، وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه [2].

شعر لبيد في بكاء أربد: قال ابن إسحاق: فقال لبيد يبكي أربد:

ما إن تعدى المنون من أحد ... لا والد مشفق ولا ولد

أخشى على أربد الحتوف ولا ... أرهب نوء السماك والأسد

فعين هلا بكيت أربد إذ ... قمنا وقام النساء في كبد

إن يشغبوا لا يبال شغبهم ... أو يقصدوا في الحكوم يقتصد

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣١٨/٥ - ٣١٩) من طريق ابن إسحاق، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (١٤٤/٣ - ١٤٥)، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦٨/٥ - ٦٩) من طريق ابن إسحاق، وأخرجه البخاري (٨/ ١٣٩ - ١٤٠) (٤٠٩١)، والبيهقي في «دلائل النبوة (٣٢١/٥)، «والطبقات الكبرى» (٣١٠/١) و (سبل الهدى والرشاد) (٣٦١/٦).

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦٨/٥) عن ابن إسحاق.

حلــــو أريـــــب وفي حلاوتــــــه ... مــــر لطــيف الأحشـــاء والكبد
وعـــين هـــلا بكيـــت أربـــد إذ ... ألـــوت ريـــاح الشـــتاء بالعضد
وأصــــبحت لاقحــــا مصــــرمة ... حـــين تجلـــت غوابـــر المـــدد
أشــجع مــن ليــث غابــة لحم ... ذو نهمـــة في العـــلا ومنـــتقد
لا تــبلغ العــين كـــل نهمـــتها ... لــيلة تمســى الجـياد كــالقدد
الباعـــــث الـــــنوح في مآتمـــــه ... مــثل الظــباء الأبكــار بالجرد
فجعــني الــبرق والصواعق بالــ ... فــارس يــوم الكــريهة النجد
والحـــارب الجابـــر الحريـــب إذا ... جـــاء نكيـــبا وإن يعـــد يعـــد
يعفـــو عـــلى الجهد والسؤال كما ... ينبـــت غيـــث الربيع ذو الرصد
كـــل بـــني حـــرة مصـــيرهم ... قـــل وإن أكـــثرت مـــن العدد
إن يغـــبطوا يهـــبطوا وإن أمـــروا ... يومًـــا فهـــم لـــلهلاك والنفد(١)

قال ابن إسحاق: وقال لبيد أيضًا يبكي أربد:

ألا ذهـــب المحـــافظ والمحـــامي ... ومـــانع ضـــيمها يـــوم الخصام
وأيقنـــت الـــتفرق يـــوم قـــالوا ... تقســـم مـــال أربـــد بالســـهام
تطـــير عدائـــد الأشـــراك شـــفعًا ... ووتـــرًا والـــزعامة للغـــلام
فـــودع بالســـلام أبـــا حريـــز ... وقـــل وداع أربـــد بالســـلام
وكنـــت إمامـــنا ولـــنا نظامًـــا ... وكـــان الجـــزع يحفـــظ بالنظام
وأربـــد فـــارس الهـــيجا إذا مـــا ... تقعـــرت المشـــاجر بالفـــئام
إذا بكـــر النســـاء مـــردفات ... حواســـر لا يجـئن على الخدام
فـــواءل يـــوم ذلـــك مـــن أتـــاه ... كمـــا وأل المحـــل إلى الحـــرام
ويحمـــد قـــدر أربـــد من عراها ... إذا مـــا ذم أربـــاب الـــلحام
وجارتـــه إذا حلـــت لديـــه ... لهـــا نفـــل وحـــظ مـــن سنام
فـــإن تقعـــد بمكـــرمة حصـــان ... وإن تظعـــن فمحســـنة الكـــلام

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٧٠ – ٧١) عن ابن إسحاق.

وهــل حدثــت عــن أخوين داما عــلى الأيــام إلا ابــن شمــام

وإلا الفــــرقدين وآل نعـــش خوالــد مــا تحــدث بانهدام [1]

قال ابن إسحاق: وقال لبيد أيضًا يبكي أربد:

انــع الكــريم للكــريم أربــدا انــع الرئــيس واللطــيف كبدا

يحــذي ويعطــي مالــه لــيحمدا أدمــا يشــبهن صــوارا أبــدا

الســابل الفضــل إذا مــا عددا ويمــلأ الجفــنة ملــئا مــددا

رفهــا إذا يــأتي ضــريك وردا مــثل الــذي في الغيل يقرو جمدا

يــزداد قــربًا مــنهم أن يوعــدا أورثتــنا تــراث غــير أنكــدا

غــبا ومــالا طارفــا وولــدا شــرخًا صــقورًا يافعًا وأمردا [2]

وقال لبيد أيضًا:

لــن تفنيــنا خــيرات أربــد فأبكــيا حــتى يعــودا

قــولا هــو الــبطل المحــا مــي حــين يكســون الحديدا

ويصــد عــنا الظالمــيـ ن إذا لقيــنا القــوم صــيدا

فاعــتقاه رب الــبريـ ـــة إذا رأى أن لا خلــودا

فــثوى ولم يوجــع ولم يوصــب وكــان هــو الفقيدا

وقال لبيد أيضا:

يذكــرني بــأربد كــل خصم ألــد تخــتال خطــته ضــرارا

إذا اقتصــدوا فمقتصــد كريم وإن جــاروا ســواء الحق جارا

ويهــدي القــوم مطلعــا إذا ما دلــيل القــوم بالمومــاة حارا [3]

---

(١) ينظر: ديوانه (ص٢٠١ – ٢٠٩).

(٢) الطارف: المال المحدث، والشرخ: الشباب، واليافع الغلام البالغ. وينظر: ديوانه (ص ١٦٤ – ١٦٥).

(٣) الموماة: الصحراء، وينظر: ديوانه (ص١٦٦).

قال ابن إسحاق: وقال لبيد أيضًا:

أصبحت أمشي بعد سلمى بن مالك ... وبعــد أبي قــيس وعروة كالأجب[١]

إذا مـــا رأى ظـــل الغراب أضجه ... حذارًا على باقي السناسن والعصب[٢]

قدوم ضمام بن ثعلبة وافدًا عن بني سعد بن بكر

قال ابن إسحاق: وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم، يقال له ضمام بن ثعلبة.

إسلامه: قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن الوليد بن نويفع عن كريب، مولى عبد الله بن عباس، عن ابن عباس، قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدًا إلى رسول الله ﷺ ، فقدم عليه، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه وكان ضمام رجلا جلدًا أشعر ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ قال: فقال رسول الله ﷺ : «**أنا ابن عبد المطلب**». قال: أمحمد؟ قال: «**نعم**»، قال: يا ابن عبد المطلب، إني سائلك ومغلظ عليك في المسألة، فلا تجدن في نفسك، قال: «**لا أجد في نفسي، فسل عما بدا لك**»، قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله بعثك إلينا رسولا؟ قال: «**اللهم نعم**»، قال فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون معه؟ قال: «**اللهم نعم**»، قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: «**اللهم نعم**»، قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام

---

(١) الأجب: مقطوع السنان من البعير، وينظر: ديوانه (ص١).

(٢) أضجه: صاح عليه.

كلها، ينشده عند كل فريضة منها، كما ينشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص. ثم انصرف إلى بعيره راجعا. قال: فقال رسول الله ﷺ : «**إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة**».

دعوة قومه للإسلام: قال: فأتى بعيره فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم على قومه، فاجتمعوا إليه. فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى!

قالوا: مه يا ضمام، اتق البرص، اتق الجنون! قال: ويلكم! إنهما والله لا يضران، ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولا، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به، وما نهاكم عنه. قال: فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما.

قال: يقول عبد الله بن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام ابن ثعلبة [١].

ما حدث بين الرسول وبين مسيلمة الكذاب:

قال ابن إسحاق: فكان منزلهم في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار، ثم من بني النجار فحدثني بعض علمائنا من المدينة: أن بني حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، معه عسيب من سعف النخل، في رأسه خوصات، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، وهم يسترونه

---

(١) إسناده حسن، وأخرجه أحمد (١/٢٥٠، ٢٦٤ – ٢٦٥)، وأبو داود (١/١٣٢) (٤٨٧) والدارمي (١/١٦٥ – ١٦٧) والحاكم (٣/٥٤ – ٥٥) والطبراني في «الكبير (٨/٣٦٤ – ٣٦٥) (٨١٤٩) والطبري في «تاريخه» (٣/١٢٤ – ١٢٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٣٧٤ – ٣٧٥) عن طريق ابن إسحاق، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٧٢ – ٧٣).

بالثياب، كلمه وسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «**لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه**» [١].

قال ابن إسحاق: وقد حدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا، زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله ﷺ، وخلفوا مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبًا لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا، قال: فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم، وقال: «**أما إنه ليس بشركم مكانا**»، أي لحفظه ضيعة أصحابه، وذلك الذي يريد رسول الله ﷺ.

تنبؤ مُسيلمة: قال: ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ، وجاءوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم، وقال: إني قد أُشركت في الأمر معه، وقال لوفده الذين كانوا معه: ألم يقل لكم حين ذكرتموني: أما إنه ليس بشركم مكانا، ما ذاك إلا لما كان يعلم أني قد أشركت في الأمر معه، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن: «لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى». وأحل لهم الخمر والزنا، ووضع عنهم الصلاة، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبي، فأصفقت معه حنيفة على ذلك، فالله أعلم أي ذلك كان [٢].

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٣٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٣٣٠) كلاهما من طريق ابن إسحاق، وفي «الدررفي اختصار المغازي والسير» (ص٣٠٨)، و (البداية والنهاية) و (سبل الهدى والرشاد) (٦/٣٢٦) من طريق ابن إسحاق.

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٣٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٣٣١) من طريق ابن إسحاق، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٥٩) وينظر «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص٣٠٩) (وسبل الهدى والرشاد) (٦/٣٢٦ – ٣٢٧).

قدوم زيد الخيل في وفد طيء

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيء، فيهم زيد الخيل، وهو سيدهم، فلما انتهوا إليه كلموه، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا، فحسن إسلامهم[(١)] وقال رسول الله ﷺ - كما حدثني من لا أتهم من رجال طيء - «**ما ذكر لي رجل من العرب بفضل، ثم جاءني، إلا رأيته دون ما يقال فيه، إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه**»، ثم سماه رسول الله ﷺ زيد الخير وقطع له فيدا وأرضين معه، وكتب له بذلك، فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعا إلى قومه فقال رسول الله ﷺ : «**إن ينج زيد من حمى المدينة**». فإنه قال: قد سماها رسول الله ﷺ باسم غير الحمى، وغير أم ملدم فلم يثبته، فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه، يقال له: فردة، أصابته الحمى بها فمات[(٢)] ، ولما أحس زيد بالموت قال:

أمـــر تحل قومي المشارق غدوة ... وأتـــرك في بيـــت بفردة منجد

ألا رب يـــوم لو مرضت لعادني ... عوائـــد مـــن لم يبر منهن بجهد

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه، التي قطع له رسول الله ﷺ فحرقتها بالنار[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٤٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٣٣٧)، وفي «البداية والنهاية» (٥/٧٥) من طريق ابن إسحاق، وينظر: «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٤٣ - ٢٤٤) و «سبل الهدى والرشاد» (٦/٣٥٨ - ٣٥٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٤٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٣٣٧ - ٣٣٨) كلاهما من طريق ابن إسحاق، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»، (٥/٧٥)، وينظر «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص٣١١)، «وسبل الهدى والرشاد» (٦/٣٥٨ - ٣٥٩).

(٣) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٤٥ - ١٤٦) وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٧٥) عن ابن إسحاق.

قدوم عدي بن حاتم[1]

هروبه إلى الشام فرارًا من الرسول ﷺ :

وأما عدي بن حاتم فكان يقول، فيما بلغني: ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني، أما أنا فكنت امرءًا شريفًا وكنت نصرانيًا، وكنت أسير في قومي بالمرباع فكنت في نفسي على دين، وكنت ملكًا في قومي، لما كان يصنع بي، فلما سمعت رسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي، راعيًا لإبلي: لا أبالك، أعدد لي من إبلي أجمالاً ذللاً سمانًا، فاحتبسها قريبًا مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذني، ففعل، ثم إنه أتاني ذات غداة، فقال: يا عدي ما كنت صانعًا إذا غشيتك خيل محمد، فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوش محمد، قال: فقلت: فقرب إليّ أجمالي، فقربها، فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت: ألحق بأهل ديني من النصارى بالشام، فسلكت الجوشية، وخلفت بنتًا لحاتم في الحاضر، فلما قدمت الشام أقمت بها.

أسر الرسول ابنة حاتم: وتخالفني خيل لرسول الله ﷺ ، فتصيب ابنة حاتم، فيمن أصابت، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيء، وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام، قال: فجعلت بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد، وكانت السبايا يحبسن فيها، فمر بها رسول الله ﷺ ، فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد فامنن علي منّ الله عليك، قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم. قال: **الفار من**

---

(١) تهذيب الكمال: (٩٢٣/٢) تهذيب التهذيب (١٦٦/٧ – ٣٣٠) تقريب التهذيب (١٦/٢) خلاصة تهذيب الكمال (٢٢٣/٢) الكاشف (٢٥٩/٢). تعجيل المنفعة (٧٣٤) تاريخ البخاري الكبير (٤٣/٧). تاريخ البخاري الصغير (١٤٨/١ – ١٥٤) الجرح والتعديل (٢/٧) الإصابة (٤٦٩/٤) طبقات ابن سعد (٣٢٢/١، ١٦٤/٢، ١١٨/٦، ٢١٨، ٢٤٧، ٢٩٤).

الله ورسوله؟ قالت: ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مر بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يئست منه، فأشار إليّ رجل من خلفه أن قومي فكلميه، قالت: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علي منّ الله عليك، فقال ﷺ : «**قد فعلت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني**». فسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن أكلمه، فقيل: علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأقمت حتى قدم ركب من بلى أو قُضاعة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، قالت: فجئت رسول الله ﷺ ، فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله ﷺ ، وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدي: فوالله إنيّ لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إليّ تؤمنا، قال: فقلت ابنة حاتم، قال: فإذا هي هي، فلما وقفت علي انسحلت تقول: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقية والدك عورتك، قال: قلت أي أُخية لا تقولي إلا خيرًا، فوالله ما لي من عذر، لقد صنعت ما ذكرت، قال: ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعًا، فإن يكن الرجل نبيًا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكًا فلن تذل في عز اليمن، وأنت أنت، قال: قلت: والله إن هذا الرأي.

إسلام عدي:

قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه، وهو في مسجده، فسلمت عليه، فقال: «**من الرجل**» فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ ، فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، قال: قلت في

نفسي والله ما هذا بملك، قال: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفا، فقذفها إلي، فقال: **اجلس على هذه**، قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: **بل أنت**، فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: **إيه يا عدي بن حاتم! ألم تك ركوسيا؟** قال: قلت: بلى، قال: **أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع**، قال: قلت: بلى، قال: **فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك**، قال: قلت: أجل والله، وقال: وعرفت أنه نبي مرسل، يعلم ما يجهل، ثم قال: **لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم**، قال: فأسلمت.

وكان عدي يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، ووالله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وايم الله لتكون الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه[1].

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١١٢ – ١١٤) من طريق ابن إسحاق. والبيهقي في «الدلائل» (٥/٣٣٨) من طريق ابن إسحاق، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٧٦ – ٧٧) وأخرجه أحمد (٤/٣٧٨ – ٣٧٩)، وأخرجه الترمذي (٥/٢٠٢ – ٢٠٤) (٢٩٥٣) والطبراني في «الكبير» (٧/٩٨ – ١٠٠) (٢٣٦، ٢٣٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٣٣٩ – ٣٤١).

قُدُوم فروة بن مُسيك المُرادي

قال ابن إسحاق: وقدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ مفارقًا لملوك كندة، ومباعدًا لهم إلى رسول الله ﷺ .

يوم الردم:

وقد كان قُبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة، أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا، حتى أثخنوهم في يوم كان يقال له: يوم الردم، فكان الذي قاد همدان إلى مراد: الأجدع بن مالك في ذلك اليوم.

قال ابن إسحاق: وفي ذلك اليوم يقول فروة بن مسيك:

مررنا على لفاة وهن خوص ... ينازعن الأعنة ينتحينا

فإن نغلب فغلابون قدما ... وإن نغلب فغير مغلبينا

وما إن طبنا جبن ولكن ... منايانا وطُعمة آخرينا

كذاك الدهر دولته سجال ... تكر صروفه حينا فحينا

فبينا ما نسر به ونرضى ... ولو لبست غضارته سنينا

إذ انقلبت به كرات دهر ... فألفيت الأُلى غبطوا طحينا

فمن يغبط بريب الدهر منهم ... يجد ريب الزمان له خئونا

فلو خلد الملوك إذن خلدنا ... ولو بقي الكرام إذن بقينا

فأفنى ذلكم سروات قومي ... كما أفنى القرون الأولينا[1]

قال ابن إسحاق: ولما توجه فروة بن مسيك إلى رسول الله ﷺ مفارقا لملوك كندة، قال:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت ... كالرجل حان الرجل عرق نسائها

قربت راحلتي أؤم محمدًا ... أرجو فواضلها وحسن ثرائها

---

(١) ينظر: «تاريخ الطبري» (١٣٥/٣) و«أسد الغابة» (٣٤٤/٤) و «البداية والنهاية» (٨٣/٥).

قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ، قال له رسول الله ﷺ، فيما بلغني: «**يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم**»؟ قال: يا رسول الله، من ذا يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الردم لا يسوءه ذلك! فقال رسول الله ﷺ له: **أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيرًا**.

واستعمله النبي ﷺ على مُراد وزبيد ومذحج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ [(١)].

قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد

وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زبيد فأسلم، وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي، حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ : يا قيس، إنك سيد قومك، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له: محمد، قد خرج بالحجاز، يقول إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبيا كما يقول: فإنه لن يخفي عليك، وإذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه، فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه، فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله ﷺ، فأسلم، وصدقه وآمن به فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمرًا، وتحطم عليه، وقال: خالفني وترك رأيي فقال عمرو بن معد يكرب في ذلك:

أمرتك يوم ذي صنعا ... ء أمرًا باديًا رشده

أمرتك باتقاء الله ... والمعروف تتعده

خرجت من المني مثل ... الحمير غره وتده

تمناني على فرس ... عليه جالسًا أسده

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٣٦٨ – ٣٦٩)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/٣٤٤) من طريق ابن إسحاق. وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٨٣) من ابن إسحاق.

عـــلى مفاضـــة كالـــنهـــ ي أخلـــص مـــاءه جـــدده
تـــرد الـــرمح منـــثنى الســـ ـــنان عوائـــرا قصـــده
فلـــو لاقيـــتني للقـــيـــ ـــت ليـــثًا فوقـــه لـــبده
تلاقـــى شـــنبثا شـــثن الـــ ـــبراثن ناشـــزًا كـــتده
يســـامى القـــرن إن قـــرن تـــيممه فيعتضـــده
فـــيأخذه فيرفعـــه فيخفضـــه فيقتصـــده
فـــيدمغه فـــيحطمه فيخضـــمه فـــيزدرده
ظلـــوم الشـــرك فـــيما أحـــ رزت أنـــيابه ويـــده[1]

ارتداد عمرو بعد موت الرسول: قال ابن إسحاق: فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زبيد وعليهم فروة بن مسيك، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتد عمرو بن معد يكرب وقال حين ارتد:

وجدنـــا ملـــك فـــروة شر ملك حمـــارًا ســـاف مـــنخره بـــثفر
وكنـــت إذا رأيـــت بـــا عمـــير تـــرى الحولاء من خبث وغدر [2]

قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة

إسلام وفد كندة:

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس، في وفد كنده فحدثني الزهري بن شهاب أنه قدم على رسول الله ﷺ في ثمانين راكبًا من كندة فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده، وقد رجلوا جممهم وتكحلوا وعليهم جيب الحبرة، وقد كففوها بالحرير، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٥/٨٤) عن ابن إسحاق، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٣٢ – ١٣٣) من طريق ابن إسحاق.

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٤٣) من طريق ابن إسحاق وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٨٤ – ٨٥) من طريق ابن إسحاق أيضًا.

قال: **ألم تسلموا؟** قالوا: بلى، قال: **فما بال هذا الحرير في أعناقكم**، قال: فشقوه منها، فألقوه.

ثم قال له الأشعث بن قيس: يا رسول الله، نحن بنو آكل المرار، وأنت ابن آكل المرار، قال فتبسم رسول الله ﷺ **وقال: ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب، وربيعة بن الحارث**، وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكانا إذا شاعا في بعض العرب، فسئلا ممن هما، قالا: نحن بنو آكل المرار، يتعززان بذلك، وذلك أن كندة كانوا ملوكا، ثم قال **لهم: لا، بل نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفوا أمنا، ولا ننتفي من أبينا**، فقال الأشعث بن قيس: هل فرغتم يا معشر كندة؟ والله لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين [1].

قدوم صرد بن عبد الله الأزدي مسلمًا

وقدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأزدي، فأسلم، وحسن إسلامه في وفد من الأزد، فأمَّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك، من قبل اليمن.

قتاله أهل جرش: فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ، حتى نزل بجرش، وهي يومئذ مدينة معلقة، وبها قبائل من قبائل اليمن، وقد ضوت إليهم خثعم، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قريبا من شهر، وامتنعوا فيها منه ثم رجع عنهم قافلا، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر، ظن أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزما، فخرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه عطف عليهم، فقتلهم قتلا شديدا.

إخبار الرسول بما حدث: وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٣٨ - ١٣٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٧٠) عن طريق ابن إسحاق، وفي «البداية والنهاية» (٥/٨٥ - ٨٦)، وينظر: (سبل الهدى والرشاد) (٦/٢٧٦)، وأخرجه ابن سعد في (الطبقات الكبرى) (١/٢٤٨).

رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبينا هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر، إذ قال رسول الله ﷺ : **بأي بلاد الله شكر؟** فقام إليه الجرشيان فقالا: يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر؛ وكذلك يسميه أهل جرش، **فقال: إنه ليس بكشر، ولكنه شكر**؛ قالا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: **إن بُدُنَ الله لنحر عنده الآن**، قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان، فقال لهما: ويحكما! إن رسول الله لينعي لكما قومكما فقوما إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما، فقاما إليه فسألاه ذلك، فقال: **اللهم ارفع عنهم**، فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله، في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر.

إسلام أهل جرش:

وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا، وحمى لهم حمى حول قريتهم، على أعلام معلومة، للفرس والراحلة وللمثيرة، وبقرة الحرث فمن رعاه من الناس فمالهم سحت، فقال في تلك الغزوة رجل من الأزد، وكانت خثعم تصيب من الأزد في الجاهلية، وكانوا يعدون في الشهر الحرام:

يا غزوة ما غزونا غير خائبة ... فيها البغال وفيها الخيل والحمر

حتى أتينا حميرًا في مصانعها ... وجمع خثعم قد شاعت لها النذر

إذا وضعت غليلاً كنت أحمله ... فما أبالي أدانوا بعد أم كفروا[1]

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/١٣٠ – ١٣١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٧٢- ٣٧٣)، وابن الأثير في (أسد الغابة (٣/١٦- ١٧)، وفي (البداية والنهاية) (٥/٨٧- ٨٨) كلاهما عن ابن إسحاق.

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

وقدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير، مقدمه من تبوك، ورسولهم إليه بإسلامهم، الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين ومعافر وهمدان، وبُعث إليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم، ومفارقتهم الشرك وأهله.

كتاب الرسول إليهم:

فكتب إليهم رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله، إلى الحارث بن عبد كلال، وإلى نعيم بن عبد كلال، وإلى النعمان، قيل ذي رعين ومعافر وهمدان، أما بعد، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم، فلقينا بالمدينة، فبلغ ما أرسلتم به، وخبرنا ما قبلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين، وأن الله قد هداكم بهداه، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خُمس الله، وسهم الرسول وصفيه، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار، عُشر ما سقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر، وأن في الإبل الأربعين ابنة لبون، وفي ثلاثين من الإبل شاتان، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع، جذع أو جذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها، شاة، وأنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيرًا فهو خير له، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه، وظاهر المؤمنين على المشركين، فإنه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وله ذمة الله وذمة رسوله، وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني، فإنه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها، وعليه الجزية، على كل حال ذكر أو أنثى، حر أو عبد، دينار واف، من قيمة المعافر أو عوضه ثياباً، أدى ذلك

إلى رسول الله ﷺ فإنه له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله.

أما بعد، فإن رسول الله محمدًا النبي أرسل إلى زرعة ذي يزن أن إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيرًا: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك ابن عبادة، وعقبة بن نمر، ومالك بن مرة وأصحابهم، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم، وأبلغوها رسلي، وأن أميرهم معاذ بن جبل، فلا ينقلبن إلا راضيا.

أما بعد، فإن محمدًا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله، ثم إن مالك ابن مرة الرهاوي قد حدثني أنك أسلمت من أول حمير، وقتلت المشركين فأبشر بخير وآمرك بحمير خيرا، ولا تخونوا ولا تخاذلوا، فإن رسول الله هو ولي غنيكم وفقيركم، وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل، وأن مالكا قد بلغ الخبر، وحفظ الغيب، وآمركم به خيرًا، وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولى دينهم وأولى علمهم، وآمرك بهم خيرًا، فإنهم منظور إليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

وصية الرسول مُعاذًا حين بعثه إلى اليمن: قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله ابن أبي بكر أنه حدث: أن رسول الله ﷺ حين بعث مُعاذًا، أوصاه وعهد إليه، ثم قال له: **يسِّر ولا تعسر وبشِّر ولا تنفر، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب، يسئلونك ما مفتاح الجنة، فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له**[2]. قال: فخرج معاذ، حتى إذا قدم اليمن قام بما أمره به

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٢٠ - ١٢٨) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٠٧ - ٤٠٨) كلاهما من طريق ابن إسحاق. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٨٨) عن ابن إسحاق أيضًا.

(٢) إسناده مرسل، وأخرجه أحمد (٥/٢٤٢)، والبزار (١/٩ - كشف) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١٩).

رسول الله ﷺ، فأتته امرأة من أهل اليمن، فقالت: يا صاحب رسول الله: ما حق زوج المرأة عليها؟ قال: ويحك! إن المرأة لا تقدر على أن تؤدي حق زوجها، فأجهدي نفسك في أداء حقه ما استطعت، قالت: والله لئن كنت صاحب رسول الله ﷺ إنك لتعلم ماحق الزوج على المرأة قال: ويحك؟ ولو رجعت فوجدته تنثعب منخراه قيحًا ودمًا، فمصصت ذلك حتى تذهبيه ما أديت حقه[1].

إسلام فروة بن عمرو الجذامي

قال ابن إسحاق: وبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي، ثم النفاثي، إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب، وكان مترله معان وما حولها من أرض الشام.

حبس الروم له وشعره ومقتله:

فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه، طلبوه حتى أخذوه، فحبسوه عندهم، فقال في محبسه ذلك:

طرقت سليمى موهنا أصحابي ... والروم بين الباب والقروان
صد الخيال وساءه ما قد رأى ... وهممت أن أغفى وقد أبكاني
لا تكحلن العين بعدي إثمدًا ... سلمى ولا تدين للإتيان
وقد علمت أبا كبيشة أنني ... وسط الأعزة ولا يحص لساني
فلئن هلكت لتفقدن أخاكم ... ولئن بقيت لتعرفن مكاني
ولقد جمعت أجل ما جمع الفتى ... من جودة وشجاعة وبيان

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/٣٠٣)، والبزار (٢/١٧٧) (١٤٦٥)، وابن حبان (١٢٨٩ – موارد)، والحاكم (٢/١٨٨، ١٨٩) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/٢٩١) ينظر «تهذيب التهذيب» (٣/٢٥٩) والتقريب (١/٢٤٧)، ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٣٩٠)، أخرجه الحاكم (٢/١٨٩) والبزار (٢/١٧٨ – كشف) (١٤٦٦).

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم، يقال له عفراء بفلسطين، قال:

ألا هـل أتـى سلمى بأن حليلها على ماء عفراء فوق إحدى الرواحل
عـلى ناقة لم يضرب الفحل أمها مشـذبة أطـرافها بالمـناجل

إسلام بني الحارث بن كعب على يدي خالد بن الوليد لما سار إليهم

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثًا، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم، فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون في كل وجه، ويدعون إلى الإسلام، ويقولون أيها الناس، أسلموا، فأسلم الناس، ودخلوا فيما دُعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا.

ثم كتب خالد بن الوليد: إلى رسول الله ﷺ، من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: يا رسول الله ﷺ، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا أقمت فيهم، وقبلت منهم، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم، وإني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، كما أمرني رسول الله ﷺ، وبعثت فيهم ركبانا قالوا: يا بني الحارث، أسلموا تسلموا، فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم، آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ حتى يكتب إلي رسول الله ﷺ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه رسول الله ﷺ:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد النبي رسول الله، إلى خالد بن الوليد سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فإن كتابك جاءني مع رسولك تخبر أن بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوقم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبدُ الله ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشرهم وأنذرهم، وأقبل وليقبل معك وفدهم، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قدوم خالد مع وفدهم على الرسول:

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ، وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب، منهم قيس بن الحصين ذي الغصة ويزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المحجل وعبد الله بن قراد الزيادي، وشداد بن عبد الله القناني، وعمرو بن عبد الله الضبابي فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرآهم، قال: **من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند،** قيل: يا رسول الله، هؤلاء رجال بني الحارث بن كعب، فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلموا عليه، وقالوا: نشهد أنك رسول الله، وأنه لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ: **وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله،** ثم قال رسول الله ﷺ: **أنتم الذين إذا زجروا استقدموا:** فسكتوا، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثانية، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة، فقال يزيد بن عبد المدان: نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زجروا استقدموا، قالها أربع مرار، فقال رسول الله ﷺ: لو أن خالدًا لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم، فقال يزيد بن عبد المدان: أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدًا، قال: **فمن حمدتم؟** قالوا: حمدنا الله عز وجل الذي هدانا بك يا رسول الله، قال: **صدقتم،** ثم قال رســـول الله ﷺ: **بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟** قالوا: لم نكن نغلب أحدًا، قال: بل قد كنتم تغلبون من قاتلكم، قالوا: كنا

نغلب من قاتلنا يا رسول الله إنا كنا نجتمع ولا نفترق، ولا نبدأ أحدًا بظلم، قال: **صدقتم**، وأمَّرَ رسول الله ﷺ على بني الحارث بن كعب قيس بن الحصين فرجع وفد بني الحارث إلى قومهم في بقية من شوال، أو في صدر ذي القعدة، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر، حتى توفي رسول الله ﷺ، ورحم، وبارك، ورضى وأنعم.

الرسول يبعث عمرو بن حزم بعهده إليهم: وقد كان رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم، ليفقههم في الدين، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتابًا عهد إليه فيه عهده، وأمره فيه بأمره:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا بيان من الله ورسوله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[1]، عهد من محمد النبي رسول الله لعمرو بن حزم، حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله، وأن يبشر الناس بالخير، ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن، ويفقههم فيه، وينهى الناس. فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم، والذي عليهم، ويلين للناس في الحق، ويشتد عليهم في الظلم، فإن الله كره الظلم، ونهى عنه، فقال: ﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] ويبشر الناس بالجنة وبعملها، وينذر الناس النار وعملها، ويستأنف الناس حتى يفقهوا في الدين، ويعلم الناس معالم الحج وسننه وفريضته، وما أمر الله به، والحج الأكبر: الحج الأكبر، والحج الأصغر: هو العمرة، وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير، إلا أن يكون ثوبا يثني طرفيه على عاتقيه وينهى الناس أن يحتبي أحد في ثوب واحد يفضي بفرجه إلى السماء، وينهى أن يعقص أحد شعر

---

(١) المائدة: آية ٢١.

(٢) هود: آية (١٨).

رأسه في قفاه، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله، ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسيف، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله، وأمر بالصلاة، لوقتها، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ويغلس بالصبح، ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة، والمغرب حين يقبل الليل، لا يؤخر حتى تبدو النجوم في السماء، والعشاء أول الليل، وأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها، والغسل عند الرواح إليها، وأمره أن يأخذ من المغانم خمس لله: وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل عشرين أربع شياه وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع، جذع أو جذعة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها، شاة فإنها فريضة الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيرًا فهو خير له، وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلاما خالصًا من نفسه ودان بدين الإسلام، فإنه من المؤمنين، له مثل مالهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها، وعلى كل حالم: ذكر أو أنثى، حر أو عبد، دينار واف أو عوضه ثيابًا فمن أدى ذلك، فإن له ذمة الله ورسوله، ومن منع فإنه عدو لله ورسوله وللمؤمنين جميعًا، صلوات الله على محمد، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته [١].

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٢٦ - ١٢٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤١١ - ٤١٢) كلاهما من طريق ابن إسحاق وفي (البداية والنهاية) (٥/١١٤ - ١١٥) عن ابن إسحاق. وينظر «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص٣١٤).

قدوم رفاعة بن زيد الجذامي

إسلامه وكتاب الرسول إلى قومه:

وقدم على رسول الله ﷺ في هدنة الحديبية، قبل خيبر، رفاعة بن يزيد الجذامي ثم الضبيبي، فأهدى لرسول الله ﷺ غلاما، وأسلم، فحسن إسلامه وكتب له رسول الله ﷺ كتابا إلى قومه، وفي كتابه:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله، لرفاعة بن زيد، إني بعثته إلى قومه عامة. ومن دخل فيهم، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين، فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا، ثم ساروا إلى الحرة: حرة الرجــلاء، ونزلــوها(١).

ذكر الكذابين؛ مسيلمة الحنفي والأسود العنسي

قال ابن إسحاق: وقد كان تكلم في عهد رسول الله ﷺ الكذابان مسيلمة بن حبيب باليمامة في بني حنيفة، والأسود بن كعب العنسي بصنعاء.

رؤيا الرسول ﷺ فيهما:

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد عن عبد الله بن قسيط، عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره، وهو يقول: أيها الناس، إني قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها ورأيت في ذراعي سوارين من ذهب، فكرهتهما، فنفختهما فطارا: فأولتهما هذين الكذابين، صاحب اليمن، وصاحب اليمامة (٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥/٥٢) (٤٥٦٢) (٤٥٦٢) من طريق ابن إسحاق به، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/٣١٣) وذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٢٨٢ - ٢٨٣) وينظر: «الدرر في اختصار المغازي والسير» ص٣١٣.

(٢) إسناده حسن، وأخرجه أحمد (٣/٨٦) وأبو يعلى (٢/٣٢٦) رقم (١٠٦٣) كلاهما من طريق ابن إسحاق، والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١٨٤)، =

حديث الرسول عن الدجالين:

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً، كلهم يدعي النبوة(١).

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان، فبعث المهاجر بني أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء. فخرج عليه العنسي وهو بها، وبعث لزياد بن لبيد أخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت وعليّ على صدقاتها وبعث عدي بن حاتم على طئ وصدقاتها، وعلى بني أسد، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم، فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها، وقيس بن عاصم على ناحية وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين، وبعث علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران، ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيتهم(٢).

كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مسيلمة بن حبيب، قد كتب إلى رسول الله ﷺ: من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله: سلام عليك، أما بعد، فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشا قوم

=

أخرجه البخاري (٣٣٦/٧) (٣١٢١)، وأطرافه في (٤٣٧٤)، (٤٣٧٥)، (٤٣٧٩)، (٧٠٣٤، ٧٠٣٧) ومسلم (١٧٨١/٤) (٢٢٧٤/٢٢) وأحمد (٣١٩/٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» وأخرجه البخاري بسند صحيح (٤٢٥/٨) كتاب المغازي (٤٣٧٩) ومسلم (١٧٨١/٤).

(١) إسناده ضعيف، أخرجه البخاري (١٨١/١٣)، ومسلم (٢٢٣٩/٤ – ٢٢٤٠)، وأحمد (٣١٣/٢)، وأبو داود (١٢١/٤).

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» (١٤٧/٣) عن طريق ابن إسحاق.

يعتدون، فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب[١].

قال ابن إسحاق: فحدثني شيخ من أشجع، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي، عن أبيه نعيم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه: «فما تقولان أنتما؟ قالا: نقول: كما قال، فقال: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما»[٢].

ثم كتب إلى مسيلمة: «**بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: السلام على من اتبع الهدى؛ أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين**». وذلك في آخر سنة عشر [٣].

حجة الوداع

تجهز الرسول: قال ابن إسحاق: فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة تجهز للحج، وأمر الناس بالجهاز له.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة [٤].

حكم الحائض في الحج: قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه القاسم بن محمد، عن عائشة. قالت: لا يذكر الناس إلا الحج، حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله ﷺ معه الهدي، وأشراف من أشراف

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٤٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٣٣١) كلاهما من طريق ابن إسحاق، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٦١).

(٢) أخرجه أبو داود (٣/٨٢ – ٨٣)، والحاكم (٢/١٤٢ – ١٤٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/٢١١).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه الطبري في (٣/١٤٨) من طريق ابن إسحاق وذكره الحافظ في «البداية والنهاية» (٥/١٢٧) عن ابن إسحاق.

الناس، أمر الناس أن يحلو بعمرة إلا من ساق الهدي، قالت: وحضت ذلك اليوم، فدخل علي وأنا أبكي، فقال: **مالك يا عائشة؟ لعلك نفست؟** قالت: قلت: نعم. والله لوددت أني لم أخرج معكم عامي في هذا السفر، فقال: **لا تقولن ذلك، فإنك تقضين كل ما يقضي الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت.** قالت: ودخل رسول الله ﷺ بمكة، فحل كل من كان لا هدي معه وحل نساؤه بعمرة، فلما كان يوم النحر أُتيت بلحم بقر كثير فطرح في بيتي، فقلت: ما هذا؟ قالوا: ذبح رسول الله ﷺ عن نسائه البقر حتى إذا كانت ليلة الحصبة بعث بي رسول الله ﷺ مع أخي عبد الرحمن بن أبي بكر فأعمرني من التنعيم، مكان عمرتي التي فاتتني [(١)].

قال ابن إسحاق: وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر عن حفصة بنت عمر، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ نساءه أن يحللن بعمرة.

قلنا: فما يمنعك يا رسول الله أن تحل معنا؟ فقال: **أن أهديتُ ولبدتُّ فلا أحل حتى أنحر هديي** [(٢)].

موافاة علي رضي الله عنه في قفوله من اليمن

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح: أن رسول الله ﷺ كان بعث عليا رضي الله عنه إلى نجران، فلقيه بمكة وقد أحرم، فدخل على فاطمة بنت رسول الله رضي الله عنه ورضي الله عنها، فوجدها قد حلت وتهيأت، فقال: مالك يا بنت رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحل بعمرة فحللنا، ثم أتى رسول الله ﷺ فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسول الله: **انطلق فطف بالبيت،**

(١) أخرجه البخاري (٣٧٩/٤ – ٣٨٠) (٢١٧٧) ومسلم (١٢٠٨/٣)، ومالك (٦٣٢/٢ – ٦٣٣)، والنسائي (٢٧٨/٧ – ٢٧٩)، والترمذي (٥٤٣/٣) وأحمد (٤/٣/ ٥١،٦١)، وابن الجارود (٦٤٩) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٦٧/٤) والبيهقي (٢٧٦/٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٤٤/٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٠/٣)، وأبو داود (٣٩٨/٢) وابن ماجة (١٠١٢/٢، ١٠١٣)، والبيهقي (١٣٤/٥) والطحاوي (١٤٤/٢).

وحل كما حل أصحابك، قال: يا رسول الله، : إني أهللت كما أهللت، فقال: **ارجع فاحلل كما حل أصحابك**، قال: يا رسول الله، إني قلت حين أحرمت: اللهم إني أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد ﷺ قال: **فهل معك من هدي؟** قال: لا. فأشركه رسول الله ﷺ في هديه، وثبت على إحرامه مع رسول الله حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله ﷺ الهدي عنهما [1].

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، قال: لما أقبل علي رضي الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله ﷺ بمكة، تعجل إلى رسول الله ﷺ واستخلف على جنده الذين معه رجل من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي رضي الله عنه، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل قال: ويلك ما هذا؟!

قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله ﷺ قال: فانتزع الحلل من الناس، فردها في البز، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم [2].

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن حزم بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب، وكانت عند أبي سعيد الخدري، عن أبي سعيد الخدري، قال: اشتكى الناس عليا رضوان الله عليه، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبا، فسمعته يقول: أيها الناس، لا تشكوا عليا، فوالله إنه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله، من أن يشكى [3].

---

(١) إسناده ضعيف، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (١٤٨/٣ - ١٤٩) من طريق محمد ابن إسحاق.

(٢) إسناده ضعيف، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (١٤٩/٣) عن ابن إسحاق.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٨٦) والحاكم (١٤٣/٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٨٦/١) والطبري في «تاريخه» (١٤٩/٣ - ١٥٠) عن طريق ابن إسحاق.

خطبة الوداع: قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ على حجة، فأرى الناس مناسكهم، وأعلمهم سنن حجهم، وخطب الناس خطبته التي بين فيها ما بين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: **أيها الناس، اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدًا، أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، ولكن لكم رءوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله، وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعا في بني ليث، فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية أما بعد أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.**

أيها الناس: إن النسيء زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا، يحلونه عاما ويحرمونه عاما، ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية، ورجب مضر، الذي بين جمادي وشعبان.

أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقا، ولهن عليكم حقا، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربًا غير مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئًا وإنكم إنما

أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي، فإني قد أبلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا، أمرًا بينا، كتاب الله وسنة نبيه، أيها الناس: اسمعوا قولي واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم. اللهم هل بلغت؟

فذكر لي الناس قالوا: اللهم نعم. فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد [١].

اسم الصارخ بتبليغ ما يقوله رسول الله ﷺ:

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير. عن أبيه عباد قال: كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف قال: **يقول له رسول الله ﷺ : قل يا أيها الناس، إن رسول الله ﷺ يقول: هل تدرون أي شهر هذا؟ فيقول لهم. فيقولون: الشهر الحرام، فيقول له قل لهم: إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا. ثم يقول: قل يا أيها الناس، إن رسول الله، يقول: هل تدرون أي بلد هذا؟ قال: فيصرخ به. قال: فيقولون البلد الحرام، قال: فيقول: قل لهم: إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا.**

قال: ثم يقول: قل: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ يقول: هل تدرون أي يوم هذا؟ قال: فيقوله لهم. فيقولون يوم الحج الأكبر، قال فيقول: قل لهم: إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا [٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٧/٧٠٩ – ٧١٠) كتاب المغازي (٤٤٠٢ – ٤٤٠٣) وفي (١٠/ ٥٦٨) كتاب الأدب (٦٦١٦)، أخرجه البخاري (١/١٦٢)(١٢١)، ومسلم (٢٩١ – الأبي) كتاب الإيمان.

(٢) إسناده ضعيف، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٥/٦٧) (٤٦٠٣) والطبري في =

قال ابن إسحاق: حدثني ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب الأشعري، عن عمرو بن خارجة قال: بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ في حاجة، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة، فبلغته، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله ﷺ وإن لغُامها ليقع على رأسي، فسمعته وهو يقول: **أيها الناس إن الله قد أدى إلى كل ذي حق حقه وإنه لا تجوز وصية لوارث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، ومن ادعى إلى غير أبيه. أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا** [(١)].

تعاليم الرسول عليه السلام للحاج:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح: أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة، **قال: هذا الموقف، للجبل الذي هو عليه، وكل عرفة موقف. وقال حين وقف على قزح صبيحة المزدلفة: هذا الموقف، وكل المزدلفة موقف، ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال هذا المنحر، وكل منى منحر، فقضى رسول الله ﷺ وقد أراهم مناسكهم، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم، من الموقف، ورمي الجمار، وطواف بالبيت، وما أحل لهم من حجهم، وما حرم عليهم، فكانت حجة البلاغ، وحجة الوداع، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحج بعدها**[(٢)].

=

«تاريخه» (١٥١/٣ — ١٥٢) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٢٥٨/٢) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

(١) إسناده ضعيف، أخرجه أبو داود (٢٩٠/٣)، والترمذي (٤٣٣/٤)، وابن ماجه (٢/ ٩٠٥) وأحمد (٢٦٧/٥) والطيالسي (١١٧/٢) منحة) (٢٤٠٧) وسعيد بن منصور (٢٤٧)، والبيهقي (٢٦٤/٦)، وقال الترمذي: حديث صحيح. وأخرجه بن الجارود في المنتقى (٩٤٩)، وأخرجه الطبراني في (الكبير) (٢٠٢/٤) (٤١٤٠).

(٢) إسناده ضعيف لإعضاله، والحديث صحيح. وأخرجه الطبري في «تاريخه» (١٥٢/٣) من طريق ابن إسحاق به أخرجه مسلم (٨٨٦/٢، ٨٩٢).

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق: ثم قفل رسول الله ﷺ، فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر، وضرب على الناس بعثا إلى الشام، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء، والداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس، وأوعب مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون(١).

أسماء الرسل ومن أرسل إليهم:

فبعث رسول الله ﷺ رسلا من أصحابه، وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام. فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعياد ابني الجلندي الأزديين ملكي عمان، وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي إلى ثمامة بن أثال، وهوذة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم بالشام(٢).

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري: أنه وجد كتابًا فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم قال: فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه.

وفيه: أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم: إن الله بعثني رحمة وكافة فأدوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم. قالوا: وكيف يا رسول الله كان اختلافهم؟ قال: دعاهم

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (١٨٤/٣) عن طريق ابن إسحاق وذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٢٣٦/٥).

(٢) ينظر «تاريخ الطبري» (١٨٧/٣) و (البداية والنهاية) (٢٣٦/٥ – ٢٣٧).

لمثل ما دعوتكم له، فأما من قرب به فأحب وسلم وأما من بعد به فكره وأبى. فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله. فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذي وجه إليهم.

أسماء رسل عيسى:

قال ابن إسحاق: وكان من بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع الذين كانوا بعدهم في الأرض، بطرس الحواري، ومعه بولس، وكان بولس من الأتباع، ولم يكن من الحواريين إلى رومية واندرائس ومتى إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس، وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق، وفيلبس إلى أرض قرطجانة، وهي إفريقية، ويحنس إلى أفسوس قرية الفتية أصحاب الكهف، ويعقوبس إلى أورشليم وهي إيلياء قرية ببيت المقدس، وابن ثلماء إلى الأعرابية وهي أرض الحجاز، وسيمن إلى أرض البربر، ويهوذا ولم يكن من الحواريين جعل مكان يودس.

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن إسحاق: وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعًا وعشرين غزوة منها غزوة ودان، وهي غزوة الأبواء، ثم غزوة بواط، من ناحية رضوى، ثم غزوة العشيرة، من بطن ينبع، ثم غزوة بدر الأولى، يطلب كرز بن جابر، ثم غزوة بدر الكبرى، التي قتل الله فيها صناديد قريش، ثم غزوة بني سليم، حتى بلغ الكدر، ثم غزوة السويق، يطلب أبا سفيان بن حرب، ثم غزوة غطفان، وهي غزوة ذي أمر، ثم غزوة بحران، معدن بالحجاز، ثم غزوة أحد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بن النضير، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة دومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان، من هذيل، ثم غزوة ذي قرد، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية، لا يريد قتالا، فصده المشركون، ثم غزوة خيبر، ثم غزوة القضاء، ثم غزوة الفتح،

ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك، قاتل منها في تسع غزوات: بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف.

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه ﷺ وسراياه ثمانيًا وثلاثين، من بين بعث وسرية: غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذي المروة، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب، ساحل البحر، من ناحية العيص، وبعض الناس يقدر غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة. وغزوة سعد بن أبي وقاص الخرار، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة، وغزوة زيد بن حارثة القردة، وغزوة محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف، وغزوة مرثد بن أبي مرثد الغنوي الرجيع، وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة، وغزوة أبي عبيدة بن الجراح ذا الغصة، من طريق العراق، وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بني عامر، وغزو علي بن أبي طالب اليمن، وغزوة غالب ابن عبد الله الكلبي، كلب ليث، الكديد، فأصاب بني الملوح [1].

غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوح

شأن ابن البرصاء:

وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، حدثني عن مسلم بن عبد الله بن حبيب الجهني، عن جندب بن مكيث الجهني، قال: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي، كلب بن عوف بن ليث، في سرية كنت فيها، وأمره أن يشن الغارة على بني الملوح، وهم بالكديد، فخرجنا، حتى إذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك، وهو ابن البرصاء الليثي، فأخذناه، فقال: إني جئت أريد الإسلام، ما خرجت إلا إلى رسول الله ﷺ فقلنا له: إن تك مسلمًا فلن

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٥٢ - ١٥٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٦٥ - ٤٦٨) كلاهما من طريق ابن إسحاق وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٢٣٦) عن ابن إسحاق، وينظر: «سبل الهدى والرشاد» (٦/٣).

يضيرك رباط ليلة، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك، فشددناه رباطًا، ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود، وقلنا له: إن عازك فاحتز رأسه.

بلاء ابن مكيث في هذه الغزوة:

قال: ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس، فكنا في ناحية الوادي، وبعثني أصحابي ربيئة لهم، فخرجت حتى آتى تلا مشرفًا على الحاضر، فأسندت فيه، فعلوت على رأسه، فنظرت إلى الحاضر، فوالله إني لمنبطح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه، فقال لامرأته: إني لأرى على التل سوادا ما رأيته في أول يومي، فانظري إلى أوعيتك هل تفقدين منها شيئًا، لا تكون الكلاب جرت بعضها، قال: فنظرت، فقالت: لا، والله ما أفقد شيئًا، فقال: فناوليني قوسي وسهمين، فناولته، قال: فأرسل سهمًا، فوالله ما أخطأ جنبي، فأنزعه، فأضعه، وثبت مكاني قال ثم أرسل الآخر فوضعه في منكبي فأنزعه فأضعه وثبت مكاني فقال لامرأته: لو كان ربيئة لقد خالطه سهماي لا أبالك، إذا أصبحت فابتغيهما، فخذيهما، لا يمضغهما على الكلاب قال: ثم دخل.

نجاة المسلمين بالنعم:

قال: وأمهلناهم حتى إذا اطمأنوا وناموا، وكان في وجه السحر، شننا عليهم الغارة، قال فقتلنا، واستقنا النعم، وخرج صريخ القوم فجاءنا دهم لا قبل لنا به، ومضينا بالنعم، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه، فاحتملناهما معنا، قال: وأدركنا القوم حتى قربوا منا، قال: فما بيننا وبينهم إلا وادي قديد، فأرسل الله الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة، ولا يقدر على أن يجاوزه، فوقفوا ينظرون إلينا، وإنا لنسوق نعمهم، ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا، ونحن نحدوها سراعا، حتى فتناهم، فلم يقدروا على طلبنا.

قال: فقدمنا بها على رسول الله ﷺ [(١)].

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد (٣/٤٦٧ - ٤٦٨)، وأبو داود (٣/٥٦) مختصرًا =

قال ابن إسحاق: وحدثني رجل من أسلم، عن رجل منهم: أن شعار أصحاب رسول الله ﷺ كان تلك الليلة: أمت أمت. فقال راجز من المسلمين وهو يحدوها:

أبي أبـــو القاســـم أن تعـــزبي في خضــــل نـــباته مغلولـــب
صفر أعاليه كلون المذهب [(١)]

تم خبر الغزاة، وعدت إلى ذكر تفاصيل السرايا والبعوث.

تعريف ببعض الغزوات:

قال ابن إسحاق: وغزوة علي بن طالب ﷺ بني عبد الله بن سعد من أهل فدك، وغزوة أبي العوجاء السلمي أرض بني سليم، أصيب بها هو وأصحابه جميعًا، وغزوة عكاشة بن محصن الغمرة، وغزوة أبي سلمة بن عبد الأسد قطنا، ماء من مياه بني أسد، من ناحية نجد، قتل بها مسعود بن عروة، وغزوة محمد بن مسلمة، أخي بني حارثة، القرطاء من هوازن، وغزوة بشير بن سعد بن مرة بفدك، وغزوة بشير بن سعد ناحية خيبر، وغزوة زيد بن حارثة الجموم من أرض بني سليم، وغزوة زيد بن حارثة جذام، من أرض خشين [(٢)].

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام:

قال ابن إسحاق: وكان من حديثها كما حدثني من لا أتهم عن رجال من جذام كانوا علماء بها، أن رفاعة بن زيد الجذامي، لما قدم على قومه من عند رسول الله ﷺ بكتابه يدعوهم إلى الإسلام، فاستجابوا له، لم يلبث أن قدم

=

والطبري في «تاريخه» (٢٧/٣ — ٢٨) والطبـــراني في «الكبير» (١٧٨/٢- ١٧٩) (١٧٢٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٩٨/٤- ٢٩٩) كلهم عن طريق ابن إسحاق ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٠٦/٦).

(١) إسناد ضعيف، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢٨/٣) والبيهقي في «الدلائـــل» (٤/ ٢٩٩) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

(٢) ينظر: «البداية والنهاية» (٢٣٦/٥).

دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر صاحب الروم، حين بعثه رسول الله ﷺ إليه ومعه تجارة له، حتى إذا كانوا بواد من أوديتهم يقال له شتار، أغار على دحية بن خليفة الهنيد بن عوص، وابنه عوص بن الهنيد الضلعيان، والضليع: بطن من جذام، فأصابا كل شيء كان معه، فبلغ ذلك قوما من الضبيب، رهط رفاعة ابن زيد، ممن كان أسلم وأجاب، فنفروا إلى الهنيد وابنه، فيهم من بني الضبيب النعمان بن أبي جعال، حتى لقوهم، فاقتتلوا، وانتمى يومئذ قرة بن أشقر الضفاوي ثم الضلعي، فقال: أنا ابن لبنى، ورمى النعمان بن أبي جعال بسهم، فأصاب ركبته، فقال حين أصابه: خذها وأن ابن لبنى، وكانت له أم تدعى لبنى، وقد كان حسان بن ملة الضبيني قد صحب دحية بن خليفة قبل ذلك، فعلمه أم الكتاب[١].

قال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم، عن رجال من جُذام، قال: فاستنقذوا ما كان في يد الهنيد وابنه، فردوه على دحية، فخرج دحية، حتى قدم على رسول الله ﷺ، فأخبره خبره، واستسقاه دم الهنيد وابنه، فبعث رسول الله ﷺ إليهم زيد بن حارثة، وذلك الذي هاج غزوة زيد جذام، وبعث معه جيشا، وقد وجهت غطفان من جذام ووائل ومن كان من سلامان وسعد بن هذيم، حين جاءهم رفاعة بن زيد، بكتاب رسول الله ﷺ، حتى نزلوا الحرة، حرة الرجلاء، ورفاعة بن زيد بكراع ربة لم يعلم ومعه ناس من بني الضبيب، وسائر بني الضبيب بوادي مدان، من ناحية الحرة، مما يسيل مشرقا، وأقبل جيش زيد ابن حارثة من ناحية الأولاج، فأغار بالماقص من قبل الحرة، فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس، وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بني الأحنف[٢].

---

(١) إسناده ضعيف، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٤٠ – ١٤٣) من طريق ابن إسحاق به، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/٨٨) بنحوه، وينظر: «سبل الهدى والرشاد» (٦/٨٨ – ٨٩).

(٢) إسناده ضعيف، وتقدم تخريجه في السابق.

قال ابن إسحاق في حديثه: ورجلا من بني الخصيب، فلما سمعت بذلك بنو الضبيب والجيش بفيفاء مدان ركب نفر منهم، وكان فيمن ركب معهم حسان بن ملة، على فرس لسويد بن زيد، يقال له العجاجة، وأنيف بن ملة على فرس لملة يقال لها: رغال. وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال لها شمر، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش، قال أبو زيد وحسان لأنيف بن ملة: كف عنا وانصرف، فإنا نخشى لسانك، فوقف عنهما، فلم يبعدا منه حتى جعلت فرسه تبحث بيديها وتوثب، فقال: لأنا أضن بالرجلين منك بالفرسين، فأرخى لها، حتى أدركهما، فقالا له: أما إذ فعلت ما فعلت فكف عنا لسانك، ولا تشأمنا اليوم، فتواصوا أن لا يتكلم منهم إلا حسان بن ملة، وكانت بينهم كلمة في الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال: بوري أو ثوري، فلما برزوا على الجيش، أقبل القوم يبتدرونهم فقال لهم حسان: إنا قوم مسلمون، وكان أول من لقيهم رجل على فرس أدهم، فأقبل يسوقهم فقال أنيف: بوري، فقال حسان: مهلا. فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان: إنا قوم مسلمون، فقال له زيد فاقرءوا أم الكتاب، فقرأها حسان، فقال زيد بن حارثة: نادوا في الجيش إن الله قد حرم علينا ثغرة القوم التي جاءوا منها إلا من ختر(١).

قال ابن إسحاق: وإذا أخت حسان بن ملة، وهي امرأة أبي وبر بن عدي ابن أمية بن الضبيب في الأسارى، فقال له زيد: خذها، وأخذت بحقويه فقالت أم الفزر الضلعية: أتنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم! فقال أحد بني الخصيب: إنها بنو الضبيب وسحر ألسنتهم سائر اليوم، فسمعها بعض الجيش، فأخبر بها زيد بن حارثة، فأمر بأخت حسان، ففكت يداها من حقويه، وقال لها: اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه، فرجعوا، ونهى الجيش أن يهبطوا

---

(١) تقدم تخريجه.

إلى واديهم الذي جاءوا منه، فأمسوا في أهليهم واستعتموا ذودا لسويد بن زيد، فلما شربوا عتمتهم ركبوا إلى رفاعة بن زيد، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد -تلك الليلة- أبو زيد بن عمرو، وأبو شماس بن عمرو، وسويد بن زيد، وبعجة بن زيد، وبرذع بن زيد، وثعلبة بن زيد، ومخربة بن عدي، وأنيف بن ملة، وحسان بن ملة، حتى صبحوا سحرا رفاعة بن زيد بكراع ربة، بظهر الحرة، على بئر هنالك من حرة ليلى فقال له حسان بن ملة: إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذي جئت به، فدعا رفاعة بن زيد بجمل له، فجعل يشد عليه رحله وهو يقول(١):

هل أنت حي أو تنادي حيا

ثم غدا وهم معه بأمية بن صفارة أخي الخصيبي المقتول، مبكرين من ظهر الحرة، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال، فلما دخلوا المدينة، وانتهوا إلى المسجد، نظر إليهم رجل من الناس، فقال: لا تنيخوا إبلكم، فتقطع أيديهن، فنزلوا عنهن وهن قيام، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ ورآهم ألاح إليهم بيده: أن تعالوا من وراء الناس، فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق، قام رجل من الناس فقال: يا رسول الله، إن هؤلاء قوم سحرة فرددها مرتين، فقال رفاعة بن زيد: رحم الله من لم يحذنا في يومه هذا إلا خيرا. ثم دفع رفاعة بن زيد كتابه إلى رسول الله ﷺ الذي كان كتبه له. فقال: دونك يا رسول الله قديما كتابه، حديثا غدره، فقال رسول الله ﷺ: **اقرأه يا غلام، وأعلن**، فلما قرأ كتابه استخبره، فأخبروهم الخبر، فقال رسول الله ﷺ: **كيف أصنع بالقتلى؟** -ثلاث مرات- فقال رفاعة: أنت يا رسول الله أعلم، لا نحرم عليك حلالا، ولا نحلل لك حراما. فقال أبو زيد بن عمرو: أطلق لنا يا رسول الله من كان حيا، ومن قتل فهو تحت قدمي هذه، فقال له رسول الله ﷺ: **صدق أبو زيد اركب معهم**

(١) تقدم تخريجه.

يا علي، فقال له علي ﷺ: إن زيدا لن يطيعني يا رسول الله، قال: فخذ سيفي هذا، فأعطاه سيفه، فقال علي: ليس لي يا رسول الله راحلة أركبها، فحملوه على بعير لثعلبة بن عمرو يقال له مكحال، فخرجوا، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبي وبر يقال لها: الشعر، فأنزلوه عنها، فقال: يا علي، ما شأني؟ فقال: ما لهم عرفوه فأخذوه، ثم ساروا فلقوا الجيش بفيفاء الفحلتين، فأخذوا ما في أيديهم، حتى كان ينزعون لبيد المرأة من تحت الرحل، فقال أبو جعال حين فرغوا من شأنهم:

وعاذلة ولم تعذل بطب ... ولولا نحن حش بها السعير

تدافع في الأسارى بابنتيها ... ولا يرجى لها عتق يسير

ولو وكلت إلى عوص وأوس ... لحار بها عن العتق الأمور

ولو شهدت ركائبنا بمضر ... تحاذر أن يعل بها المسير

وردنا ماء يثرب عن حفاظ ... لربع إنه قرب ضرير

بكل مجرب كالسيد نهد ... على أقتاد ناجية صبور

فدى لأبي سليمى كل جيش ... بيثرب إذ تناطحت النحور

غداة ترى المجرب مستكينا ... خلاف القوم هامته تدور [١]

تمت الغزوة: وعدنا إلى تفصيل ذكر السرايا والبعوث.

غزوة زيد الطرف:

قال ابن إسحاق: وغزوة زيد بن حارثة أيضًا الطرف من ناحية نخل من طريق العراق [٢].

غزوة بن حارثة بن فزارة: وغزوة زيد بن حارثة أيضًا وادى القرى، لقى

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ينظر «تاريخ الطبري» (٣/١٥٥) والطبقات الكبرى (٢/٨٧) و «سبل الهدى والرشاد» (٦/٨٧).

به بني فزارة، فأصيب بها ناس من أصحابه، وارتث زيد من بين القتلى، وفيها أصيب ورد بن عمرو بن مداش، وكان أحد بني سعد بن هذيل، أصابه أحد بني بدر.

قال ابن إسحاق: فلما قدم زيد بن حارثة آلى أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بن فزارة، فلما استبل من جراحته بعثه رسول الله ﷺ إلى بني فزارة في جيش فقتلهم بوادي القرى، وأصاب فيهم، وقتل قيس بن المسحار اليعمري مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر، وأسرت أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وكانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر، وبنت لها، وعبد الله بن مسعدة، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة، فقتلها قتلا عنيفًا، ثم قدموا على رسول الله ﷺ بابنة أم قرفة وبابن مسعدة.

وكانت بنت أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع، وكان هو الذي أصابها، وكانت في بيت شرف من قومها، كانت العرب تقول: "لو كنت أعز من أم قرفة ما زدت، فسألها رسول الله ﷺ سلمة، فوهبها له، فأهداها لخاله حزن بن أبي وهب، فولدت له عبد الرحمن بن حزن [1].

فقال قيس بن المسحر في قتل مسعدة:

سعيت بورد مثل سعي ابن أمه ... وإني بورد في الحياة لثائر
كررت عليه المهر لما رأيته ... على بطل من آل بدر مغاور
فركبت فيه قعضبيا كأنه ... شهاب بمعراة يذكى لناظر

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام: وغزوة عبد الله بن رواحة خيبر مرتين: إحداهما التي أصاب فيها اليسير بن رزام.

وكان من حديث اليسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله ﷺ، فبعث إليه رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه، منهم عبد الله بن أنيس، حليف بني سلمة، فلما قدموا عليه كلموه، وقربوا له، وقالوا

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٥/٢٣٧) عن ابن إسحاق.

له: إنك إن قدمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك، فلم يزالوا به، حتى خرج معهم في نفر من يهود، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة أميال، ندم اليسير بن رزام على مسيره إلى رسول الله ﷺ، ففطن به عبد الله بن أنيس، وهو يريد السيف، فاقتحم به، ثم ضربه بالسيف، فقطع رجله، وضربه اليسير بمخرش في يده من شوحط، فأمه ومال كل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله، إلا رجلا واحدًا أفلت على رجليه، فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله ﷺ تفل على شجته، فلم تقح ولم تؤذه[1].

غزوة ابن عتيك خيبر: وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر، فأصاب بها أبا رافع ابن أبي الحقيق[2].

غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي: وغزوة عبد الله بن أنيس خالد بن سفيان بن نبيح، بعثه رسول الله ﷺ إليه وهو بنخلة أو بعرنة يجمع رسول الله ﷺ الناس ليغزوه، فقتله.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: قال عبد الله بن أنيس: دعاني رسول الله ﷺ، فقال: **إنه قد بلغني أن ابن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني، وهو بنخلة، أو بعرنة، فأته فاقتله**. قلت: يا رسول الله، انعته لي حتى أعرفه. قال: **إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة**. قال: فخرجت متوشحًا سيفي، حتى دفعت إليه وهو في ظعن يرتاد لهن منزلا، وحيث كان وقت العصر. فلما رأيته وجدت ما قال لي رسول الله ﷺ من القشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (١٥٥/٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٩٣/٤-٢٩٤) من طريق ابن إسحاق. ذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٢٣٧/٥-٢٣٨) وينظر «سبل الهدى والرشاد» (١١١/٦ - ١١٢).

(٢) ينظر المصادر السابقة.

تكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه، أومئ برأسي، فلما انتهيت إليه، قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لذلك. قال: أجل، إني لفي ذلك. قال: فمشيت معه شيئًا، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف، فقتلته، ثم خرجت، وتركت ظعائنه منكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني، قال: **أفلح الوجه**، قلت: قد قتلته يا رسول الله. قال: **صدقت**.

هدية رسول الله ﷺ لأنيس:

ثم قام بي، فأدخلني بيته، فأعطاني عصا، فقال: **أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس**. قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ، وأمرني أن أمسكها عندي، قالوا: أفلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله لم ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: آية بيني وبينك يوم القيامة، **إن أقل الناس المتخصرون يومئذ**، قال: فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه، فلم تزل معه حتى مات، ثم أمر بها فضمت في كفنه، ثم دفنا جميعًا [1].

بعض غزوات أُخر: قال ابن إسحاق: وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة مؤتة من أرض الشام، فأصيبوا بها جميعًا، وغزوة كعب بن عمير الغفاري ذات أطلاح، إلى أرض الشام، أصيب بها هو وأصحابه جميعًا، وغزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بني العنبر من بني تميم.

غزوة عيينة بن حصن بن تميم: وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ بعثه

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه أبو داود (٢/١٨) كتاب الصلاة (١٢٤٩)، وأحمد (٣/٤٩٦)، وأبو يعلى (٢/٢٠١- ٢٠٢) (٩٠٥) وابن حبان (٥٩١- موارد) والطبري في «تاريخه» (٣/ ١٥٦- ١٥٧) والبيهقي في (السنن الكبرى) (٣/٢٥٦) وفي (دلائل النبوة) (٤/٤٢) كلهم من طريق ابن إسحاق، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٠٦).

إليهم، فأغار عليهم، فأصاب منهم أناسًا، وسبى منهم أناسًا.

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إن على رقبة من ولد إسماعيل. قال: هذا سبي بني العنبر يقدم الآن فنعطيك منهم إنسانًا فتعتقينه (١).

قال ابن إسحاق: فلما قدم بسبيهم على رسول الله ﷺ، ركب فيهم وفد من بني تميم، حتى قدموا على رسول الله ﷺ، منهم ربيعة بن رفيع وسبرة بن عمرو والقعقاع بن معبد، ووردان بن محرز، وقيس بن عاصم، ومالك بن عمرو والأقرع بن حابس، وفراس بن حابس، فكلموا رسول الله ﷺ فيهم، فأعتق بعضًا، وأفدى بعضا، وكان ممن قتل يومئذ من بني العنبر: عبد الله وأخوان له، بنو وهب، وشداد بن فراس، وحنظلة بن دارم، وكان ممن سبي من نسائهم يومئذ: أسماء بنت مالك، وكاس بنت أرى، ونجوة بنت نهد، وجميعة بنت قيس، وعمرة بنت مطر. فقالت في ذلك اليوم سلمى بنت عتاب:

لعمري لقد لاقت عدي بن جندب ... من الشر مهواة شديدًا كئودها

تكنفها الأعداء من كل جانب ... وغيب عنه عزها وجدودها(٢)

غزوة غالب بن عبد الله أرض بني مرة:

قال ابن إسحاق: وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي – كلب ليث – أرض بني مرة، فأصاب بها مرداس بن نهيك، حليفا لهم من الحرقة من جهينة، قتله أسامة بن زيد، ورجل من الأنصار (٣).

---

(١) إسناده ضعيف لانقطاعه، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (١٥٧/٣) عن ابن إسحاق، أخرجه أحمد (٢٦٣/٦) والحاكم (٢١٦/٢) بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه» (١٥٧/٣)من طريق ابن إسحاق، ينظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١٦٠/٢ – ١٦١) و «سبل الهدى والرشاد» (٢١٢/٦) (٦/ ٢٨٧).

(٣) أخرجه الطبري في «تاريخه» (١٥٧/٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٩٦/٤) كلاهما عن ابن إسحاق، وذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٢٣٨/٥).

قال ابن إسحاق: وكان من حديثه عن أسامة بن زيد، قال: أدركته أنا ورجل من الأنصار فلما شهرنا عليه السلاح، قال أشهد أن لا إله إلا الله. قال فلم نترع عنه حتى قتلناه. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبره، فقال: **يا أسامة، من لك بلا إله إلا الله؟** قال: قلت: يا رسول الله، إنه إنما قالها تعوذا بها من القتل. قال: **فمن لك بها يا أسامة؟** قال: فوالذي بعثه بالحق ما زال يرددها علي حتى لوددت أن ما مضى من إسلامي لم يكن، وأني كنت أسلمت يومئذ، وأني لم أقتله، قال: قلت: أنظرني يا رسول الله، إني أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبدا، قال: **تقول بعدي يا أسامة**، قال: قلت بعدك[1].

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل: وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بني عذرة. وكان من حديثه أن رسول الله ﷺ بعثه يستنفر العرب إلى الشام. وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأة من بلى، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يستألفهم لذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام يقال له السلسل، وبذلك سميت تلك الغزوة غزوة ذات السلاسل، فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين، فيهم أبو بكر وعمر، وقال لأبي عبيدة حين وجهه: **لا تختلفا**، فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه، قال له عمرو إنما جئت مددًا لي، قال أبو عبيدة: لا، ولكني على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه، وكان أبو عبيدة رجلا لينا سهلا، هينا عليه أمر الدنيا، فقال له عمرو: بل أنت مدد لي، فقال أبو عبيدة يا عمرو، إن رسول الله ﷺ قال لي: **لا تختلفا**، وإنك إن عصيتني أطعتك، قال: فإني الأمير عليك، وأنت مدد لي، قال: فدونك. فصلى عمرو بالناس.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/٣٠٧) كتاب المغازي (٤٢٦٩) ومسلم كتاب الإيمان (١٥٨-٩٦) وأحمد (٥/٢٠٠) والبيهقي في «الدلائل» (٤/٢٩٧) من حديث أسامة بن زيد.

قال: وكان من الحديث في هذه الغزاة، أن رفاعة بن أبي رافع الطائي، وهو رافع بن عميرة، كان يحدث فيما بلغني عن نفسه، قال: كنت امرءًا نصرانيًا، وسُميت سرجس، فكنت أدل الناس وأهداهم بهذا الرمل، وكنت أدفن الماء في بيض النعام بنواحي الرمل في الجاهلية، ثم أغير على إبل الناس، فإذا أدخلتها الرمل غلبت عليها، فلم يستطع أحد أن يطلبني فيه، حتى أمر بذلك الماء الذي خبأت في بيض النعام فأستخرجه، فأشرب منه، فلما أسلمت خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، قال: فقلت: والله لأختارن لنفسي صاحبًا، قال فصحبت أبا بكر، قال: فسكنت معه في رحله، قال: وكانت عليه عباءة له فدكية، فكان إذا نزلنا بسطها وإذا ركبنا لبسها، ثم شكها عليه بخلال له، قال: وذلك الذي له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا: نحن نبايع ذا العباءة؟! قال: فلما دنوا من المدينة قافلين، قال قلت: يا أبا بكر إنما صحبتك لينفعني الله بك، فانصحني وعلمني، قال: لو لم تسألني ذلك لفعلت، قال آمرك أن توحد الله ولا تشرك به شيئا، وأن تقيم الصلاة، وأن تؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج هذا البيت، وتغتسل من الجنابة، ولا تتأمر على رجل من المسلمين أبدًا. قال: قلت: يا أبا بكر، أما أنا والله فإني أرجو أن لا أشرك بالله أحدا أبدا، وأما الصلاة فلن أتركها أبدًا إن شاء الله، وأما الزكاة فإن يك لي مال أؤدها إن شاء الله، وأما رمضان فلن أتركه إن شاء الله، وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى، وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله، وأما الإمارة فإني رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله ﷺ وعند الناس إلا بها، فلم تنهاني عنها؟ قال: إنك إنما استجهدتني لأجهد لك، وسأخبرك عن ذلك: إن الله عز وجل بعث محمدًا ﷺ بهذا الدين، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها، فلما دخلوا فيه كانوا عوَّاذ الله وجيرانه، وفي ذمته فإياك لا تخفر الله في جيرانه فيتبعك الله في خفرته، فإن أحدكم يخفر في جاره، فيظل ناتئا عضله غضبًا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير، فالله أشد غضبًا

لجاره. قال: ففارقته على ذلك.

قال: فلما قبض رسول الله ﷺ، وأُمِّر أبو بكر على الناس، قال: قدمت عليه، فقلت له: يا أبا بكر، ألم تك نهيتني عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين؟ قال: بلى، وأنا الآن أنهاك عن ذلك، قال: فقلت له: فما حملك على أن تلي أمر الناس؟ قال: لا أجد من ذلك بدا، خشيت على أمة محمد ﷺ الفرقة[1].

قال ابن إسحاق: أخبرني يزيد بن أبي حبيب أنه حدث عن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنت في الغزاة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، قال: فصحبت أبا بكر وعمر، فمررت بقوم على جزور لهم قد نحروها، وهم لا يقدرون على أن يعضوها، وقال: وكنت امرءًا لبقًا جازرًا، قال: فقلت: أتعطوني منها عشيرًا على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم، قال: فأخذت الشفرتين، فجزأتها مكاني، وأخذت منها جزءًا، فحملته إلى أصحابي: فاطبخناه، فأكلناه، فقال لي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما «أنى لك هذا اللحم يا عوف؟» قال: فأخبرتهما خبره، فقالا: والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيآن ما في بطونهما من ذلك. قال: فلما قفل الناس من ذلك السفر، كنت أول قادم على رسول الله ﷺ، قال: فجئته وهو يصلي في بيته، قال فقلت: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، قال: **أعوف ابن مالك؟** قال: قلت نعم، بأبي أنت وأمي. قال: **أصاحب الجزور؟!** ولم يزدني رسول الله ﷺ على ذلك شيئًا[2].

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣٢/٣) عن ابن إسحاق وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣٩٩/٤- ٤٠٠) عن ابن إسحاق وأخرجه أيضًا البيهقي في «الدلائل» (٤/ ٣٩٧- ٣٩٨) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢١/٤- ٢٢) (٤٤٦٧).

(٢) إسناده منقطع، وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤٠٤/٤- ٤٠٥) عن ابن إسحاق، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧١/١٨) (١٣١) وذكره الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٤٠٠)، وينظر «التقريب» (٢٤٧/١).

غزوة ابن أبي حدرد بطن إضم وقتل عامر بن الأضبط الأشجعي:

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن القعقاع بن عبدالله بن أبي حدرد، عن أبيه عبد الله بن أبي حدرد، قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم في نفر من المسلمين، فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعي، ومحلم بن جثامة ابن قيس، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي، على قعود له ومعه متيع له، ووطب من لبن. قال: فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام، فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامة، فقتله لشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره، وأخذ متيعه. قال: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [1] إلى آخر الآية [2].

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: سمعت زياد بن ضميرة بن سعد السلمي يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه، عن جده، وكانا شهدا حنينا مع رسول الله ﷺ، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر، ثم عمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها وهو بحنين، فقام إليه الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، يختصمان في عامر بن أضبط الأشجعي، عيينة يطلب بدم عامر، وهو يومئذ رئيس غطفان، والأقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة، لمكانه من خندف، فتداولا الخصومة عند رسول الله ﷺ، ونحن نسمع،

---

(١) النساء: آية ٩٤.

(٢) وإسناده ضعيف، وأخرجه أحمد (٦/١١) في «تاريخه» (٣/٣٤- ٣٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/٣٠٥) كلهم من طريق ابن إسحاق به، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١١)، وذكره أيضًا السيوطي (الدر المنثور) (٢/١٩٩)، أخرجه البخاري (٩/١٣٤) ومسلم (٩/٥١٢)، وأبو داود (٤/٣٢)، والنسائي في تفسيره (١٣٦) والطبراني في الكبير (١١٧٣١).

فسمعنا عيينة بن حصن وهو يقول: والله يا رسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحرقة مثل ما أذاق نسائي، ورسول الله ﷺ يقول: **بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا**، وهو يأبى عليه، إذ قام رجل من بني ليث، يقال له: مُكيثر، قصير مجموع، فقال: والله يا رسول الله ما وجدت لهذا القتيل شبها في غرة الإسلام إلا كغنم وردت فرميت أولاها، فنفرت أخراها، اسنن اليوم، وغير غدًا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يده. فقال: «**بل تأخذون الدية خمسين في سفرنا هذا، وخمسين إذا رجعنا**». قال: فقبلوا الدية. قال: ثم قالوا: أين صاحبكم هذا، يستغفر له رسول الله ﷺ؟ قال: فقام رجل آدم ضرب طويل، عليه حلة له، قد كان تهيأ للقتل فيها، حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ، فقال له: «**ما اسمك؟**» قال: أنا محلم بن جثامة، قال: فرفع رسول الله ﷺ يده، ثم قال: «**اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة ثلاثًا**». فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه. قال: فأما نحن فنقول فيما بيننا: إنا لنرجو أن يكون رسول الله ﷺ قد استغفر له، وأما ما ظهر من رسول الله ﷺ فهذا[١].

قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري، قال: قال رسول الله ﷺ حين جلس بين يديه: «**أمنته بالله ثم قتلته؟!**» ثم قال له المقالة التي قال، قال: فوالله ما مكث محلم بن جثامة إلا سبعًا حتى مات، فلفظته الأرض -والذي نفس الحسن بيده- ثم عادوا فلفظته الأرض، ثم عادوا فلفظته فلما غلب قومه عمدوا إلى صدين فسطحوه بينهما، ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه. قال: فبلغ رسول الله ﷺ شأنه، فقال: «**والله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه، ولكن الله أراد أن يعظكم في حرم ما بينكم بما أراكم منه**»[٢].

---

(١) إسناده حسن، أخرجه أبو داود (٤/١٧١ - ١٧٢)، وابن ماجه (٢/٨٧٦، ٨٧٧) (٢٦٢٥) مختصرًا، وأحمد (٥/١١٢) والطبراني في «الكبير» (٦/٤٢) (٥٤٥٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/١١٦) وابن الأثير في (أسد الغابة) (٢/٤٤٠) كلهم من طريق ابن إسحاق.

(٢) إسناده ضعيف، وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٤/٣١٠) من طريق ابن إسحاق، =

قال ابن إسحاق: وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث: أن عيينة بن حصن وقيسًا حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم، يا معشر قيس، منعتم رسول الله ﷺ قتيلا يستصلح به الناس، أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله ﷺ، فيلعنكم الله بلعنته، أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عز وجل عليكم بغضبه؟ والله الذي نفس الأقرع بيده لتسلمنه إلى رسول الله ﷺ فليصنعن فيه ما أراد، أو لآتين بخمسين رجلا من بني تميم يشهدون بالله كلهم، لقتل صاحبكم كافرًا، ما صلى قط، فلأطلن دمه، فلما سمعوا ذلك قبلوا الدية [1].

وقال ابن إسحاق: ملجَّم، فيما حدثناه زياد عنه.

غزوة ابن أبي حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمي:

قال ابن إسحاق: وغزوة ابن أبي حدرد الأسلمي الغابة.

وكان من حديثها فيما بلغني، عمن لا أتهم وعن ابن أبي حدرد، قال: تزوجت امرأة من قومي، وأصدقتها مائتي درهم، قال: فجئت رسول الله ﷺ أستعينه على نكاحي فقال: **وكم أصدقت؟** فقلت: مائتي درهم يا رسول الله، قال: **سبحان الله، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم. والله ما عندي ما أعينك به.** قال: فلبثت أيامًا، وأقبل رجل من بني جشم، يقال له: رفاعة بن قيس، أو قيس بن رفاعة، في بطن عظيم من بني جشم، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة، يريد أن يجمع قيسًا على حرب رسول الله ﷺ وكان ذا اسم في جشم وشرف. قال: فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين معي من المسلمين، فقال: اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم. قال: وقدم لنا شارفا عجفاء فحمل عليها أحدنا، فوالله ما قامت به ضعفًا حتى دعمها الرجال من

=

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/٤٢) (٥٤٥٦) عن الحسن مرسلاً.

(١) إسناده ضعيف لإعضاله، وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٤/٣٠٨) من طريق ابن إسحاق.

خلفها بأيديهم، حتى استقلت وما كادت ثم قال: تبلغوا عليها واعتقبوها.

قال: فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف، حتى إذا جئنا قريبًا من الحاضر عشيشية مع غروب الشمس، قال: كنت في ناحية، وأمرت صاحبي، فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم، وقلت لهما: إذا سمعتماني قد كبرت وشددت في ناحية العسكر فكبرا وشدا معي. قال: فوالله إنا لكذلك ننتظر غرة القوم، أو أن نصيب منهم شيئًا. قال: وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء، وقد كان لهم راع قد سرح في هذا البلد، فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه. قال: فقام صاحبهم ذلك رفاعة بن قيس، فأخذ سيفه، فجعله في عنقه، ثم قال: والله لأتبعن أثر راعينا هذا، ولقد أصابه شر، فقال له نفر ممن معه: والله لا تذهب، نحن نكفيك، قال: والله لا يذهب إلا أنا، قالوا: فنحن معك، قال: والله لا يتبعني أحد منكم قال: وخرج حتى يمر بي. قال: فلما أمكنني نفحته بسهمي، فوضعته في فؤاده. قال: فوالله ما تكلم، ووثبت إليه، فاحتززت رأسه. قال: وشددت في ناحية العسكر، وكبرت، وشد صاحباي وكبرا. قال: فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه، عندك، عندك، بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم، وما خف معهم من أموالهم قال: واستقنا إبلا عظيمة وغنما كثيرة، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ . قال: وجئت برأسه أحمله معي. قال: فأعانني رسول الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرًا في صداقي، فجمعت إلى أهلي[1].

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل:

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي رباح، قال: سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب، عن إرسال

---

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل النبوة» (٣٠٣/٤- ٣٠٤) من طريق ابن إسحاق، وأخرجه أحمد (٤٤٨/٣) وعبد الرزاق (١٠٤٠٩) وسعيد بن منصور (٦٠٤) والطبراني في «الكبير» (٣٥٢/٢٢- ٣٥٣) (٨٨٢- ٨٨٤)، وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٢٨٥/٤).

العمامة من خلف الرجل إذا اعتم، قال: فقال عبد الله: سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم، كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجده، أبو بكر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، وأبو سعيد الخدري، وأنا مع رسول الله ﷺ، إذ أقبل فتى من الأنصار، فسلم على رسول الله ﷺ، ثم جلس، فقال: يا رسول الله، صلى الله عليك، أي المؤمنين أفضل؟ فقال: «**أحسنهم خلقا**»، قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم ذكرًا للموت، وأحسنهم استعدادًا له قبل أن ينزل بهم، أولئك الأكياس**»، ثم سكت الفتى، وأقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا نزلن بكم. وأعوذ بالله أن تدركوهن -إنه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم ما مطروا، وما نقضوا عهد الله وعهد رسول الله إلا سلط عليهم عدوًا من غيرهم، فأخذ بعض ما كان في أيديهم، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**».

ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء، فأدناه رسول الله ﷺ منه، ثم نقضها، ثم عممه بها، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوًا من ذلك، ثم قال: «**هكذا يا ابن عوف فاعتم، فإنه أحسن وأعرف**»، ثم أمر بلالاً أن يدفع إليه اللواء، فدفعه إليه، **فحمد الله تعالى وصلى على نفسه، ثم قال**: «**خذه يا ابن عوف، اغزوا جميعا في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم**»، **فأخذ عبد الرحمن بن عوف** اللواء [1].

---

(١) إسناده ضعيف، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٢٣٩)، أخرجه =

غزوة أبي عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه، عن جده عبادة بن الصامت، قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى سيف البحر، عليهم أبو عبيدة بن الجراح، وزودهم جرابا من تمر فجعل يقوتهم إياه، حتى صار إلى أن يعده عليهم عدًا قال: ثم نفد التمر حتى كان يعطي كل رجل منهم كل يوم تمرة. قال فقسمها يوما بيننا. قال: فنقصت تمرة عن رجل، فوجدنا فقدها ذلك اليوم. قال: فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر، فأصبنا من لحمها وودكها، وأقمنا عليها عشرين ليلة، حتى سمنا وابتللنا، وأخذ أميرنا ضلعا من أضلاعها، فوضعها على طريقه، ثم أمر بأجسم بعير معنا، فحمل عليه أجسم رجل منا، قال: فجلس عليه قال: فخرج من تحتها وما مست رأسه. قال: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها، وسألناه عما صنعنا في ذلك من أكلنا إياه، فقال: رزق رزقكموه الله [1].

بعث عمرو بن أمية الضمري لقتال سفيان بن حرب وما صنع في طريقه:

بعثه رسول الله ﷺ، فيما حدثني من أثق به من أهل العلم بعد مقتل خبيب بن عدي وأصحابه إلى مكة، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب، وبعث معه جبار بن صخر الأنصاري، فخرجا حتى قدما مكة، وحبسا جمليهما بشعب من شعاب يأجج، ثم دخلا مكة ليلا، فقال جبار لعمرو: لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين؟ فقال عمرو: إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم، فقال: كلا،

=

الحاكم (٤/٥٤٠-٥٤١)، وأخرجه ابن ماجه (٢/١٣٣٢ - ١٣٣٣) (٤٠١٩) من طريق ابن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٣) والطبراني في الصغير (٢/٨٧) وفي الكبير (١٢/٤١٧) (١٣٥٣٦).

(١) أخرجه البخاري (٩/٦١٥)، ومسلم (٢/١٥٣٥) ومالك (٢/٩٣٠-٩٣١) (٢٤) والطيالسي (٢/١٠٥- ١٠٦) وأحمد (٣/٣٠٩، ٣١١)، والدارمي (٢/٩١) والنسائي (٧/٢٠٧، ٢٠٨)، والبيهقي (٩/٢٥١) وابن حبان (٥٢٣٥، ٥٢٣٦، ٥٢٣٧، ٥٢٣٨ - الإحسان) والبغوي (٦/٤٢).

إن شاء الله، فقال عمرو: فطفنا بالبيت، وصلينا، ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إلي رجل من أهل مكة فعرفني، فقال عمرو ابن أمية: والله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إلى رجل من أهل مكة فعرفني، فقال عمرو ابن أمية: فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إلى رجل من أهل مكة فعرفني، فقال عمرو ابن أمية: والله إن قدمها إلا لشر. فقلت لصاحبي: النجاء، فخرجنا نشتد، حتى أصعدنا في جبل، وخرجوا في طلبنا حتى إذا علونا الجبل يئسوا منا، فرجعوا.

فدخلنا كهفًا في الجبل، فبتنا فيه، وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا، فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا له، ويخلي عليها، فغشينا ونحن في الغار. فقلت: إن رآنا صاح بنا، فأخذنا فقتلنا.

قال: ومعي خنجر قد أعددته لأبي سفيان، فأخرج إليه، فأضربه على ثديه ضربة، وصاح صيحة أسمع أهل مكة، وأرجع فأدخل مكاني، وجاءه الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا: من ضربك؟ فقال: عمرو بن أمية، وغلبه الموت فمات مكانه، ولم يدل على مكاننا، فاحتملوه. فقلت لصاحبي، لما أمسينا: النجاء، فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب بن عدي، فقال أحدهم: والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية، قال: فلما حاذى الخشبة شد عليها فأخذها فاحتملها، وخرجا شدا، وخرجوا وراءه، حتى أتى جرفا بمهبط مسيل يأجج، فرمى بالخشبة في الجرف، فغيبه الله عنهم، فلم يقدروا عليه، قال: وقلت لصاحبي: النجاء النجاء حتى تأتي بعيرك فتقعد عليه، فإني سأشغل عنك القوم، وكان الأنصاري لا رجلة له.

قال: ومضيت حتى أخرج على ضجنان، ثم أويت إلى جبل، فأدخل كهفًا، فبينا أنا فيه، إذ دخل على شيخ من بني الديل أعور، في غنيمة له. فقال: من الرجل؟ فقلت من بني بكر، فمن أنت؟ قال من بني بكر. فقلت: مرحبا، فاضطجع، ثم رفع عقيرته، فقال:

ولسـت بمسـلم مـا دمت حيًا ... ولا دان لديـن المسـلمينا

فقلت في نفسي: ستعلم، فأمهلته، حتى إذا نام أخذت قوسي، فجعلت سيتها في عينه الصحيحة، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم، ثم خرجت النجاء، حتى جئت العرج، ثم سلكت ركوبة، حتى إذا هبطت النقيع، إذا رجلان من قريش من المشركين، كانت قريش بعثتهما عينا إلى المدينة ينظران ويتجسسان، فقلت استأسرا، فأبيا، فأرمي أحدهما بسهم فأقتله، وأستأسر الآخر، فأوثقه رباطا، وقدمت به المدينة [1].

سرية زيد بن حارثة إلى مدين: قال ابن هشام: وسرية زيد بن حارثة إلى مدين ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين بن علي عليهم رضوان الله، أن رسول الله ﷺ بعث زيد بن حارثة نحو مدين، ومعه ضميرة مولى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأخ له. قالت: فأصاب سبيا من أهل ميناء، وهي السواحل، وفيها جماع من الناس، فبيعوا، ففرق بينهم، فخرج رسول الله ﷺ وهم يبكون فقال: ما لهم؟ فقيل: يا رسول الله، فرق بينهم، فقال رسول الله ﷺ: لا تبيعوهم إلا جميعا.

قال ابن هشام: أراد الأمهات والأولاد.

سرية سالم بن عمير لقتل أبي عفك:

قال ابن إسحاق: وغزوة سالم بن عمير لقتل أبي عفك. أحد بني عمرو ابن عوف ثم من بني عبيدة، وكان قد نجم نفاقه، حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن سويد بن صامت، فقال:

لقـد عشـت دهرًا وما إن أرى ... مـن النـاس دارًا ولا مجمعـا

أبـر عهـودًا وأوفى لمـن ... يعـاقد فـيهم إذا مـا دعـا

مـن أولاد قـيلة في جمعهـم ... يهـد الجبـال ولم يخضـعا

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٢٣٩ – ٢٤٠) عن ابن هشام.

فصـــدعهم راكـــب جـــاءهم حـــلال حـــرام لشـــيء معـــا
فلـــو أن بالعـــز صـــدقتهم أو الملـــك تابعـــتم تـــبعا

فقال رسول الله ﷺ: **من لي بهذا الخبيث؟** فخرج سالم بن عمير، أخو بني عمرو بن عوف، وهو أحد البكائين، فقتله، فقالت أمامة الزبرية في ذلك:

تكـــذب ديـــن الله والمـــرء أحمدا لعمـــر الذي أمناك أن بئس ما يمنى
حـــباك حنـــيف آخر الليل طعنه أبـــا عفك خذها على كبر السن

غزوة عمير بن عدي الخطمي لقتل عصماء بنت مروان: وغزوة عمير ابن عدي الخطمي عصماء بنت مروان، وهي من بني أمية بن زيد، فلما قتل أبو عفك نافقت، فذكر عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه، قال: وكانت تحت رجل من بني خطمة، ويقال له يزيد بن زيد فقالت: تعيب الإسلام وأهله:

باســـت بـــني مـــالك والنبيـــت وعـــوف وباســـت بـــني الخزرج
أطعـــتم أتـــاوي مـــن غيركـــم فـــلا مـــن مـــراد ولا مذحـــج
تـــرجونه بعـــد قـــتل الـــرءوس كمـــا يـــرتجى مـــرق المنضـــج
ألا أنـــف يبـــتغي غـــرة فـــيقطع مـــن أمـــل المـــرتجي

قال: فأجابها حسان بن ثابت، فقال:

بـــنو وائـــل وبـــنو واقـــف وخطمـــة دون بـــني الخـــزرج
مـــتى مـــا دعـــت سفهها ويحها بعولـــتها والمـــنايا تجـــي
فهـــزت فـــتى مـــاجدًا عـــرقه كـــريم المداخـــل والمخـــرج
فضـــرجها مـــن نجـــيع الدمـــا ء بعـــد الهـــدوِّ فـــلم يحـــرج

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: **ألا آخذ لي من ابنة مروان؟** فسمع ذلك من قول رسول الله ﷺ عمير بن عدي الخطمي، وهو عنده، فلما أمسى

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٥/٢٣٩ - ٢٤٠) وينظر: «سبل الهدى والرشاد» (٦/٢٣).

من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها، ثم أصبح مع رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله، إني قد قتلتها، فقال: **نصرت الله ورسوله يا عمير**، فقال: هل علي شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: **لا ينتطح فيها عنزان**.

فرجع عمير إلى قومه، وبنو خطمة يومئذ كثير موجهم في شأن بنت مروان، ولها يومئذ بنون خمسة رجال، فلما جاءهم عمير بن عدي من عند رسول الله ﷺ، قال: يا بني خطمة، أنا قتلت ابنة مروان، فكيدوني جميعا ثم لا تُنظرون. فذلك اليوم أول ما عز الإسلام في دار بني خطمة، وكان يستخفي بإسلامهم فيهم من أسلم، وكان أول من أسلم من بني خطمة عمير بن عدي، وهو الذي يدعى القارئ، وعبد الله بن أوس، وخزيمة بن ثابت، وأسلم يوم قتلت ابنة مروان، رجال من بني خطمة، لما رأوا من عز الإسلام [1].

أمر ثُمامة بن أُثال الحنفي وإسلامه: بلغني عن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه قال: خرجت خيل لرسول الله ﷺ، فأخذت رجلا من بني حنيفة، لا يشعرون من هو، حتى أتوا به رسول الله ﷺ، فقال: **أتدرون من أخذتم، هذا ثمامة بن أثال الحنفي، أحسنوا إساره** –ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: اجمعوا ما كان عندكم من طعام، فابعثوا به إليه، وأمر بلقحته أن يغدى عليه بها ويراح. فجعل لا يقع من ثمامة موقعًا ويأتيه رسول الله ﷺ فيقول: **أسلم يا ثمامة**. فيقول: إيها يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم وإن ترد الفداء فسل ما شئت، فمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم قال النبي ﷺ يوما: أطلقوا ثمامة، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع، فتطهر فأحسن طهوره، ثم أقبل فبايع النبي ﷺ على الإسلام، فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام، فلم ينل منه إلا قليلا، وبلقحته فلم يصب من حلابها إلا يسيرا فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك، **مم تعجبون؟ أمن رجل أكل أول النهار في معي كافر،**

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٥/٢٤٠) وأخرجه ابن سعد في (الطبقات الكبرى) (٢/٢٧ – ٢٨).

وأكل آخر النهار في معي مسلم! إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء، وإن المسلم يأكل في معي واحد.

سرية علقمة بن مُجِّزز: وبعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزز.

لما قتل وقاص بن مجزز المدلجي يوم ذي قرد، سأل علمة بن مجزز رسول الله ﷺ أن يبعثه في آثار القوم، ليدرك ثأره فيهم.

فذكر عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان عن أبي سعيد الخدري، قال: بعث رسول الله ﷺ علقمة بن مجزز -قال أبو سعيد الخدري: وأنا فيهم- حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق، أذن لطائفة من الجيش، واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت فيه دعابة، فلما كان ببعض الطريق أوقد نارًا، ثم قال للقوم: أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا: بلى، قال: أفما أنا آمركم بشيء إلا فعلتموه؟ قالوا: نعم، قال: فإني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلا تواثبتم في هذه النار، قال: فقام بعض القوم يحتجز، حتى ظن أنهم واثبون فيها، فقال لهم: اجلسوا، فإنما كنت أضحك معكم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ بعد أن قدموا عليه، فقال رسول الله ﷺ: **من أمركم بمعصية منهم فلا تطيعوه.**

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مجزز رجع هو وأصحابه و لم يلـق كيدا[1].

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسارًا: حدثني بعض أهل العلم، عمن حدثه، عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن عبد الرحمن، قال: أصاب رسول الله ﷺ في غزوة محارب وبني ثعلبة عبدًا يقال له يسار، فجعله رسول الله ﷺ في لقاح له كانت ترعى في ناحية الجماء، فقدم على رسول الله

---

(١) أخرجه أحمد (٦٧/٣) وابن ماجه (٩٥٥/٢- ٩٥٦)، وأبو يعلى (٥٠٢/٢) (١٣٤٩) وابن حبان (١٥٥٢ – موارد) والحاكم (٦٣٠/٣ – ٦٣١) وأخرجـه البخـاري (٤٣٤٠) وأحمد (١٢٤/١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤١٢/٤).

ﷺ نفر من قيس كبة من بجيلة، فاستوبئوا، وطحلوا، فقال لهم رسول الله ﷺ: لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها، فخرجوا إليها.

فلما صحوا وانطوت بطونهم، عدوا على راعي رسول الله ﷺ يسار، فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه، واستاقوا اللقاح. فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كرز بن جابر، فلحقهم، فأتى بهم رسول الله ﷺ مرجعه من غزوة ذي قرد، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم [١].

غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن: وغزوة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى اليمن غزاها مرتين.

وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد بن الوليد في حديثه، ولم يذكر في عدة البعوث والسرايا فينبغي أن تكون العدة في قوله تسعة وثلاثين [٢].

بعث أُسامة بن زيد إلى أرض فلسطين: قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم، ومن أرض فلسطين، فتجهز الناس، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون [٣].

ابتداء شكوى رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق: فبينا الناس على ذلك ابتدأ رسول الله ﷺ بشكواه التي قبضه الله فيها، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته، في ليال بقين من صفر، أو في

---

(١) أخرجه البخاري (٨/٢٣٠- ٢٣١) (٤١٩٢) ومسلم (٦/١٦٧- ١٦٨) النووي (١٦٧١/٩) وأبو داود (٤/١٣٠) (٣٤٦٤) والترمذي (١/١٠٦) (٧٢)، والنسائي (٧/٩٥) وابن ماجه (٢/٨٦١) (٢٥٧٨) (٢/١١٥٨) (٣٥٠٣) والطحاوي في شرح الآثار (١/١٠٧)، وأحمد في مسنده (٣/٢٠٥) كلهم من حديث أنس بنحوه.

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٥/٢٤١) ابن هشام.

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (٢٤١ – ٢٤٢) وينظر الطبقات الكبرى) لابن سعد (٢/١٨٩ – ١٩١).

أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدئ به من ذلك، فيما ذكر لي، أنه خرج إلى بقيع الغرقد، من جوف الليل، فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك [1].

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن عمر، عن عبيد بن جبير، مولى الحكم بن أبي العاص، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبي مويهبة، مولى رسول الله ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: **يا أبا مويهبة، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق معي**، فانطلقت معه، فلما وقف بين أظهرهم، قال: **السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى**، ثم أقبل علي، فقال: **يا أبا مويهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة**، قال: فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا، والخلد فيها، ثم الجنة، قال: **لا والله يا أبا مويهبة**، لقد اخترت لقاء ربي والجنة، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبضه الله فيه [2].

تمريضه في بيت عائشة: قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة، عن محمد بن مسلم الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع، فوجدني وأنا أجد

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/٣٣٨) عن ابن إسحاق به.

(٢) إسناده حسن، أخرجه أحمد (٣/٤٨٩) والدارمي (٩/٣٦، ٣٧) والحاكم (٣/٥٥ - ٥٦)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (١/٥٧، ٥٨) والطبري في «تاريخه» (٣/١٨٨)، والطبراني في الكبير (٢٢/٣٤٦، ٣٤٧) (٨٧١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٦٢)، وابن الأثير في أسد الغابة (٦/٣٠٢)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٧) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/٢٧)، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/٢٠٤).

صداعًا في رأسي، وأنا أقول: وارأساه، فقال: **بل أنا والله يا عائشة وارأساه** قالت: ثم قال: **وما ضرك لو مت قبلي، فقمت عليك وكفنتك، وصليت عليك ودفنتك؟** قالت: والله لكأني بك، لو قد فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي، فأعرست فيه ببعض نسائك. قالت: فتبسم رسول الله ﷺ، وتتام به وجعه، وهو يدور على نسائه، حتى استعز به، وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه، فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي، فأذنّ له[1].

ذكر أزواجه ﷺ

عن زياد بن عبد الله البكائي قال: قال ابن إسحاق: وكن تسعًا: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، وسودة بنت زمعة بن قيس، وزينب بنت جحش بن رئاب، وميمونة بنت الحارث بن حزن، وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وصفية بنت حيي بن أخطب، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم.

خديجة: وكان جميع من تزوج رسول الله ﷺ ثلاث عشرة: خديجة بنت خويلد، وهي أول من تزوج، زوجه إياها أبوها خويلد بن أسد أو أخوها عمرو ابن خويلد، وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة، فولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلا إبراهيم، وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم، حليف بني عبد الدار، فولدت له هند بن أبي هالة، وزينب بنت أبي هالة وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له عبد الله وجارية.

عائشة: وتزوج رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة، وهي بنت سبع سنين، وبنى بها بالمدينة، وهي بنت تسع سنين أو عشر، ولم يتزوج

---

(١) إسناده حسن، أخرجه أحمد (٦/٢٢٨)، وابن ماجه (١/٤٧٠) وابن حبان (٦٥٨٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/٣٩٦) أخرجه البخاري (٥٦٦٦) والبيهقي في «الدلائل» (٧/١٦٨).

رسول الله ﷺ بكرا غيرها، زوجه إياها أبوها أبو بكر، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم.

سودة: وتزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم.

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل.

زينب بنت جحش: وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية. زوجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، وكانت قبله عند زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ ففيها أنزل الله تبارك وتعالى ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا ﴾[1].

أم سلمة: وتزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية واسمها هند، زوجه إياها سلمة بن أبي سلمة ابنها، وأصدقها رسول الله فراشا حشوه ليف، وقدحا، وصحفة، ومجشة، وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد، واسمه عبد الله، فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية.

حفصة: وتزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب، زوجه إياها أبوها عمر بن الخطاب، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم. وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمي.

أم حبيبة: وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة، واسمها رملة بنت أبي سفيان بن حرب، زوجه إياها خالد بن سعيد بن العاص، وهما بأرض الحبشة، وأصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، وهو الذي كان خطبها على رسول الله ﷺ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدي.

جويرية بنت الحارث: وتزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث بن أبي

---

(١) الأحزاب: آية (٣٧).

ضرار الخزاعية، كانت في سبايا بني المصطلق من خزاعة، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس الأنصاري، فكاتبها على نفسها، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، فقال لها: «**هل لك في خير من ذلك؟**» قالت: وما هو؟ قال: **أقضي عنك كتابتك وأتزوجك؟** فقالت: نعم، فتزوجها.

صفية بنت حيي: وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب سباها من خيبر، فاصطفاها لنفسه، وأولم رسول الله ﷺ وليمة، ما فيها شحم ولا لحم، كان سويقا وتمرا، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق.

ميمونة بنت الحارث: وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بحير بن هزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، زوجه إياها العباس بن عبد المطلب، وأصدقها العباس عن رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، وكانت قبله عند أبي عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي، ويقال: إنها التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وذلك أن خطبة النبي ﷺ انتهت إليها وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله؛ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [1].

ويقال: إن التي وهبت نفسها للنبي ﷺ زينب بنت جحش، ويقال أم شُريك، غزية بنت جابر بن وهب من بني منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر ابن لؤى، ويقال: بل هي امرأة من بني سلمة بن لؤي، فأرجأها رسول الله ﷺ.

زينب بنت خُزيمة: وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت تُسمى أم المساكين لرحمتها إياهم، ورقتها عليهم، زوجه إياها قبيصة بن عمرو الهلالي، وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو

---

(١) سورة الأحزاب: آية (٥٠).

ابن الحارث وهو ابن عمها.

فهؤلاء اللاتي بنى بهن رسول الله ﷺ إحدى عشرة، فمات قبله منهن ثنتان خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة، وتوفي عن تسع قد ذكرتهنّ في أول هذا الحديث وثنتان لم يدخل بهما؛ أسماء بنت النعمان الكندية تزوجها فوجد بها بياضًا فمتعها وردها إلى أهلها، وعمرة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثة عهد بكفر، فلما قدمت على رسول الله ﷺ، استعاذت من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **منيع عائذ الله**، فردها إلى أهلها، ويقال: إن التي استعاذت من رسول الله ﷺ كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان، ويقال: إن رسول الله ﷺ دعاها، فقالت: إنا قوم نؤتى ولا نأتي، فردها رسول الله ﷺ إلى أهلها [(١)].

القرشيات منهن: القرشيات من أزواج النبي ﷺ ست: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب ابن لؤي، وأم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وأم سلمة بنت أبي المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وسودة بنت زمعة ابن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي.

العربيات وغيرهن: والعربيات وغيرهن سبع: زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، وميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١٠/٤٤٧) كتاب الطلاق (٥٢٥٤).

خصفة بن قيس بن عيلان، وزينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو ابن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية، وجويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار الخزاعية، ثم المصطلقية، وأسماء بنت النعمان الكندية، وعمرة بنت يزيد الكلابية.

ومن غير العربيات: صفية بنت حيي بن أخطب، من بني النضير.

تمريض رسول الله في بيت عائشة

قال ابن إسحاق: حدثني يعقوب بن عتبة، عن محمد بن مسلم الزهري، عن عبيد الله بن عتبة، عن عائشة زوج النبي ﷺ، قالت: فخرج رسول الله ﷺ يمشي بين رجلين من أهله: أحدهما الفضل بن العباس، ورجل آخر، عاصبًا رأسه، تخط قدماه حتى دخل بيتي.

قال عبيد: فحدث هذا الحديث عبد الله بن العباس، فقال: هل تدري من الرجل الآخر؟ قال: قلت: لا. قال: علي بن أبي طالب.

اشتداد المرض: ثم غمر رسول الله ﷺ، واشتد به وجعه، فقال: **هريقوا علي سبع قرب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم**، قالت: فأقعدناه في مخضب لحفصة بنت عمر، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول: حسبكم حسبكم[1].

خُطبة للنبي وتفضيله أبا بكر: **قال ابن إسحاق**: وقال الزهري:. حدثني أيوب بن بشير: أن رسول الله ﷺ خرج عاصبًا رأسه حتى جلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أُحد، واستغفر لهم، فأكثر الصلاة عليهم، ثم قال: **إن عبدًا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله**، قال: ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يريد، فبكى وقال: بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا، فقال: **على رسلك يا أبا بكر**، ثم قال: **انظروا هذه الأبواب اللافظة في المسجد، فسدوها إلا بيت أبي بكر فإني لا أعلم**

---

(١) تقدم تخريجه.

أحدًا كان أفضل في الصحبة عندي يدًا منه (١).

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله، عن بعض آل أبي سعيد ابن المعلى أن رسول الله ﷺ قال يومئذ في كلامه هذا: **فإني لو كنت متخذًا من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده** (٢).

أمره بإنفاذ بعث أسامة: وقال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء، أن رسول الله ﷺ استبطأ الناس في بعث أسامة بن زيد، وهو في وجعه، فخرج عاصبًا رأسه حتى جلس على المنبر، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة: أمر غلامًا حدثًا على جلة المهاجرين والأنصار.

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال: **أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة، فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله، وإنه لخليق للإمارة، وإن كان أبوه لخليقا لها.**

قال: ثم نزل رسول الله ﷺ، وانكمش الناس في جهازهم، واستعز برسول الله ﷺ وجعه، فخرج أسامة، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجرف، من المدينة على فرسخ، فضرب به عسكره، وتتام إليه الناس، وثقل رسول الله ﷺ، فأقام أسامة والناس، لينظروا ما الله قاض في رسول الله ﷺ (٣).

وصايته بالأنصار: وقال ابن إسحاق: قال الزهري: وحدثني عبد الله بن

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٩٠ - ١٩١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/١٧٧) كلاهما عن ابن إسحاق، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/٣٤٢).

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الترمذي (٥/٦٠٧ - ٧٠٧) كتاب المناقب (٣٦٥٩) وأحمد (٣/٤٧٨).

(٣) إسناده ضعيف، أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/٢٤٨) عن عروة مرسلاً.

كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ: **يا معشر المهاجرين، استوصوا بالأنصار خيرا، فإن الناس يزيدون، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد، وإنهم كانوا عيبتي التي أويت إليها فأحسنوا إلى محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم.**

قال عبد الله: ثم نزل رسول الله ﷺ، فدخل بيته، وتتام به وجعه، حتى غمر[1].

اللدود: قال عبد الله: فاجتمع إليه نساء من نسائه: أم سلمة، وميمونة، ونساء من نساء المسلمين، منهن أسماء بنت عميس، وعنده العباس عمه، فأجمعوا أن يلدوه، وقال العباس لألدنه، قال: فلدوه، فلما أفاق رسول الله ﷺ، قال: **من صنع هذا بي؟** قالوا: يا رسول الله، عمك، قال: **هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض، وأشار نحو أرض الحبشة، قال: ولم فعلتم ذلك؟** فقال عمه العباس: خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب، فقال: **إن ذلك لداء ما كان عز وجل ليقذفني به، لا يبق في البيت أحد إلا لد إلا عمي، فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة، لقسم رسول الله ﷺ عقوبة لهم بما صنعوا به**[2].

دعاؤه لأسامة بالإشارة: قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن عبيد بن السباق، عن محمد بن أسامة، عن أبيه بن زيد، قال: لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة، فدخلت على رسول الله ﷺ، وقد أصمت فلا يتكلم فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها علي، فأعرف أنه يدعو لي[3].

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد (٣/٥٠٠) من طريق شعيب عن الزهري عن ابن كعب به، وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٩٩١٧) ومن طريقه الطبراني في «الكبير» (٧٩/١٩) (١٥٩)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٤٠/١)، أخرجه الحاكم (٧٨/٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٥/٨ - ٤٩٦) كتاب المغازي (٤٤٥٨) ومسلم (١٧٣٣/٤) كتاب السلام (٢٢١٣/٨٥).

(٣) إسناده حسن، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (١٩٦/٣) من طريق ابن إسحاق، =

قال ابن إسحاق: وقال ابن شهاب الزهري: حدثني عبيد بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما أسمعه يقول: **إن الله لم يقبض نبيًا حتى يخيره**، قال: فلما حضر رسول الله كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول: **بل الرفيق الأعلى من الجنة**، قالت: فقلت: إذًا والله لا يختارنا، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا: **إن نبيًا لم يقبض حتى يخير**[1].

أبو بكر يُصلي بالناس: قال الزهري: وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر أن عائشة قالت: لما استعز برسول الله ﷺ قال: **مُروا أبا بكر فليصل بالناس.** قالت: قلت: يا نبي الله، إن أبا بكر رجل رقيق، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن، قال: مروه فليصل بالناس. قالت: فعدت بمثل قولي، فقال: **إنكن صواحب يوسف، فمروه فليصل بالناس**، قالت: فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر، وعرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقامه أبدًا، وأن الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر [2].

قال ابن إسحاق: وقال ابن شهاب: حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، قال: لما استعز برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين، قال: دعاه بلال إلى الصلاة، فقال: **مروا من يصلي بالناس** قال: فخرجت فإذا

=

ينظر: التقريب (٢/١٤٣).

(١) إسناده ضعيف، وأخرجه أحمد (٦/٢٧٤) والطبري في «تاريخه» (٣/١٩٩)، وأخرجه البخاري (٨/٤٨٢) كتاب المغازي (٤٤٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢/٢٣٩) كتاب الأذان (٧١٣) ومسلم (١/٣١١) كتاب الصلاة (٩٠/٤١٨) ومالك (١/ ١٧٠ – ١٧١) (٨٣) والترمذي (٥/٥٧٣) كتاب المناقب (٣٦٧٢) والنسائي (٢/٩٩) وابن ماجه (١/٣٨٩)، وأحمد (٦/٩٦، ١٥٩، ٢٣١، ٢٧٠) والبيهقي (٣/٨٢)، والدارمي (١/٣٩).

عمر في الناس وكان أبو بكر غائبا، فقلت: قم يا عمر فصل بالناس قال: فقام: فلما كبر، سمع رسول الله ﷺ صوته، وكان عمر رجلا مجهرا، قال: فقال رسول الله ﷺ: **فأين أبو بكر، يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون.** قال: فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس قال: قال عبد الله بن زمعة، قال لي عمر: ويحك، ماذا صنعت بي يا بن زمعة، والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس، قال: قلت: والله ما أمرني رسول الله ﷺ بذلك ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس(١).

اليوم الذي قبض الله فيه الرسول ﷺ

قال ابن إسحاق: وقال الزهري: حدثني أنس بن مالك، أنه لما كان يوم الإثنين الذي قبض الله فيه رسول الله ﷺ خرج إلى الناس، وهم يصلون الصبح، فرفع الستر، وفتح الباب، فخرج رسول الله ﷺ، فقام على باب عائشة، فكاد المسلمون يفتتنون في صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فرحا به، وتفرجوا، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم، قال: فتبسم رسول الله ﷺ سرورا لما رأى من هيئتهم في صلاتهم، وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منه تلك الساعة قال: ثم رجع وانصرف الناس وهو يرون أن رسول الله ﷺ قد أفرق من وجعه فرجع أبو بكر إلى أهله بالسنح(٢).

---

(١) إسناده حسن، أخرجه أبو داود (٤/٢١٥)، وأحمد (٤/٣٢٢) والحاكم (٣/٦٤٠ - ٦٤١) كلهم من طريق ابن إسحاق.

(٢) أخرجه البخاري (٢/٣٨٨) كتاب الأذان (٦٨٠ - ٦٨١) أطرافه في (٧٥٤، ١٢٠٥، ٤٤٤٨)، وأخرجه مسلم (٢/٣٠٩) الأبي والنسائي (٤/٧)، والترمذي في «الشمائل» (٣٨٦) وأبو عوانة (٢/١١٨) وأحمد (٣/١١٠) والحميدي في «مسنده» (١١٨٨) وأبو يعلى (٣٥٤٨، ٣٥٩٦) والطبري في «تاريخه» (٣/١٩٨) والبيهقي في «الدلائل» (٧/١٩٤) وفي السنن (٣/٧٥) كلهم من طريق الزهري عن أنس به.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن القاسم بن محمد أن رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة: **أين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون**، فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته لم يشك المسلمون أن رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر، ولكنه قال عند وفاته: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير مني، فعرف الناس أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحدًا، وكان عمر غير متهم على أبي بكر(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مليكة، قال: لما كان يوم الإثنين خرج رسول الله ﷺ عاصبًا رأسه إلى الصبح وأبو بكر يصلي بالناس، فلما خرج رسول الله ﷺ تفرج الناس، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ، فنكص عن مصلاه، فدفع رسول الله ﷺ في ظهره، وقال: **صل بالناس**، وجلس رسول الله ﷺ إلى جنبه، فصلى قاعدًا عن يمين أبي بكر، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس، فكلمهم رافعًا صوته، حتى خرج صوته من باب المسجد، يقول: أيها الناس: **سعرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإني والله ما تمسكون علي بشيء، إني لم أحل إلا ما أحل القرآن، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن.**

قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه، قال له أبو بكر: يا نبي الله إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب، واليوم يوم بنت خارجة، أفآتيها؟ قال: نعم، ثم دخل رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح(٢).

شأن علي والعباس قبل وفاته: قال ابن إسحاق: قال الزهري: وحدثني عبد الله بن كعب بن مالك، عن عبد الله بن عباس، قال: خرج يومئذ علي بن

---

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/١٩٨- ١٩٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/٢٠١) كلاهما من طريق ابن إسحاق به. أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/٢٥٦) من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عمير مرسلاً.

أبي طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله ﷺ، فقال له الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال: أصبح بحمد الله بارئا، قال: فأخذ العباس بيده، ثم قال: يا علي، أنت والله عبد العصا بعد ثلاث، أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله، كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه، وإن كان في غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس، قال: فقال له علي: إني والله لا أفعل، والله لئن مُنعناه لا يؤتيناه أحد بعده.

فتوفي رسول الله ﷺ حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم [(١)].

سواك الرسول قبل وفاته: قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة، عن الزهري عن عروة، عن عائشة، قال: قالت: رجع إليَّ رسول الله ﷺ في ذلك اليوم حين دخل من المسجد، فاضطجع في حجري، فدخل علي رجل من آل بكر، وفي يده سواك أخضر، قالت: فنظر رسول الله ﷺ إليه في يده نظرًا عرفت أنه يريده قالت: فقلت: يا رسول الله، أتحب أن أعطيك هذا السواك؟ قال: **نعم**، قالت: فأخذته فمضغته له حتى لينته، ثم أعطيته إياه، قالت: فاستن به كأشد ما رأيته يستن بسواك قط، ثم وضعه، ووجدت رسول الله ﷺ يثقل في حجري، فذهبت أنظر في وجهه، فإذا بصره قد شخص، وهو يقول: **بل الرفيق الأعلى من الجنة**، قالت: فقلت: خُيرت فاخترت والذي بعثك بالحق. قالت: وقُبض رسول الله ﷺ [(٢)].

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/٢٢٤) من طريق ابن إسحاق، أخرجه البخاري (٨/٤٨٩-٤٩٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/٢٢٤- ٢٢٥) من طريق الزهري.

(٢) إسناده حسن، أخرجه البخاري (١/٣٧٧) وأحمد (٦/٢٠٠، ٢٧٤) وابن بشكوال في «الغوامض» (١/٤٥٨) كلهم عن طريق عروة عن عائشة، وأخرجه البخاري (٨/ ٤٨٤)، وأخرجه أحمد (٦/٤٨) من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة.

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: سمعت عائشة تقول: مات رسول الله ﷺ بين سحري ونحري وفي دولتي، لم أظلم فيه أحدا فمن سفهي وحداثة سني أن رسول الله ﷺ قبض وهو في حجري، ثم وضعت رأسه على وسادة، وقمت ألتدم مع النساء، وأضرب وجهي(١).

مقالة عمر بعد وفاته: قال ابن إسحاق: قال الزهري، وحدثني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب، فقال: إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإن رسول الله ﷺ ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل مات، ووالله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات.

شأن أبي بكر بعد وفاته: قال: وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر، وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة، ورسول الله ﷺ مسجى في ناحية البيت، عليه برد حبرة، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ، قال: ثم أقبل عليه فقبله، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما المؤتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا. قال: ثم رد البرد على رسول الله ﷺ، ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال: على رسلك يا عمر، أنصت، فأبى إلا أن يتكلم، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال: ثم تلا هذه الآية ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

---

(١) إسناده حسن، وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/٢١٣) من طريق ابن إسحاق.

خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ (١).

قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ، قال: وأخذها الناس عن أبي بكر، فإنما هي في أفواههم، وقال أبو هريرة: قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي، وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات (٢).

أمر سقيفة بني ساعدة

قال ابن إسحاق: ولما قُبض رسول الله ﷺ انحاز هذا الحي من الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، واعتزل علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله في بيت فاطمة، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبي بكر، وانحاز معهم أسيد بن حضير، في بني عبد الأشهل، فأتى آت إلى أبي بكر وعمر، فقال: إن هذا الحي من الأنصار مع سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، قد انحازوا إليه، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرهم، ورسول الله ﷺ في بيته لم يفرغ من أمره، قد أغلق دونه الباب أهله، قال عمر: فقلت لأبي بكر، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، حتى ننظر ما هـم عليه(٣).

قال ابن إسحاق: وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار، أن عبد الله بن أبي بكر، حدثني عن ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبدالله ابن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، قال: أخبرني عبد الرحمن بن عوف، قال: وكنت في مترله بمنى أنتظره، وهو عند عمر في آخر حجة حجها عمر، قال: فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر، فوجدني في مترله بمنى أنتظره،

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣/٤٤٨- ٤٤٩)، وأحمد (٦/٢٠) والطبري في «تاريخه» (٣/ ٢٠٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/٢١٤، ٢١٦).

(٣) ينظر الحديث القادم.

وكنت أقرئه القرآن، قال ابن عباس: فقال لي عبد الرحمن بن عوف: لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان يقول: والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا، والله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت، قال: فغضب عمر، فقال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم، قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغائهم، وإنهم هم الذين يغلبون على قربك، حين تقوم في الناس، وإني أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كل مطير، ولا يعوها ولا يضعوها على موضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة، وتخلص بأهل الثقة، وأشراف الناس فتقول ما قلت بالمدينة متمكنا، فيعي أهل الفقه مقالتك، ويضعوها على مواضعها، قال: فقال عمر: أما والله إن شاء الله لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.

عُمر يذكر البيعة لأبي بكر: قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زالت الشمس، فأجد سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل جالسًا إلى ركن المنبر، فجلست حذوه تمس ركبتي ركبته، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب، فلما رأيته مقبلا، قلت لسعيد بن زيد: ليقولن العشية على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف، قال: فأنكر على سعيد بن زيد ذلك، وقال: ما عسى أن يقول مما لم يقل قبله، فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون، قام فأثنى على الله بما هو أهل له، ثم قال:

أما بعد:

فإني قائل لكم اليوم مقالة قد قدر لي أن أقولها، ولا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها، ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي أن لا يعيها فلا يحل لأحد أن يكذب علي؛ إن الله بعث محمدًا، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها، وعلمناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان يقول قائل: والله ما

نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنا إذا أحصن من الرجال والنساء. وإذا قامت البينة، أو كان الحبل أو الاعتراف، ثم إنا قد كنا نقرأ من كتاب الله. «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم ألا إن رسول الله ﷺ قال: **لا تطروني كما أطرى عيسى ابن مريم، وقولوا: عبد الله ورسوله،** ثم إنه قد بلغني أن فلانا قال: والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا، فلا يغرن امرءًا أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، فمن بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين، فإنه لا بيعة له هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا، إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ، أن الأنصار خالفونا، فاجتمعوا بأشرافهم في سقيفة بني ساعدة، وتخلف عنا علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومن تبعهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم، وقال: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، قالا: فلا عليكم ألا تقربوهم يا معشر المهاجرين، اقضوا أمركم. قال: قلت: والله لنأتينهم. فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت: من هذا؟ فقالوا: سعد بن عبادة، فقلت: ماله؟ فقالوا: وجع. فلما جلسنا تشهد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو له أهل، ثم قال:

أما بعد.

فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا، وقد دفت دافة من قومكم. قال: وإذا هم يريدون أن يجتازونا من أصلنا، ويغصبونا الأمر، فلما سكت أردت أن أتكلم، وقد زورت في نفسي مقالة قد أعجبتني، أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، فقال أبو بكر: على

رسلك يا عمر، فكرهت أن أغضبه فتكلم، وهو كان أعلم مني وأوقر، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري إلا قالها في بديهته، أو مثلها أو أفضل، حتى سكت، قال: أما ما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم، وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، ولم أكره شيئًا مما قاله غيرها، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك إلى إثم، أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر.

قال قائل من الأنصار، أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. قال: فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتى تخوفت الاختلاف فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده، فبايعته، ثم بايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة. قال فقلت: قتل الله سعد بن عبادة [(١)].

قال ابن إسحاق: قال الزهري: أخبرني عروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة، والآخر معن ابن عدي، أخو بني العجلان فأما عويم بن ساعدة، فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله ﷺ من الذين قال الله عز وجل لهم: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [(٢)] فقال رسول الله ﷺ: **نعم المرء منهم عويم بن ساعدة**، وأما معن بن عدي فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله ﷺ حين توفاه الله عز وجل، وقالوا: والله لوددنا أنا متنا قبله إنا نخشى أن نفتتن بعده. قال معن بن عدي: لكني والله ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتًا كما صدقته حيًا، فقتل معن يوم اليمامة شهيدًا في خلافة أبي بكر، يوم مسيلمة الكذاب[(٣)].

(١) أخرجها البخاري (١٤/١٠٩ - ١١١) كتاب الحدود (٦٨٣٠) وأحمد (١/٥٥ - ٥٦) والطبري في «تاريخه» (٣/٢٠٣ - ٢٠٦) كلهم من طريق الزهري به.
(٢) سورة التوبة: آية (١٠٨).
(٣) من طريق ابن إسحاق، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٢٧٩).

خُطبة عمر بعد البيعة لأبي بكر:

قال ابن إسحاق: وحدثني الزهري، قال: حدثني أنس بن مالك، قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر، فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إني كنت قلت لكم أمس مقالة ما كانت مما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهدًا عهد إلي رسول الله ﷺ ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا، يقول: يكون آخرنا وإن لله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسول الله ﷺ ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ ، وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة، بعد بيعة السقيفة.

خُطبة أبي بكر بعد البيعة: فتكلم أبو بكر، فحمد الله، وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال:

أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله [(١)].

قال ابن إسحاق: وحدثني حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: والله إني لأمشي مع عمر في خلافته وهو عامدٌ إلى حاجة له، وفي

(١) إسناده حسن، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/٢١٠) من طريق ابن إسحاق، وذكره الحافظ في «البداية والنهاية» (٥/٢٦٨ - ٢٦٩) من طريق ابن إسحاق أيضًا، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/١٨٢، ٢١٢).

يده الدرة، وما معه غيري، قال وهو يحدث نفسه، ويضرب وحشي قدمه بدرته، قال: إذ التفت إلي، فقال: يا ابن عباس هل تدري ما كان حملني على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله ﷺ؟ قال: قلت لا أدري يا أمير المؤمنين، أنت أعلم، قال فإنه والله، إن كان الذي حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [1] فوالله، إن كنت لأظن أن رسول الله ﷺ سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها، فإنه للذي حملني على أن قلت ما قلت[2].

جهاز رسول الله ﷺ ودفنه

من تولى غُسله: قال ابن إسحاق: فلما بويع أبو بكر ﷺ، أقبل الناس على جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، فحدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا: أن علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، وقُثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله ﷺ وأهل بدر، قال: ادخل، فدخل فجلس، وحضر غسل رسول الله ﷺ، هم الذين ولوا غسله، وأن أوس بن خولى، أحد بني عوف بن الخزرج، قال لعلي بن أبي طالب: أنشدك الله يا علي وحظنا من رسول الله ﷺ، وكان أوس من أصحاب رسول الله ﷺ، وأهل بدر، قال: ادخل، فدخل فجلس، وحضر غسل رسول الله ﷺ، فأسنده علي بن أبي طالب إلى صدره، وكان العباس والفضل وقسم يقلبونه معه، وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه، هما اللذان يصبان الماء عليه، وعلي يغسله، قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصه يدلكه به

---

(١) سورة البقرة: آية (١٤٣).

(٢) إسناده ضعيف، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/٢١٠) من طريق ابن إسحاق به، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٢٦٨ - ٢٦٩)، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/١٨٢، ١٢١٢).

من ورائه، لا يفضي بيده إلى رسول الله ﷺ وعلي يقول: بأبي أنت وأمي، ما أطيبك حيا وميتا. ولم ير من رسول الله ﷺ شيء مما يُرى من الميت.

كيفية غُسله: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عائشة قالت: لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه، فقالوا: والله ما ندري أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أو نغسله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم، حتى ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن غسلوا النبي وعليه ثيابه، قالت: فقاموا إلى رسول الله ﷺ، فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، ويدلكونه والقميص دون أيديهم [1].

تكفينه: قال ابن إسحاق: فلما فرغ من غسل رسول الله ﷺ كُفن في ثلاثة أثواب، ثوبين صحاريين، وبُرد حبرة، أُدرج فيها إدراجا، كما حدثني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين، والزهري، عن علي بن الحسين [2].

القبر: قال ابن إسحاق: وحدثني حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ ، وكان أبو عبيدة بن الجراح

---

(١) إسناده حسن، أخرجه أبو داود (٣/١٩٦، ١٩٧) وأحمد (٦/٢٦٧) والطبري في «تاريخه» (٣/٢١٢) والبيهقي في «الدلائل» (٧/٢٤٢) كلهم من طريق ابن إسحاق، وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/٢٤٣) وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/٢٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣/١٣٥) ومسلم (٢/٦٤٩) وأبو داود (٣/٥٠٦)، والترمذي (٢/٢٣٣)، والنسائي (٣٥٤) وابن ماجه (١/٤٧٢) ومالك (١/٢٢٣) وأحمد (٦/٤٠، ٩٣، ١١٨، ١٢٣، ١٣٢، ١٦٥، ١٩٢) والبيهقي (٣/٣٩٩) والطيالسي (١٤٥٣) وعبد الرزاق (٣/٤٢١ – ٤٢٢) (١/٦١١) وأبو يعلى (٧/٣٦٧، ٣٦٨) (٤٤٠٢) وابن حبان (٣٠٣٢ – الإحسان) والبغوي في (شرح السنة) (٣/٢٢٥) وابن حزم في «المحلى» (٥/١١٨) من حديث عائشة.

يضرح كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهيل هو الذي يحفر لأهل المدينة، يلحد، فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح، وللآخر اذهب إلى أبي طلحة، اللهم خر لرسول الله ﷺ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ.

الصلاة عليه ودفنه: فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء، وضع في سريره في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه. فقال قائل: ندفنه في مسجده وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض» فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه، فحفر له تحته، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يصلون عليه أرسالا، دخل الرجال، حتى إذا فرغوا ادخل النساء، حتى إذا فرغ النساء ادخل الصبيان، ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد.

ثم دفن رسول الله ﷺ من وسط الليل ليلة الأربعاء [(١)].

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن امرأته فاطمة بنت عمارة، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، عن عائشة رضي الله عنها: جوف الليل من ليلة الأربعاء [(٢)].

من تولى دفنه: وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ: علي بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ.

وقد قال أوس بن خولي لعلي بن أبي طالب: يا علي، أنشدك الله، وحظنا

---

(١) إسناده حسن، وأخرجه ابن ماجه (١/٥٢٠- ٥٢١) وأحمد (١/٢٦٠) وأبو يعلى (١/٣١- ٣٢) (٢٢، ٢٣) والبيهقي في «الدلائل» (٧/٢٦٠) كلهم من طريق ابن إسحاق.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/٢١٣) والبيهقي (٧/٢٥٦) كلاهما من طريق ابن إسحاق، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية (٥/٢٩١) عن ابن إسحاق وأخرجه أحمد (٦/١١٠) من طريق ابن إسحاق أيضًا.

من رسول الله ﷺ، فقال له: انزل، فنزل مع القوم[1] وقد كان مولاه شقران حين وضع رسول الله ﷺ، في حفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة، وقد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها، فدفنها في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك أبدا[2].

قال: فدفنت مع رسول الله ﷺ.

أحدث الناس عهدا به: وقد كان المغيرة بن شعبة يدعي أنه أحدث الناس عهدا برسول الله يقول: أخذت خاتمي، فألقيته في القبر، وقلت: إن خاتمي سقط مني، وإنما طرحته عمدا لأمس رسول الله ﷺ، فأكون أحدث الناس عهـــدا به ﷺ[3].

قال ابن إسحاق: فحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن مولاه عبد الله بن الحارث، قال: اعتمرت مع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أو زمان عثمان، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب، فلما فرغ من عمرته رجع فسكب له غسل، فاغتسل، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق، فقالوا: يا أبا الحسن، جئنا نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه؟ قال: أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهدا برسول الله ﷺ قالوا: أجل: عن ذلك جئنا نسألك، قال: كذب، قال: أحدث الناس عهدا برســـول الله ﷺ قثـــم بن عباس[4].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/٢١٣- ٢١٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/٢٥٧) كلاهما ابن إسحاق، وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٢٩٠، ٢٩١) وفي «أسد الغابة» (١/١٤٤).

(٤) وأخرجه أحمد (١/١٠١) والطبري في «تاريخه» (٣/٢١٤) والبيهقي في «الدلائل» (٧/٢٥٧) عن ابن إسحاق وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/٢٩١) =

خميصة الرسول السوداء:

قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كيسان، عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عائشة حدثته، قالت: كان على رسول الله ﷺ خميصة سوداء حين اشتد به وجعه، قالت: فهو يضعها مرة على وجهه، ومرة يكشفها عنه، ويقول: قاتل الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر من ذلك على أمته.

قال ابن إسحاق: وحدثني صالح بن كيسان، عن الزهري، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة، عن عائشة، قالت: كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يترك بجزيرة العرب دينان»[(١)].

افتنان المسلمين بعد موته: قال ابن إسحاق: ولما توفي رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين، فكانت عائشة، فيما بلغني، تقول لما توفي رسول الله ﷺ ارتد العرب، واشرأبت اليهودية والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم ﷺ، حتى جمعهم الله على أبي بكر.

فهذا المقام الذي أراد رسول الله ﷺ في قوله لعمر بن الخطاب: إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه.

حسان بن ثابت يرثي الرسول: وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ:

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

ولا تمتحى الآيات من دار حرمة ... بها منبر الهادي الذي كان يصعد

وواضح آثار وباقي معالم ... وربع له فيه مصلى ومسجد

=

عن ابن إسحاق.

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٦، ٤٥٣ - ٤٥٤، ٥١٨) والبخاري (١/٦٣٤) ومسلم (٣/١٥ - نووي) (٥٣٠) وأبو داود (٢/٢٣٥) (٣٢٢٧)، والنسائي (٩٤/٩٥، ٩٦) والبيهقي (٤/٨٠) ومالك (٣٢١)، وابن حبان (٦/٩٥) (٢٣٢٦)، وأبو يعلى في مسنده (٥٨٤٤).

بها حجرات كان ينزل وسطها … من الله نور يستضاء ويوقد

معارف لم تطمس على العهد آيها … أتاها البلى فالآي منها تجدد

عرفت بها رسم الرسول وعهده … وقبرًا بها واراه في الترب ملحد

ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت … عيون ومثلاها من الجفن تسعد

يذكرن آلاء الرسول وما أرى … لها محصيا نفسي فنفسي تبلد

مفجعة قد شفها فقد أحمد … فظلت لآلاء الرسول تعدد

وما بلغت من كل أمر عشيرة … ولكن لنفسي بعد ما قد توجد

أطالت وقوفا تذرف العين جهدها … على طلل القبر الذي فيه أحمد

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت … بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

وبورك لحد منك ضمن طيبا … عليه بناء من صفيح منضد

تهيل عليه الترب أيد وأعين … عليه وقد غارت بذلك أسعد

لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة … عشية علوه الثرى لا يوسد

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم … وقد وهنت منهم ظهور وأعضد

يبكون من تبكي السموات يومه … ومن قد بكته الأرض فالناس

وهل عدلت يوما رزية هالك … رزية يوم مات فيه محمد؟!

تقطع فيه منزل الوحي عنهم … وقد كان ذا نور يغور وينجد

يدل على الرحمن من يقتدي به … وينقذ من هول الخزايا ويرشد

إمام لهم يهديهم الحق جاهدًا … معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا

عفو عن الزلات يقبل عذرهم … وإن يحسنوا فالله بالخير أجود

وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله … فمن عنده تيسير ما يتشدد

فبينا هم في نعمة الله بينهم … دليل به نهج الطريقة يقصد

عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى … حريص على أن يستقيموا

عطوف عليهم لا يثنى جناحه ... إلى كنف يحنو عليهم ويمهد
فبينا هم في ذلك النور إذ غدا ... إلى نورهم سهم من الموت مقصد
فأصبح محمودًا إلى الله راجعًا ... يبكيه حتى المرسلات ويحمد
وأمست بلاد الحرم وحشًا بقاعها ... لغيبة ما كانت من الوحي تعهد
قفارًا سوى معمورة اللحد ضافها ... فقيد يبكينه بلاط وغرقد
ومسجده فالموحشات لفقده ... خلاء له فيه مقام ومقعد
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت ... ديار وعرصات وربع مولد
فبكي رسول الله يا عين عبرة ... ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
ومالك لا تبكين ذا النعمة التي ... على الناس منها سابغ يتغمد
فجودي عليه بالدموع وأعولي ... لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد ... ولا مثله حتى القيامة يُفقد
أعف وأوفى ذمة بعد ذمة ... وأقرب منه نائلاً لا يُنكد
وأبذل منه للطريف وتالد ... إذا ضن عطاء بما كان يتلد
وأكرم صيتا في البيوت إذا انتمى ... وأكرم جدا أبطحيا يسود
وأمنع ذروات وأثبت في العلا ... دعائم عن شاهقات تشيد
وأنبت فرع في الفروع ومنبتا ... وعودا غذاه المزن فالعود أغيد
رباه وليدًا فاستتم تمامه ... على أكرم الخيرات رب ممجد
تناهت وصاة المسلمين بكفه ... فلا العلم محبوس ولا الرأي يفند
أقول ولا يلقى لقولي عائب ... من الناس إلا عازب العقل مبعد
وليس هواي نازعا من ثنائه ... لعلي به في جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره ... وفي نيل ذاك اليوم أسعى

(١) ينظر: (البداية والنهاية) (٥/٣٠١ – ٣٠٣).

وقال حسان بن ثابت أيضًا: يبكي رسول الله ﷺ :

مـــا بـــال عيـــنك لا تـــنام كأنما ... كُحلـــت مآقـــيها بكحل الأرمد

جـــزعا عـــلى المهدي أصبح ثاويا ... يـــا خير من وطئ الحصى لا تبعد

وجهـــي يقـــيك الترب لهفي ليتني ... غيبـــت قـــبلك في بقـــيع الغرقد

بـــأبي وأمـــي مـــن شهدت وفاته ... في يـــوم الاثـــنين الـــنبي المهتدي

فظللـــت بعـــد وفاتـــه متـــبلدا ... مـــتلددا يـــا ليـــتني لم أُولـــد

أأقـــيم بعـــدك بالمديـــنة بيـــنهم ... يـــا ليـــتني صـــبحت سم الأسود

أو حـــل أمـــر الله فيـــنا عـــاجلا ... في روحـــة مـــن يومنا أو من غد

فـــتقوم ســـاعتنا فـــنلقى طيـــبًا ... محضـــا ضـــرائبه كـــريم المحـــتد

يـــا بكـــر آمـــنة المـــبارك بكرها ... ولدتـــه محصـــنة بســـعد الأسعد

نـــورًا أضـــاء عـــلى البرية كلها ... مـــن يهـــد للـــنور المبارك يهتدي

يـــا رب فاجمعـــنا معًـــا ونبيـــنا ... في جـــنة تـــثني عـــيون الحســـد

في جـــنة الفـــردوس فاكتـــبها لنا ... يـــا ذا الجلال وذا العلا والسودد

والله أسمـــع مـــا بقيـــت بهـــالك ... إلا بكيـــت عـــلى الـــنبي محمـــد

يـــا ويـــح أنصـــار النبي ورهطه ... بعـــد المغيـــب في ســـواء الملحد

ضـــاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا ... ســـودًا وجوههـــم كلـــون الإثمد

ولقـــد ولدنـــاه وفيـــنا قـــبره ... وفضـــول نعمـــته بـــنا لم نجحـــد

والله أكرمـــنا بـــه وهـــدى بـــه ... أنصـــاره في كـــل ســـاعة مشهد

صـــلى الإلـــه ومـــن يحف بعرشه ... والطيـــبون عـــلى المبارك أحمد [١]

(١) ينظر: ديوانه (ص ٢٠٨، ٢١٠).

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكي رسول الله ﷺ:

نـب المسـاكين أن الخير فارقهم ... مـع الـنبي تـولى عـنهم سحرا

من ذا الذي عنده رحلي وراحلتي ... ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطر؟!

أم مـن نعاتـب لا نخشى جنادعه ... إذا اللسان عتا في القول أو عثرا؟!

كـان الضـياء وكان النور نتبعه ... بعـد الإله وكان السمع والبصرا

فليتـنا يـوم واروه بمـلحده ... وغيـبوه وألقـوا فوقـه المـدرا

لم يـترك الله مـنا بعـده أحـدا ... ولم يعـش بعـده أنثى ولا ذكرا

ذلـت رقـاب بني النجار كلهم ... وكـان أمـرًا من أمر الله قد قدرا

واقتسـم الفيء دون الناس كلهم ... وبـددوه جهـارًا بيـنهم هدرا

وقال حسان بن ثابت أيضًا، يبكي رسول الله ﷺ:

آليـت مـا في جميع الناس مجتهدا ... مـني ألـية بـر غـير إفـناد

تـالله مـا حملت أنثى ولا وضعت ... مـثل الرسـول نـبي الأمة الهادي

ولا بـرا الله خلقـا مـن بريـته ... أوفى بذمـة جـار أو بمـيعاد

مـن الـذي كان فينا يستضاء به ... مـبارك الأمـر ذا عـدل وإرشاد

أمسـى نساؤه عطلن البيوت فما ... يضـربن فـوق قفـا سـتر بأوتاد

مـثل الرواهب يلبسن المباذل قد ... أيقـن بالـبؤس بعـد النعمة البادي

يـا أفضل الناس إني كنت في نهر ... أصـبحت منه كمثل المفرد الصادي

نهاية الجزء الثاني

تم والحمد لله

---

(١) الصادي: العاطش، وينظر: ديوانه (٢٠٧، ٢٠٨).



فهرس المحتويات

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة